النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحْرِ المُحِيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسي

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الرابع

مريم - الصافّات

دار الجيل

بيروت

النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحرِ المُحيط

الطبعَة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

[٣٥٢/ ب] سورة مريم[(١)]

عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ
بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا
فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ
سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ
ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ
وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟
بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن
لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ
يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) ﴾ .

﴿ كٓهيعٓصٓ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ . هذه السورة مكية كالتي

(١) مكية وهي ثمان وتسعون آية.

قبلها. وقال مقاتل: إلاّ آية[١] السجدة فهي مدنية. ونزلت بها بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمّن السّورة التي قبلها قصصاً عجباً، كقصة أهل الكهف، وقصة الرجلين، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين. وهذه السورة تضّمنت قصصاً عجباً من ولادة يحيى بين شيخٍ فانٍ وعجوز عاقر، وولادة عيسى من غير أب. فلما اجتمعا في هذا الشيء المُغْرِب، ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك. وتقدّم الكلام في أول البقرة على الحروف المقطّعة التي في فواتح السّور بما يوقف عليه هناك[٢] و﴿ ذِكْرُ﴾ خبر مبتدأ أي هذا المتلوّ من القرآن ذِكْرُ.

وقرىء: ذَكَرَ، فعلاً ماضياً، ورحمةَ، بالنصب. وقرىء: ذَكِّر، فعل أمر من التذكير[٣]، رحمةَ، بالنصب، و«عَبْدَه» نصب بالرحمة[٤]، أي ذكِّرْ أنّ رحمة ربك عبده. وذكر في السبعة كما تقدم.

و«رحمة» مصدر لا يراد بها أنها واحدة من الرحمات، لأنه إذ ذاك لا ينصب المفعول، لا يجوز أن تقول: أعجبني ضربة زيدٍ عَمْراً، لأنه إذ ذاك محدود بالوحدة فلا يعمل. و«زكريا» بدل أو عطف بيان.

«إذ» ظرفٌ العامل فيه «ذِكْرُ» أو «رحمة». ووصف النّداء بالخفيّ، لئلا يخالطه رياء، وقيل غير ذلك.

---

(١) ق: الآية. وآية السجدة الآية ٥٨ من السّورة.

(٢) انظر تفسير الآية الأولى من البقرة.

(٣) ق: التكذيب.

(٤) ق: بالرحم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه، ومعناه ضَعُفَ. وأسند الوهن إلى العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه وأصل بنائه، فإذا وهن، تداعى، وتساقطت قوته. وقرىء: وهن، بفتح الهاء وكسرها.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره في الشعر، وفشوّه فيه، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميّزاً. ولم يُضِفِ الرأس اكتفاءً بعلم المخاطَب أنه رأسه، وإلى هذا نظر ابن دريد فقال[1]: [من الرجز]

واشتعــل المُبْيَــضُّ فــي مُسْــوَدِّه   مثلَ اشتعال النار في جَزْلِ الغضى

﴿وَلَمْ أَكُنۢ﴾ يعني فيما مضى، أي: ما كنت بدعائك ربّ شقياً، بل كنت سعيداً موفقاً، إذ كنتَ تجيب دعائي، فأسعد بذلك. فعلى هذا «الكاف» مفعول. وقيل: المعنى: بدعائك لي إلى الإيمان شقياً، بل كنت ممّن أطاعك وعَبَدك مخلصاً. فالكاف على هذا فاعل، والأظهر الأول. وروي أن حاتم الطائي أتاه طالب حاجة فقال: أنا الذي أحسنتَ إليه وقت كذا. فقال حاتم: مرحباً بالذي توسّل بنا إلينا، وقضى حاجته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ «الموالي» بنو العمّ والقرابة الذي يلون بالنسب، وقال الشاعر[2]: [من البسيط]

مهــلاً بنــي عمّنــا مهــلاً مــوالينــا   لا تنبشــوا بيننــا مــا كــان مــدفــونــا

والأظهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث إنّه معصوم، أنه لا يطلب

(١) البيت من شواهد المغني ٢: ٤٣٣، وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٦:٣١٦.
(٢) البيت في اللسان «ولي» منسوب للّهبي يخاطب بني أمية.

الولد لأجل ما يخلفه [٣٥٣/أ] من حطام الدنيا، وكذلك قول من قال إنما خاف أن تنقطع النبوّة من ولده، وترجع إلى عَصَبته[1]، لأنّ ذلك إنما [هو لله] يضعها الله حيث يشاء، ولا يعترض على الله تعالى فيمن شاءه واصطفاه من عباده.

وقرىء: يرثْني ويرثْ، بجزمهما جواباً للأمر وهو «هَبْ». وبرفعهما على الصفة لقوله «وليًّا». والظاهر أن الإرث يكون في العلم والدين. والظاهر أن يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

و﴿ رَضِيًّا﴾ بمعنى مرضيّ.

﴿يَـٰزَكَرِيَّآ﴾ قيل له بأثر الدعاء. والمنادي والمبشِّر زكريا همُ الملائكة، بوحيٍ من الله تعالى، قال تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران]. والغلام: الولد الذكر، وقد يقال على الأنثى غلامة. والظاهر أن يحيى ليس عربيًّا لأنه لم تكن عادتهم أن يسمّوا بألفاظ العربية فيكون مَنْعه[2] الصرف للعلمية والعجمة.

﴿مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: من قبلِ ولادته من تسمّى[3] باسمه، بل هو منفرد بتسمية يحيى.

و﴿ أَنَّىٰ﴾ بمعنى كيف، وتقدّم الكلام عليها في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران]. والعِتيّ: المبالغة في الكبر ويبس العود. يقال: عتا العود وعسا: يبس وجسا.

(١) عَصَبة الرجل: قرابته لأبيه.

(٢) ق: منه.

(٣) ق: يسمّى.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ فالكاف[١] رفعٌ أو نصبٌ «بقال»، و«ذلك» إشارة إلى مبهم يفسّره قوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾. و«هو» ضمير معناه: إيجاده عليّ هيّن.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل ولادة يحيى، يشير إلى عظيم قدرته.

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: في حيّز العدم، والمعدوم لا يسمّى شيئاً.

﴿قَالَ﴾ أي: زكريا. ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة أعلم بها وقوع ما بُشّرت به. وطلب ذلك ليزداد يقينه، كما قال إبراهيم ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة] لا لتوقُّفٍ منه في صدق ما وُعد به، ولا لتوهُّم أنّ ذلك من عند غير الله تعالى، لعصمته الأنبياء عن مثل ذلك.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ روى ابن زيد أنه لمّا حملت زوجته، أصبح لا يستطيع أن يكلّم أحداً ومع ذلك يقرأ التوراة، ويذكر الله تعالى، فإذا أراد مقاولة أحد، لم يُطِقْه.

و﴿سَوِيًّا﴾ حال من ضمير ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ أي: في حال صحتك، ليس بك خرس ولا علّة. وعن ابن عباس: «سويا» عائد على الليالي أي: كاملات [مستويات] فتكون صفة «لثلاث». وذكر الليالي[٢] هنا والأيام في آل عمران[٣] على أن المنع من الكلام استمرّ له ثلاثة أيّام بلياليهن.

وقرىء: ألاّ تُكَلِّمُ، برفع الميم، جعلها أنْ المخفّفة من الثقيلة، التقدير:

---

(١) يعني كاف: كذا.

(٢) ق: أي الليالي.

(٣) في قوله تعالى ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران].

أنه لا تُكلِّم. وقرىء بالنصب على أنها الناصبة للمضارع.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ وهو بتلك الصفة من كونه لا يستطيع أن يكلّم الناس. ومحرابه: موضع صلاته. و«المحراب» تقدّم الكلام عليه في آل عمران[1].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ [أي: أشار إليهم] ويشهد له قوله ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران].

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السنّ الذي يُؤمَر فيه، قال الله تعالى له على لسان مَلَك «يا يحيى خذ الكتاب». ويدل عليه قوله تعالى بعدُ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

و«الكتاب» التوراة، قال ابن عطية: هو التوراة بلا خلاف، لأنه ولد قبل عيسى، ولم يكن الإنجيل موجوداً انتهى.

ليس كما قال بل قيل إنه[2] كتاب خُصَّ به، كما خُصّ كثير من الأنبياء عليهم السلام بمثل ذلك. وقيل: «الكتاب» هنا اسم جنس، أي: اتْلُ كتاب الله. وقيل: «الكتاب» صحف إبراهيم.

و«الحكم» النبوّة.

و﴿صَبِيًّا﴾ أي: شابًّا لم يبلغ سنّ الكهولة. [٣٥٣/ب] وعن ابن عباس في حديث مرفوع[3]: ابن سبع سنين.

﴿وَحَنَانًا﴾ معطوف على «الحكم». والحنان: الرحمة. قال ابن عباس:

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٧ من آل عمران.

(٢) ق: له.

(٣) رواه السيوطي في الدرّ المنثور ٤ : ٢٦٠ من حديث ابن عباس.

قال أبو عبيد(١): [من المتقارب]

تَحنَّنْ عليَّ هداك المليكُ فإنَّ لكلِّ مقامٍ مقالا

قال: وأكثر ما يستعمل مثنى كما قال الشاعر(٢): [من الطويل]

أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعضُ الشّر أهون من بعضِ

﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: طهارة.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال قتادة: لم يَهُمَّ قطّ بكبيرة ولا صغيرة ولا همّ بامرأة.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي: كثير البرّ والإكرام والتبجيل.

﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ أي: متكبراً.

﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً كثير العصيان.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ أي: أمانٌ عليه. والأظهر أنها التحية المتعارفة، وإنما الشرف في أن سلّم الله تعالى عليه، وحيّاه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلّة الحيلة والفقر إلى الله تعالى.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن
دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا
زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ

(١) البيت في المقتضب ٣: ٢٢٤ غير منسوب، وهو في اللسان: حنن، منسوب إلى الحطيئة، ولم أجده في ديوانه.

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ص١٧٢.

كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ۞ .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ الآية، لمّا تقدّم قصّة زكريا مع ما فيها من الغرابة، أعقب بما هو أغرب منها، وهو وجود ولد من غير ذَكَر. و«إذ» ظرف لما مضى لا يعمل فيه «اذكر» لأنه مستقبل، بل التقدير: اذكر ما جرى لمريم وقت كذا.

﴿ ٱنتَبَذَتْ ﴾ افتعل من نبذ[1]، ومعناه ارتمت وتنحّت وانفردت. وانتصب ﴿ مَكَانًا ﴾ على الظرف أي: في مكان. ووصف بشرقيّ لأنه[2] كان مما يلي بيت المقدس.

﴿ حِجَابًا ﴾ أي: حائطاً أو شيئاً[3] يسترها. والظاهر أن الروح هو جبريل عليه السلام. وانتصب «بشراً» على أنه حال، ووصفه بقوله «سويا» أي: كامل الصورة حسن الأعضاء وضيء الوجه. وإنما مُثّل لها في صورة الإنسان، لتستأنس بكلامه، ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في صورة الملائكة، لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه. ودلّ على عفافها وورعها أنّها تعوّذت

(١) ق: من نبذ افتعل.

(٢) ق: أنه.

(٣) ق: أي لشيء.

بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن. وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاءً لها وسَبْراً لعفّتها.

وجواب «إنْ» في قوله ﴿إِن كُنتَ﴾ محذوف تقديره: إن كنت تقيًّا فاذهب عني.

﴿قَالَ﴾ أي: جبريل عليه السلام.

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك، وهو الذي استعاذت به. وقوله لها ذلك تطمين لها، وأني لست ممن تُظَنّ به ريبة، أرسلني إليك، ليهب لك غلاماً.

وقرىء: ليهب، بالياء وفيه ضمير يعود على الله تعالى. وقرىء بالهمز، أسند الهبة إلى نفسه على سبيل المجاز، إذ الواهب هو الله تعالى. وتعجّبت مريم، وعلمت بما ألقي في روعها أنه من عند الله تعالى.

وتقدّم الكلام على سؤالها عن الكيفية في آل عمران[1] في قصتها.

وفي قولها ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ تخصيص بعد تعميم، لأن مسيس البشر يكون بسفاح أو نكاح. والبغيّ: المجاهرة[2] المشتهرة في الزّنى، ووزنه فعول اجتمعت واو وياء، وأدغمت في الياء، وكسر ما قبل الياء، لتصحّ الياء.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ الكلام عليه كالكلام السابق في قصة زكريا[3].

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على تعليل محذوف تقديره لنبيّن

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٧ من آل عمران.

(٢) ق: المهاجرة.

(٣) انظر تفسير الآية ٩ من هذه السورة.

به قدرتنا ولنجعله، أو محذوف متأخر [٣٥٤/أ] أي: فعلنا ذلك. والضمير في «ولنجعله» عائد على الغلام، وكذلك في قوله «وكان» [أي]: وجوده أمراً مفروغاً منه. وكونه رحمة من الله أي طريق هدى لعالم كثير، فينالون الرحمة بذلك.

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي: في بطنها. وذكروا أقوالاً كثيرة مضطربة في مدة الحمل[١].

﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ أي: مكاناً بعيداً.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ أي: ساقها المخاض وهو الطلق بالألم الذي يلحقها لانزعاج الولد في بطنها للخروج. «فأجاءها» أي: جاء بها، تعدّى: [جاء، تارة] بالباء وتارة بالهمزة.

قال الزمخشري[٢]: إلا أنّ استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى معنى الإيجاء[٣]، ألا تراك لا تقول: جئت المكان وأجاءنيه كما تقول: بلغته وأبلغنيه[٤]، ونظيره: آتى، حيث لم تستعمل في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلان انتهى.

أما قوله وقول غيره: إنّ الاستعمال غيّره إلى معنى الإيجاء، فيحتاج إلى نقل الأئمة المستقرئين لذلك عن لسان العرب. والإجاءة تدلّ على المطلق، فتصلح لما هو بمعنى الإيجاء ولما هو بمعنى الاختيار، كما لو قلت: أقمت

---

(١) انظر البحر ٦: ١٨١.
(٢) الكشاف ٢: ٥٠٦.
(٣) في الكشاف: الإلجاء.
(٤) ق: تلقيته وأتلقيته.

زيداً، فإنه قد يكون مختاراً لذلك، وقد تكون قد قسرته على القيام. وأما قوله: ألا تراك لا تقول إلى آخره، فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس، أجاز ذلك، ولو لم يُسمع، ومن لا يراه قياساً، فقد سمع ذلك في جاء، حيث قالوا: أجاء، فيجيز ذلك. وأما تنظيره ذلك بآتى، فهو تنظير غير صحيح، لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية، وأن أصله: أاتى[1]. وليس كذلك، بل آتى[2] مما بني على أفعل[3]. وليس منقولاً من أتى بمعنى جاء؛ إذ لو كان منقولاً من أتى المتعدّية لواحد، لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني [والفاعل هو الأول، إذا عدّيت بالهمزة، تقول: آتى المال زيداً، وآتى زيد عمراً المال، فيختلف التركيب بالتعدية، لأن زيداً، عند النحويين، هو المفعول الأول، والمال هو المفعول الثاني]. وعلى ما ذكره الزمخشري كان يكون العكس، فدلّ ذلك على أنه ليس على ما قاله.

وأيضاً فآتى مرادف لأعطى، فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى. وقوله: ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه. هذا غير مسلَّم، بل يقال: أتيت المكان، كما تقول: جئت المكان. وقال الشاعر[4]: [من الوافر]

أَتَــوا نــاري فقلــتُ مَنُــون أنتــم   فقالوا الجنّ قلتُ عِمُوا صباحَا

ومن رأى النّقل بالهمزة قياساً قال: آتانيه.

---

(١) ق: أتى.

(٢) ق: بلا أتى.

(٣) ق: على أن الهمزة أفعل.

(٤) البيت من شواهد الكتاب ٢: ٤١١، ونسبه محققه إلى سمير بن الحارث، وقافيته: ظلاما. وهو في الخزانة ٦: ١٧٧ منسوب لجذع بن سنان، وقافيته كما هنا.

والمستفيض المشهور أن ميلاد عيسى عليه السلام كان بيت لحم، وأنها لمّا هربت، وخافت عليه، أسرعت به، وجاءت إلى البيت المقدس، فوضعته على صخرة، فانخفضت له، وصارت كالمهد، وهي الآن تُزار بحرم بيت المقدس. ثم بعد أيام توجّهت به إلى بحر الأردن فعمّدته فيه، وهو الذي يتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس، وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقدّست فلذلك يغطسون في ذلك اليوم في كل ماء.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [استندت إلى الجذع] ولم يكن وراءها امرأة تشدّها كعادة النساء عند الوضع. ذكروا في هذا الجذع أقوالاً مضطربة، والظاهر أنها نخلة، عادتها أن تثمر وترطب، فلما اشتد بها الأمر هناك، واحتضنت الجذع لشدة الوضع، وولدت عيسى عليه السلام، قالت عند ولادتها [لما رأته من الآلام والتغرّب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه] ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾. وتمنّت مريم الموت من جهة الدّين، إذ خافت أن يَظنَّ بها البشر السّوء في دينها.

والنَّسْي: الشيء الحقير الذي من شأنه أن يُنسى، فلا يُتأَلَّم[1] لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة [٣٥٤/ب] الطمث. ونَسْي: فَعْل بمعنى مفعول كطَحْن بمعنى مطحون ورَعْي بمعنى مرعيّ. وأكّد ذلك بقوله «منسيا» لاختلاف صورتي التركيب.

والظاهر أن المنادي هو عيسى عليه السلام، أي: فولدته فأنطقه الله تعالى. و«فناداها» أي: حالة [الوضع]. وقيل: جبريل عليه السلام، وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها. قيل: وكان

(١) ق: تتألّم.

يقْبَلُ[١] الولد كالقابلة.

وقرىء: مَنْ تحتها، فقيل عيسى، وقيل جبريل، فَمَنْ موصولة، فعلى هذا يكون المنادي [عيسى] عليه السلام. و«أنْ» حرف تفسير.

و﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ نهي[٢].

﴿سَرِيًّا﴾ السريّ: الرجل العظيم من الرجال له شأن عظيم، والسريّ في اللغة الجدول.

وفي قوله ﴿رَبُّكِ﴾ تأنيس لها إذ هو مالكها والناظر في إصلاحها.

ثم أمرها بهزّ الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع. قال ابن عباس: كان الجذع نخراً يابساً، فلمّا هزّته إذا السّعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطّلع يخرج من بين السعف، ثم اخضرّ فصار بلحاً، ثم احمرّ فصار زَهْواً[٣] ثم رُطَباً، كل ذلك في طرفة عين. فجعل الرّطب يقع بين يديها لا يتسرّح منها شيء[٤]. وإلى: حرف جر.

وفي قوله ﴿وَهُزِّيٓ﴾ ضمير الفاعل وهو الياء، وقد تعدّى الفعل إلى ضمير الجرّ ونظيره قوله تعالى ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص] وقوله تعالى ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

وفي النحو أن الفعل إذا رفع ضميراً متصلاً أو مستكنًّا، لا يتعدى إلى

(١) أي يتلقّاه عند الولادة.
(٢) ق: نهدي.
(٣) الزّهو: البُسْر الملون، وإذا ظهرت الحمرة والصفرة في النّخل فقد ظهر فيه الزّهو.
(٤) ق: شيئاً.

ضمير النصب ولا إلى ضمير الجر، فلا تقول: ضَرَبْتَك، ولا: ضربتُني، ولا: زيد ضَرَبَه، أي: ضَرَب نفسه. بل المعروف أنه يؤتى بدل الضمير المنصوب بالنفس فتقول: ضربتَ نفسك وضربتُ نفسي وزيد ضرب نفسه، إلا في باب ظن وفقد وعدم، فيجوز ذلك، فتقول: ظننتك قائماً وظننتني قائماً. وفي «وهزي إليك» جاء فصيحاً تعدّى ذلك إلى ضمير الجر. والباء زائدة في قوله «بجذع» لأن هزّ متعدٍّ بنفسه، تقول: هززت الغصن.

وقرىء: تَسَّاقَط، بتشديد السين، وأصله: تتساقط، فأدغمت التاء في السين. وقرىء: تَسَاقَط، بحذف التاء. وقرىء: تُسَاقِط، مضارع ساقط تُساقِط. فعلى هذه القراءة يكون «رطباً» مفعولاً به، وعلى القراءتين قبل ذلك يكون «رطباً» تمييزاً منقولاً[1] من الفاعل؛ إذ الأصل: تتساقَطُ أو تَسَاقَطُ رُطَبُه. وفي قوله «وهزّي» دليل على السبب لتحصيل الرزق.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ لمّا كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدّم في الآية، ولمجاورة قوله «تساقط عليك رطباً جنياً». ولمّا كان المحزون قد يأكل ويشرب قال «وقري عينا» أي: لا تحزني. ثم ألقى إليها ما تقول إذ رأت أحداً ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ إنْ شرطية، وما زائدة. وأصل «تريّن» تَرْأَيِيْنَنَّ[2]؛ نقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة، وحذفت نون الرفع لدخول[3] الجازم الذي هو إنْ، ثم أدخلت النون الشديدة، فانحذفت ياء الضمير، فبقيت: تَرَيِنَّ، والياء المكسورة هي لام الفعل. «فقولي» جواب الشرط، والجملة بعده معمول «لقولي» في موضع نصب.

---

(١) ق: منقول.

(٢) ق: تريينن.

(٣) ق: لدفع.

وفي قولها ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لطيفة وهو قولها «للرحمن» أي: للذي يرحمني أولاً وآخراً، وفي هذه الحال وغيرها. ولا تناقض، لأن المعنى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [٣٥٥/ أ] بعد قولي هذا.

وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى، أي: فإمّا ترين من البشر أحداً وسألك أو حاورك الكلام فقولي.

و﴿صَوْمًا﴾ قال السدّي وابن زيد: كانت سنّة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا﴾ الآية، «تحمله» جملة حالية أي: حاملة له. والفَرِيّ: العظيم الشنيع.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ الظاهر أنه أخوها الأقرب، وكانوا[1] يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم. نعوا عليها ما جاءت به، وأنّ أبويها كانا صالحين، فكيف صدر منك هذه الغفلة القبيحة. وفي هذا دليل على أن الفروع غالباً تكون زاكية، إذا زكت الأصول، ويُنكر عليها، إذا جاءت بضدّ ذلك.

(١) ق: وكان.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ لمّا اتّهموها [بما اتّهموها] نَفَوا عن أبيها السوء، ونفوا عن أمّها البغاء، وهو الزّنى. روي أنها لما دخلت به على قومها، وهم أهل بيت صالحون، تباكوا، وقالوا ذلك. وقيل: هَمُّوا برجمها حتى تكلّم عيسى عليه السلام فتركوها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ألف «أشارت» منقلبة عن ياء. وقال يزيد بن حاتم المهلبي: هي منقلبة عن واو من الشّورى. ونازعه أبو عبد الرحمن بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني قاضي أفريقية، وتحاكما إلى قتيبة الميّال - وكان يزيد قد جلبه من الكوفة إلى المغرب - فقال له ابن غانم: كيف تبني من الإشارة تفاعلنا؟ فقال: تشايرنا. فقال له يزيد: ما الدليل على هذا؟ قال: قول كثيّر[1]: **[من الطويل]**

قلت وفي الأحشاء قول مخامر ... ألا حبّذا يا عَزَّ ذاك التّشايرُ

وقوله تعالى «فأشارت إليه» أي: هو الذي يجيبكم، إذا ناطقتموه. وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا. ويروى أنهم لما أشارت إليه قالوا: استخفافها بنا أشدّ علينا من زناها. [ثم] قالوا على جهة الإنكار والتهكّم «كيف نكلم» أي: من كان في المهد يربّى لا يُكلّم. وإنما أشارت إليه لما تقدّم لها من وعده أنه يجيبهم عنها، ويغنيها عن الكلام، وقيل: بوحي من الله تعالى [إليها].

و«كان» قيل زائدة وقيل تامّة، وينتصب «صبياً» على الحال في هذين القولين.

---

(١) ديوانه ص٥٠٢. وفي البيت خرم.

والظاهر أنها ناقصة، فتكون بمعنى صار، أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون[1] الجملة بالزمان الماضي، ولا يدل ذلك على الانقطاع[2]، كما لم يدلّ في قوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء].

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أنطقه الله تعالى أولاً بقوله «إني عبد الله» ردًّا للوهم الذي ذهبت إليه النصارى. وفي قوله «عبدالله» والجمل التي بعده تنبيه على براءة أمّه [ممّا] اتّهمت به، لأنه تعالى لا يخصّ بولدٍ موصوف بالنبوّة والخصال الحميدة إلا مبرّأة مصطفاة.

و«الكتاب» الإنجيل أو التوراة أو مجموعهما.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أنه تعالى نبّأه حال طفوليّته أكمل الله تعالى عقله، واستنبأه طفلاً، وقيل إن ذلك سبق في قضائه وسابق حكمته.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ أي: نفّاعاً.

و﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ شرط وجوابه محذوف تقديره: جعلني مباركاً، وحذف لدلالة ما تقدّم عليه. و«ما» في «أينما» زائدة، وفي «ما دمت» مصدرية ظرفية أي: مدة دوام حياتي والظاهر حَمْل الصلاة والزكاة على ما شُرع في شريعتهم في البدن والمال.

والجبّار: المتعاظم. وكان عليه السلام في غاية التواضع يأكل الشجر، ويلبس الشَّعر، ويجلس على التّراب [٣٥٥/ب] [وينام] حيث جنّه الليل لا مسكن له. وكان يقول: سلوني فإني ليّن القلب صغير في نفسي.

---

(١) ق: مدلول.

(٢) يعني أنه كان وهو الآن على ما كان.

والألف واللام في «والسلام» للجنس.

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ
مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ
نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآية، الإشارة «بذلك» إلى المولود الذي ولدته مريم المتّصف بتلك الأوصاف الجميلة. و«ذلك» مبتدأ و«عيسى» خبره، و«ابن مريم» صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل. والمقصود ثبوت بنوّته من مريم خاصة من غير أب، فليس بابن الله تعالى كما تزعم النصارى، ولا لغير رِشْدَةٍ[1] كما تزعم اليهود. وانتصاب «قول» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة؛ أي: هذا الإخبار عن عيسى ابن مريم ثابتٌ صدقٌ ليس منسوباً لغيرها أي: أنها ولدته من [غير مسّ] بشر، كما تقول: هذا عبدالله الحقَّ لا الباطل، أي: أقول الحق وأقول قول الحق، فيكون هنا «الحق» الصدق. وقرىء: قولُ، برفع اللام، وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو، أي: نِسْبَتُه إلى أمه خاصّة فقط قولُ الحق.

قال الزمخشري[2]: وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل انتهى.

هذا الذي ذكره لا يكون إلا على المجاز في «قول» وهو أن يراد به كلمة

---

(١) تقول: هو لرشدة، خلاف قولك: لزِنْيَة.

(٢) الكشاف ٢: ٥٠٩.

الله، لأن اللفظ لا يكون الذات.

وقرىء: يمترون، بياء الغيبة وبتاء الخطاب. وامترى: افتعل إمّا من المِرْية وهي الشّك، وإمّا من المراء وهو المجادلة والملاحاة، وكلاهما مقول هنا: قالت اليهود ساحر كذاب، وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ «مِن» زائدة في سياق النفي، والنفي لم يتسلّط على «كان»، وإذا انتفى الكون انتفى متعلّقه وهو الاتّخاذ، فكأنّ حرف النفي باشر «يتخذ»، و«من ولد» في موضع المفعول. والنفي هنا دلّ على التنزيه ولذلك أعقب هذا النفي بقوله «سبحانه» أي: تنزّه عن الولد، إذ هو مما لا يتأتّى ولا يتصوّر في المعقول، ولا تتعلق به القدرة لاستحالته، إذ هو تعالى متى تعلقت إرادته بشيء أوجده، فهو منزّه عن التوالد. وقال بعض الشعراء[1]:

[من الطويل]

ألا ربَّ مولودٍ وليس له أبٌ   وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ

عنى[2] بالأول عيسى عليه السلام وبالثاني آدم عليه السلام. وتقدم الكلام على الجملة من قوله ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

وقرىء: وإنّ، بكسر الهمزة. وقرىء بفتحها، التقدير ولأنّ[3] الله ربي وربكم فاعبدوه. والإشارة بقوله «هذا» أي: القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده إلى النجاة.

---

(١) البيت لعمرو الجنبي في الكتاب ٢: ٢٦٦، وهو في الخصائص ٢: ٣٣٣.

(٢) قبله في ق: أي لم يلده.

(٣) في المطبوع: وكان، وفيه وجه.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله بتفرّق بني إسرائيل فرقاً.

ومعنى ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين، لم يقع الاختلاف بسببه من غيرهم[(١)].

و﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ قال الكلبي: اليهود والنصارى. وقال قتادة: إن بني إسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم فقال أحدهم: عيسى هو الله نزل إلى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات. فكذّبه الثلاثة وتبعه اليعقوبية. ثم قال أحد الثلاثة: عيسى ابن الله. فكذّبه الاثنان واتّبعه النّسطورية. وقال أحد الاثنين: عيسى[(٢)] أحد ثلاثة: الله إله ومريم إله وعيسى إله. فكذّبه الرابع واتبعه الإسرائيلية. وقال الرابع: عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فاتّبعه فريق من بني إسرائيل. ثم اقتتل الأربعة فغُلب المؤمنون وقُتلوا وظهر اليعقوبية على الجميع. والأربعة يعقوب ونسطور وملكا وإسرائيل. و«مشهد» مفعل من الشهود وهو الحضور، أو من الشهادة، ويكون مصدراً ومكاناً وزماناً. فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى [٣٥٦/أ] من شهودِ هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، وأن يكون [من] مكان الشهود فيه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود، ومن الشهادة. ويجوز أن يكون المعنى: من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر، وأن يكون من مكان الشهادة، وأن يكون من وقت الشهادة. واليوم العظيم على هذه الاحتمالات هو يوم القيامة.

---

(١) ق: سببه غيرهم.

(٢) عبارة ق مضطربة: عيسى عبد الله وكلمته ألقاها أحد ثلاثة. ونجم الاضطراب عن الخلط بين قول الثالث والرابع.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغة تعجب. وحذف من الثاني [«بهم»] لدلالة الأول عليه وتقديره: ما أسمعهم وما أبصرهم. وتقدم الكلام في التعجب من الله تعالى في قوله ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة].

﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ هو يوم القيامة.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ عموم يندرج فيه هؤلاء الأحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين. و«اليوم» أي: في دار الدنيا.

و«يوم الحسرة» اسم جنس لأن بعده حسرات كثيرة في مواطن عدّة، منها يوم الموت، ومنها أَخْذ الكتاب بالشمال وغير ذلك.

و﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: أمر يوم القيامة.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ جملة حالية والعامل فيها قوله ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ لعلهم ينتفعون بالإنذار ويفكّرون في يوم الحسرة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ تجوّز(١) وعبارة عن فناء المخلوقين وبقاء الخالق، فكأنها وراثة(٢).

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا
يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ

(١) ق: يجوز.

(٢) ق: وارثة.

سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية، «واذكر» خطاب لرسول الله ﷺ، والمراد: اتْلُ عليهم نبأ إبراهيم، وذاكِرُه ومُوردُه في التنزيل هو الله تعالى. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر قصّة مريم وابنها عيسى، واختلاف الأحزاب فيها، وعبادتهما من دون الله تعالى، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة - ذكر الفريق الضالّ الذي عبد الجماد. والفريقان وإن اشتركا في الضّلال، فالفريق العابد الجماد أضلّ. ثم ذكر قصّة إبراهيم عليه السلام مع أبيه تذكيراً للعرب بما كان أبوهم عليه من توحيد الله تعالى وتبيين[(١)] أنهم سلكوا غير طريقه. وفيه صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به، وأنّ ذلك متلقًّى بالوحي. والصدّيق من أبنية المبالغة، وهو مبني من الثلاثي للمبالغة، أي: كثير الصدق. والصّدق عُرْفه في اللسان ويقابله الكذب. وقد يستعمل في الأفعال والخلق وفيما لا يعقل[(٢)].

قال الزمخشري[(٣)]: هذه الجملة - يعني قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ - وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله، أعني «إبراهيم» و«إذ قال» نحو قولك: رأيت زيداً - ونعم الرجل - أخاك. ويجوز أن يتعلق «إذ» «بكان» أو

(١) ق: سالكو.
(٢) كأن يقال: صدّقني الطعام كذا وكذا قفيزاً، وعود صدق، للصلب الجيد. انظر البحر ٦: ١٩٣.
(٣) الكشاف ٢: ٥١٠.

بـ«صدّيقاً نبيًّا»، أي: كان جامعاً لمقام الصدّيقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات انتهى.

والتخريج الأول يقتضي تصرّف «إذ» وقد تقدّم لنا أنها لا تتصرّف[١].

والتخريج الثاني مبني على أنّ «كان» الناقصة وأخواتها تعمل في الظروف وهي مسألة خلاف.

والتخريج الثالث لا يصحّ، لأن العمل لا ينسب إلاّ إلى لفظ واحد، أما أن يُنسب إلى مركّب من مجموع لفظين فلا. ولا جائز أن يكون «إذ» معمولاً[٢] «لصدّيقاً» لأنه قد نُعت إلاّ على رأي الكوفيين. ويحتمل أن يكون معمولاً «لنبيًّا» أي: منبّأً في وقت قوله لأبيه ما قال، وأن التّنبئة كانت في ذلك الوقت، وهو بعيد.

وتقدّم الكلام على «يا أبت» في سورة يوسف[٣]. واستفهم إبراهيم عن السبب الحامل لأبيه على عبادة الصّنم، وهو منتفٍ عنه السمع والبصر والإغناء عنه شيئاً، تنبيهاً على شُنْعة الرأي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الأوصاف. رتّب إبراهيم عليه السلام الكلام مع أبيه في أحسن اتّساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب [٣٥٦/ب] الجميل والخلق الحسن، منتصحاً[٤] في ذلك نصيحة ربه تعالى.

---

(١) انظر تفسير الآيتين ٦٩، ١٦٣ من الأعراف.

(٢) ق: معمول.

(٣) انظر تفسير الآية ٤ من يوسف.

(٤) ق: مستنصحاً.

ولمّا سأله عن العلّة في عبادة الصنم، ولا يمكن أن يجد جواباً، انتقل إلى إخباره بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأته، ولم يصف أباه بالجهل إذ يغني عنه السؤال السابق. وقال «من العلم» على سبيل التبعيض، أي: شيء من العلم ليس معك. وهذه المحاورة تدلّ على أن ذلك [كان] بعد ما نُبّىء، إذ في لفظ «جاءني» تجدّد العلم. والذي جاءه الوحي الذي يأتي به الملك، أو العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها، أو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة والألوهية.

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ على توحيد الله بالعبادة وارفض الأصنام.

﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ وهو الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ انتقل من أمره باتّباعه إلى نهيه عن عبادة الشيطان [وعبادته كونه يطيعه في عبادة الأصنام، ثم نفّره عن عبادة الشيطان] بأنه كان عصيًا للرحمن، حيث استعصى حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأبى، فهو عدوّ لك ولأبيك آدم من قبل. وكان لفظ «الرحمن» هنا تنبيهاً على سعة رحمته، وأنّ مَن هذا وَصْفُه هو الذي ينبغي أن يُعبد ولا يُعصى، وإعلاماً بشقاوة الشيطان حيث عصى مَنْ هذه صفته، وارتكب من ذلك ما طرده عن هذه الرحمة.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الأَولى حَمْل «أخاف» على موضوعه الأصلي، لأنه لم يكن آيساً من إيمانه، بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن، وأن يتمادى على الكفر، فيمسّه العذاب. وخوّفه إبراهيم سوء العاقبة، وتأدّب معه إذ لم يصرّح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ هو ألطف من المعاقبة، ونكّر العذاب، ورتّب على مسّ العذاب بقوله «إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن» ما هو أكبر منه وهو

ولاية الشيطان.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي ﴾ «قال» أي: أبوه، استفهم استفهام إنكار. والرغبة عن الشيء: تركه عمداً. وآلهته: أصنامه. وأغلظ له في الإنكار، وناداه باسمه، ولم يقابل[1] «يا أبت» بيا بُنيّ.

قال الزمخشري[2]: وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله «أراغب أنت عن آلهتي» لأنه كان أهمّ عنده، وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها [أحد]. وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله ﷺ عمّا كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى.

والمختار في إعراب «أراغب [أنت]» أن يكون «راغب» مبتدأ لأنه قد اعتمد على أداة الاستفهام، و«أنت»[3] فاعل سدّ مسدّ الخبر.

ويترجّح هذا الإعراب على ما أعربه الزمخشري من كون «أراغب» خبر و«أنت» مبتدأ بوجهين: أحدهما أن[4] لا يكون فيه تقديم ولا تأخير؛ إذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ. والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو «أراغب» وبين معموله الذي هو «عن آلهتي» بما ليس بمعمول[5] للعامل، لأن الخبر ليس هو عاملاً في المبتدأ بخلاف كون «أنت» فاعلاً، فإنه معمول

(١) ق: يقل بل.
(٢) الكشاف ٢: ٥١١.
(٣) الاستفهام وأنت، مشطوبتان في ق.
(٤) ق: أنه.
(٥) ق: معمول.

«لراغب»، فلم يُفصل بين «أراغب» وبين «آلهتي» بأجنبي، وإنما فصل بمعمولٍ له.

ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته، توعّده مقسماً على إنفاذ ما توعّده به، إن لم ينته. ومتعلّق «تنته» محذوف واحتمل أن يكون: عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتني إليه، وأن يكون: لئن لم تنته عن الرغبة عن آلهتي.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ جواب لقسم محذوف[1]، وظاهره الرجم بالحجارة.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: علام عطف «واهجرني»؟ قلت: على معطوف عليه محذوف، يدلّ عليه «لأرجمنّك» أي: فاحذرني واهجرني، لأنّ «لأرجمنّك» تهديد وتقريع انتهى.

وإنما احتاج إلى حذف، ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه، وليس [٣٥٧/أ] [ذلك] بلازم عند سيبويه، بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية.

وقوله ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾ معطوف على قوله ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وكلاهما معمول للقول.

وانتصب «مليا» على الظرف أي: دهراً طويلاً ومنه الملوان وهما الليل والنهار.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ قرأ أبو البرهسم[3]: سلاماً، بالنصب. ورفع «سلام»

---

(١) ق: القسم المحذوف.

(٢) الكشاف ٢ : ٥١١ .

(٣) ق: أبو البرهشيم، انظر معجم القراءات القرآنية ٤ : ٤٨ .

على الابتداء ونصبه على المصدر أي: سلّمت سلاماً، دعاءٌ له بالسلامة على سبيل الاستمالة. ثم وعده بالاستغفار، وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ أي: معتنياً. و«بي» متعلّق به. ولما كان في قوله «لأرجمنّك» فظاظة وقساوة قلب، قابله بالدعاء له بالسّلامة والأمن، ووعده بالاستغفار قضاءً لحقّ الأبوّة.

ولمّا أمره بهجره الزمان الطويل، أخبره بأنه يمتثل أمره، ويعتزله وقومه ومعبوداتهم، فهاجر إلى الشام، وقيل إلى حرّان. وكان بأرض كوثا[1].

ولسان الصدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد، قاله ابن عباس.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ الآية، وقرىء: مخلَصاً، بفتح اللام أي: أخلصه الله تعالى للعبادة والنبوة. وقرىء بكسر اللام أي: أخلص العبادة عن الشرك والرّياء. وحَسَّنَ مجيء قوله «نبيًّا» بعد قوله

(١) مدينة بالعراق إلى جانب بابل فيها ولد إبراهيم الخليل. انظر الروض المعطار ص٥٠٣، ومعجم ما استعجم ٤: ١١٣٨، ومعجم البلدان «كوثى».

«رسولاً» كونه فاصلة. وإطلاق رسول على الملائكة، ولا يقال لهم في العرف أنبياء.

ونداؤه إياه هو تكليمه إياه. و«الطور» الجبل المشهور بالشام. والظاهر أن «الأيمن» صفة للجانب، لقوله في آية أخرى ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴿٨٠﴾﴾ [طه] بنصب «الأيمن» نعتاً «لجانب الطور». و«الأيمن» مشتق من اليُمْن وهي البركة.

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ هو تقريب مكانة وتشريف لا مكان. و«نجيّا» فعيلاً من المناجاة، وهو حال من المفعول في «قرّبناه». والمناجاة: المسارّة.

و«مِن» في ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ للسبب أي: من أجل رحمتنا له، أو للتبعيض. و﴿أَخَاهُ﴾ مفعول «بوهبنا». و﴿هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان.

قال الزمخشري[1]: و«أخاه» على هذا الوجه - يعني كون «مِن» في «من رحمتنا» للتبعيض - بدل، و«هارون» عطف بيان، كقولك: رأيت رجلاً أخاك زيداً انتهى.

الذي يظهر ما قلناه، ولا تُرادف «مِن» بعضاً فتبدل منها.

و«إسماعيل» هو ابن إبراهيم عليهما السّلام. وصِدْقُ وَعْدِه أنه كان منه مواعيد لله وللناس، فوفى بالجميع، فلذلك خُصَّ بصدق الوعد.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة، ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس [كقوله تعالى] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) الكشاف ٢: ٥١٣.

و﴿مَرْضِيًّا﴾ مفعول من رضي. ويقال: مرضوّ، بإدغام واو مفعول في اللام التي هي واو. ويقال مرضيّ، لأنه اجتمعت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت الواو في الياء[١]، فصار: مرضيًّا. وحسّن مجيء «مرضياً» دون مرضوّ كونه [فاصلة].

و«إدريس» هو جدّ أبي نوح وهو أخنوخ. وهو أول من نظر في النجوم والحساب وجعله الله تعالى من معجزاته، وأوّل من خطّ بالقلم[٢]، وخاط الثياب، ولبس المخيط، وكانوا قبلُ يلبسون الجلود، وأول مرسل بعد آدم، وأول من اتّخذ المكاييل والموازين والأسلحة، فقاتل بني قابيل. وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة.

والمكان العلي: شرف النبوّة والزُّلْفَة[٣] عند الله تعالى. وقد أنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة. وحديث أبي هريرة وأنس[٤] أنه في السماء الرابعة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ [٣٥٧/ب] و﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبره. وهو إشارة إلى من تقدّم ذكره في هذه السّورة من الأنبياء. و«مِن» في ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ للبيان، لأن جميع الأنبياء منعم عليهم. و«مِن» الثانية للتبعيض.

وكان إدريس من ذرية آدم عليه السلام، لقربه منه، لأنه جدّ[٥] أبي نوح. وإبراهيم من ذريّة من حُمل مع نوح، لأنه من ولد سام بن نوح.

---

(١) أي بقلب الواو ياءً ثم إدغامها بالياء.

(٢) ق: القلم.

(٣) الزُّلْفة والزُّلفى: القُربة والمنزلة.

(٤) انظر البخاري ٣: ١٢١٧، ومسلم ١: ١٤٦.

(٥) ق: لا جدّ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسحاق وإسماعيل ويعقوب. «وإسرائيل»[١] معطوف على «إبراهيم». وزكريا ويحيى وموسى وهارون من ذرية إسرائيل، وكذلك عيسى عليه السلام، لأن مريم من ذريته.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على «مِن» الأولى والثانية.

و﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ كلام مستأنف. ويجوز أن يكون «الذين» صفة «لأولئك» والجملة الشرطية خبر.

وقرأ الجمهور: تتلى، بتاء. وقرىء بالياء. وانتقل في هذه الجمل من الاسم الظاهر إلى ضمير المتكلم في قوله «حملنا» وما بعده، ثم إلى الاسم الظاهر في قوله «آيات الرحمن» وهذا من التّفنن في البلاغة والفصاحة.

وانتصب «سجداً» على الحال المقدّرة، لأنهم حالة الخرور ما كانوا سجداً. والبُكيّ: جمع باكٍ كشاهد وشهود. [وأصله] بُكُوْي، اجتمعت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت، وكسر ما قبلها.

قال ابن عطية: «وبكيًا» بكسر الباء، وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى.

ليس قوله هذا بسديد، لأنّ إتباع حركة الباء لحركة الكاف لا يعيّن[٢] المصدرية؛ ألا تراهم قرؤوا «جِثيًا» بكسر الجيم جمع جاثٍ، وقالوا: عِصيّ فأتبعوا؟. وسُمع [في جمعه] بُكاةٌ كَرَامٍ ورُماة، قال الشاعر[٣]: [من البسيط]

ولا تراهم وإن جلّت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا

(١) ق: وإسراف.

(٢) ق: تعيّن.

(٣) البيت لبشامة بن جَزْء النهشلي في شرح ديوان الحماسة ١ : ١٠٩.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ ﴾.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في اليهود.

وإضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها، قاله ابن مسعود وغيره.

«الشهوات» عامّ في كل مشتهى[١] يشغل عن الصلاة وذكر الله تعالى. وعن عليّ رضي الله عنه: الشهوات مَن بَنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور. والغَيّ: كل شرّ، والرّشاد: كل خير. وقال عبدالله بن عمرو وغيره: الغيّ: وادٍ في جهنم.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ استثناء متّصل. والضمير في «تاب» مفرد عائد على لفظ «مَن» ثم [حُمل] على المعنى [فجُمع] في قوله «فأولئك». وقرىء[٢]: يدخلون، مبنيًّا للفاعل والمفعول.

وانتصب ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾ على أنه بدل من قوله «الجنة». وقرىء بالرفع على إضمار مبتدأ محذوف تقديره: تلك جنات عدن. والعَدْن: الإقامة، [يقال]: عَدَن بالمكان إذا أقام به.

(١) ق: ما يُشتهى.

(٢) ق: وقيل.

وقال الزمخشري[١]: «عَدْن» عَلَم، لأن المضاف إليها وهو «جنّات» وُصف «بالتّي» وهي معرفة، فلو لم تكن «جنّات» مضافة إلى معرفة، لم توصف بالمعرفة انتهى.

ولا يتعين ذلك؛ إذ يجوز أن تكون «التي» خبر مبتدأ محذوف، أو منصوباً بإضمار: أعني أو أمدح، أو بدلاً من «جنّات». ويبعد أن يكون صفة لقوله «الجنّة» للفصل بالبدل الذي هو «جنّات». والحكم أنه إذا اجتمع النّعت والبدل، قُدّم النعت، وجيء [بعده] بالبدل. ودعوى الزمخشري أن عَدْناً عَلَم بمعنى العَدْن يحتاج إلى توقيف وسماعٍ من العرب، وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه.

قال الزمخشري أيضاً[٢]: ولولا ذلك - أي: كونه عَلَماً لأرض الجنّة - لما ساغ الإبدال، لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة، ولما ساغ وصفها بالتي انتهى.

أما قوله: ولولا ذلك، إلى قوله: موصوفة فليس مذهب البصريين، لأن مذهبهم جواز إبدال النكرة من المعرفة، وإن لم تكن موصوفة، وإنما ذلك شيء قاله [٣٥٨/أ] البغداديون، وهم محجوجون بالسماع على ما بيّنّاه في كتبنا في النحو، فملازمته [فاسدة].

و﴿بِٱلْغَيْبِۚ﴾ حال، أي: وعدها وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، لا يشاهدونها.

و﴿مَأْتِيًّا﴾ مفعول من أتى، فاحتمل «وعده» أن يكون مصدراً وأن يكون

(١) ليس النص في الكشاف.
(٢) الكشاف ٢: ٥١٥.

اسم مفعول أي: موعوده.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع، لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو.

ومعنى ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ جميع الأوقات، وكنّى بالطرفين عن ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد]؟.

﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ التوريث استعارة، أي: تبقى عليه الجنّة كما يبقى على الوارث مال الموروث، والأتقياء يلقون ربّهم، قد انقضت أعمالهم، وثمرتها باقية، وهي الجنّة.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أبطأ جبريل عليه السلام عن رسول الله ﷺ مرة، فلمّا جاء قال: يا جبريل قد اشتقت إليك، أفلا تزورنا أكثر ممّا تزورنا؟ فنزلت الآية[(١)].

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ القصد [بذلك] الإشعار[(٢)] بملك الله تعالى لملائكته، وأن قليل تصرّفهم وكثيره إنما هو بأمره، وانتقالهم من مكان إلى مكان بحكمته، إذ الأمكنة له وهم له.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فعيل للمبالغة في ناسٍ كرحيم مبالغة في راحم. والمعنى أنه تعالى لا يهمل أمرك.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٤٥.

(٢) ق: الإشعا.

وارتفع ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على البدل من قوله «ربك» أو على تقدير خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو ربٌّ. وعُدّي «واصطبر» باللام على سبيل التضمين، أي: أثبت بالصبر لعبادته، لأن العبادة تورد شدائد، فاثبت لها. وأصله التعدية بعلى، كقوله تعالى ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۝١٣٢﴾ [طه]. والسميّ: من يوافق في الاسم، تقول: هذا سميّك أي: اسمه مثل اسمك، فالمعنى أنه لم يتسمَّ بلفظ الله شيء قطّ. وكان المشركون يسمّون أصنامهم كاللات والعزّى «إله»، وأما لفظة الله فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم.

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾.

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ الآية، قيل: سبب النزول[1] أن رجلاً من قريش قيل هو أُبيّ بن خلف، جاء بعظم رفات، فنفخ فيه، وقال لرسول الله ﷺ: أيبعث هذا؟ وسخر وكذّب. وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم. وقرىء: أئذا، على الاستفهام، وإذا، على الخبر. والناصب لإذا فعل محذوف تقديره: أئذا مت أُبعث. ولا يمكن أن يعمل فيه «لسوف أخرج» لأن لام الابتداء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي

(١) انظر أسباب النزول ص٢٠٤.
(٢) الكشاف ٢: ٥١٧.

معنى الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال؟ قلت: لم تجامعها إلا مُخْلَصة للتوكيد، كما أُخلصت الهمزة من: يا ألله للتعويض، واضمحلّ عنها معنى التعريف انتهى.

ما ذكره من أن اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه؛ فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال. وأما قوله: كما أخلصت الهمزة، فليس ذلك إلا على مذهب من يزعم أن الأصل فيه: إله. وأما من يزعم أن أصله لاه[1] فلا تكون الهمزة فيه للتعويض، إذ لم يحذف منه شيء. ولو قلنا: إنّ أصله إله، وحذفت فاء الكلمة، لم يتعيّن أن الهمزة فيه في النداء[2] للتعويض؛ إذ لو كانت للعوض من المحذوفة، لثبتت دائماً في النداء وغيره، ولما جاز حذفها في النّداء، قالوا: يا ألله، بحذفها. وقد نصّوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذّ.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ﴾ كرر لفظ «الإنسان» تشنيعاً عليه في إنكاره البعث، وتذكيراً له بإيجاده قبل ذلك، وإنشائه من العدم الصرف.

قال الزمخشري[3]: الواو عطفت «لا يذكر» على «يقول» [٣٥٨/ب] ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف انتهى.

هذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة من أنّ حرف العطف إذا تقدّمته الهمزة فإنما عطف ما[4] بعدها على ما قبلها، وقدّمت الهمزة، لأنّ لها صدر

(١) ق: لا.
(٢) ق: للنّداء.
(٣) الكشاف ٢: ٥١٨.
(٤) ق: على ما.

الكلام. وكان مذهبه أن يقدّر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يُعطف عليه ما بعد الواو فتقرّ الهمزة على حالها وليست مقدّمة من تأخير، وقد رددنا عليه هذه المقالة[١].

و﴿ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل بعثه وإنكاره البعث.

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ إشارة إلى العدم الصرف. وانتفاء الشيئيّة عنه يدلّ على أنّ المعدوم لا يسمّى شيئاً.

ولمّا أقام الحجّة على حقيقة البعث، أقسم على ذلك باسمه تعالى، مضافاً إلى رسوله عليه السلام تشريفاً له وتفخيماً لقدره[٢]. وقد تكرر هذا القَسَم في القرآن تعظيماً لحقّه ورفعاً منه.

و﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ جواب القسم. والضمير المنصوب، الظاهر أنه عائد على منكري البعث في قوله ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [مريم]. وأريد بالإنسان الجنس المنكر للبعث. وقيل: الضمير عامّ في جميع المحشورين. و«الشياطين» معطوف على الضمير في «لنحشرنهم»[٣] إن كان الضمير عامًّا. أُحضروا ليُروا النار فيفرح المؤمن بنجاته. و«حول» منصوب على الظرف. و«جثياً» قاعدين على الرّكب.

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ ﴾ لنخرجنّ، كقوله ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأعراف]. وقيل: لنرمينّ، من نزع القوس، وهو الرّمي بالسّهم. والشيعة: الجماعة المرتبطة بمذهب. والضمير في «أيهم» عائد على المحشورين المُحْضَرين و«أيهم»

(١) انظر تفسير الآية ٤٤ من البقرة.

(٢) ق: لقدرته.

(٣) ق: لنحضرنّهم.

مبني عند سيبويه، وهو مفعول بـ«ننزعنّ»، ويدلّ على أنه مفعول قراءة من قرأ: أيَّهم، بالنصب. و«أشد» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم أشدّ. وليونس والخليل مذهب في «أيّهم» وأنها استفهام مرفوع بالابتداء، ذكر ذلك في النحو.

وقال الزمخشري[1]: ويجوز أن يكون النزع واقعاً على «من كل شيعة» كقوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم] أي: لننزعنّ بعض[2] كل شيعة، فكأنّ قائلاً قال: فمن هم؟ فقيل: أيهم أشدّ عتيًّا انتهى.

فتكون «أيهم» موصولة خبر مبتدأ محذوف. وهذا تكلّف وادّعاء إضمار لا ضرورة تدعو إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين. و«عتياً» تمييز، وأصله المصدر يقال: عتا يعتو عتوًّا وعتيًّا.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ أي: نحن في ذلك النزع لا نضع شيئاً غير موضعه. و«بها» أي: جهنم. و«صليًّا» تمييز، وهو في الأصل مصدر.

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ «إنْ» نافية بمعنى ما. وثَمَّ محذوف تقديره: وإن منكم أحد.

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خبر لمبتدأ محذوف. ومعنى «واردها» أي: معروض عليها، ولا يقتضي الورود الدخول.

قال ابن عطية: «وإن منكم إلاّ واردها» قَسَم والواو تقتضيه. ويفسّره قول النبي ﷺ[3] «من مات له ثلاثة من الولد لم تمسّه النار إلاّ تحلّة القسم» انتهى.

(١) الكشاف ٢ : ٥٢٠.

(٢) ق: عن بعض.

(٣) أخرجه مسلم ٤: ٢٠٢٨ من حديث أبي هريرة بألفاظ مقاربة. وانظر النهاية ١: ٤٢٩.

ذهل عن قول النحويين: إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب، لدلالة المعنى، إلا إذا كان الجواب باللام أو بإنْ. والجواب جاء هنا على زعمه بإنْ النافية، فلا يجوز حذف القسم على ما نصّوا [عليه]. وقوله: الواو تقتضيه، يدلّ على أنها عنده واو القسم؛ ولا[1] يذهب نحوي إلى [أنّ] مثل هذه الواو واو القسم؛ لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجارّ، ولا يجوز ذلك[2] إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام، بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أوّلوا في قولهم[3]: نعم السّير على بئس العَيْر، أي: على عير بئس العير، وقول الشاعر[4]: [من الرجز]

والله ما زيدٌ بِنامَ صاحبُهْ [ولا مُخالطِ اللّيانِ جانبُهْ]

أي: برجلٍ نام صاحبه. [٣٥٩/أ] وهذه الآية ليست من هذا الضرب؛ إذ لم يُحذَف المُقْسَم به، وقامت صفته مقامه.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ اسم «كان» ضمير عائد على المصدر المفهوم من قوله «واردها» أي: كان الورود.

ومفعول «اتقوا» محذوف، أي: الشرك. والظلم هنا: ظلم الكفر.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ

---

(١) ق: فلا.

(٢) ق: في ذلك.

(٣) ق: قوله.

(٤) البيت غير منسوب في الإنصاف ١: ١١٢، والهمع ١: ١٣.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ نزلت[1] في النضر بن الحارث وأصحابه. كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال، والمشركون يدهنون رؤوسهم، ويرجّلون شعورهم، ويلبسون الحرير وفاخر الملابس، فقالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي: منزلاً وسكناً.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: مجلساً.

ولمّا أقام الحجة على منكري البعث، وأتبعه بما يكون يوم القيامة، أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا، وذلك عندهم يدلّ على كرامتهم عند الله تعالى. ثم ذكر تعالى كثرة من[2] أهلك من القرون ممّن كان أحسن حالاً منهم في الدنيا، تنبيهاً على أنه تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم. و«وكم» خبرية مفعول «بأهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا. و«من قرن» تمييز.

قال الزمخشري[3]: و«هم أحسن» في محل النّصب صفة «لِكَمْ»؛ ألا ترى أنك لو تركت «هم» لم يكن لك بدٌّ من نصب «أحسن» على الوصفية؟ انتهى.

تابعه أبو البقاء[4] على [أنّ] «هم أحسن» صفة «لكم». ونصّ أصحابنا على أنّ كم الخبرية والاستفهامية لا توصف، ولا يوصف بها، فعلى هذا

(١) انظر الطبري ١٦ : ٨٧.
(٢) ق: ما.
(٣) الكشاف ٢ : ٥٢١.
(٤) إملاء ٢ : ١١٦.

يكون «هم أحسن» في موضع الصفة «لقرن»، وجمع لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه، ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيًّا، فصار كلفظ جميع، قال تعالى ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس] وقال ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر] فوصفه بالجمع وبالمفرد. وقرىء: ورِئْيا، بهمزة ساكنة ووزنه فِعْل بمعنى مفعول كالطِّحن بمعنى المطحون، فمعناه مرئيًّا. وقرىء: ورِيًّا، بإبدال الهمزة ياءً وإدغامها في الياء بعدها وهو بمعنى المهموز. وقرىء: وزيًّا، بالزّاي بعدها [ياء] مشدّدة وهي البزّة الحسنة. والأثاث: الآلات المجتمعة المستحسنة.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ الآية، [«فليمدد»] يحتمل أن يكون على معناه من الطلب، ويكون دعاءً، وكان المعنى: الأضلّ[١] منا ومنكم مدّ الله له أي: أملى له حتى يؤول[٢] إلى عذابه، وكان الدعاء على صيغة الطلب لأنّه الأصل. ويحتمل أن يكون خبراً في المعنى وصورته صورة الأمر تقديره: فيمدّ له ولا يعاجله، كما جاء في الأمر يراد[٣] به الخبر في قول الشاعر[٤]:

[من الوافر]

وكُوني بالمكارم ذَكِّريني [ودَلّي دَلَّ ماجدةٍ صَناعِ]

أي: تذكّريني، فأوقع الأمر وأراد به الخبر. و«حتى» غاية لما قبله. وجمع الضمير في «رأوا» حَمْلاً على معنى «مَن» بعد حَمْله[٥] مفرداً في «كان» وفي «له».

---

(١) ق: الأصل.

(٢) ق: يؤن.

(٣) ق: في الإيراد به.

(٤) البيت في النوادر ص٣٠، ٥٨ لبعض بني نهشل، وهو من شواهد مغني اللبيب ٢: ٥٨٥، وانظر شرح أبيات المغني ٧: ٢٢٧.

(٥) ق: جملة.

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم[١] قتلاً وأسراً، وإظهار الله تعالى دينه على الدين كلّه على أيديهم، وإما يوم القيامة وما ينالهم من العذاب والنّكال، فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدّروه، وأنهم شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً، لا خيرٌ مقاماً وأحسن نديًّا، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم.

ولمّا ذكر إمداد الضالّ في ضلالته وارتباكه في الافتخار بنعم الدنيا، عقب [ذكر] ذلك بزيادة هدىً للمهتدي، وبذكر الباقيات الصالحات التي هي بدل من تنعّمهم في الدنيا الذي يضمحلّ ولا يثبت.

قال الزمخشري[٢]: «ويزيد» معطوف على موضع «فليمدد» لأنه واقع موضع الخبر، تقديره: من كان في الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن ويزيد: [٣٥٩/ب] أي: يزيد في ضلال الضالّ[٣] بخذلانه، ويزيد المهتدي هدى بتوفيقه انتهى.

لا يجوز أن يكون «ويزيد» معطوفاً على موضع «فليمدد»[٤] سواء أكان دعاءً أم خبراً بصورة الأمر، لأنه في موضع الخبر إن كانت [«مَن»] موصولة، أو في موضع الجواب إن كانت «من» شرطية. وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ عارية من ضمير يعود على «مَن» يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو «فليمدد» وما عطف عليه، لأن المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء. وإذا كانت أداة الشرط اسماً لا ظرفاً، تعيّن أن يكون في جملة الجزاء

---

(١) ق: إيّاه.

(٢) الكشاف ٢: ٥٢٢.

(٣) ق: الضلال.

(٤) ق: معطوف على موضع فليمدّ.

ضميره، أو ما يقوم مقامه، وكذا في الجملة المعطوفة[١] عليها. و«مردًّا» معناه مرجعاً. وتقدّم تفسير «الباقيات الصالحات» في الكهف[٢].

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ
ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾
وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾
كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى
ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ
إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ
ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟
لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ قيل: نزلت[٣] في العاص بن وائل، عمل له خباب بن الأرتّ عملاً، وكان قيناً أي: حدّاداً، فاجتمع له عنده دين، فتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقال خباب: لا أكفر بمحمد

(١) ق: المعطوف.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٦ من الكهف.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٠٤.

حتى يميتك الله ويبعثك. فقال العاص[1]: أوَ مبعوث أنا بعد الموت؟ قال خباب: نعم. قال: فإنه إذا كان كذلك، فسيكون لي مال وولد، وعند ذلك أقضيك دينك.

والهمزة في «أطلع» للاستفهام لدلالة «أم» عليها. ومفعول «أفرأيت» الأول «الذي كفر»، والمفعول الثاني جملة الاستفهام التي [هي]: «أطّلع» وما بعدها. وتقدّم الكلام على «أرأيت» في الأنعام[2].

﴿عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ أي: [له] عمل صالح قدّمه، فهو يرجو بذلك ما يقول.

و«كلا» حرف ردع وزجر وتنبيه على الخطأ، أي: فهو مخطىء فيما يصوّره لنفسه ويتمنّاه، فليرتدع عنه. ولم تجىء «كلاّ» فيما تقدّم تفسيره من القرآن.

﴿سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾ كنّى بالكتابة[3] عمّا يترتّب عليها من الجزاء، فلذلك دخلت السين التي للاستقبال، أي: سنجازيه على ما يقوله.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ﴾ أي: نمدّ له من العذاب الذي يُعذَّب به المستهزئون، أي: نزيد له من العذاب ونضاعف له من المدّ.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نسلبه المال والولد فنكون[4] كالوارث له. ﴿وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾ أي: بلا مال ولا ولد.

واللام في ﴿لِّيَكُونُواْ﴾ لام كي. «ليكونوا» أي: الآلهة. ﴿لَهُمۡ عِزّٗا﴾

---

(١) ق: العاصي، في كل المواضع.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.

(٣) ق: بالكناية.

(٤) ق: فتكون.

يتعزّزون بها في النصرة والمنعة[1] والإنقاذ من العذاب.

والظاهر أن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ عائد على أقرب مذكور محدّث عنه، فالمعنى أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم. ويحتمل أن يكون الضمير للمشركين، ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا [عبدوهم] كما قالوا ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام]. ﴿ضِدًّا﴾ قال ابن عباس: أعواناً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ الآية، معناه سلّطنا، ولذلك عدّاه بعلى. ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ أي: تحركهم إلى الكفر.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ. والمعنى: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أيّاماً[2] محصورة وأنفاساً معدودة، كأنها في سرعة تقضّيها تُعَدُّ.

وعدّي ﴿نَحْشُرُ﴾ «بإلى الرحمن» تعظيماً لهم وتشريفاً. وذكر صفة الرحمانية التي خصّهم بها كرامة؛ إذ لفظ الحشر فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر، فجاءت لفظة الرحمن مُؤْذنة بأنهم يحشرون إلى من يرحمهم. ولفظة الوفد مشعرة بالإكرام والتّبجيل كما يفد الوُفّاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم.

ولفظة السّوق فيه إزعاج وهوان. وعُدّي بـ«إلى جهنم» تفظيعاً لهم وتشنيعاً لحال مقرّهم. والوِرْد: مصدر [٣٦٠/أ] وَرَد أي: سار إلى الماء كما قال الشاعر[3]: **[من الرجز]**

---

(١) ق: والمنفعة.

(٢) ق: عدًّا إلا أيا.

(٣) البيت في الحيوان ٤: ٣٨٦ غير منسوب، وهو في شرح شواهد الكشاف ص٣١٨ =

رِدِي ردي وِرْدَ قطاةٍ صَمّا　　كُدْرِيّةٍ أعجبها وِرْدُ المَا

وأطلق الوِرْد على العطاش تسمية للشيء[١] بسببه، إذ لا يَرِدُ إلّا من كان عطشان[٢].

والضمير في ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ عائد على الخَلْق الدالّ عليهم ذِكْر المتّقين والمجرمين إذ هم قِسْماة[٣]. والاستثناء متّصل. و«مَن» بدل من ذلك الضمير.

قال الزمخشري[٤]: ويجوز أن تكون - يعني الواو في «لا يملكون» - علامة للجمع كالتي في: أكلوني البراغيث، والفاعل «من اتّخذ» لأنه في معنى الجمع انتهى.

لا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميراً. وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أنه لغة ضعيفة. وأيضاً فالواو والألف والنّون التي تكون علامات لا ضمائر، لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف. أما أن يأتي بلفظ مفرد، يطلق على جمع أو على مثنّى، فيحتاج في إثبات ذلك إلى نقل عن العرب. وأمّا عَوْد الضمائر[٥] مثنّاة ومجموعة على مفرد في اللفظ، يراد به المثنى والمجموع، فمسموع[٦] معروف في لسان العرب. على أنه يمكن قياس هذه

= كذلك.

(١) ق: الشيء.

(٢) ق: عطشاناً.

(٣) ق: قساة.

(٤) الكشاف ٢: ٥٢٤.

(٥) ق: الضمير.

(٦) ق: فمسوغ.

العلامات على تلك الضمائر، ولكن الأحوط أن لا يقال ذلك إلا بسماع.
والعهد هنا: قال ابن عباس: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ الضمير في «قالوا» عائد على بعض اليهود حيث قالوا: عزير ابن الله، وبعض النصارى حيث قالوا: المسيح ابن الله، وبعض مشركي [العرب] حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ فيه التفات من ضمير الغيبة [في] «وقالوا» إلى ضمير الخطاب في «جئتم» زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا. ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ الإدّ بفتح الهمزة وكسرها: العجب، وقيل: العظيم المنكر. والإدّة: الشدّة. وآدني الأمر: أثقلني وعظم عليّ.

وقرىء: تكاد، بالتاء وبالياء. وقرىء: يَنْفَطِرْنَ وتَتَفَطَّرْنَ. ومعنى ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ يتشقّقن. ﴿مِنْهُ﴾ أي: من نسبة الولد إلى الله تعالى. و﴿هَدًّا﴾ منصوب على الحال ومعناه هدماً وسقوطاً.

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ «أن» مع الفعل بتأويل المصدر، وهو تعليل للأفعال قبله من الانفطار والانشقاق والخرور.

وقال الزمخشري(١): يجوز في «أن دَعَوْا» ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في «منه» كقوله(٢): [من الطويل]

---

(١) الكشاف ٢: ٥٢٦.
(٢) البيت في الكامل ١: ١٣٦ واللسان: حتم. وهو منسوب فيهما للفرزدق، ولم أجده في ديوانه.

على حالةٍ لو أنَّ في الرّكب حاتماً　　على جُوده لضنَّ بالماء[١] حاتِمُ

ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل، أي: هدًّا لأن دَعَوْا، علّل الخرور بالهدّ والهدّ بدعاء الولد. ومرفوعاً بأنه فاعل «هدًّا» أي: هدّها دعاءَ الولد للرحمن انتهى.

الأول فيه بُعد لكثرة الفصل بين البدل[٢] والمبدل منه بجملتين. والثاني أيضاً فيه بُعد لأن الظاهر أنَ «هدًّا» لا يكون مفعولاً له بل مصدر من معنى «وتخرّ» أو في موضع الحال. والثالث أيضاً بعيد لأنّ ظاهر «هدًّا» أن يكون مصدراً توكيديًّا، والمصدر التوكيدي لا يعمل. ولو فرضناه غير توكيدي[٣] لم يعمل بقياس إلا إن كان أمراً أو مستفهماً عنه نحو: ضَرْباً زيداً وأَضَرْباً زيداً[٤]، على خلاف فيه. وأما إن كان فاعلاً[٥] كما قدّره الزمخشري، أي: هدّها دعاء الولد للرحمن فلا ينقاس، بل ما جاء من ذلك فهو نادر كقول امرىء القيس[٦]: [من الطويل]

وقـوفـاً بهـا صحبي علـيّ مطيّهـم　　[يقولون لا تهلك أسىً وتَجمَّلِ]

[أي: وقف صحبي]. ومعنى «دَعَوْا» نسبوا لله الولد.

[و﴿يَنۢبَغِى﴾ مطاوع لبَغَى بمعنى طلب، أي: وما يتأتّى له اتّخاذ الولد] لأنّ

---

(١) في الكشاف: في القوم. ق: نضّ بالماء.

(٢) ق: المبدل.

(٣) ق: توكيد.

(٤) ق: ضَرَبا زيداً واضرِبَا زيداً.

(٥) ق: خبراً.

(٦) ديوانه ص٩.

الولد مستحيل. و«ينبغي» من الأفعال التي تتصرّف وسُمع فيها الماضي قالوا: انبغى. وقد عدّها [٣٦٠/ب] ابن مالك في التسهيل من الأفعال التي لا تتصرّف[1]، وهو غلط.

و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ مضاف إلى «مَن» الموصولة، أي: وكل الذي، والخبر قوله ﴿إِلَّآ ءَاتِى﴾.

قال الزمخشري[2]: «مَن» موصوفة، لأنها وقعت بعد «كل» نكرةً وقوعها بعد ربّ في قوله[3]: [من الرمل]

ربّ مــن أنضجــت غيظــاً صــدره [قـد تمنّى لـيَ مـوتـاً، لـم يُطَـعْ]

انتهى.

الأولى جعلها موصولة، لأن كونها موصوفة بالنسبة إلى الموصولة قليل[4]. وانتصب «عبداً» على الحال.

ثم ذكر تعالى أنه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدّ فلم يَفُتْهُ أحدٌ منهم.

وانتصب ﴿فَرْدًا﴾ على الحال، أي: منفرداً ليس معه أحد ممّن جعلوه شريكاً له. وخبر «كلهم» «آتيه فرداً». وكلّ إذا أضيف إلى معرفة ملفوظ بها نحو: كلهم وكلّ الناس، فالمنقول أنه يجوز أن يعود الضمير مفرداً على

(١) ق: تنصرف.
(٢) الكشاف ٢: ٥٢٦.
(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل في الشعر والشعراء ١: ٤٢١، والمفضليات ص١٩٨.
(٤) ق: قليلة.

لفظ كلّ، فتقول: كلّكم ذاهب، ويجوز أن يعود جمعاً مراعاة للمعنى فتقول[١]: كلّكم ذاهبون.

والسين في ﴿سَيَجۡعَلُ﴾ للاستقبال [فاحتمل أن يكون هذا الجَعْل في الدنيا وهي بأداة الاستقبال] لأن المؤمنين كانوا بمكّة حال نزول هذه السورة، وكانوا ممقوتين من الكفرة، فوعدهم الله تعالى بذلك إذا ظهر الإسلام وفشا، واحتمل أن يكون ذلك في الدنيا، على الإطلاق[٢]. ومعنى ﴿وُدًّا﴾ أي: محبّة.

والضمير في ﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾ عائد على القرآن أي: أنزلناه عليك ميسّراً سهلاً. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي المبين. ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: تخبرهم بما يسرّهم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم. واللُّدّ: جمع ألدّ وهو الشديد الخصومة في الباطل.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ تخويف لهم وإنذار بالإهلاك بالعذاب. والضمير في قوله ﴿قَبۡلَهُم﴾ عائد على «قوماً[٣] لُدّاً». ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾ استفهام معناه النّفي. و«كم» خبريّة [مفعول] «بأهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا. و﴿مِّنۡ أَحَدٍ﴾ مفعول «بتحسّ». و«مِن» زائدة. والرِّكْز: قال ابن عباس: الصوت الخفي.

(١) ق: فيقول.

(٢) ق: لا على الإطلاق.

(٣) ق: قوم.

سورة طه[1]

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الآية، هذه السورة[2] مكية بلا خلاف. كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجلٍ، فنزلت[3]. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول عليه السلام، أي: بلغته، وكان فيما علّل به قوله ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾ [مريم] [أكّد] ذلك بقوله «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى». والتذكرة هي البشارة والنّذارة وأنّ ما ادّعاه المشركون [من إنزاله] للشقاء ليس كذلك، بل إنما نُزّل تذكرة.

والظاهر أن «طه» من الحروف المقطعة [نحو. ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس]

---

(١) مكية، وهي مئة وخمس وثلاثون آية.

(٢) ق: السكورة.

(٣) انظر لباب النقول ص١٤٦.

و﴿الٓرۚ ۝١﴾ [يونس] وما أشبههما، وتقدّم الكلام على ذلك في أوائل البقرة[١].

والظاهر أن قوله «إلا تذكرة» استثناء منقطع تقديره: لكن أنزلناه تذكرة. «فتذكرة» مفعول من أجله، والعامل فيه: أنزلناه هذه المقدّرة. وفي البحر أعاريب متكلّفة تُنظر هناك[٢].

وانتصب ﴿تَنزِيلًا﴾ على أنه مصدر مصدر محذوف أي: نزّل تنزيلاً.

قال الزمخشري[٣]: في نصب «تنزيلاً» وجوه: أن يكون بدلاً من «تذكرة» إذا جُعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له، لأن الشيء لا يُعلَّل بنفسه، [وأن ينتصب بنزّل مضمراً]، وأن ينتصب «بأنزلنا» لأن معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، وأن ينتصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب «بيخشى» مفعولاً به أي: أنزله إليه تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسن وإعراب بيّن انتهى.

الأحسن ما قدّمناه أوّلاً من أنه منصوب بنزّل مضمرة، وما ذكره الزمخشري من نصبه على غير ذلك متكلّف[٤]: أما الأول ففيه جعل «تذكرة» و«تنزيلاً» حالين، وهما مصدران، وجَعْل المصدر[٥] حالاً لا ينقاس. وأيضاً

(١) انظر تفسير الآية الأولى من البقرة.
(٢) انظر البحر ٦ : ٢٢٥.
(٣) الكشاف ٢ : ٥٢٩.
(٤) ق: متكلّفاً.
(٥) ق: المصدر.

فمدلول «تذكرة» ليس مدلول «تنزيلاً» ولا «تنزيلاً» بعض «تذكرة»[1]. وإن كان بدلاً فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى أن الثاني مشتمل [٣٦١/أ] على الأول، لأن التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها.

وأما قوله: لأنّ معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، فليس كذلك، لأن معنى الحصر يَفُوت في قوله[2]: أنزلناه تذكرة.

وأما نصبه على المدح فبعيد. وأما نصبه «بمن يخشى» ففي غاية البعد، لأن «يخشى» رأس آية وفاصلة، فلا يناسب أن يكون «تنزيلاً» مفعولاً بيخشى. وقوله: وهو معنى حسن وإعراب بيّن، عجمة وبُعْد عن إدراك الفصاحة.

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون «أنزلنا»[4] حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه انتهى.

هذا تجويز[5] بعيد، بل الظاهر أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه. ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ و«مِن» الظاهر أنها متعلّقة بتنزيل، ويجوز أن يكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف. وفي قوله «ممّن خلق» التفات، إذ فيها خروج من ضمير التكلم وهو «نا»[6] في «أنزلْنا» إلى الغيبة. و﴿ٱلۡعُلَى﴾ جمع العُليا. ووَصْف

---

(١) ق: ولا تنزيل بعض تنزيل تذكرة.

(٢) ق: في ذلك قوله.

(٣) الكشاف ٢: ٥٢٩.

(٤) ق: أنزلناه.

(٥) ق: تحرير.

(٦) ق: ما.

السماوات بالعلى دليل على عظم قدرة من اخترعها، إذ لا[1] يمكن وجود مثلها في علّوها من غيره تعالى.

قال ابن عطية: ويجوز أن يكون - يعني «الرحمن» - بدلاً من الضمير المستتر في «خلق» انتهى.

أرى أنّ مثل هذا لا يجوز، لأنّ البدل يحلّ محلّ المُبدل منه، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لا يمكن أن يحلّ محلّ الضمير؛ لأنّ الضمير عائد على «مَن» الموصولة، و﴿خَلَقَ﴾ صلته، والرابط هو الضمير فلا يحلّ محلّه الظاهر لعدم الرابط.

قال الزمخشري[2]: روى جناح بن حبيش[3] عن بعضهم أنه قرأ: الرحمن، بالكسر صفة «لمن خلق». يعني لمَنْ الموصول. ومذهب الكوفيين أن الأسماء النواقص التي لا تتمّ إلا بصلاتها نحو مَن وما، لا يجوز نعتها إلا الذي والتي فيجوز نعتهما. فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون «الرحمن» صفة «لمن خلق»، والأحسن أن يكون «الرحمن» بدلاً مِن «مَن». وقد جرى الرحمن في القرآن مجرى العَلَم في ولاية العوامل.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ «ما» عامة تشمل من يعقل ومن لا يعقل، وأنه له ملك ما حوت السماوات والأرض وما بينهما ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ أي: تحت الأرض السابعة، قاله ابن عباس.

والخطاب بقوله ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ﴾ لرسول الله ﷺ ظاهراً، والمراد أمّته. ولمّا

---

(١) ق: أو لا.

(٢) الكشاف ٢: ٥٢٩. والنصّ فيه: قرىء: الرحمن، مجروراً صفة «لمن خلق» والرفع أحسن.

(٣) ق: حبيس، انظر معجم القراءات القرآنية ٤: ٧٠.

كان خطاب الناس لا يتأتى إلاّ بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر[١]، وعلّق على الجهر علمه[٢] بالسرّ، لأن علمه بالسرّ يتضمن علمه بالجهر، أي: إذا كان يعلم السرّ، فأحرى أن يعلم الجهر، والسرّ مقابل للجهر كما قال ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ۝٣﴾ [الأنعام]. والظاهر أن «أخفى» أفعل تفضيل أي: وأخفى من السرّ. قال ابن عباس: السرّ ما تُسِرُّه إلى غيرك، والأخفى ما تخفيه في نفسك.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [«الله»] مبتدأ و«لا إله إلا هو» الخبر. و﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ خبر ثانٍ. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل: من الذي يعلم السرّ وأخفى؟ فقيل: هو الله. و«الحسنى» تأنيث الأحسن، وصفة المؤنثة [المفردة] تجري على جمع التكسير، وحسّن ذلك كونها وقعت فاصلة، والأحسنيّة كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس[٣] والتعظيم والرّبوبية والأفعال التي لا يمكن صدورها إلا منه تعالى.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾.

---

(١) ق: بالشرط.

(٢) ق: عليه.

(٣) ق: التقدير.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر تعالى تعظيم كتابه، وتضمّن تعظيم رسوله عليه السلام، أتبعه بقصة موسى عليه السلام، ليتأسّى[1] به في تحمّل أعباء النبوة وتكاليف[2] الرسالة. ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ هذا استفهام تقرير يحثّ [٣٦١/ب] على الإصغاء لما يُلقى إليه. وكان من حديثه أنه لمّا قضى[3] أكمل الأجلين، استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر، لزيارة والدته وأخيه، فأذن له، وقد طالت مدّة جنايته بمصر، ورجا خفاء[4] أمره، فخرج بأهله وماله، وكان في فصل الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل، فلا يدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرّية، لا يعرف طرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطّلق، فقدح زنده فلم يُورِ.

والظاهر أن «إذ» ظرف للحديث لأنه حدث. ﴿فَقَالَ[5] لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ أي: أقيموا في مكانكم، وخاطب امرأته وولديه والخادم. ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ أي: أحسستُ ناراً. والنار على بُعدٍ لا تُحَسّ إلا بالبصر، فلذلك فسّره[6] بعضهم برأيت. والإيناس أعمّ من الرؤية لأنك تقول: آنست من فلان خيراً. والظاهر أنه رأى ناراً حقيقيه. ولفظة «على» هنا على بابها من الأستعلاء ومعناه أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها. وانتصب ﴿هُدٗى﴾ على أنه مفعول

---

(١) ق: لتتأسّى.

(٢) ق: وتكالف.

(٣) ق: لقي.

(٤) ق: ورماحنا.

(٥) ق: قال.

(٦) ق: لا يُحسّ. . فسّر.

به على تقدير محذوف أي: ذا هدى. وكان قد أضلّ الطّريق، فترجّى أن يجد من يهديه إلى الطريق.

والضمير في ﴿أَتَىٰهَا﴾ عائد على النار، أتاها فإذا هي مضطرمة في سجرة خضراء يانعة[١] عناب، قاله ابن عباس. فكان كلما قرب منها تباعدت فإذا أدبر اتّبعته، فأيقن أن هذا أمر من أمور الله تعالى الخارقة للعادة. ووقف متحيّراً، وسمع من السماء تسبيح الملائكة، وألقيت عليه السكينة. و﴿نُودِيَ﴾ وهو تكليم الله تعالى إياه. و«نودي» مبني للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم. ولما كان النداء بمعنى القول كسرت إنّ بعده فقيل:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠﴾ كما تكسر بعد القول الصريح. والظاهر أن أمره تعالى [إيّاه] بخلع النعلين لعظم الحال التي حصل فيها كما تُخلع عند الملوك، غاية في التواضع. وقيل: كانتا من جلد حمار ميت فأُمر بطرحهما لنجاستهما. وفي الترمذي[٢] عن النبي ﷺ قال «كان على موسى عليه السّلام يوم كلّمه ربّه كساء صوف وجبّة صوف وكُمَّة صوف وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت». قال [الترمذي]: هذا حديث غريب. والكُمّة: القلنسوة الصغيرة. لكن أُمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدّس وتمسّ قدماه تربته. و﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهّر. ﴿طُوًى﴾ اسم[٣] علم عليه، فيكون بدلاً أو عطف بيان. وقرىء منوّناً، لوحظ فيه معنى المكان. وغير منوّن لوحظ فيه معنى البقعة، فمنع من الصرف للعلمية والتأنيث.

(١) ق: مضطربة.. مانعة.

(٢) ٦: ٥٦، أخرجه من حديث ابن مسعود.

(٣) ق: اسمه.

وقرىء ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾. «فأنا» مبتدأ، و«اخترتك» جملة في موضع الخبر. وقرىء: وأنّا اخترناك. «أنّا» أنّ[١] واسمها، و«اخترناك» في موضع الخبر. ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ متعلق «باستمع»[٢]. و«ما» موصولة بمعنى الذي. «يوحى» صلته، وفيه ضمير يعود على «ما» تقديره: يوحى هو. وقال [٣٦٢/أ] أبو الفضل الجوهري: لمّا قيل لموسى صلوات الله على نبيّنا وعليه: استمع لما يوحى، وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره، ووقف ليستمع، وكان كل لباسه [صوفاً].

والموحى قوله ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الجمل. جاء ذلك تبييناً وتفسيراً للإبهام في قوله «لما يوحى» ففي الإخبار الأول قال «أنا ربّك» أي: مالكك والناظر في مصلحتك. وفي الثاني «أنا الله» ذكر الاسم العلم الدالّ على جميع الصفات العليّة. والظاهر أنّ «فاعبدني» لفظ يتناول ما كلّفه به من العبادة. وعطف عليه ما قد[٣] يدخل تحت ذلك المطلق، فبدأ بالصلاة، إذ هي أفضل الأعمال وأنفعها في الآخرة. والذكر: مصدر يحتمل أن يضاف إلى المفعول أي: لتذكرني، فإنّ ذكري أن أُعبد ويُصلّى لي.

لمّا ذكر تعالى الأمر بالعبادة وإقامة الصلاة، ذكر الحامل على ذلك، وهو البعث والمعاد أي: الجزاء فقال ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ وهي التي يظهر عندها ما عمله الإنسان، وجزاء ذلك إمّا ثواباً وإما عقاباً.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أُخفي «من الأضداد» بمعنى الإظهار وبمعنى الستر. قال أبو

(١) ق: وأنّ.

(٢) ق: باسمع.

(٣) ق: ما هو قد.

عبيدة: خفيت وأخفيت بمعنى واحد، وقد حكاه عن أبي الخطاب. وأكاد: من أفعال المقاربة، لكنها هنا مجاز بالنسبة إلى الله تعالى. و﴿ لِتُجْزَىٰ ﴾ متعلّقة «بآتية». و«أكاد أخفيها» جملة اعتراض بينهما. ويجوز أن يتعلق «لتجزى» بقوله «أخفيها» إذا كان المعنى: أظهرها.

والظاهر أن الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ عائد على ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ والمعنى: عن اعتقاد صحّتها ووقوعها لا محالة والحشر بعدها والجزاء.

والظاهر أن الخطاب في ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ لموسى عليه السلام. ولا يلزم من النّهي عن الشيء إمكان وقوعه ممّن سبقت له العصمة، فينبغي[1] أن يكون له لفظاً وللسامع غيره ممّا يمكن وقوع ذلك منه. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ عطفاً على صلة «مَن». ﴿ فَتَرْدَىٰ﴾ جواب للنّهي. وأنْ مقدّرة بعد فاء الجواب. و«تردى» علامة النصب فيه فتحة مقدّرة في الألف، ومثاله في جواب النّهي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ ﴿٨١﴾﴾ [طه].

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ
تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ علم تعالى في الأزل ما هي، وإنما سأله ليريه عِظَم ما يخترعه عزّ وعلا[2] في الخشبة اليابسة من قلبها حيّة

---

(١) ق: فينبغي.

(٢) ق: وجلا.

تسعى[١]، وليقرّر في نفسه البعد[٢] بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبّه على قدرته الباهرة. و«ما» استفهام مبتدأ. و«تلك» خبره. و«بيمينك» في موضع الحال كقوله ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ٧٢﴾ [هود] والعامل فيه اسم الإشارة.

وقال الزمخشري[٣]: ويجوز أن تكون «تلك» اسماً موصولاً صلته «بيمينك»، ولم يذكر ابن عطية غيره.

وليس ذلك مذهباً للبصريين، وإنما ذهب إليه الكوفيون قالوا: يجوز أن يكون اسم الإشارة موصولاً حيث يتقدّر[٤] بالموصول كأنه [قيل]: وما التي[٥] بيمينك. وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفاً كأنه قيل: وما التي استقرت بيمينك. وفي[٦] هذا السؤال [٣٦٢/ب] وما قبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ قرأ ابن أبي إسحاق والجحدري: عَصَيَّ[٧]، وهي لغة هذيل. قال الشاعر[٨]: [من الوافر]

---

(١) ق: حية صيّاصة.

(٢) ق: البعيدة.

(٣) الكشاف ٢: ٥٣٣.

(٤) ق: يتقرّر.

(٥) ق: وما تلك.

(٦) ق: في.

(٧) بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلّم.

(٨) البيت في شرح المفصل ٣: ٣٣ غير منسوب، وفي اللسان «حرر» منسوب للمنخل اليشكري.

يطـوّف بـي عِكَـبٌ(١) فـي مَعَـدٍّ ويضـرب بـالصُّمُلَّـةِ فـي قَفَيّـا

يريد: في قفاي. ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ التوكّؤ على الشيء: التحامل عليه في المشي والوقوف، ومنه الاتّكاء. توكّأت واتّكأت بمعنى واحد. ﴿وَأَهُشُّ﴾ هشّ على الغنم يَهُشّ بضمّ الهاء: خبط أوراق الشجر لتسقط، وهشّ إلى الرجل يهِشّ بالكسر، قاله ثعلب، إذا بشّر وأظهر الفرح به. والأصل في هذه المادة الرخاوة، يقال: رجل هشّ. وقدّم في الجواب مصلحة نفسه في قوله «أتوكّأ عليها» ثم ثنّى بمصلحة رعيّته في قوله ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾. والمآرب: ذكر المفسرون أنها كانت ذات شعبتين ومحجن(٢)، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلّق بها أدواته من القوس والكنانة والحِلاب(٣)، وإذا كان في البرّية ركزها(٤) وعرض الزّندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظلّ، وإذا قصر رشاؤه(٥) وصله بها، وكان يقاتل بها السّباع عن غنمه. والمآرب: الحاجات. وعامَلَ المآرب وإن كان جمعاً معاملة الواحدة المؤنثة فأتبعها صفتها في قوله «أخرى» ولم يقل: أُخَر، رعياً للفواصل. وهو جائز في غير الفواصل، فكان أجوز وأحسن في الفواصل(٦).

﴿قَالَ أَلْقِهَا﴾ الظاهر أن القائل هو الله تعالى. ومعنى «ألقها» اطرحها على

(١) ق: علب.

(٢) المحجن: العصا المعوجّة.

(٣) الحِلاب: الأناء يُحلب فيه.

(٤) ق: ذكرها.

(٥) ق: وساوه. والرِّشاء: الحبل.

(٦) ق: الفصل.

الأرض.

﴿فَإِذَا هِىَ﴾ للمفاجأة. والحيّة تطلق على الصغير والكبير والذكر والأنثى. والجانّ: الرقيق من الحيّات. والثّعبان: العظيم منها. ولا تنافي بين تشبيهها بالجانّ في قوله ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴿١٠﴾﴾ [النمل] وبين كونها ثعباناً[١]؛ لأن تشبيهها بالجانّ هو أول حالها، ثم زيدت حتى صارت ثعباناً. أو شُبّهت بالجانّ وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها. قيل: كان لها[٢] عُرْف كعُرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فماً، وبين لَحْييها أربعون ذراعاً.

وعن ابن عباس: انقلبت ثعباناً يبتلع الصخر والشجر والمحجنُ عُنُقاً وعيناها تتّقدان. فلما رأى هذا الأمر العجيب الهائل، لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الأهوال والمخاوف، لا سيما هذا الأمر الذي يذهل العقول. ومعنى ﴿تَسْعَىٰ﴾ تنتقل[٣] وتمشي بسرعة. وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسُه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها[٤] لفرعون، فلا يلحقه ذعر[٥] منها في ذلك الوقت؛ إذ قد جرت له بذلك عادة، وتدريبُه في تلقّي تكاليف النبوّة ومشاقّ الرسالة.

ثم أمره تعالى بالإقدام على أخذها ونهاه [عن] أن يخاف منها. والسيرة: من السّير وهي الهيئة كالرِّكْبة والجِلْسة [٣٦٣/أ] يقال: سار فلان سيرة حسنة، ثم اتُّسع فيها فنُقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل: سير الأولين

(١) ق: ثعبان.

(٢) ق: له.

(٣) ق: تنقل.

(٤) ق: يلقها.

(٥) ق: وعد.

أي: طريقة الأولين. وانتصب «سيرتها» على أنه بدل اشتمال[١] من الضمير المنصوب في «سنعيدها» أي: سنعيد سيرتها الأولى، وهي كونها كانت عصا.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح حقيقة في الطائر، ثم أُطلق على العضد مجازاً. وفي الكلام حذف؛ إذ لا يترتب الخروج على الضمّ، وإنما يترتّب على الإخراج والتقدير: واضمم يدك إلى جناحك، ينضمّ، وأَخْرِجْها تخرجْ. فحذف من الأول، وأبقى مقابله، ومن الثاني، وأبقى مقابله وهو «اضمم» لأنه بمعنى أَدْخِلْ كما يبين في الآية الأخرى[٢].

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ قيل: خرجت بيضاء تشفّ وتضيء كأنها شمس، وكان[٣] آدم اللون. وانتصب «بيضاء» على الحال. والسّوء: الرّداءة والقبح في كل شيء. وقوله ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [متعلق «بيضاء»] ويقال له عند أرباب البيان الاحتراس؛ لأنه لو اقتصر على قوله «بيضاء» لأوهم أنّ ذلك من بَرَصٍ أو بَهَق[٤]. وانتصب ﴿ءَايَةً﴾ على الحال.

وقال الزمخشري[٥]: يجوز أن يكون «آية» منصوباً على إضمار: خذ ودونك وما أشبه ذلك، يحذف[٦] لدلالة الكلام، كذا قال، انتهى.

---

(١) ق: اشتمالها.

(٢) وهي قوله ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴿١٢﴾﴾ [النمل].

(٣) ق: وكأنها. والآدم من البشر: الأسمر.

(٤) البرص: داء وهو بياض. والبهق: بياض يعتري الجلد يخالف لونه ليس من البرص.

(٥) الكشاف ٢: ٥٣٤.

(٦) ق: بحذف.

أما تقدير: خذ، فسائغ، وأما: دونك، فلا يسوغ، لأنه اسم فعل من باب الإغراء ولا يجوز حذفه لأنّه حذف منه من الأصل العامل فيه، وناب منابه، فلا يجوز أن يُحذف النائب والمَنُوب منه، ولذلك لم يَجْر مجراه في جميع أحكامه. و﴿ أُخْرَىٰ﴾ أي: غير الآية الأولى التي هي قلب العصا حيّة.

واللام في ﴿ لِنُرِيَكَ﴾ لام كي. و﴿ ٱلْكُبْرَى﴾ صفة لقوله ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ فوصف الجمع بما يوصف به المفرد. ولو كان ذلك في الكلام، لكان الوصف مطابقاً في الجمع للموصوف، فكان يكون: الكُبَر، لكن حسّن هذا كون «الكبرى» فاصلة.

قال الزمخشري[1]: «لنريك» أي: خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حيّة، لنريك بهاتين[2] الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا[3] ذلك يعني أنه أجاز أن يكون مفعول «لنريك» الثاني «الكبرى»، أو يكون «من آياتنا» في موضع المفعول الثاني، وتكون «الكبرى» صفة «لآياتنا» على حدّ ﴿ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف] و﴿ مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه] بجريان مثل هذا الجمع مجرى الواحدة المؤنثة. وأجاز هذين الوجهين من الإعراب الحوفي وابن عطية وأبو البقاء[4].

والذي نختاره أن يكون «من آياتنا» في موضع المفعول الثاني و«الكبرى» صفة «لآياتنا»، لأنه يلزم من ذلك أن تكون آياته تعالى كلّها هي الكبرى، لأن

---

(١) الكشاف ٢: ٥٣٤.

(٢) ق: بما تبين.

(٣) ق: فقلنا.

(٤) إملاء ٢: ١٢١.

ما كان بعض الآيات الكُبَر، صدق عليه أنه[1] الكبرى. وإذا جعلت «الكبرى» مفعولاً فلا يمكن أن يكون صفة للعصا واليد معاً، لأنهما كانا يلزم التثنية في وصفهما فكان يكون التركيب: الكُبْرَيَيْن[2]. ولا يمكن أن يخصّ أحدهما، لأنّ[3] كلاًّ منهما فيها معنى التفضيل. ويبعد ما قال الحسن [٣٦٣/ب] من أنّ اليد أعظم في الإعجاز من العصا، لأنه ذكر عقيب اليد ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ لأنه جعل «الكبرى» مفعولاً ثانياً «لنريك» وجعل ذلك راجعاً إلى الآية القريبة، وهي إخراج اليد بيضاء من غير سوء. وقد ضعف قوله هذا لأنه ليس في اليد إلاّ تغيّر اللون، وأما العصا ففيها تغيّر [اللون] وخلق الزّيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر، ثم عادت عصا بعد ذلك. فقد وقع التغيّر مراراً، فكانت أعظم من اليد.

ولمّا أراه تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين في[4] نفسه، وفيما يلابسه، وهو العصا، أمره بالذّهاب إلى فرعون رسولاً من عنده تعالى. وعلّل[5] حكمة الذّهاب إليه بقوله ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾. وخصّ فرعون وإن كان مبعوثاً إليهم كلّهم، لأنّه رأس الكفر ومدعي[6] الإلٰهيّة، وقومه تُبّاعه.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ

---

(١) ق: آية.

(٢) ق: الكبيرتين.

(٣) ق: لارا.

(٤) ق: من.

(٥) ق: وعلّل به.

(٦) ق: ومدّع.

فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا
يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي
وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ
أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا
فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ
يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ الآية، سأل ربّه ورغب في أن يشرح صدره، ليحتمل ما يَرِدُ عليه من الشدائد التي يضيق لها الصّدر.

والعقدة استعارة لثقل كان في لسانه خلقةً. وقيل: كانت من الجمرة التي أدخلها[1] فاه في قصة حُكيت في البحر[2].

قال الزمخشري[3]: وفي تنكير العقدة، وإن لم يقل[4]: واحلل عقدة لساني، أنه طلب حلّ بعضها، إرادة أن يُفهم عنه فهماً جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة، و«من لساني» صفة للعقدة كأنه قيل: عقدة من عقد لساني انتهى.

يظهر أنّ «من لساني» تعلق «باحلل» لا في موضع الصفة «للعقدة» وكذا

(١) ق: أدخلها الله.
(٢) انظر البحر ٦ : ٢٣٩.
(٣) الكشاف ٢ : ٥٣٥.
(٤) ق: ولم يقلل.

قال الحوفي. وأجاز أبو البقاء[١] الوجهين.

والوزير: المعين القائم بوِزْر الأمور أي: ثقلها، فوزير الملك يتحمل عنه أوزاره ومؤنه. وقيل: من الوَزَر، وهو الملجأ، يلتجىء إليه الإنسان.

ويجوز أن يكون ﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً[٢] أول، والمفعول الثاني ﴿مِّنْ أَهْلِي[٣]﴾.

ويجوز أن يكون ﴿هَٰرُونَ﴾ مفعولاً أول و﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً ثانياً.

ويجوز في الوجه الأول أن يكون «هارون» بدلاً من «وزيراً» بدل معرفة من نكرة، ولا يجوز أن يكون عطف بيان للتخالف لكون[٤] «وزيراً» نكرة و«هارون» معرفة.

قال الزمخشري[٥]: وإن جُعل - يعني «أخي» - عطف بيان آخر[٦]، جاز وحَسُن انتهى.

يبعد فيه عطف البيان، لأنّ الأكثر أن يكون الأول دونه في الشهرة، والأمر هنا بالعكس.

وقرىء: أَشْدُدْ[٧]، بهمزة قطع جواباً لقوله «اجعل». وقرىء بوصل الهمزة، وهو طلبٌ من موسى عليه السلام لربّه أن يشدّ أزره به.

---

(١) انظر الإملاء ٢: ١٢١.

(٢) ق: مفعول.

(٣) ق: أهل.

(٤) ق: يكون.

(٥) الكشاف ٢: ٥٣٥.

(٦) ق: أخيه.

(٧) ق: أشد.

﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ على معنى الدعاء في شدّ الأزر. وكان هارون أكبر[١] من موسى عليه السلام بأربعة أعوام. وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه من نعم سبباً يلزم منه العبادة والاجتهاد[٢] في أمر الله تعالى. والتّضافر[٣] على العبادة والتعاون فيها مثير للرغبة والتّزيد من الخير.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ أي: ننزّهك عمّا [لا] يليق بك. ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بالدّعاء والثّناء عليك. وقدّم التّسبيح [٣٦٤/ أ] لأنه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص، ومحلّ ذلك القلب.

والذكر: الثناء على الله تعالى بصفات الكمال ومحلّه اللّسان، فلذلك قدّم ما محلّه القلب على ما محلّه اللسان. و﴿كَثِيرًا﴾ نعت لمصدر محذوف.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالماً بأحوالنا.

والسُّؤل: فُعْل بمعنى المسؤول كالخُبْز والأُكْل بمعنى المخبوز والمأكول، والمعنى: أُعطيت طَلِبَتك وما سألته من شرح الصدر وتيسير الأمر وحلّ العقدة وجعل أخيك وزيراً، وذلك من المنّة عليه.

ثم ذكّره تعالى تقديم منّته عليه، على سبيل التّوقيف، ليعظم اجتهاده، وتقوى بصيرته. و﴿مَرَّةً﴾ معناه منّة. و﴿أُخْرَىٰٓ﴾ تأنيث آخر[٤] بمعنى غير، أي: منّة غير هذه المنّة.

(١) ق: أكثر.

(٢) ق: والاجهاد.

(٣) ق: والتطاير.

(٤) ق: أخرى.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ قال الجمهور: هو وحي إلهام كقوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ۝٦٨﴾ [النحل]. وقيل: وحي إعلام إما بإراءة ذلك في المنام، وإما ببعث ملك إليها، لا على جهة النبوّة، كما بعثه إلى مريم، وهذا هو الظاهر لظاهر قوله ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾، ولظاهر آية القصص ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص].

و﴿أَنِ﴾ يحتمل أن تكون تفسيرية بمعنى أي، لأنه تقدّمها «أوحينا» وهو بمعنى القول. ويحتمل أن تكون مصدرية وُصلت بالأمر.

والظاهر أن ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾ كان من خشب، سدّت خروقه وفرشت فيه نِطْعاً[١] وقطناً محلوجاً، وسدّت فمه وجصّصته وقيّرته[٢] وألقته في اليمّ، وهو اسم للبحر العذب.

والظاهر أن الضمير في ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ عائد على موسى عليه السلام، وكذلك الضميران بعده، إذ هو المحدَّث عنه لا التّابوت، إنّما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة. ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ إنما ذكره بلفظ الأمر لسابق علمه بوقوع المُخْبَر به على ما أخبر به، فكأن البحر مأمور ممتثل[٣] للأمر. ﴿يَأْخُذْهُ﴾ جواب للأمر الذي هو «فليلقه».

والظاهر أن البحر ألقاه بالسّاحل، فالتُقط منه. والعدوّ الذي لله تعالى ولموسى هو فرعون، وأُخبرت به أمّ موسى على طريق الإلهام، ولذلك «قالت لأخته قصيه» [القصص: ١١] وهي لا تدري أين استقرّ.

---

(١) النطع: البساط من الجلد.

(٢) أي طلته بالقار.

(٣) ق: مكان البحر.. تمثيل.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قيل: محبّة آسية وفرعون. وكان فرعون أحبّه حبًّا شديداً حتّى لا يتمالك أن يصبر عنه. قال ابن عباس: أحبّه الله وحبّبه إلى خلقه. وقيل: جُعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه.

و﴿مِّنِّي﴾ يجوز أن يكون متعلّقاً بـ«ألقيت» ويجوز أن يكون في موضع الصّفة، فيتعلق بمحذوف تقديره: كائنة[1] منّي.

وقرأ الجمهور: ولِتُصْنَعَ، بكسر لام كي وضمّ التّاء ونصب الفعل أي: ولتُربَّى ويُحسَن إليك، وأنا مراعيك وراقبك[2] كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى [به]. وهو معطوف على علّة محذوفة، أي: ليُتَلَطَّف بك ولتُصنع، أو متعلقة بفعل متأخر تقديره: فعلتُ ذلك.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ قيل: اسمها مريم. قيل سبب ذلك أنّ آسية عرضَتْه للرّضاع، فلم يقبل امرأة، فجعلت تنادي عليه [٣٦٤/ب] في المدينة ويُطاف به، ويُعرض للمراضع فيأبى. وبقيت أمّه بعد قذفه في اليمّ مغمومة، فأمرت أخته بالفَتْش[3] في المدينة، لعلها تقع على خبره، فبَصُرت به في طوافها فقالت: أنا أدلّكم على من يكفله وهم له ناصحون، فتعلّقوا بها وقالوا: أنت تعرفين هذا الصبيّ. فقالت: لا، ولكن أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرّب إلى الملكة، والجِدّ في خدمتها[4] ورضاها. فتركوها وسألوها الدلالة، فجاءت بأمّ موسى عليه السلام، فلمّا قرّبَتْه، شرب ثديها، فسرّت

---

(١) ق: كاية.

(٢) ق: وراقيك.

(٣) الفَتْش والتفتيش بمعنى.

(٤) ق: خلمها.

آسية بذلك، وقالت لها: كوني معي في القصر. فقالت[١]: ما كنت لأدع بيتي وولدي، ولكنه يكون عندي. قالت: نعم. فأحسنت إلى أهل ذلك البيت غاية الإحسان، واعتزّ بنو إسرائيل بهذا الرّضاع والنسب[٢] من الملكة. ولما كمل رضاعه، أرسلت آسية إليها أن جيئيني[٣] بولدي ليوم كذا. وأمرت خدمها ومن لها أن يَلْقَيْنه بالتحف والهدايا واللباس، فوصل إليها على ذلك وهو بخير حال وأجمل شأن[٤]، فسرّت به، ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه[٥]، فأعجبه، وقرّبه إليه، فأخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون. وتقدّم ما جرى له عند ذكر العقدة[٦].

و«إذ» بدل من «إذ» في قوله «إذ أوحينا» فالعامل فيها «مننّا».

وقرىء: تقِرّ، بكسر القاف. وتقدّم أنهما لغتان في قوله ﴿ وَقَرِّى عَيْنًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم][٧]. وقرأ جناح بن حبيش بضمّ التاء وفتح القاف مبنيًّا للمفعول.

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ هو القبطي الذي استغاثه [عليه] الإسرائيلي، قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة. واغتمّ بسبب القتل خوفاً من عقاب الله تعالى له، ومن اقتصاص فرعون، فغفر الله تعالى له باستغفاره حين قال ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص] ونجّاه من فرعون حين هاجر به إلى مدين. والغمّ:

---

(١) ق: فقلت.

(٢) ق: والسبب.

(٣) ق: جيتني.

(٤) ق: شباب.

(٥) ق: وليريه.

(٦) انظر تفسير الآية ٢٧ المتقدمة، والبحر ٦: ٢٣٩.

(٧) ولم يتقدم شيء ثمة.

ما يغمّ على القلب بسبب[1] الخوف من القتل.

و﴿ فُتُونًا ﴾ مصدر. ﴿ وَفَتَنَّكَ ﴾ خلّصناك من محنة بعد محنة: ولد في عام كان يُقتل فيه الوِلْدان، وألقتْه أمّه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، وقتل قبطيًّا، فخرج خائفاً إلى أهل مدين، فلبث سنين، وكان عمره حين ذهب إلى مدين[2] اثني عشر عاماً، والسّنون التي لبثها في مدين عشر سنين. وأقام عشرة أعوام في رعي غنم شعيب، ثم ثمانية عشر عاماً بعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولد له منها، فكمل له أربعون سنة، وهي المدّة التي عادة الله تعالى إرسال الأنبياء على رأسها.

﴿ ثُمَّ جِئْتَ ﴾ أي: المكان الذي ناجيتك فيه، وكلّمتك واستنبأتك. ﴿ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ أي: وقت معيّن قدّرته لم تتقدّم وتتأخر عنه.

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ أي: جعلتك موضع الصنيعة ومقرّ الإجمال والإحسان، وأخلصتك بالألطاف، واخترتك لمحبتي: يقال: اصطنع فلان فلاناً: اتّخذه صنيعة، وهو افتعال من الصنع، وهو الإحسان إلى الشخص حتى يضاف إليه فيقال: هذا صنيع فلان.

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن
يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا
رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ
ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

---

(١) ق: سبب.

(٢) ق: المدين.

﴿ اَذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا[٣٦٥/ أ]فِى ذِكْرِى﴾ الآية، أمره تعالى أولاً بالذهاب إلى فرعون، فلمّا دعا ربّه وطلب منه أشياء، كان منها[1] أن يشرك أخاه هارون، فذكر الله تعالى أنه آتاه سؤله، وكان منه إشراك أخيه، فأمره هنا وأخاه بالذّهاب. و﴿ وَأَخُوكَ ﴾معطوف على الضمير المستكنّ في «اذهب» المؤكد «بأنت». وتقدّم الكلام على نظيره في قوله ﴿ فَاَذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة][2].

وظاهر ﴿ بِـَٔايَٰتِى﴾ الجمع فقيل هي العصا واليد وحلّ عقدة لسانه.

﴿ وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تَفْتُرا ولا تقصّرا. والونى: الفتور، يقال: ونى يني.

ولمّا حذف من يذهب إليه في الأمر قبله، نصّ عليه في هذا الأمر الثاني، فقيل ﴿ اَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بالرسالة. ونبّه على سبب الذّهاب إليه بالرسالة من عنده بقوله ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: تجاوز[3] الحدّ في الفساد ودعواه الرّبوبية والإلهيّة من دون الله تعالى.

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ القول اللّين هو مثل ما في النازعات ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات] وهذا من لطيف الكلام إذ أبرز ذلك في صورة الاستفهام والمشورة والعرض لما فيه [من] الفوز العظيم.

﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ والترجّي بالنسبة لهما إذ[4] هو مستحيل وقوعه من الله تعالى، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجوه،

(١) ق: فيها.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٤ من المائدة، والآية ٣٥ من البقرة.

(٣) ق: يجاوز.

(٤) ق: أو.

ويطمع أن يثمر عمله، ولا يخيب سعيه. وقوله «يتذكر» أي: يتذكر حال نشأته[١] صغيراً وأنه حدث بعد أن لم يكن موجوداً. ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ عقاب الله تعالى في دعواه الربوبيّة.

وفرط: سبق، ومنه الفارط: السابق. والمعنى أننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ في التخطّي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه. وفي المجيء به هكذا على سبيل الإطلاق والرّمز باب[٢] من حسن الأدب وتجافٍ عن التفوّه بالعظيمة[٣].

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ المعيّة هنا بالنّصرة[٤] والعون. ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالكما. ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالكما. وقال ابن عباس: أسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما، وهما كناية عن العلم.

﴿فَأْتِيَاهُ﴾ كرّر الأمر بالإتيان. ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ وخاطباه بقولكما «ربك» تحقيراً له وإعلاماً أنه مربوب مملوك، إذ[٥] كان هو يدّعي الرّبوبية. وأُمِرَا بدعوته إلى أن يبعث معهما بني إسرائيل، ويخرجهم من ذلّ خدمة القبط، وكانوا يعذّبونهم بتكليف الأعمال الشاقّة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسّخرة في كل شيء، مع قتل الولدان واستخدام النّساء. وقد ذُكر في غير هذه الآية دعاؤه إلى الإيمان، فجملة ما دُعي إليه فرعون الإيمان وإرسال بني إسرائيل.

---

(١) ق: شتاته.

(٢) ق: والرمزيات.

(٣) ق: عن الشقوة بالعظمة.

(٤) ق: بالقرّة.

(٥) ق: إذا.

ثم ذكرا[١] ما يدلّ على صدقهما في إرسالهما إليه فقالا ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، وتكرر أيضاً قولهما «من ربك» على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور. والآية التي أحالا عليها هي العصا واليد. ولمّا كانا مشتركين[٢] في الرسالة صحّ نسبة المجيء بالآية إليهما، وإن كانت صادرة من أحدهما. ﴿قَدْ [٣٦٥/ب] جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ [مِّن رَّبِّكَ﴾] جارية من الجملة الأولى وهي ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ مجرى البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة لا يثبت إلاّ ببيّنتها التي هي المجيء بالآية.

وإنما وحّد[٣] «بآية» ولم يثنّ، ومعه آيتان[٤]، لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها، فكأنه قال: قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجّة على ما ادّعيناه من الرسالة. وكذلك[٥] ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف]، ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء]، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء][٦].

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ مندرج متّصل بقوله ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ فيكون إذ ذاك خبراً بسلام المهتدين من العذاب. وفيه تنبيه على أنّ فرعون ليس ممّن اتّبع الهدى.

(١) ق: ذكر.

(٢) ق: مشركين.

(٣) ق: وجد.

(٤) ق: اثنان.

(٥) ق: ولذلك.

(٦) وما سبق من كلام الزمخشري ابتداء من قوله: قد جئناك بآية من ربك جارية من الجملة الأولى.. انظر الكشاف ٢: ٥٣٩.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ «أوحي» مبني للمفعول، والمفعول الذي لم يُسمَّ فاعله مصدر ينسبك من «أنّ» وما بعدها، تقديره: أوحي إلينا كينونة العذاب على من كذّب وتولّى. وفيه تنبيه على أن فرعون ممّن كذّب وتولّى.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ بين «قال» و«فمن»[1] محذوف تقديره: سمعت قولكما فمن ربكما؟. وخاطبهما معاً وأفرد موسى عليه السلام بالنّداء إذ كان صاحب عظم الرسالة وهارون وزيره وتابعه.

واستبدّ موسى عليه السّلام بجواب فرعون من حيث خصّه بالسؤال والنّداء معاً، ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها بوجه ولا مجاز. والمعنى: أعطى كلّ[2] ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: يسّر[3] كل شيء لمنافعه ومرافقه، فأعطى[4] العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذلك[5]

(١) ق: أفمن.

(٢) ق: لم ما.

(٣) ق: سيّر.

(٤) هذا ابتداء كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٢: ٥٣٩.

(٥) ق: الأسماع ولذلك.

الأنف واليد والرّجل واللسان كلّ واحد منها مطابق[١] لما علق به من المنفعة غير نابٍ عنه.

قال القشيري[٢]: والخَلْق: المخلوق، لان البطش والرؤية والنّطق معانٍ مخلوقة، أودعها الله تعالى للأعضاء.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ لمّا أجابه موسى عليه السلام بجوابٍ مُسْكت، ولم يقدر فرعون على معارضته فيه، انتقل إلى سؤال آخر وهو: ما حال مَن هلك من القرون؟ وذلك على سبيل الرّوغان[٣] عن الاعتراف بما قال موسى عليه السلام، وما أجابه به، والحيدة والمغالطة[٤] قيل: سأله عن أخبارها وأحاديثها، ليختبر أهما[٥] نبيّان، أو هما من جملة القُصّاص الذين دارسوا قصص الأمم السّالفة. ولم يكن عنده عليه السلام علم إذ التّوراة إنّما أُنزلت عليه بعد هلاك فرعون.

﴿قَالَ[٦] عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ الكتاب هنا اللوح المحفوظ. وقيل: فيما كتبته الملائكة من أحوال البشر. ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ الكتاب ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما فيه.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا[٧] وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ الآية، لمّا ذكر موسى عليه السلام دلالته على ربوبيّة الله تعالى، وتمّ كلامه عند قوله ﴿وَلَا يَنسَى﴾،

---

(١) ق: يطابق.

(٢) ق: الزمخشري.

(٣) ق: الزوغان.

(٤) ق: والمغالطة.

(٥) ق: أنّهما.

(٦) ق: فقال.

(٧) ق: مهاداً.

ذكر تعالى ما نبّه به على قدرته تعالى ووحدانيّته، فأخبر عن نفسه بأنه هو الذي [٣٦٦/أ] صنع كيت وكيت.

وإنما ذهبنا إلى أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ وقوله ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ ﴿٥٤﴾﴾ [طه] وقوله ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ﴿٥٦﴾﴾ [طه]، فيكون قوله «فأخرجنا» و«أريناه» التفاتاً من ضمير الغائب في «جعل» و«سلك» إلى ضمير المتكلّم المعظّم نفسه، ولا يكون الالتفات من قائلَيْن. وقرىء: مهداً ومهاداً.

ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقاً[1]، و﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً. و﴿شَتَّىٰ﴾ صفة للأزواج، والألف فيها للتأنيث اللازم، ووزنها فَعْلى. و﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ صفة لقوله «أزواجاً» يتعلّق بمحذوف تقديره: كائنةً من نبات[2]. وتأخّر جَعْل الاسم صفة على المجرور الذي هو صفة مراعاة لكون «شتّى» فاصلة. ومعنى ﴿شَتَّىٰ﴾ أي: مختلفة النفع والطّعم واللون والرائحة والشكل، بعضها يصلح للناس، وبعضها يصلح للبهائم.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ أمر إباحة معمول لحال محذوفة أي: فأخرجنا قائلين، أي: آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا بعضها، ويعلفوا بعضها. عدّي هنا ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾، ورعى: يكون لازماً ومتعدّياً، تقول: رعت الدابّة رعياً، ورعاها صاحبها رعاية، إذا سامها وسرّحها وأراحها. وأشار بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ للآيات السابقة مِن جَعْل الأرض مهداً وسَلْك سبلها وإنزال الماء وإخراج النبات.

---

(١) ق: داقاً.

(٢) ق: أزواج.

وقالوا ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ جمع نُهية وهو العقل، سمّي بذلك لأنه ينهى عن القبائح.

والضمير في «منها» عائد على الأرض. وأراد خلق أصلهم آدم عليه السلام، وقيل: من الأغذية التي تتولّد من الأرض، فيكون[1] ذلك تنبيهاً على ما توالدت منها الأخلاط المتولّد منها الإنسان، فهو من باب مجاز الحذف.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: بالدفن فيها. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ أي: بالبعث. ﴿تَارَةً﴾ أي: مرة أخرى، نؤلّف أجزاءهم المتفرقة، ونردّهم كما كانوا أحياء. وقوله ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي: إخراجه أخرى، لأن معنى قوله «منها خلقناكم» أي: أخرجناكم.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ
نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾
فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا
وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ
ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً
مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا
صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ

(١) ق: يكون.

هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ
أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ
ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ هذا إخبار من الله تعالى محمداً[(١)] ﷺ، وهذا يدلّ على أن قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا ﴿٥٣﴾﴾ [طه] إنما هو خطاب له عليه السلام.

و«أريناه آياتنا» هي المنقولة[(٢)] من رأى البصريّة، ولذلك تعدّت إلى اثنين بهمزة النّقل. و«آياتنا» ليس [عامًّا] إذ لم يُرِه تعالى جميع الآيات، وإنما المعنى: آياتنا التي رآها، فصارت الإضافة تفيد ما يفيد الألف واللام من العهد. وإنما رأى العصا واليد والطّمسة[(٣)] وغير ذلك ممّا رآه، فجاء التوكيد بالنسبة لهذه الآيات المعهودة، فكذّب بها جميعاً، وأبى أن يقبل[(٤)] شيئاً منها.

وفي قوله ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا﴾ وَهْن ظهر منه كثير، واضطراب لما جاء به موسى عليه السلام، إذ علم أنه على الحق، وأنه غالبه على ملكه لا محالة. وذكر علّة المجيء وهي إخراجهم، وألقاها في مسامع قومه، ليصيروا

---

(١) ق: محمد.
(٢) ق: القولة.
(٣) انظر شرح الآية ٨٨ من يونس.
(٤) ق: يقل.

مبغضين له؛ إذ الإخراج من الموطن مما يشقّ، وجعله الله تعالى مساوياً للقتل في قوله ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴿٦٦﴾﴾ [النساء].

وقوله [٣٦٦/ب] ﴿بِسِحْرِكَ﴾ تعلّل وتحيّر[١]، لأنه لا يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه، ويغلبه على ملكه بالسّحر، وأورد ذلك على سبيل الشّبهة الطاعنة[٢] في النبوّة، وأنّ[٣] المعجز إنّما يتميّز عن السّحر بكون المعجز مما تتعذّر معارضته فقال ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾. ويدلّ على أنّ أمر موسى عليه السلام قد قوي، وكثرت[٤] منعته من بني إسرائيل ووقع أمره في نفوس الناس، إذ هي مقالة من يحتاج إلى الحجّة لا من يصدع بأمر نفسه. وأرضهم هي أرض مصر. وخاطبه بقوله «بسحرك» لأن الكلام كان معه والعصا واليد[٥] إنّما ظهرتا من قبله.

«فلنأتينك» جواب لقسم محذوف. أوهم الناس أنّ ما جاء به موسى عليه السلام إنما هو من باب السحر، وأنّ عنده من يقاومه في ذلك، فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر.

والظاهر أنّ «موعداً» هنا هو زمان، أي: فعيّنْ[٦] لنا وقت اجتماع، ولذلك أجاب بقوله ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

(١) ق: وتخيّر.
(٢) ق: الطاغية.
(٣) ق: وإنما.
(٤) ق: وكثر.
(٥) ق: والنداء.
(٦) ق: معين.

ومعنى ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ أي: لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه.

وقوله «ولا أنت» معطوف على الضمير المستكنّ في «نخلقه» المؤكد «بنحن». و«سوى» صفة لقوله «مكاناً». وقرىء: سُوى، بكسر السين وضمّها. وكون فِعَل صفةً قليل؛ قالوا: منزلٌ زِيَمٌ أي: متفرّق أهله، وفُعَل صفة كثير نحو: حُطَم ولُبد.

والظاهر أن قوله «موعداً» يراد به زمان الوعد ولذلك أجاب[1] بقوله «موعدكم يوم الزينة». «وأن يحشر» أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع خبر[2] تقديره: يومُ الزّينة وحَشْرُ الناس. وروي أن يوم الزّينة كان عيداً لهم، وكان مشهوداً، وصادف يوم عاشوراء، وكان يوم سبت.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: بِمَ ينتصب «مكاناً»؟ قلت: بالمصدر أو بفعل يدلّ عليه المصدر. فإن قلت: كيف يطابقه الجواب؟ قلت: أمّا على قراءة الحسن[4] فظاهر، وأما على قراءة العامّة فعلى تقدير: وعدكم وعد يوم الزّينة. ويجوز على قراءة الحسن أن يكون «موعدكم» مبتدأ بمعنى الوقت و«ضحى» خبره على نيّة التعريف فيه لأنه[5] ضحى ذلك اليوم بعينه انتهى.

قوله إنّ «مكاناً» ينتصب بالمصدر، ليس بجائز، لأنه قد وصف قبل العمل

---

(١) ق: الجواب.

(٢) في المطبوع: في موضع جرّ. وكلاهما جائز؛ فإن كان في موضع رفع فهو عطف على «يومُ الزينة»، وإن كان في موضع جرّ فهو عطف على «الزينةِ». وانظر البحر ٦: ٥٤٢.

(٣) الكشاف ٢: ٥٤٢.

(٤) أراد: يومَ. انظر معجم القراءات القرآنية ٤: ٨٧.

(٥) ق: لا صفة.

بقوله «لا نخلفه» وهو موصول. والمصدر إذا وصف قبل العمل لم يَجُزْ أن يعمل عندهم.

وقوله: و«ضحى» خبره على نيّة التعريف فيه، لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه - وهو وإن [كان] ضحى ذلك اليوم بعينه، ليس على نيّة التعريف، بل هو نكرة، وإن كان من يوم بعينه، لأنه ليس معدولاً عن الألف واللام كسِحْر، ولا هو معرّف بالإضافة. ولو قلت: جئت يوم الجمعة بكراً[(١)]، لم تدّع أن بكراً معرفة، وإن كنّا نعلم أنه من يوم بعينه. وانتصب «مكاناً» بإضمار فعل تقديره: عِدْنا مكاناً سوى.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أي: معرضاً عن قبول الحق.

﴿فَجَمَعَ[٣٦٧/ أ] كَيْدَهُۥ﴾ أي: ذوي[(٢)] كيده وهم السّحرة، وكانوا عصابة لم يخلق الله تعالى أسحر منها. ثم أتى الموعد الذي كانوا تواعدوه[(٣)]. وأتى موسى عليه السلام بمن معه من بني إسرائيل.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وتقدّم تفسير ويل في سورة البقرة[(٤)]. خاطبهم خطاب محذّر، وندبهم إلى قول الحق إذا رأوه، وأن لا يباهتوا بكذب.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ أي: يهلككم ويستأصلكم. وفيه دلالة على عظم الافتراء،

---

(١) في الصحاح: تقول: أتيته بُكرةً بالضم، أي باكراً. فإن أردت به بكرة يوم بعينه قلت: أتيته بُكرةَ غير معروف، وهي من الظروف التي لا تتمكن.

(٢) ق: درى.

(٣) ق: أتوعدوه.

(٤) انظر تفسير الآية ٧٩ من البقرة.

وأنه يترتّب عليه هلاك الاستئصال. ثم ذكر أنه لا يظفر بالبغية، ولا ينجح طلبه من افترى على الله الكذب. و«فيسحتكم» منصوب بإضمار أن بعد الفاء، وهو جواب للنّهي في قوله «لا تفتروا». وقرىء: يُسحتكم، من أسحت. ويَسْحتكم، من سحت.

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم ﴾ أي: تجاذبوه، والتنازع يقتضي الخلاف. وإسرارهم النّجوى خيفةً من فرعون أن يتبيّن فيهم ضعفاً، لأنهم لم يكونوا مصمّمين على غلبة موسى عليه السلام، بل كان ظنًّا من بعضهم. وقال ابن عبّاس: إنّ نجواهم: إنْ غَلَبنا موسى اتّبعناه.

و«أمرهم» مفعول «بتنازعوا» فتعدّى لمفعول واحد، قال الشاعر[١]:

[من الطويل]

فلمّا تنازعنا الحديث وأَسمحَتْ هصرتُ بغصنٍ ذي شمارِيخَ ميّالِ[٢]

ولو حذفت التاء، لتعدّى الفعل إلى اثنين، تقول: نازعت زيداً الحديث.

﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ ﴾ قرىء: هذين، بالياء وهو اسم إنّ، وقرىء بالألف، وهي لغة لطوائف من العرب: بني الحارث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبعض [بني] العنبر[٣] وبني الهجيم ومراد وعُذرة، يجعلون المثنّى بالألف رفعاً ونصباً وجرًّا، وقال شاعرهم في النصب[٤]: [من الرجز]

أعرف منها[٥] الأنف والعينانا [ومنخـريـن أشبهـا ظبيـانـا]

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٢.

(٢) ق: سيّال.

(٣) ق: العبر.

(٤) البيت لرؤبة في ديوانه ص١٨٧.

(٥) ق: منه.

وقال آخر في الجر[١]: [من الطويل]

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مضيًّا لناباه الشجاعُ لَصَمّما

يريد: لنابيه.

وقرىء: إنْ هذان، بتخفيف إنْ، وهي المخفّفة من الثقيلة و«هذان» مبتدأ، و«لساحران» الخبر، واللام هي الفارقة بين إنْ النافية وإنْ المخفّفة من الثقيلة.

وقوله ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا﴾ تبعوا فيه مقالة فرعون في قوله ﴿أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ ۝٥٧﴾ [طه]، ونسبوا السّحر أيضاً لهارون لمّا كان مشتركاً معه في الرسالة وسالكاً طريقته. وعلّقوا الحكم على الإرادة، وهم لا اطّلاع لهم عليها، تعليقاً للحكم على الظاهر عندهم. و«أرضكم» هي أرض مصر.

ووصفوهما بالسحر تنقيصاً لهما وحطًّا من قدرهما. وقد كان ظهر لهم من أمر اليد والعصا ما يدلّ على صدقهما، وعلموا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتي بمثل ذلك.

والظاهر أن الضمير في «قالوا» عائد على السّحرة، خاطب بعضهم بعضاً.

و﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ تأنيث الأمثل أي: الفضلى الحسنى.

وقرىء: فٱجمعوا، بهمزة الوصل مِن جَمَع. [٣٦٧/ب] وفأَجْمِعوا، بقطع[٢] الهمزة مِن أجْمَعَ. وتقدّم الكلام على هذا في سورة يونس[٣].

(١) البيت للمتلمّس الضُّبَعي في ديوانه ص٣٤.
(٢) ق: انقطع.
(٣) انظر تفسير الآية ٧١ من يونس.

والظاهر أنّه من كلام السّحرة[1] بعضهم لبعض. وانتصب «صفاً» على الحال، أي: مصطفّين.

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: ظفر وفاز ببغيته[2] مَن طَلَبَ العلوّ في أمره وسعى سعيه.

واختلفوا في عدد السّحرة اختلافاً كثيراً؛ فأقلّ ما قيل: إنهم كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل ساحر عصيّ وحبال. وأكثر ما قيل: إنهم كانوا تسع مئة ألف ساحر.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ الآية، في الكلام حذف تقديره: فجاؤوا مصطفّين إلى مكان الموعد، وبيد[3] كل واحد منهم عصا وحبل[4]، وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه، فوقفوا أمامه، وقالوا: يا موسى إمّا أن تلقي. وذكروا الإلقاء لأنهم علموا أنّ آية موسى في إلقاء العصا. قيل: خيّروه ثقةً منهم بالغلب لموسى، وكانوا يعتقدون أنّ أحداً لا يقاومهم في السحر. و«أنْ» وما بعدها تنسبك مصدراً، فإما أن يكون مرفوعاً، وإما أن يكون منصوباً. والمعنى أنك تختار أحد الأمرين. وأختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره: إلقاؤك[5] أول، ويدلّ عليه قوله ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ فتحسن المقابلة من حيث المعنى لا من حيث اللفظ.

---

(١) ق: الشجرة.

(٢) ق: ببغلته.

(٣) ق: ونبذ.

(٤) ق: وحبلاً.

(٥) ق: التارك.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ ثَمَّ حذفٌ تقديره: فألقَوا فإذا حبالهم. وإذا هي الفجائية، وما بعدها مبتدأ. والضمير في «إليه» الظاهر أنه يعود على موسى لقوله قبلُ[١] «قال بل ألقوا» ولقوله بعدُ «فأوجس في نفسه خيفة موسى». و«أنها تسعى» في موضع المفعول لقوله «يخيَّل» أي: سعيُها. والجملة من قوله «يخيل» إلى آخرها في موضع خبر المبتدأ الذي هو «حبالهم». والرابط في الجملة هو الضمير الذي في «تسعى» أي: تسعى هي أي: الحبال والعصيّ.

والإيجاس هو من الهاجس الذي يخطر بالبال وليس يتمكّن. و«خيفة» أصله خِوْفةً، قلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها وتأخر فاعل «أوجس» وهو «موسى» لكونه فاصلة، وتقدم الضمير في «نفسه» وإن كان القياس تأخيره، فصار نظير: ضربَ غلامَه زيدٌ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التوكيد وبتكرير[٢] الضمير وبلام التعريف وبالأعلويّة الدالّة على التفضيل.

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ لم يأت التركيب[٣]: وألْقِ عصاك، لِمَا في لفظ اليمين من معنى اليُمْن والبركة.

وفي قوله ﴿تَلْقَفْ﴾[٤] حملٌ على معنى «ما» لا على لفظها؛ إذ أطلقت «ما» على العصا، والعصا مؤنثة، ولو حمل على اللفظ لكان بالياء.

وقرىء: تَلَقَّفْ، وهو جواب الأمر. وأصله تتلقّف، ولذلك أدغم البزّي

(١) ق: قيل.
(٢) ق: وبكلمة التوحيد وتنكير.
(٣) ق: التركب.
(٤) وفي قوله تلقف: مكررة في ق.

التاء في التاء، وهو مضارع ماضيه تلقَّفَ، وقرىء: تَلْقِفْ، وهو مضارع لَقِفَ.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟﴾ «ما» موصولة صلته «صنعوا»، والضمير العائد على «ما» محذوف تقديره: صنعوه. و«كيد» خبر «إنّ». وقرىء: كيد سحر. ومعنى «لا يفلح» أي: لا يظفر ببغيته. ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [٣٦٨/أ] أي: حيث توجّه وسلك.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ وجاء التركيب «فألقي السحرة» ولم يأت: فسجدوا، كأنه جاءهم أمرٌ، وأزعجهم، وأخذهم، فصنع بهم ذلك، وهو عبارة عن سرعة ما تأثّروا لذلك الخارق العظيم، فلم يتمالكوا[1] أن وقعوا ساجدين. وقُدّم موسى في الأعراف[2] وأُخّر هارون لأجل الفواصل[3]، ولكون موسى عليه السلام هو المنسوب إليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الإعجاز. وأُخّر هنا «موسى» لأجل الفواصل.

وتقدّم الخلاف في قراءة[4] «آمنتم» وفي «لأقطعنّ» «ولأصلّبنّ» في الأعراف[5]. وتقدّم تفسير نظير هذه الآية فيها. وجاء هناك ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف] وهنا «له». وآمن توصل بالباء إذا كان بالله، وباللام لغيره في الأكثر نحو قوله ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس]، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴿١٧﴾﴾ [يوسف]، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت]. واحتمل الضمير في «له»[6] أن يعود على موسى

(١) ق: يتماللوا.

(٢) في قوله تعالى ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

(٣) ق: وأخي هارون.. التواصل.

(٤) ق: قوله.

(٥) انظر تفسير الآيتين ١٢٣، ١٢٤ من الأعراف.

(٦) ق: واحتمل أي الضمير في به.

عليه السلام وأن يعود على الرّب وأراد بالتقطيع والتّصليب في الجذوع التمثيل بهم. ولمّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب، واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف، عدّي الفعل بفي التي للوعاء.

و«لتعلمنّ» هنا [معلّق] «بأيّنا[١] أشدّ» [وهي] جملة استفهامية من مبتدأ وخبر في موضع نصب بقوله «ولتعلمن» سدّت مسدّ المفعولين، أو في موضع مفعول واحد إن كان «لتعلمنّ»[٢] معدّى تعدية عَرَفَ. ويجوز على هذا الوجه أن يكون «أينا» مفعول «لتعلمنّ» وهو مبنيّ على رأي سيبويه، و«أشد»[٣] خبر مبتدأ محذوف، و«أيّنا» موصولة والجملة بعدها صلته والتقدير: ولتعلمنّ الذي هو أشدّ عذاباً وأبقى.

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ الآية، أي: لن نختار اتّباعك وسلامتنا من عذابك على ما جاءنا من البيّنات، وهي المعجزة التي أتتنا وعلمنا صحّتها. وفي قولهم هذا توهين له واستصغار[٤] لما هدّدهم به وعدم اكتراث بقوله. وفي نسبة المجيء إليهم وإن كانت البيّنات جاءت لهم ولغيرهم، لأنهم كانوا هم أعرف بالسّحر من غيرهم، وقد علموا أنّ ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر، فكانوا على جليّة من العلم بالمعجز وغيرهم يقلّدهم في ذلك. والواو في «والذي فطرنا» واو عطف على «ما جاءنا» أي: وعلى الذي فطرنا. لمّا لاحت لهم حجّة الله تعالى في المعجز، بدؤوا[٥] بها، ثم ترقّوا إلى القادر

(١) ق: وأيّنا.

(٢) ق: ليعلمنّ.

(٣) ق: واحدد.

(٤) ق: واستصغاراً.

(٥) ق: ثم بدؤوا.

على خرق العادة، وهو الله تعالى وذكروا واصف[1] الاختراع وهو قولهم «الذي فطرنا» تبييناً لعجز فرعون وتكذيبه في ادّعاء الرّبوبية والإلهيّة. و«ما» موصولة بمعنى الذي، وصلته «أنت قاض» والعائد محذوف تقديره: ما أنت قاضيه. ونظيره قول الشاعر[2]: [من الطويل]

ويصغر في عيني تِلادي إذا انثنت   يميني بإدراك الذي كنتُ طالبا

أي: طالبه.

وفي قولهم ﴿فَٱقْضِ﴾ أمر تحقير لفرعون وعدم مبالاة بما هدّدهم به. وانتصبت «هذه الحياة» على الظرف. و«ما» مهيّئة ويحتمل أن تكون مصدرية [٣٦٨/ب] أي: إنْ قضاءك في هذه الحياة الدنيا لا في الآخرة.

ولم يصرّح في القرآن بأنه أنفذ فيهم وعيده السابق، بل الظاهر أنّه تعالى سلّمهم منه، ويدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص]. وإكراهه إياهم على السّحر حملهم على معارضة موسى عليه السلام مع علمهم أنه ليس بساحر.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ رَدٌّ على قوله ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه] أي: وثواب الله تعالى [وما] أعدّه لمن آمن به خير وأبقى.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ قيل: هو حكاية قولهم عظة لفرعون، وقيل: خير من الله تعالى، لا على وجه الحكاية، تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السّحرة، وموعظة وتحذيراً. والضمير في «إنه» ضمير الأمر والشأن،

---

(١) ق: وصف.

(٢) البيت لسعد بن ناشب في شرح ديوان الحماسة ١: ٦٩.

والجملة الشرطية بعده وجوابها في موضع خبر إنّ، وحُملت الضمائر فيها على لفظ «مَن» [فأُفردت، وفي الجملة الآتية بعدها حملت أوّلاً على لفظ «مَن»] فأفرد، ثم ثانياً على معنى «من» فجمع في قوله «فأولئك لهم».

و«جنات» بدل من قوله «الدرجات». ومعنى «تزكى» أي: تطهّر من المعاصي.

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا
تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ
ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟
فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ هذا استئناف إخبار عن شيء من أمر موسى عليه السلام. وبينه [وبين]مقال السّحرة مدّة من الزمان، حدث فيها لموسى وفرعون حوادث؛ وذلك أن فرعون لمّا انقضى أمر السّحرة وغلب موسى وقوي[1] أمره، وعده فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، فأقام موسى عليه السلام على وعده حتى غدره فرعون ونكث، وأعلمه أنه لا يرسلهم معه. فبعث الله تعالى حينئذ الآيات المذكورة في غير هذه الآيات، كلّما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بني إسرائيل عند انكشاف العذاب، فإذا انكشف نكث حتى تأتي أخرى. فلّما كملت الآيات أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج ببني[2] إسرائيل في الليل سارياً. والسُّرى: سير

(١) ق: وقرىء.

(٢) ق: بني.

الليل، ويحتمل أن تكون [«أنْ»] مفسّرة، وأن تكون الناصبة للمضارع. و«بعبادي» إضافة تشريف. والظاهر أن الإيحاء[١] إليه بذلك وبأن يضرب البحر كان متقدّماً بمصر على وقت إتْباع فرعون موسى وقومه بجنوده.

ويروى أن موسى عليه السلام نهض ببني إسرائيل وهم ستّ مئة ألف إنسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم، واتصل الخبر بفرعون، فجمع جنوده، وحشرهم[٢]، ونهض وراءه. فأوحى الله تعالى إلى موسى أن يقصد[٣] البحر، فجزع بنو إسرائيل، ورأوا أن العدوّ من ورائهم، والبحر من أمامهم، وموسى يثق بصنع الله تعالى. فلما رآهم فرعون قد نهضوا نحو البحر، طمع فيهم، وكان مقصدهم إلى موضع تنقطع فيه الفحوص[٤] والطرق الواسعة. قيل: وكان من خيل فرعون تسعون ألف أدهم ونسبة ذلك من سائر الألوان، وقيل أكثر من ذلك. فضرب موسى عليه السلام البحر، فانفرق اثنتي عشرة[٥] فرقة طرقاً واسعة بينها حيطان الماء واقفة[٦]، فدخل موسى عليه السلام البحر بعد أن بعث الله تعالى ريح الصَّبا فجفّفت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو إسرائيل. ووصل فرعون [٣٦٩/أ] إلى المدخل، وبنو إسرائيل كلهم في البحر، فرأى الماء على تلك الحالة فجزع[٧] قومه واستعظموا الأمر. فقال لهم: إنما انفلق من هيبتي.

---

(١) ق: الإنجاء.

(٢) ق: وجسرهم.

(٣) ق: تقصد.

(٤) الفحوص: المواضع المسكونة.

(٥) ق: عشر.

(٦) ق: واثقة.

(٧) ق: فخرج.

وتقدّم غرق فرعون في سورة البقرة والأعراف ويونس[١]. والظاهر أن لفظة «اضرب» [هنا على حقيقتها من مسّ العصا البحر بقوة وتحامل على العصا، ويوضحه في آية أخرى. ﴿أَنِ ٱضْرِب]بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء]. فالمعنى: أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقاً، فتعدّى إلى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسبّباً عن الضرب، جُعل كأنه المضروب.

و﴿ يَبَسًا﴾ مصدر وُصف به الطريق وصفه بما آل إليه، إذ كان حالةَ الضرب لم يتّصف باليَبَس بل مرّت عليه الصَّبا فجفّفته كما روي. ويقال: يَبِس يُبْساً ويَبَساً كالعُدْم والعَدَم. ومن كونه مصدراً وُصف به المؤنث؛ قالوا: شاة يَبَس وناقة يَبَس إذا جفّ لبنها. وقرىء: لا تخاف، وهي جملة في موضع الحال من ضمير «فاضرب». وقرىء[٢]: لا تَخَفْ، على جواب الأمر. والدَّرْك والدَّرَك اسمان من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده ولا تخشى.

والظاهر أن الضمير في ﴿غَشِيَهُمْ ﴾ في الموضعين عائد على فرعون وقومه. والفاعل «بغشيهم» «ما» الموصولة أي: الذي غشيهم. وفي لفظة «ما» إبهام وتهويل وتعظيم كقوله[٣] تعالى ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم].

«وما هدى» أي: ما هدى قومه إلى الدين، أو ما اهتدى في نفسه، لأن هدى قد يأتي بمعنى اهتدى.

---

(١) انظر تفسير الآيات ٥٠، ١٣٦، ٩٠ من السوّر المذكورة.

(٢) ق: وقوله.

(٣) ق: إبهام التويل وتعظيم لقوله.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ ذكّرهم تعالى بأنواع[1] نعمه، وبدأ بإزالة ما كانوا فيه من الضرر من الإذلال والخَراج[2] والذّبح، وهي آكد أن تكون مقدَّمة على المنفعة الدنياوية، لأن إزالة الضّرر أعظم في النعمة من إيصال تلك المنفعة. ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة[3] الدينية وهو قوله تعالى ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ إذ أنزل على نبيّهم موسى عليه السلام كتاباً فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم، ثم بذكر[4] المنفعة الدّنياوية وهو قوله تعالى ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾.

قال الزمخشري[5]: وقرىء: الأيمن، بالجرّ على الجِوار نحو: جحر ضبٍّ خربٍ انتهى.

هذا من الشذوذ والقلّة بحيث ينبغي أن لا تُخرَّج القراءة عليه. والصحيح أنه نعت «للطّور» لما فيه من اليُمن وإمّا لكونه على يمين من يستقبل الجبل. والظاهر أن الخطاب لمن نجا مع[6] موسى عليه السلام بعد إغراق فرعون وقومه.

﴿فَيَحِلَّ﴾ منصوب بإضمار أنْ بعد الفاء في جواب النّهي.

﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ أي: سقط وهو كناية عن الهلاك.

---

(١) ق: باتباع.
(٢) الخراج: الإتاوة.
(٣) ق: المفقعة.
(٤) ق: يذكر.
(٥) الكشاف ٢: ٥٤٧.
(٦) ق: بجامع.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ
إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ
مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾
قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا
نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ
فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ
يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا
تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ
قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ
قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ
إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾
إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ الآية، «وما أعجلك» سؤال عن سبب[(١)] العجلة، وأجاب بقوله ﴿ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾[(٢)] لأن قوله «وما أعجلك» تضمّن تأخّر قومه عنه، فأجاب مشيراً إليهم لقربهم منه أنهم

(١) عن سبب: مكررة في ق.

(٢) بعده في ق: لأن قوله: وما أعجلك، سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله: هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى. ففيه تكرار.

على أثره جائين للموعد، وذلك على ما كان عهد إليهم [٣٦٩/ب] أن يجيئوا للموعد. ثم ذكر السبب الذي حمله على العجلة وهو ما تضمّنه قوله «وعجلت إليك ربّ لترضى» من طلب رضى الله تعالى في السبق إلى ما وعده ربه. ومعنى «إليك» أي: إلى مكان وعدك. و«لترضى» أي: ليدوم رضاك ويستمر، لأنه تعالى كان راضياً عنه.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: اختبرناهم بما فعل السامري. والسامريّ: قيل اسمه موسى بن ظفر[١] وقيل غير ذلك. وتقدّم في الأعراف[٢] كيفية اتّخاذ العجل.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وذلك بعدما استوفى الأربعين. وانتصب ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ على الحال. والأسَف: أشد الحزن. ثم أخذ موسى عليه السلام يوبّخهم على إضلالهم. والوعد الحسن: ما وعدهم من الوصول إلى جانب الطّور الأيمن وما بعد ذلك من الفتوح[٣] في الأرض.

﴿أَفَطَالَ﴾ إلى آخره، توقيف على أعذار لم تكن ولا تصحّ[٤] لهم، وهو طول العهد حتى يتبيّن لهم خلف في الموعد.

وقرىء: بملكنا، بفتح الميم وضمّها وكسرها. قال أبو علي الفارسي: فمعنى الضمّ أنه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه، وإنما أخلفناه بنظرٍ أدّى إليه ما فعل السامريّ، فليس المعنى أن لهم ملكاً. وفتح الميم

(١) ق: يظفر، والتّصويب من المعارف ص٢٠.
(٢) انظر تفسير الآية ١٤٨ وما بعدها من الأعراف.
(٣) ق: الفرح.
(٤) ق: تفتح.

مصدر من مَلَك، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنّا ملكنا الصواب ولا وفّقنا له، بل غلبتَنْا أنفسنا. وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ولكنه يستعمل في الأمور التي يبرمها الإنسان، ومعناها بمعنى التي قبلها. والمصدر في هذين الوجهين مضاف إلى الفاعل، والمفعول مقدّر أي: بملكنا[١] الصواب.

والأوزار الأثقال، أطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزيين أوزاراً لثقلها، أو بسبب أنهم أثموا في ذلك، فسمّيت أوزاراً لما حصلت الأوزار التي هي الآثام بسببها.

و«القوم» هنا القبط.

﴿فَقَذَفْنَهَا﴾ أي: الحلي في النار. [وكان أشار عليهم بذلك السامريّ فحفرت حفرة وسجرت فيها النار] وقذف كل من كان معه شيء من ذلك الحلي في النار، وقذف السامريّ ما كان معه.

[ومعنى ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إلقائنا إياها ألقى السامريّ ما كان معه].

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ أي: السامريّ.

﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ تقدّم الكلام على مثل هذا في الأعراف[٢]. والضمير في «فقالوا» لبني إسرائيل، أي: ضلّوا حين قال كبارهم لصغارهم. و«هذا» إشارة إلى العجل. والظاهر أنّ الضمير في «فنسي» عائد على السامري، أي: فنسي إسلامه وإيمانه قاله ابن عباس.

ثم بيّن تعالى فساد اعتقادهم بأن الألوهيّة لا تصلح لمن سُلبت عنه هذه

---

(١) ق: تملّكنا.

(٢) انظر تفسير الآية ١٤٨ من الأعراف.

الصفات فقال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ[1] قَوْلًا﴾ والرؤية هنا بمعنى العلم، ولذلك جاء بعدها أنْ المخفّفة من الثقيلة، كما جاء ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف] [بأنّ الثقيلة].

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ الآية، أشفق هارون على نفسه وعليهم، وبذل لهم النّصيحة، وبيّن أنّ ما ذهبوا إليه من أمر العجل إنما هو فتنة؛ إذ كان مأموراً من عند الله تعالى بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومن أخيه موسى عليه السلام [٣٧٠/أ] ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف]. ولا يمكنه أن يخالف أمر الله تعالى وأمر أخيه عليه السلام. والضمير في «به» عائد على العجل. زجرهم أوّلاً هارون عن الباطل وأزال[2] الشّبهة بقوله ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾، ثم نبّههم على معرفة ربهم، وذكر وصف الرحمة تنبيهاً على أنهم متى تابوا قَبِلَهم، وتذكيراً لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل، ثم أمرهم باتّباعه تنبيهاً على أنه نبيّ، يجب أن يُتّبع، ويطاع أمره.

ولمّا وعظهم[3] هارون، ونبّههم على ما فيه رشدهم، اتّبعوا سبيل الغيّ وقالوا: لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له، وغَيّوا[4] ذلك برجوع موسى عليه السلام. وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم إلى الاستدلال، وأخذهم بتقليد[5] السامريّ.

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «أن» هي الناصبة للمضارع، وينسبك مصدراً أي: ما

---

(١) ق: لهم.

(٢) ق: وإزالة.

(٣) ق: وعظ.

(٤) ق: رغبوا. وغيّوا ذلك برجوعه: جعلوا رجوعه غاية.

(٥) ق: وأخذ بتقليدهم.

منعك من اتّباعي.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ استفهام إنكار وهو عليه السلام لم يعص كلام أخيه.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾[١] تقدّم الكلام على «ابن أمّ» في الأعراف[٢].

﴿لَا تَأْخُذْ﴾ وكان قد شرع في أخذ رأس أخيه [كما تقدّم في قوله ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ] يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف] لأنّ في ذلك إهانة. واستعذر هارون لأخيه بقوله ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾. والتفريق الذي خشيه هو التقاتل بينهم لتكون[٣] أنت المتدارك لأمرهم.

ولمّا فرغ من عتابه لأخيه وجواب أخيه له، رجع إلى مخاطبة الذي أوقعهم في الضّلال وهو السّامري.

قال ابن عطية: «ما خطبك» كما تقول: ما شأنك وما أمرك؟ لكن لفظة الخطب تقتضي انتهاراً، لأنّ الخطب مستعمل في المكاره فكأنه قال: ما نحسك[٤] وما شؤمك وما هذا الخطب الذي جاء من قبلك انتهى.

هذا ليس كما ذكر! ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الحجر] وهو قول إبراهيم لملائكة الله تعالى، فليس هذا يقتضي انتهاراً.

وقرىء: فقبضت، بالضاد المعجمة فيهما، أي: أخذت بكفّي مع

---

(١) ق: قال ابن أمّ.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٠ من الأعراف.

(٣) ق: ليكون.

(٤) ق: بخشك.

الأصابع. وقرىء بالصاد فيهما. وقال المفسرون: «الرسول» هنا جبريل عليه السلام وتقديره: من أثر حافر فرس الرسول. والأثر: التراب الذي تحت حافره.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي الذي تصوّر [منه العجل] وكذلك سوّلت لي نفسي. وقال أبو مسلم الأصبهاني: ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون.

وهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى، وأثره سنّته ورسمه الذي أمر به؛ فقد يقول الرجل: فلان يقفو أثر فلان ويقتصّ أثره، إذا كان يمتثل[1] رسمه. والتقدير أنّ موسى لما أقبل على السامريّ باللّوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في العجل، قال: بصرت بما لم يبصروا به، أي: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحقّ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول، أي: شيئاً من دينك فنبذتها أي: طرحتها. فعند ذلك أعلمه[2] موسى بما له من العذاب في الدنيا والآخرة. [٣٧٠/ب] وإنّما أراد لفظ الإخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ أو بماذا يأمر الأمير؟. وأما تسميته رسولاً مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ [ٱلذِّكۡرُ] إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦﴾ [الحجر] وإن لم يؤمنوا بالإنزال. قيل[3]: وما ذكره أبو مسلم أقرب إلى التحقيق إلا أنّ فيه مخالفة المفسرين.

(١) ق: تمثيل.

(٢) ق: أعلم.

(٣) ق: بالإنزال قبل.

قيل: ويبعد ما قالوا إنّ جبريل عليه السلام ليس معهوداً باسم رسول ولم يَجْرِ له فيما تقدّم ذِكْر حتى تكون اللام في الرسول لسابق[١] في الذكر، ولأنّ ما قالواه لا بدّ فيه من إضمار، أي: من أثر حافر فرس الرسول، والإضمار خلاف الأصل، ولأن اختصاص السامريّ برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدًّا، وكيف عرف أنّ أثر حافر فرسه يؤثر هذا الأثر الغريب العجيب من إحياء الجماد به وصيرورته لحماً ودماً، وكيف عرف [أنّ] جبريل يتردّد إلى نبيّ، وقد عرف نبوّته، وصحّت عنده، فحاول الإضلال، وكيف اطلع كافر على ترابٍ هذا شأنه، فلقائل أن يقول: لعلّ موسى اطّلع على شيء آخر يشبه هذا، فلأجله أتى بالمعجزات، فيصير ذلك قادحاً فيما أتوا به من الخوارق. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي الذي صوّر منه العجل.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٢] أي: كما حدث ووقع قرّبت لي نفسي وجعلته لي سؤلاً وأرباً حتى فعلته.

وكان موسى عليه السلام لا يقتل[٣] بني إسرائيل إلا في حدٍّ أو وحي، فعاقبه باجتهاد نفسه، بأن أبعده، ونحّاه عن الناس، وأمر بني إسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته، وأن لا يؤاكَلُوا ولا يناكَحوا، وجعل له أن يقول مدة حياته ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا مماسّة ولا إذاية[٤].

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: في القيامة.

---

(١) ق: السابق.

(٢) فنبذتها.. سوّلت لي نفسي، وردت الجملة في شرح الآية قبل قليل.

(٣) ق: لا يقبل.

(٤) ق: إذابه.

﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن تستطيع الرّوغان عنه والحيدة، فتزلّ عن موعد العذاب.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ خاطبه وحده إذ كان هو رأس الضّلال، وهو ينظر لقولهم ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ (٩١)﴾ [طه].

وأقسم ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ وهو أعظم فساد الصورة.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ﴾ حتى تتفرق أجزاؤه فلا تجتمع.

وانتصب «علماً» على التمييز المنقول من الفاعل تقديره: وسع علمه كل شيء.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ
أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (١٠١)
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
عَشْرًا (١٠٣) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ
فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ
لَهُۥ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ
ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ
ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ
بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا (١١٤)﴾.

﴿كَذَٰلِكَ[١] نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ الآية، «ذلك» إشارة إلى نبأ موسى وبني إسرائيل وفرعون، أي: كقصّنا[٢] هذا النبأ الغريب، نقصّ عليك من أنباء الأمم السالفة [وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الإعلام بأخبار الأمم السالفة] ليتسلّى بذلك، ويعلم ما صدر من الأمم لرسلهم وما قاست الرسل منهم. والظاهر أنّ الذكر هنا القرآن، امتنّ تعالى عليه بإيتائه الذكر المشتمل على القصص والأخبار، الدالّة ذلك على معجزات أُوتِيَها[٣].

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتّبع ما فيه. وقرىء: يَحْمل، مضارع حمل. وقرىء: يحمّل، مشدّداً. والظاهر أنه عبّر عن العقوبة بالوزر لأنه سببها ولذلك قال ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي[٤]: [٣٧١/أ] في العذاب والعقوبة. وجمع «خالدين» والضمير في «لهم» حملاً على معنى «مَن» بعد الحمل على لفظها في «أعرض» وفي «فإنه يحمل». والمخصوص بالذّم محذوف [تقديره]: وزرهم. و«لهم» للبيان كهي في ﴿هَيْتَ لَكَ ٢٣﴾ [يوسف] لا متعلقة «بساء». [و«ساء»] هنا التي جرت[٥] مجرى بئس، لا ساء التي بمعنى أحزن وأهمّ، لفساد المعنى.

﴿يَوْمَ[٦] يُنفَخُ﴾ بدل من «يوم القيامة». أسند النّفخ إلى الآمر[٧] به، والنافخ

---

(١) ق: وكذلك.

(٢) ق: لقضاء.

(٣) ق: أوتيتها.

(٤) أي: مكررة في ق.

(٥) ق: التي هي جرت.

(٦) ق: ويوم.

(٧) يتوافق هذا الكلام وقراءة من قرأ: ننفخ، بنون العظمة.

هو إسرافيل، ولكرامته أسند[١] ما يتولّاه إلى ذاته المقدّسة.

و﴿ٱلصُّورِ﴾ تقدّم الكلام عليه في سورة الأنعام[٢].

والظاهر أن المراد بالزّرق زرقة العيون. والزّرقة أبغض الألوان للعرب وكانت [تتشاءم] به.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: يتسارّون[٣] لهول المطلع وشدّة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدرة المدة التي لبثوا فيها.

﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ أي: في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين النفختين، ثلاثة أقوال. ووصف ما لبثوا فيه بالقصر.

﴿إِلَّا يَوۡمٗا﴾ إشارة لقصر مدة لبثهم.

﴿إِلَّا عَشۡرٗا﴾ تحتمل أن تكون عشر ليالٍ أو عشرة أيام، لأن المذكر إذا حذف وأبقي عدده قد لا يأتي بالتاء. وحكى الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً، يريد: خمسة أيام. [ومنه] ما جاء «ثمّ أتبعه بستٍّ من شوال»[٤] يريد: ستة أيام. وحَسَّن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية. ذكروا أوّلاً منتهى أقلّ العدد وهو العشر، وذكر أَعْدَلُهم طريقة أقلّ العدد وهو اليوم الواحد. ودلّ ظاهر قوله «إلا يوماً» على أن المراد بقولهم «عشراً» عشرة أيام.

---

(١) ق: ولكن أمته أشد.

(٢) لم يتقدم الكلام عليه في آية الأنعام ٧٣.

(٣) ق: يتساورون.

(٤) أخرجه مسلم ٢: ٨٢٢ من حديث أبي أيّوب الأنصاري.

وضمير الغائب في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ عائد على قريش منكري البعث. والخطاب لرسول الله ﷺ. والظاهر وجود السؤال وكأنه تضمّن معنى الشرط، ولذلك دخلت الفاء في قوله «فقل» بخلاف السؤالات في القرآن فليس فيها الفاء بل لفظ: قل. وروي أنّ الله تعالى يرسل على الجبال ريحاً فتدكدكها حتى تكون كالعهن المنفوش[1]، ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبثّ فذلك هو النسف.

والظاهر عود الضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ على «الجبال» أي: بعد النسف تبقى قاعاً أي: مستوياً من الأرض معتدلاً.

﴿عِوَجًا﴾ قال ابن عبّاس: ميلاً.

﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ أثراً مثل الشّراك[2].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة، التقدير: يوم إذ ينسف الله الجبال. «يتبعون» أي: الخلائق. «الداعي» داعي الله تعالى إلى المحشر نحو قوله تعالى ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴿٨﴾﴾ [القمر] وهو إسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس، يدعو الناس فيقبلون من كل جهة، يضع الصّور في فيه ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة، هلمّ إلى العرض على الرحمن. والظاهر أن الضمير في «له» عائد على «الداعي» نفى عنه العوج أي: لا عوج لدعائه[3]، بل يُسمع جميعهم فلا

---

(١) تدكدكت الجبال: صارت دكّاوات وهي رواب من طين واحدتها دكّاء. والعهن: الصوف المصبوغ ألواناً.

(٢) الشّراك: سير النعل على ظهر القدم.

(٣) ق: له غاية.

يميل إلى ناس دون ناس.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ هو على حذف مضاف أي: أصحاب الأصوات. والهمس: الصوت [٣٧١/ ب] الخفي.

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: إلاّ شفاعة[1] من أذن له الرحمن، أي: في الشفاعة. و«مَن» في موضع رفع بدل من قوله «الشفاعة» على حذف المضاف الذي قلناه.

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ هو لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

والظاهر أن الضمير في ﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عائد على الخَلْق المحشورين وهم متّبعو الداعي. والضمير في «به» عائد على الله تعالى، أي: لا يحيط علم أحد بالله تعالى إذ ليس داخلاً تحت تحديد[2]. و«علماً» تمييز منقول من الفاعل أي: ولا يحيط علمهم به.

والظاهر عموم الوجوه أي: وجوه الخلائق. وخصّ الوجوه لأنّ آثار الذّل إنما تظهر أوّلاً[3] في الوجوه.

و﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ تقدّم الكلام عليه في البقرة[4].

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أي: لم ينجح ولم يظفر بمطلوبه[5]. والظلم يعمّ الشّرك

---

(١) ق: بشفاعة.

(٢) ق: تحديده.

(٣) ق: أوّل.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥٥ من البقرة.

(٥) ق: ولا يظفر مطلوبه.

والمعاصي وخيبة كل حامل [بقدر] ما حمل من الظلم.

﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ «مَن» للتبعيض.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة في موضع الحال. وقرىء: فلا يخافُ، على الخبر، والتقدير: فهو لا يخاف. فهو: مبتدأ، ولا يخاف: جملة في موضع الخبر. وقرأ ابن محيصن وحميد[1]: فلا يَخَفْ، على النّهي. والهضم: نقص من الحسنات، قاله ابن عباس.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ ﴿٩٩﴾﴾ [طه] أي: ومثل ذلك الإنزال، أو كما أنزلنا عليك هذه الآيات المتضمّنة الوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتّخذون وقاية من وعيد الله تعالى بالعذاب.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عظة لما حلّ بالأمم السالفة.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ لَمّا كان فيما سبق تعظيم القرآن في قوله ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴿١١٣﴾﴾ [طه] ذكر عظم مُنْزله تعالى ثم ذكر هاتين الصفتين وهي صفة الملك التي تضمّنت القهر والسّلطنة، والحق وهي الصفة الثابتة له.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: تأنَّ حتى يفرغ الملقي إليك الوحي ولا تساوق[2] في قراءتك وإلقاءه كقوله[3] تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

(١) ق: وحمد.

(٢) ق: تسارق. وتساوق: تتابع.

(٣) ق: لقوله.

بِهِۦ ﴿١٦﴾ [القيامة].

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا
عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا
تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ
يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا
سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ
ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ
حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ
تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾ الآية، لَمَّا تقدَّمَ ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه] كان من هذه الأنباء قصة آدم عليه السلام ليتحفّظ بنوه من وسوسة الشيطان. وعَهْده: نَهْيه عن قربان تلك الشجرة وأكله منها. والظاهر أن النسيان هنا التَرك، أي: ترك ما وُصّي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها. والعزم: التصميم والمضيّ.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ و«أبى» جملة مستأنفة مبيّنة أنّ امتناعه من السجود إنما كان عن إباء منه[1] وامتناع.

(١) ق: إما منه.

والظاهر حذف متعلق «أبى» وأنه يقدّر[١] هنا ما صرّح به في الآية الأخرى ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ[٢] ﴿٣١﴾﴾ [الحجر].

و«هذا» إشارة إلى إبليس. و«عدو» يطلق على الواحد والمثنى والمجموع. عرّف تعالى آدم عداوة [٣٧٢/ أ] إبليس له ولزوجه ليحذراه، فلم يُغْنِ الحذر [من] القدر.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ الظاهر أنه نهي لإبليس عن إخراجهما، والمعنى أنه لا تتعرضا لمخالفتكما[٣] إيَّايَ بالقربان والأكل فيخرجكما من الجنّة، واقتصر بقوله «فتشقى» على شقاء آدم فقط لأن زوجته تابعة له ولأن الكلمة رأس آية.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ لما كان الشبع والرّي والكسوة والكِنّ[٤] هي الأمور الضرورية[٥] للإنسان، اقتصر عليها لكونها كافية له.

وما أحسن المقابلة في هذه الأربعة: فقابل الجوع بخلوّ الباطن، والتعرّي بخلوّ الظاهر، والظّمأ بإحراق الباطن، والضّحو بإحراق الظاهر، فقابل الخلوّ بالخلوّ والإحراق [بالإحراق] وأورد ذلك مورد النّفي. وقرىء: وأنّكَ، معطوفاً على «ألّا تجوع». وقرىء: وإنّك، على الاستئناف أو عطفاً على «إنّ لك».

---

(١) ق: تعذّر.
(٢) ق: من الساجدين.
(٣) ق: لمخالفتهما.
(٤) الكِنّ: السترة.
(٥) ق: الامور التي هي ضرورية.

وتقدم الكلام في ﴿فَوَسْوَسَ ۝٢٠﴾ [الأعراف] وتعدّى وسوس هنا بإلى، وفي الأعراف باللام[1]. فالتعدّي بإلى معناه أنهى الوسوسة إليه، والتعدّي بلام الجرّ قيل: معناه لأجله. ولما وسوس إليه ناداه باسمه ليكون أقبلَ عليه وأمكنَ للاستماع، ثم عرض عليه ما يُلقي بقوله «هل أدلك» على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنّصح، ويؤثر قبول من يخاطبه كقول موسى [لفرعون] ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات] وهو عرضٌ فيه مناصحة. وكان آدم عليه السلام قد رغّبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ۝١١٧﴾ [طه]، ورغّبه إبليس في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله «هل أدلك»، فجاءه إبليس من الجهة التي رغّبه الله تعالى فيها. وفي الأعراف ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ۝٢٠﴾ [الأعراف]، وهنا «هل أدلّك» والجمع بينهما أن قوله «هل أدلّك» يكون سابقاً على قوله «ما نهاكما». لما رأى إصغاءه وميله إلى ما عرض عليه، انتقل إلى الإخبار والحصر.

ومعنى ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: الشجرة التي من أكل منها خلد وحصل له ملك لا يَخْلق.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يجوز لأحدنا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم عليه السلام إلا إذا تلاه[2] في أثناء كلامه تعالى وقول نبيّه عليه السلام. فأمّا أن نبتدىء بذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آبائنا الأدنَيْن لنا المماثلين لنا، فكيف بأبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله تعالى، وتاب عليه وغفر له؟.

---

(١) في قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ۝٢٠﴾ [الأعراف].
(٢) ق: ذكرناه.

والضمير في «اهبطا» ضمير تثنية وهو أمر لآدم [وحوّاء] جعل[١] هبوطهما عقوبتهما. و«جميعا» حال منهما. «بعضكم لبعض» جملة حالية[٢].

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ الذِّكْرُ[٣] يقعُ على القرآن وعلى سائر الكتب الإلهية.

و﴿ ضَنكًا﴾ مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع. والمعنى: النكد الشّاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب وغيرها.

والظاهر أن قوله ﴿أَعْمَىٰ﴾ المراد به عمى البصر كما قال تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ [٣٧٢/ ب] يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ ﴾ سأل العبد ربّه عن السبب الذي استحقّ به أن يُحشر أعمى، لأنه جهله، وظنّ أنه لا ذنب له، فقال له جلّ ذكره ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ أي: مثل ذلك [فعلت] أنت. ثم فسّر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعتبر، ولم تتبصّر وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك، ولا نزيل غطاءه عن عينيك. والنسيان هنا بمعنى التّرك لا بمعنى الذّهول، ومعنى «تُنسى» تُترك في العذاب.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء.

﴿ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أي: جاوز الحدّ في المعصية. ثم أخبر تعالى أن عذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا لأنه أعظم منه.

---

(١) ق: واجعل.

(٢) ق: كنه.

(٣) ق: الذي.

﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: منه لأنه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الآية، وبّخهم الله تعالى، وذكّرهم العبر بمن تقدّم من القرون. ويعني بالإهلاك [الإهلاك] الناشىء عن التكذيب بالرسل وترك الإيمان بالله تعالى واتّباع رسله. والفاعل «ليهد» ضمير عائد على الله تعالى، ويؤيد هذا التخريج قراءة من قرأ: نَهْدِ، بالنون ومعناه نبيّن. و«كم» خبرية مفعولة «بأهلكنا»، التقدير: كثيراً أهلكنا.

والضمير في «يمشون» عائد على ما عاد عليه «هم» وهم الكفار الموبّخون، يريد قريشاً وغيرهم. و«يمشون في مساكنهم» جملة في موضع الحال من ضمير «لهم»، والعامل «يهد» أي: ألم يتبيّن للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار. وقيل: حال من مفعول «أهلكنا» أي: أهلكناهم[1]

(١) ق: أهلكهم. وغارين: متنفعين مغاثين.

غارين آمنين متصرفين في مساكنهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ أي: إنّ في ذلك التّبيين بإهلاك القرون الماضية لآيات.

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: العقول السليمة.

ثم بيّن تعالى الوجه الذي لأجله لا ينزل العذاب معجّلاً عل من كفر بمحمد ﷺ. والكلمة السابقة هي العِدَة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، قال تعالى ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر]. يقول: لولا العدة لكان العذاب لزاماً أي: لازماً. والظاهر عطف «وأجل مسمى» على «كلمةٌ» وأخّر المعطوف على المعطوف عليه، وفصل بينهما بجواب «لولا» لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي.

ثم أمره تعالى بالصبر على ما يقول مشركو قريش، وهم الذين عاد عليهم الضمير في ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه]. وأمره بالتسبيح مقروناً بالحمد وهو الثناء عليه تعالى.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وهو صلاة الصبح.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وهي صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ الآناء: جمع إنىً[(١)] وهو الوقت، ووزنه فِعَل[(٢)] كمِعًى وأمعاء. وهو متعلق بقوله «فسبح» كما تقول: [٣٧٣/ أ] بزيدٍ فامْرُرْ.

«وأطراف النهار» منصوب على الظرف، وهي أعمّ ممّا بين القبلَيْن[(٣)]،

(١) ق: أنا. وهي صحيحة إن أريد بها أنّى.

(٢) ق: فعلى.

(٣) ق: الفتيلين.

يشير إلى تنفّل الضحى وغير ذلك.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ قرىء بفتح التّاء وضمّها.

﴿وَلَا[1] تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه في سورة الحجر.

و«زهرة» منصوب على الظرف الزّماني لإضافتها إليه. وقرىء: زهرة، بفتح الهاء وسكونها نحو: نَهَر ونَهْر، وهو ما يروق من النّور، وسراج زاهر: له بريق، والأنجم الزُّهر: المضيئة، وأزهر الشجر: بدا نَوْره.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ متعلّق «بمتّعنا» والضمير فيه عائد على «ما» الموصولة «بمتّعنا».

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: خير ممّا متّعنا به هؤلاء في الدنيا.

﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: أدْوَم.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أمره تعالى أن يأمر أهله بالصلاة التي هي بعد الشهادة آكد أركان الإسلام، وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقّها، وأن لا يشتغل عنها. وأخبره تعالى أنه لا يسأله أن يرزق نفسه، ولا أن يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك، بل أمره بتفريغ باله لأمر الآخرة. ويدخل في خطابه عليه السلام أمته.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ أي: الحميدة، أو حُسْن العاقبة لأهل التقوى.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ «لولا» للتّحضيض. وهذه عادتهم في

(١) ق: لا.

اقتراح الآيات، كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآية، فاقترحوا هم ما يختارون، على ديدنهم[(١)] في التّعنت فأجيبوا بقوله ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ كصحف إبراهيم والزّبور والإنجيل وغيرها من الكتب الإلهيّة. وقرىء: تأتهم، بالتاء وبالياء. وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم.

﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الضمير في «من قبله» عائد على رسول الله ﷺ أي: من قبل بعثته.

﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾ «لولا» للتّحضيض.

﴿فَنَتَّبِعَ﴾ منصوب بإضمار أن بعد الفاء وهو جواب التّحضيض.

﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ الذّل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: منتظر منّا ومنكم عاقبة أمره. وفي ذلك تهديد لهم ووعيد. وأفرد الخبر وهو «متربّص» حملاً على لفظ «كلّ» كقوله[(٢)] تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء]. والتربّص التّأنّي[(٣)] والانتظار للفرج. و«من» مبتدأ وهو استفهام. و«أصحاب» خبر. والجملة في موضع نصب، والفعل قبلها معلّق عنها. و«السوي» المستقيم. «ومن اهتدى» معطوف على «مَن».

---

(١) ق: ما يختاروا على ودنهم.

(٢) ق: لقوله.

(٣) ق: الثاني.

سورة الأنبياء(١)

عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٤) بَلْ
قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ
ٱلْأَوَّلُونَ (٥) مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَآ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا
جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ
فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ
ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠) وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ (١٣) قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت
تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلْ

---

(١) مكية، وهي مئة واثنتا عشرة آية.

نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لمّا ذكر ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴿١٣٥﴾﴾ [طه] قال مشركو قريش: محمد يهدّدنا بالبعث والجزاء على الأعمال، وليس بصحيح، فأنزل الله تعالى «اقترب للناس حسابهم». و«اقترب» افتعل [٣٧٣/ب] بمعنى الفعل المجرد وهو قَرُب كما تقول: ارتقب ورقب. والناس: مشركو مكّة وغيرهم ممّن ينكر البعث. والحساب في اللغة: الكميّة من مبلغ العدد، وقد يطلق على المحسوب. وجعل ذلك اقتراباً، لأنّ كلّ ما هو آتٍ، وإن طال وقت انتظاره، قريب. والواو في «وهم» واو الحال. وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي؛ لأن الغفلة عن الشيء والإعراض عنه متنافيان، لكن يجمع بينهما باختلاف حالين: أخبر عنهم أولاً بأنهم [لا] يتفكرون في عاقبة، بل هم غافلون عمّا يؤول إليه أمرهم. ثم أخبر عنهم ثانياً أنهم إذا نُبّهوا من سِنَةَ الغفلة، وذُكّروا بما يؤول إليه أمر المحسن والمسيء، أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك.

والذكر هنا: ما ينزل من القرآن شيئاً بعد شيء. و«مِن» زائدة. و«ذكر» فاعل. ووصفه بالحدوث - إذا[1] كان القرآن - لنزوله وقتاً بعد وقت. و«استمعوه» جملة حالية من الضمير المنصوب في «يأتيهم» تقديره: إلا

(١) ق: إذ. وقوله: إذا كان القرآن، لأنه قيل إن المراد بالذكر أقوال الرسول ﷺ في أمر الشريعة، انظر البحر ٦: ٢٩٦.

مستمعيه. «وهم يلعبون» جملة حالية من ضمير «استمعوه»[(١)].

و«لاهية» حال من ضمير «يلعبون» أو من ضمير «استمعوه» فيكون حالاً بعد حال. واللاّهية من قول العرب: لها عنه إذا ذهل وغفل. يقال: لها يَلْهَى لُهِيّاً ولَهْياناً، أي: وإن فطنوا فلا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة وعدم التّبصر بقلوبهم[(٢)]. «النجوى» من التّناجي، ولا يكون إلا خفية. والواو في «وأسروا» فاعل ضمير يعود على ما قبله، و«الذين» بدل منه.

«قل هذا» قبله حال محذوفة تقديره: قائلين: هل هذا إلا بشر. وهو استفهام معناه التعجب، أي: كيف خُصَّ دونكم بالنّبوة مع مماثلته لكم في البشرية.

و﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ استفهام معناه التوبيخ. و«السحر» عَنَوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن. وهاتان الجملتان الاستفهاميتان، الظاهر أنهما متعلقان بقوله «وأسرّوا النجوى» وأنّهما محكيّتان «للنجوى» لأنه بمعنى القول الخفيّ، فهما في موضع نصب على المفعول «بالنجوى».

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ جملة حالية.

وللزمخشري فيه تخبيط ردّ عليه ذلك في البحر[(٣)].

«قال»[(٤)] أمْر لنبيّه عليه السلام، والقول أعمّ من أن يكون سرّاً أو جهراً.

---

(١) ق: يستمعوه.

(٢) ق: فقلوبهم.

(٣) انظر البحر ٦: ٢٩٧.

(٤) ق: قل. ووهم المصنف ففسّرها على ذلك.

ثم يبيّن ذلك بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أي: لأقوالكم. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما انطوت عليه ضمائركم.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾ ذكر اضطرابهم في مقالتهم، فذكر أنهم أضربوا عن نسبة السحر إليه وقالوا: ما يأتي به إنما هو أضغاث أحلام، وتقدم تفسيرها في يوسف[1]. ثم أضربوا عن هذا فقالوا «بل افتراه» أي: اختلقه وليس من عند الله. ثم أضربوا عن هذا فقالوا «بل هو شاعر». وهكذا[2] المبطل لا يثبت على قول بل يبقى متحيّراً. وهذه الأقوال[3] الظاهر أنها صدرت من قائلين متّفقين انتقلوا من قول إلى قول، أو مختلفين قال كلٌّ منهم مقالة. والكاف في «كما أرسل» يجوز أن تكون في موضع النعت «لآية»، و«ما أرسل» في تقدير المصدر. والمعنى: بآية مثل آية إرسال الأولين. [٣٧٤/أ] وفي قولهم «كما أرسل الأولون» دلالة على معرفتهم بإتيان الرسل.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ المراد به قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما. ومعنى ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ حكمنا بإهلاكها بما اقترحوا من الآيات.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ استبعاد وإنكار أي: هؤلاء أعتى[4] من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ تقدم الكلام على مثله في يوسف[5]. «إلا

(١) انظر تفسير الآية ٤٤ من يوسف.
(٢) ق: وهذا.
(٣) ق: والظاهر الأقوال.
(٤) ق: أغنى.
(٥) انظر تفسير الآية ١٠٩ من يوسف.

رجالاً» أي: بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدتم، ثم أحالهم على الذكر وهم أحبار أهل الكتابين، وشهادتهم تقوم بها الحجّة في إرسال الله البشر.

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا ﴾ أي: ذوي جسد. ولما أثبت أنهم كانوا أجساداً، يأكلون الطعام، بيّن أنّ مآلهم إلى الفناء والنفاد، ونفى عنهم الخلود، وهو البقاء السّرمدي، أي: هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر، والذي صاروا به رسلاً هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره.

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه، فكذلك يصدق نبيه محمداً ﷺ وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة، فهذه عِدَة للمؤمنين ووعيد الكافرين. و«صدقناهم الوعد» من باب اختار[1]، وهو ما يتعدى الفعل فيه إلى واحد وإلى الآخر بحرف الجر. ويجوز حذف ذلك الحرف أي: في الوعد.

﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ هم المؤمنون. والمسرفون: هم الكفار.

ولمّا توعّدهم في هذه الآية، أعقب ذلك بوعده بنعمته عليهم فقال[2]: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ والكتاب هو القرآن. وعن ابن عباس: ذِكْر شرفكم، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ الآية، «كم» خبرية معناه: كثيراً. والقصم: أفظع الكسر، عبّر به عن الإهلاك الشديد و«كم» منصوبة «بقصمنا». «من قرية» هو على حذف مضاف أي: من أهل قرية. «كانت»

---

(١) ق: اختلد.

(٢) ق: فقالوا.

أي: كان أهلها.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ أي: بعد إهلاك أهلها. وعن ابن عباس أن القرية هي حَضُور[1]، قرية باليمن. ومن حديثها أن الله تعالى بعث إليهم نبيّاً فقتلوه، فسلّط الله تعالى عليهم بختنصر كما سلّطه على أهل بيت المقدس، بعث إليهم جيشاً، فهزموه] فخرج إليهم بنفسه، فهزمهم في الثالثة، فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: باشروه بالإحساس. والضمير في «أحسّوا» عائد على: أهل، المحذوف من قوله «وكم قصمنا من قرية». والضمير في «منها» عائد على القرية. والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ركبوا دوابهم يُركضونها هاربين منهزمين. و«إذا» الفجائية جواب قوله «فلما».

وقوله ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن يكون من قول بختنصر، فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم، بأن قالوا للهاربين منهم: لا تفرّوا وارجعوا [٣٧٤/ب] إلى منازلكم لعلكم تسألون صلحاً أو جزية أو أمراً نتفق عليه. فلما انصرفوا أمر بختنصر أن ينادى فيهم: يا لثارات النبي المقتول. فقتلوا بالسيف عن آخرهم انتهى.

ويجوز أن يكون «لا تركضوا» من كلام بعضهم لبعض لما هَزموا الجيش ثاني مرة.

﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ معطوف على «ما» الموصولة بـ«أُترفتم»[2]. والإتراف إبطار[3]

---

(١) انظر معجم البلدان ٢٧٢.

(٢) ق: ما أترفتم.

(٣) ق: انظار.

النعمة، والتقدير: وإلى مساكنكم.

وفي قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ دليل على أنّ من كان قارّاً في مسكنه مترفاً فيه جدير بأن يكون يُسأل في المهمات ويعتمد عليه فيها.

ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا: يا[١] هلكتنا. وتقدم تفسير الويل في البقرة[٢]. والظلم هنا الإشراك وتكذيب الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك.

واسم «زالت» هو اسم إشارة وهو «تلك» وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي: فما زالت تلك الدعوى دعواهم. قال المفسرون: فما زالوا يكررون[٣] تلك الكلمة، فلم تنفعهم كقوله تعالى ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿٨٥﴾﴾ [غافر]. والدعوى مصدر دعا، يقال: دعا دعوى ودعوة لأن الويل كأنه يدعو الويل. و«تلك» اسم «زالت» و«دعواهم» الخبر، ويجوز العكس قاله الزجاج.

وبعض أصحابنا: إذا لم يكن مبين الاسم والخبر، جعل الأول الاسم والثاني الخبر كما قالوا في: ضرب موسى عيسى.

وقوله ﴿حَصِيدًا﴾ أي: بالعذاب تركوا كالحصيد.

﴿خَٰمِدِينَ﴾ أي: موتى دون أرواح مشبَّهين بالنار إذا طَفِئَت.

ولما ذكر تعالى قصم تلك القرى الظالمة، أتبع ذلك بما يدلّ على أنه فعل ذلك عدلاً منه ومجازاة على ما فعلوا، وأنه ما أنشأ هذا العالم العلوي

---

(١) ق: ما.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٩ من البقرة.

(٣) ق: تكرر وان.

المحتوي على عجائب من صنعه وغرائب من فعله، وهذا العالم السفلي وما أودع فيه من عجائب الحيوان والنبات والمعادن وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب، بل لفوائد دينيّة تقضي بسعادة[١] الأبد أو بشقاوته، ودنياوية لا تعدّ ولا تحصى، كقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا[٢] ﴿٢٧﴾﴾ [ص].

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أصل اللهو[٣] ما تسرع إليه الشهوة ويدعو إليه الهوى[٤]. وقال ابن عباس وغيره: اللهو هنا: الولد.

﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ أي: نرمي بسرعة، وهذا من مجاز التمثيل: شبّه الحقّ بالصخرة الصلبة، والباطل بالرخو وأنه قذف الصخرة على الرّخو.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي: يصيب[٥] دماغه، وذلك مهلك في البشر، فكذلك[٦] الحق يهلك الباطل.

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ خطاب للكفار أي: الخزي والهمّ.

﴿مِمَّا[٧] تَصِفُونَ﴾ أي: تصفونه ممّا لا يليق به تعالى من اتّخاذ الصاحبة والولد.

---

(١) ق: سبعا.
(٢) ق: السماوات. ص٣٨: ٢٧.
(٣) ق: الهوا.
(٤) ق: اللهو.
(٥) ق: أصاب.
(٦) ق: فلذلك.
(٧) ق: بما.

والظاهر أن قوله ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ استئناف إخبار بأن جميع العالم ملكه. وعند: [هنا] لا يراد بها ظرف المكان، لأنه تعالى منزّه عن المكان، بل المعنى: شرف المكانة وعلوّ المنزلة.

و﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ جملة [٣٧٥/ أ] حالية.

و﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ أي: لا يكلّون ولا يسأمون، وبيّنه ما بعده من قوله ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وأن من في السماوات والأرض مُلْك له، وأن الملائكة المكرمين هم في خدمته، عاد إلى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمّهم وتسفيه أحلامهم. و«أم» هنا منقطعة تتقدّر ببل والهمزة، وفيها إضراب[1] وانتقال من خبر إلى خبر، واستفهام معناه التعجب والإنكار، أي: اتخذوا آلهة من

(١) ق: فيها إضمار.

الأرض يتّصفون بالإحياء، ويقدرون عليها، وعلى الإماتة، أي: لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف، بل اتخوا آلهة جماداً، لا تتصف بالقدرة على شيء، فهي[١] غير آلهة، لأن صفة الإله المقدرة على الإحياء والإماتة.

﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ صفة لقوله «آلهة» بعد وصفه بالمجرور الذي هو «من الأرض».

والضمير في «فيهما»[٢] عائد على السماء والأرض وهما كناية عن العالم، و«إلا» صفة «لآلهة» أي: آلهة غير الله. وكون «إلاّ» يوصف بها معهود في لسان العرب، ومن ذلك ما أنشده سيبويه رحمه الله تعالى[٣]: [من الوافر]

وكـــل أخٍ مُفــارِقُــه أخــوه لَعَمْــرُ أبيـك إلا الفـرقـدانِ

أي: وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه. وقال أبو العباس المبرد في «إلا الله» أن يكون بدلاً لأنّ[٤] ما بعد «لو» غير موجب في المعنى. والبدل في غير الموجب[٥] أحسن من الوصف. والذي يظهر أن معنى الآية: وجود الفساد فيهما مترتّب[٦] على وجود الآلهة المغايرة لله. وهذا الوجود لم يقع، فلا يقع ما يترتب عليه وهو الفساد.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزّه نفسه عمّا وصفه به أهل الجهل.

---

(١) ق: فهو.
(٢) ق: فيها.
(٣) البيت لعمرو بن معدي كرب، في الكتاب ٢: ٣٣٤.
(٤) ق: بدلاً لازماً بعد.
(٥) ق: الواجب.
(٦) ق: مترتباً.

ثم وصف نفسه [بأنه مالك هذا المخلوق العظيم الذي جميع العالم هو متضمّنهم.

ثم وصف نفسه] بكمال القدرة ونهاية الحكمة فقال ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ إذ له أن يفعل في مُلْكه ما يشاء، وفِعْله على أقصى درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقّب عليه. والظاهر في قوله «لا يسأل» العموم في الأزمان.

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عن أعمالهم.

ثم كرّر تعالى عليهم الإنكار والتوبيخ فقال ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً لكفرهم. وزاد في هذا التوبيخ قوله «من دونه» فكأنه وبّخهم على قصد الكفر بالله عزّ وجل، ثم دعاهم إلى الإتيان بالحجّة على ما اتّخذوا، ولا حجّة تقوم على أنّ لله شريكاً لا من جهة العقل ولا من جهة النقل، بل كُتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه، تعالى عن الشركاء والأنداد كما في الوحي الذي جئتكم به.

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي: عظة للذين معي وهم أمتّه، وذكر للذين قبلي وهم أمم الأنبياء. والذكر هنا مراد به [الكتب] الإلهية[1]. ويجوز أن يكون «هذا» إشارة إلى القرآن، والمعنى: فيه ذكر الأوّلين والآخرين؛ فذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشّرع [٣٧٥/ب] لهم، وذكر الأولين بقصّ[2] أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم. والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي: هاتوا برهانكم فهذا برهاني في ذلك ظاهر.

---

(١) ق: إلاهية.

(٢) ق: نقص.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ[1] إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أخبر تعالى أنه ما أرسل من رسول إلاّ جاء مقرراً لتوحيد الله تعالى وإفراده بالإلهية والأمر بالعبادة. ولمّا كان «من رسول» عامّاً وكان له لفظ ومعنى أفرد على اللفظ في قوله «إلا نوحي إليه» ثم. جمع على المعنى في قوله «فاعبدون» ولم يأت التركيب: فاعبدني ويحتمل أن يكون الأمر له ولأمته.

ثمّ نزّه تعالى نفسه عما نسبوا إليه من الولد، قيل: ونزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت النصارى نحو هذا في عيسى واليهود في عزير. ثم أضرب تعالى عن نسبة الولد إليه فقال ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ تقديره: بل هم عباد مكرمون. ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيراً والمسيح.

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾المعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ فكما أن قولهم تابع لقوله، كذلك فعلهم مبني على أمره، لا يعملون عملاً مالم يُؤمروا به، وهذه عبارة عن توغّلهم في طاعته والامتثال لأمره.

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ﴾ لمّا كانوا مقهورين تحت أمره وملكوته، وهو محيط بهم، لم يجسروا [على] أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله تعالى، وأهّله للشفاعة في زيادة الثواب والتعظيم، ثم هم مع ذلك من خشيته مشفقون متوقّعون حذرون، لا يأمنون مكر الله.

وقال ابن عباس: ﴿لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ هو من قال: لا إله إلا الله، وشفاعتهم الاستغفار.

(١) ق: يوحي. وكذا في الجملة التالية بعد أسطر.

﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ﴾ بعد أن وصف كرامتهم عليه، وأثنى عليهم، وأضاف إليهم تلك الأفعال السنيّة، فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من ادّعى منهم أنه إله، وذلك على سبيل الفرض والتمثيل، مع علمه بأنه لا يكون، كقوله تعالى ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام] قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد.

«كذلك» أي: مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين، وهم الكافرون الواضعون الشيء في غير موضعه. وأداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله تعالى ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ۝٦٥﴾ [الزمر].

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ
وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ
وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ۝٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي
فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٣٣ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ۝٣٤
كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥﴾.

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ هذا استفهام توبيخ لمن ادّعى مع الله آلهة، ودلالة على تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدّم من أدلّة التوحيد.

وقوله «كانتا رتقاً» [قال الزّجاج: «السماوات» جمع أريد به الواحد، ولهذا قال «كانتا رتقاً»] لأنه أراد السماء والأرض.

قال ابن عباس وجماعة: كانتا شيئاً واحداً ففصل الله تعالى بينهما

بالهواء[١]. وقيل في الرّتق والفتق وغير ذلك. يقال: رتق الشيء: سدّه، فارتتق. ومنه الرّتقاء للمنضمّة الفرج، وفتق: فصل ما بين المتّصلين.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ إن تعدّت لواحد كانت بمعنى: وخلقنا من الماء كل حيوان، أي: مادّته النّطفة [٣٧٦/أ] وإن تعدّت إلى اثنين فالمعنى: صيّرنا كلّ شيء حيّ متسبّباً من الماء لا بدّ له منه.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام إنكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم، والمعنى: أفلا يتدبّرون هذه الأدلّة، ويعملون[٢] بمقتضاها.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ تقدّم نظيره في النّحل[٣]. والظاهر أنّ الضمير في «فيها» عائد على الأرض، وقيل على الرواسي. وجاء هنا تقديم «فجاجاً» على قوله «سبلاً» وفي سورة نوح ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح] لأجل الفواصل.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ وما رُفع وَسُمك على شيء فهو سقف.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء فقال[٤] «إن السمّاء سقف مرفوع وموج مكفوف يجري كما يجري السهم محفوظاً من الشياطين».

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ أي: عمّا وضع الله تعالى فيها من الأدلّة والعبر بالشمس والقمر وسائر النّيرات ومسائرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم

---

(١) ق: بالهوى.

(٢) ق: ويعملوا.

(٣) انظر تفسير الآية ١٥ من النحل.

(٤) رواه ابن جرير ١٧: ١٧ من حديث قتادة، بألفاظ أخر. وروى بعضه ابن كثير ٤: ٥٦١ وقال: إسناده غريب.

والترتيب العجيب الدّال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ قدّم الليل لأن الظّلمة تسبق النّور، والشمس على القمر، لأن القمر يستمد النّور منها.

﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ الفلك: الجسم الدائر دورة اليوم والليلة. وعن ابن عباس: الفلك: السماء. وقال أكثر المفسّرين: الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس [والقمر].

«كلّ في فلك» الذي حذف مضافه يجوز أن يعود الضمير عليه مفرداً كقوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء]، ويجوز أن يعود عليه[١] جمعاً كقوله تعالى ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال]. وجاء هنا بضمير الجمع في قوله «يسبحون» رعياً للفواصل. وكنّى بالسّبح عن الجريان. وجاء الضمير مجموعاً وإن كان عائداً على الشمس والقمر باعتبار أوقات مطالعهما لكثرة المطالع.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ قيل إن بعض المسلمين قال إن محمّداً لا يموت، وإنما هو مخلّد، فأنكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت[٢].

والفاء في «أفإن مت» للعطف، قدّمت عليها همزة الاستفهام، لأن الاستفهام له صدر الكلام. وهمزة الاستفهام[٣] دخلت على إنْ الشرطية والجملة بعدها جواب للشرط وليست مصبّ الاستفهام، فتكون الهمزة داخلة

(١) ق: عليها.

(٢) انظر لباب النقول ص ١٤٧.

(٣) ق: استفهام.

عليها، واعترض الشرط[١] بينهما فحذف جوابه، هذا مذهب سيبويه.

وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصبّ الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف. وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، وللمذهبين تقرير في علم النّحو.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ تقدّم الكلام عليه[٢].

﴿وَنَبْلُوكُم﴾ نختبركم.

وقدّم الشّر لأن الابتلاء به أكثر، ولأن العرب تقدّم الأقلّ والأردأ. وعن ابن عباس: الخير والشّر هنا عامّ في الغنى والفقر[٣] والصحّة والمرض والطاعة والمعصية.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم على ما صدر منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى
يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ
عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ
ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ

---

(١) ق: الشرطية.

(٢) انظر تفسير الآية ١٨٥ من آل عمران.

(٣) ق: والفقير.

بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ
تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ [٣٧٦/ ب] يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الآية، قال السُّدِّي ومقاتل: مرّ رسول الله ﷺ بأبي جهل وأبي سفيان، فقال أبو جهل: هذا [نبيّ] بني عبد مناف. فقال أبو سفيان: وما تنكر[1] أن يكون نبيّاً في بني عبد مناف؟. فسمعهما رسول الله ﷺ فقال لأبي جهل: ما تنتهي حتى ينزل بعمّك الوليد بن المغيرة، وأما أنت يا أبا سفيان فإنّما قلت ما قلته حميّة[2]، فنزلت. و«إنْ» نافية بمعنى ما. والظاهر أن جواب «إذا» هو ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [وجواب إذا بإنْ النافية لم يَرِدْ منه في القرآن إلا هذا، وقوله في الفرقان ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴿٤١﴾﴾]. ولم يُحْتَجْ إلى الفاء في الجواب كما لم تَحْتَج إليه «ما» إذا وقعت جواباً كقوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية] بخلاف أدوات الشرط، فإنها إذا كان الجواب مصدّراً بما النافية، فلا بدّ من الفاء نحو: إن تَزُرْنا فما[3] نسيء إليك.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ «أهذا» استفهام فيه إنكار وتعجّب. والذّكر يكون في الخير والشّر، فإذا لم يُذكر متعلَّقه فالقرنية تدلّ عليه؛ فإن كان من صديق فالذكر ثناء، أو من غيره فذمٌّ، ومنه ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى

---

(١) ق: ينكر.

(٢) ق: رحمة. انظر لباب العقول ص١٤٧.

(٣) ق: فلا.

يَذۡكُرُهُمۡ ۝٦٠﴾ [الأنبياء] أي: بسوء. وكذلك هنا «أهذا الذي يذكر آلهتكم». ثم نعى عليهم إنكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحاليّة وهي «وهم بذكر الرحمن هم كافرون» أي: منكرون[1]، وهذه حالهم: يكفرون بذكر الرحمن وهو ما أنزل من القرآن، فَمَن هذه حاله لا ينبغي أن ينكر على من يعيب آلهتهم. والظاهر أن الجملة حال من الضمير في: يقولون، المحذوف.

ولمّا كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى الإقرار والعلم، نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدّم أوّلاً ذمّ الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها. والظاهر أنه يراد بالإنسان هنا اسم الجنس، وكونه خلق من عجل على سبيل المبالغة لما كان يصدر منهم كثيراً كما تقول لمكثر اللعب: أنت من لعب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ فمتى: استفهام على جهة الهزء، وكان المسلمون يتوعّدونهم على لسان الشّرع. و«متى» في موضع الخبر «لهذا»، فموضعه رفع، وهو على حذف مضاف تقديره: متى إنجاز هذا الوعد.

﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الظاهر أن مفعول «يعلم» محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستبطؤوه[2]. و«حين» منصوب بالمفعول الذي هو مجيء. ويجوز أن يكون من باب الإعمال على حذف المضاف، وأعمل الثاني، والمعنى لو يعلمون مباشرة النار، حين لا يكفّونها[3] عن وجوههم. وذكر الوجه لأنه

(١) ق: ينكرون.

(٢) ق: واستنبطوا.

(٣) ق: يكفون.

أشرف ما في الإنسان ومحلّ حواسّه، والإنسان أحرص على الدفاع عنه من غيره من أعضائه. ثم عطف عليها الظهور، والمراد عموم النار لجميع أبدانهم، ولا أحد يمنعهم من العذاب. وجواب «لو» محذوف تقديره: لسَعَوْا فيما يخلّصهم من عذاب الله تعالى.

والظاهر أن الضمير في «تأتيهم»[١] عائد على النار. «بغتة» أي: فجأة.

﴿ وَلَا هُمْ[٣٧٧/ أ] يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون عمّا حلّ بهم من العذاب.

ولمّا تقدّم قوله ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنبياء] سلّاه تعالى بأنّ من تقدّمه من الرّسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم، وأن ثمرة استهزائهم جنوها إهلاكاً وعقاباً في الدنيا والآخرة، فكذلك حال هؤلاء المستهزئين. وتقدّم تفسير مثل هذه الآية في الأنعام[٢].

ثم أمره تعالى أن يسألهم: من الذي يحفظكم في أوقاتكم من بأس الله تعالى؟ أي: لا أحد يحفظكم منه، وهو استفهام تقريع وتوبيخ. وفي الكلام تقدير محذوف كأنه [قال:] ليس لهم مانع ولا كالىء. وعلى هذا النّفي تركّبت[٣] «بل» في قوله تعالى «بل هم عن ذكر ربهم معرضون».

﴿ تَمْنَعُهُم[٤] مِّن دُونِنَاۚ ﴾ أي: من جهة غير جهتنا. ويجوز أن يكون في موضع الصّفة لقوله «آلهة» أي: كائنة من جهتنا تمنعهم. لمّا ذكر نفي منع آلهتهم، ذكر أيضاً عنهم أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم ينقادون منّا

---

(١) ق: يأتيهم.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من الأنعام.

(٣) ق: تركيب.

(٤) ق: يمنعهم.

أي: يؤخذون منّا. يقال: أصحب فلاناً إذا قاده، ومنه قول الشاعر[١]:

[من المتقارب]

ولستُ بذي رَثْيَةٍ إمَّرٍ ... إذا قِيْدَ مستكرَهاً[٢] أَصْحَبا

يريد: انقاد[٣]. والرّثية: البطء في المشي. والإمَّر: الذي يطيع كلّ يؤمر.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم
بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ
عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ
وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ[٤] ﴾ الآية، قال أكثر المفسرين إنها نزلت في كفّار مكة. و«هؤلاء» إشارة إلى المخاطَبين من كفار مكّة ومن اتخذ آلهة من دون الله. أخبر تعالى أنه متّع هؤلاء الكفّار وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة وتدعّسوا[٥] في الضلالة - بإمهاله تعالى إياهم وتأخيرهم إلى الوقت الذي يأخذهم فيه.

---

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص١٢٩.

(٢) ق: مستنكرها.

(٣) ق: انقياد.

(٤) ق: وآباؤهم. وكذا في الجملة الواردة بعد.

(٥) أي بالغوا فيها.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي[١] ٱلْأَرْضَ﴾ تقدم تفسير هذه الجملة في آخر الرّعد[٢].

وفي قوله ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ دليل على أنهم هم المغلوبون، فهو استفهام فيه تقريع لهم وتوبيخ حيث لم يعتبروا بما يجري عليهم.

ثم أمره تعالى أن يقول لهم ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي: أعلمكم بما تخافون منه بوحي من الله تعالى لا من تلقاء نفسي، وما كان من جهة الله تعالى فهو الصدق الواقع لا محالة، كما رأيتم بالعيان من نقصان الأرض من أطرافها. ثم أخبر أنهم مع إنذارهم معرضون عمّا أُنذروا به، والإنذار لا يجدي فيهم إذ هم صُمٌّ عن سماعه. ولمّا كان الوحي من المسموعات، كان ذكر الصّمم مناسباً. و«الصُّم» هم المُنْذَرون، فَأَلْ فيه للعهد وناب فيه الظاهر مناب المُضْمَر لأن فيه التصريح بتصامّهم وسدّ أسماعهم إذا أُنذروا. ونفي السماع هنا هو نفي جدواه.

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الذين صمّوا عن سماع ما أُنذروا به، إذا نالهم شيء ممّا أُنذروا به، ولو كان يسيراً، نادوا[٣] بالهلاك وأقرّوا بأنهم كانوا ظالمين. نبّهوا على العلّة التي أوجبت لهم العذاب، وهو ظلم الكفر، وذلّوا وأذعنوا. قال ابن عباس: «نفحة» طرف. وعنه: هو الجوع الذي نزل بمكّة.

ولما ذكر حالهم [٣٧٧/ب] في الدنيا إذا أُصيبوا بشيء استطرد لما يكون في الآخرة التي [هي] مقرّ الثواب والعقاب، فأخبر تعالى عن عدله، وأسند ذلك إلى نفسه بنون العظمة فقال ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾. وتقدم الكلام على

(١) ق: نأت.

(٢) انظر تفسير الآية ٤١ من الرعد.

(٣) ق: نادراً.

الموازين في أول الأعراف[١]. و«القسط»[٢] مصدر وصفت به الموازين مبالغة، فكأنها جعلت في أنفسها القسط، أو على حذف مضاف أي: ذوات القسط. ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي: لأجل القسط.

وقرىء: مثقالُ، بالرفع فاعل «لكان» وهي تامّة. ومثقالَ، بالنصب على خبر «كان» واسمها مضمر تقديره: وإن كان هو أي: العمل أو الشيء. والجملة دالّة على جميع ما يفعل الإنسان من صغير وكبير، وتفسيره «بحبّة من خردل» مبالغة في التقليل. وأنّث الضمير في «بها» وهو عائد على مذكّر وهو «مثقال» لإضافته إلى مؤنث.

﴿وَكَفَىٰ[٣] بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ فيه توعّد. و«بنا» فاعل والباء زائدة نحو ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد] وهو إشارة إلى ضبط أعمالهم من الحساب وهو العدّ والإحصاء. والظاهر أنّ «حاسبين» تمييز لقبوله: مِن، ويجوز أن يكون حالاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لمّا ذكر ما آتى رسوله وحال مشركي العرب معه، ذكر[٤] ما آتى موسى وهارون إشارة إلى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا[٥] من الفرقان والضياء والذكر. ثم نبّه على ما آتى رسوله من الذكر المبارك، ثم استفهم على سبيل الإنكار على إنكارهم ما آتى رسله.

و«الفرقان» التوراة وهو الضياء والذكر، أي: كتاباً هو فرقان وضياء

---

(١) انظر تفسير الآية ٨٥ من الأعراف.
(٢) ق: والموازين.
(٣) ق: وهي.
(٤) ق: فذكر.
(٥) ق: أتوا.

وذكر. ويدلّ على هذا المعنى قراءة ابن عباس: ضياءً، بغير واو.

[واحتمل أن يكون قوله ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ استئناف إخبار عنهم وأن يكون معطوفاً على صلة «الذين»، وتكون الصلة الأولى مشعرة بالتّجدد، دائماً كأنها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا، والصلة الثانية من مبتدأ وخبر عنه بالاسم المشعر بثبوت الوصف كأنها حالتهم فيما يتعلّق بالآخرة.

ولما ذكر ما أوتي موسى وهارون عليهما السلام أشار إلى ما آتى محمداً ﷺ فقال «وهذا» أي: وهذا القرآن. «ذكر مبارك» أي: كثير منافعه غزير خيره. وجاء هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جرياً على الأشهر. «وهذا ذكر[1] [مبارك] أنزلناه» تقدم الكلام عليه في الأنعام[2].

﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ، وهو خطاب للمشركين. والضمير في «له» عائد على «ذكر» وهو القرآن، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ إذا أنكر ذلك المشركون كما أنكر أسلاف اليهود ما أنزل الله على موسى عليه السلام.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠
عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا

---

(١) ق: كتاب.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٢ من الأنعام.

بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ
فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا
يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ
يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ
ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ لمّا تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، أتبع ذلك بذكر أنبياء وما جرى لهم. كلّ ذلك تسلية لرسول الله ﷺ، وليتأسّى بهم فيما جرى عليه من قومه. وقرىء: رُشْده ورَشَده. والرّشد: الظاهر أنها النبوة، والمضاف [٣٧٨/أ] إليه «من قبل» محذوف وهو معرفة، ولذلك بني «قبل» أي: من قبل موسى وهارون. والضمير في «به» الظاهر أنّه عائد على «إبراهيم». وعلمه تعالى[١] به أنه علم منه[٢] أحوالاً عجيبة وأسراراً بديعة فأهّله لخلّته كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ[٣] ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام] وهذا من أعظم المدح وأبلغه إذ أخبر تعالى أنه آتاه الرشد، وأنه[٤] عالم بما آتاه وبه عليه السلام.

---

(١) ق: وعلمه الله تعالى.

(٢) ق: به.

(٣) ق: رسالاته.

(٤) ق: وأنا.

ثم استطرد من ذلك إلى تفسير الرشد وهو الدعاء إلى توحيد الله تعالى ورفض ما عُبد من دونه. و«إذ» معمولة «لآتينا». وبدأ اولاً بذكر أبيه لأنه الأهم عنده في النصيحة وإنقاذه من الضلال، ثم عطف عليه قومه كقوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

وفي قوله ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه [بها] وبتعظيمهم لها. وفي[1] خطابه لهم بقوله «أنتم» استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم. والتمثال: الصورة المصنوعة مشبّهة. بمخلوق من مخلوقات الله تعالى، ومنه: مثّلت الشيء بالشيء: إذا شبّهته به. وقال امرؤ القيس[2]: [من الطويل]

ويا رُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ　　　بآنسةٍ كأنها خَطُّ تمثالِ

وعكف: يتعدّى بعلى، كقوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف] فقيل «لها» هنا بمعنى: عليها، كما قيل في قوله ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء]. والظاهر أن اللّام في «لها» لام التعليل أي: لتعظيمها. وصلة «عاكفون» محذوفة أي: على عبادتها. وقيل: ضمّن «عاكفون» معنى عابدين فعدّاه باللام. ولمّا سألهم أجابوه بالتقليد البحت، وأنه فِعْل آبائهم، اقتدوا به من غير برهان. فلمّا أجابوه بما لا شبهة لهم فيه قال ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: في حيرة واضحة لا التباس فيها. وحكم بالضّلال على المقلِّدين والمقلَّدين، وجعل الضلال مستقراً[3] لهم. و«أنتم»

(١) ق: ومن.
(٢) ديوانه ص ٢٩.
(٣) ق: وجعل الضمير مستتراً.

توكيد للضمير الذي هو اسم كان.

﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ جملة معادلة للجملة التي قبلها، والمعنى: أجئتنا بالحقّ أم بغير الحق وهو اللعب.

﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾ قبلها جملة محذوفة تقديرها[1]: ليست تلك التماثيل أرباباً بل ربكم رب السماوات والأرض.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الظاهر أنه عائد على «السماوات [والأرض»].

وتخيّل ابن عطية وغيره أن الضمير في «فطرهنّ» يخصّ من يعقل.

وليس بصحيح بل هو لفظ مشترك بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۝٣٦﴾ [التوبة] والضمير عائد على [الأشهر] الأربعة الحرم. والإشارة بقوله «ذلكم» إلى ربوبيّته تعالى ووصْفَه بالاختراع لهذا العالم. و«مِن» للتبعيض أي: الذين[2] يشهدون بالربوبية كثيرون وأنا بعض منهم.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ بادرهم أولاً بالقول المنبّه على دلالة العقل ثم بالفعل الذي يقتضي تقطيع أصنامهم وفكّ أجزائها [٣٧٨/ب] فقال «وتالله لأكيدنّ». والكيد: الاحتيال في وصول الضرر إلى المكيد. والظاهر أنه خاطب بها أباه وقومه.

وقوله ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ أي: إلى عيد كان لهم يحضّرون له، وتخلّف هو عنهم لما يقصده.

---

(١) ق: تقديره.

(٢) ق: الذي.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قبله محذوف تقديره: فتولّوا إلى عيدهم وقصد هو ما كان نواه. «فجعلهم» أي: الأصنام. «جذاذاً» أي: مفكوكة الأجزاء. وقرىء: جذاذاً، بضم الجيم وكسرها. والجَذّ: القطع.

وقوله ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ استثناء [من الضمير] في «فجعلهم» أي: فلم يكسره.

قيل: وكانت الأصنام مصطفّة، وصنم منها عظيم مستقبل الباب مِن ذَهَبٍ وفي عينيه درّتان مضيئتان، فكسرها بفأس إلا ذلك الصنم وعلّق الفأس في عنقه، وقيل في يده. والضمير في «لهم» يحتمل أن يعود على الأصنام وأن يعود على عُبَّاده. والكبر هنا عظم الجثّة أو كبيراً عندهم في المنزلة لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين مضيئتين[١] بالليل والنهار. والضمير في «إليه» عائد على إبراهيم، أي: فعل ذلك ترجّياً[٢] منه، يعقب ذلك رجعة إليه وإلى شرعه.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ في الكلام محذوف تقديره: فلما رجعوا من عيدهم[٣] إلى آلهتهم، ورأوا ما فعل بها، استفهموا على سبيل البحث والإنكار فقالوا: من فعل هذا التحطيم؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقّة للتوقير والتعظيم.

﴿قَالُوا﴾ أي: قال الذين[٤] سمعوا قوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴿٥٧﴾﴾

(١) ق: جوهرتان مضيئتان.
(٢) ق: ترحيباً.
(٣) ق: عندهم.
(٤) ق: الذي.

[الأنبياء] يذكرهم بسوء.

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ يحتمل أن يكون جواباً لسؤال مقدّر؛ لمّا قالوا: سمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكَّراً، قيل: من يقال له؟ فقيل: يقال له إبراهيم. وارتفع «إبراهيم» على أنه مقدّر بجملة محكيّة[1] بـ«يقال» إما على النداء أي: يقال له[2] حين يُدعى: يا إبراهيم، وإما على خبر مبتدأ محذوف أي: هو إبراهيم، أو على أنه مفرد مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله ويكون من الإسناد للّفظ لا لمدلوله[3]، أي: يطلق عليه هذا اللفظ.

﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أحضروه بمرأى[4] منهم. «فعلى أعين الناس» في موضع الحال و«على» معناها الاستعلاء المجازي، كأنّه لتحديقهم إليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مُسْتَعْلٍ على أبصارهم. «لعلهم يشهدون» جوابه إذا سألوه عن تلك الأصنام.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا﴾ أي: الكسر والتهشيم بآلهتنا. وارتفاع «أأنت» المختار أنه بفعل محذوف يفسّره «فعلت» ولما حُذف انفصل الضمير. ويجوز أن يكون مبتدأ. وإذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب على الفعل، كان الفعل صادراً، واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه. وإذا تقدم الفعل كان الفعل مشكوكاً فيه، فاستفهم عنه: أوقع ذلك أم لم يقع.

والظاهر أن «بل» للإضراب عن جملة محذوفة أي: قال: لم أفعله -

(١) ق: محكي.
(٢) ق: لهم.
(٣) ق: للمدلوله.
(٤) ق: يمروا.

إنما الفاعل حقيقة هو الله تعالى - بل فعله كبيرهم. وأسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز [٣٧٩/ أ] لما كان سبباً في كسر هذا هذه الأصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الأصنام، كان ذلك حاملاً على تحطيمها وكسرها، فأسند الفعل إلى الكبير، إذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيمهم ما دونه.

«فاسألوهم» لا يريد حقيقة السؤال، بل ذلك على سبيل التعجيز والاستهزاء بهم كأنه قال: إن كانوا ينطقون فاسألوهم، وهم لا ينطقون فلا يصحّ السؤال.

﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: حين عبدتم ما لا ينطق ولا يصلح للعبادة.

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: ارتبكوا[١] في ضلالهم، وعلموا أن الأصنام لا تنطق، فساءهم ذلك حين نبّه على قيام الحجّة عليهم. ونكسهم كناية عن مجادلتهم ومكابرتهم[٢].

﴿ مَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ جملة منفيّة في موضع نصب متعلّق عنها الفعل الذي هو ﴿ عَلِمْتَ ﴾.

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ ﴾ لمّا ظهرت له الحجّة عليهم أخذ يقرّعهم ويوبّخهم بعبادة تماثيل، لا تنفع ولا تضرّ، ثم أبدى لهم التضجّر منهم ومن معبوداتهم. وتقدّم الخلاف في «أفّ» في سبحان[٣]. واللام في «الكم» لبيان المتأفَّف به أي: [لكم] ولآلهتكم هذا التأفف. ثم نبّههم على ما يُدرَك به حقائق الأشياء وهو العقل فقال ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: قُبْحَ ما أنتم عليه، وهو

---

(١) ق: ارتكبوا.

(٢) ق: ومكاثرتم.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٣ من الإسراء.

استفهام توبيخ وإنكار.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ الآية، «قالوا حرّقوه» أي: قال بعضهم لبعض. وقيل: أشار بإحراقه نمرود. ولمّا نبّههم على قبيح مرتكبهم وأعلمهم بإقامة الحجّة عليهم، لاذوا بالإيذاء له والغضب لآلهتهم، واختاروا له أشدّ العذاب، وهو الإحراق بالنّار التي هي سبب للإعدام المحض.

وقال ابن عطية: روي أن الذي أشار بإحراقه رجل من الأكراد من أعراب فارس أي: باديتها، فخسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل[1] فيها إلى يوم [القيامة].

وروي أنهم اتّخذوا منجنيقاً - قيل: بتعليم[2] إبليس، إذ كان لم يُصنع قبل - فشُدّ إبراهيم رباطاً ووضع في كفّة المنجنيق، ورُمي به، فوقع[3] في النار.

وروي أن جبريل عليه السّلام جاءه وهو في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا. وعن ابن عبّاس: إنما نجا إبراهيم بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ﴾ لمّا كانت النار تنفعل لما أراده الله تعالى منها كما ينفعل[4] من يعقل، عبّر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر.

﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾ المعنى: ذات برد وسلام [فبولغ في ذلك كأنّ ذاتها برد

---

(١) تجلجل في الأرض: ساخ فيها ودخل.

(٢) ق: قبل تعليم.

(٣) ق: فوق.

(٤) ق: ينفعل.

وسلام].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ قيل: هو إلقاؤه في النار.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ أي: المبالغين في الخسران، وهو إبطال ما راموه به.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ
إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ
بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ
لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت
تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ
ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ
فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا
حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾
وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ
وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

والضمير في ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ عائد على إبراهيم، وضُمّن معنى: أخرجناه بنجاتنا إلى الأرض، ولذلك تعدّى «نجيّناه» بإلى. واحتمل أن يكون «إلى» متعلقاً بمحذوف تقديره: منتهياً[1] إلى الأرض، فيكون في موضع الحال ولا

(١) ق: منها.

تضمين في «ونجيّناه» على هذا.

والأرض التي خرجا[١] منها هي كوثى[٢] من أرض العراق، والأرض التي صار لها إليها هي أرض الشام. وبركتها: ما فيها من الخصب والأشجار والأنهار وبَعْث أكثر الأنبياء منها.

وقيل أرض مصر وبركتها [٣٧٩/ب] نِيْلها وزكاة زرعها وعمارة مواضعها.

وروي أن إبراهيم عليه السلام خرج مهاجراً إلى ربّه، ومعه لوط وكان ابن أخيه، فآمنت به سارة وهي ابنة عمّه هاران الأكبر، فأخرجها معه فارّاً[٣] بدينه. وفي هذه الخرجة لقي الجبّار الذي رام أخذها منه، فنزل حرّان[٤]، ومكث بها زماناً، ثم قدم مصر، ثم خرج منها إلى الشام، فنزل السّبع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع[٥] أو أقرب فبعثه الله تعالى نبيّاً.

والنّافلة: العطيّة. «وكلاّ» يشمل من ذكر: إبراهيم ولوطاً[٦] وإسحاق ويعقوب.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يرشدون الناس إلى الدين. و«أئمة» قدوة لغيرهم. وقرىء: أئمة بتخفيف الهمزتين، وتسهيل الثانية وإبدالها محصنة.

---

(١) ق: خرجنا.
(٢) انظر الروض المعطار ص٥٠٣.
(٣) ق: ناراً.
(٤) انظر الروض المعطار ص١٩١.
(٥) ق: اليسع، في الموضعين.
(٦) ق: ولوط.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: خصصناهم بشرف النبوّة لأنّ الإيجاد هو التّنبئة.

﴿فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بدأ أولاً في الإيجاد بعامّ وهو فعل الخيرات، ثم بخاصّ وهو إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وجاء «إقام الصلاة» بغير تاء، والقياس: إقامة بالتّاء كما يقال: أطال إطالة.

قال ابن عطية: والإقام مصدر، وفي هذا نظر انتهى.

وأي: نظر في هذا، وقد نصّ سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة، وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء، وهو المقيس في مصدر أفعل، إذا اعتلّت عينه. وحسّن حذف التاء هنا مقابلته لقوله «وإيتاء» بغير تاء التأنيث.

وانتصب «ولوطاً» على الاشتغال، تقديره: وآتينا لوطاً. والحكم: النبوّة[1].

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أي: من عذاب أهل القرية، [والقرية]: سدوم. وكانت قراهم سبعاً عبّر عنها بالواحدة لاتّفاق أهلها على الفاحشة. ونسب عمل الخبائث إلى القرية مجازاً وهو لأهلها. وانتصب «الخبائث» على معنى: يعمل الأعمال أو الفعلات الخبيثة، وهي ما ذكره تعالى في غير هذه السّورة[2] مضافاً إلى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيّه عليه السلام.

﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآ﴾ أي: أهل رحمتنا، أو في الجنّة، سمّاها رحمة إذ كانت أثر الرّحمة.

ولمّا ذكر تعالى قصة [إبراهيم] عليه السلام، وهو أبو العرب، وتنجيته من أعدائه، ذكر قصّة] أبي العالم الإنسيّ، وهو الأب الثاني [لآدم] لأنه ليس

---

(١) ق: والنبوة.

(٢) انظر مثلاً هود ١١: ٧٧ - ٨٣، والشعراء ٢٦: ١٦٠ - ١٧٥.

أحد إلاّ من نسله من حام وسام ويافث. وانتصب «نوحاً» على إضمار: اذكر، أي: واذكر نوحاً، أي: قصّته إذ نادى. ومعنى ﴿نَادَىٰ﴾ دعا، مجملاً بقوله ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر] ومفصّلاً بقوله ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح].

و«الكرب» أقصى[1] الغم والأخذ بالنفس وهو هنا الغرق، عبّر عنه بأوّل أحوال [ما يأخذ] الغريق.

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ عطف على ﴿وَنُوحًا﴾. وكان داود ملكاً نبيًّا يحكم بين الناس، فوقعت هذه النازلة. وكان ابنه إذ ذاك قد كبر، وكان يجلس على الباب الذي تخرج منه الخصوم، وكانوا يدخلون إلى داود من باب آخر. فتخاصم إليه رجل له زرع، وقيل كَرْم، والحرث يقال فيهما [وهو] في الزرع أكثر وأبعد عن الاستعارة. دخلت حرثه غنم رجل، فأفسدت [عليه. فرأى داود دفعها لصاحب الحرث. فعلى أنه كَرْم رأى أنّ الغنم تقاوم ما أفسدت] من الغلّة، وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث [٣٨٠/أ] والغلّة. فخرجا على سليمان، فشكا صاحب الغنم، فجاء سليمان فقال: يا نبيّ الله، إني أرى ما هو أرفق بالجميع: أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه، ويصلحه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة، ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل، فإذا عاد الحرث إلى حاله، صرف كلٌّ ما لصاحبه إليه، فرجعت الغنم إلى ربّها والحرث إلى ربّه. فقال داود: وُفّقتَ يا بنيّ، وقضى بينهما بذلك.

والنَّفَش: رعي الماشية بالليل بغير راعٍ، والهَمَل: رعيها بالنّهار بغير راعٍ.

---

(١) ق: أنفي.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ المعنى: وكنّا للحكم الذي صدر في هذه القضية شاهدين. فإن المصدر هنا لا يراد به العلاج[1] بل يراد به وجود الحقيقة.

والضمير في ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ عائد على الحكومة أو الفتوى.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ﴾ ذكر ما امتاز به داود من سليمان عليهما السلام.

والظاهر أن ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ جملة حالية من «الجبال» أي: مسبّحات. والظاهر وقوع التسبيح منها بالنّطق، خلق الله تعالى فيها الكلام، كما سبّح الحصى في كفّ رسول الله ﷺ، وسمع الناس ذلك. وانتصب «والطير» عطفاً على الجبال. ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح. وقيل هو مفعول معه أي: يسبّحن مع الطير.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: فاعلين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهنّ والطّير لمن نختصّه[2] بكرامتنا.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: لم قدّمت «الجبال» على «الطير»؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة، لأنها جماد، والطير حيوان [إلا أنه غير] ناطق انتهى. قوله: حيوان ناطق[4]، إن عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حدّ الإنسان إنه حيوان ناطق، فيلزم أن يكون الطير إنساناً، وإن عنى به أنه متكلّم كما يتكلّم الإنسان فليس بصحيح، وإنّما عنى به أنه مصوّت أي: ليس له صوت. ووصف الطير بالنّطق مجاز لأنها في

(١) ق: بل العلاج.
(٢) ق: يختصّه.
(٣) الكشاف ٢: ٥٨٠.
(٤) بطل كلام المصنّف بردّ ما سقط من عبارة الزمخشري كما وردت في الكشاف.

الحقيقة لا نطق لها.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ اللّبوس: الملبوس، فَعول بمعنى مفعول كالرَّكوب بمعنى المركوب، وهو الدّرع هنا. واللَّبوس: ما يُلبس، وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

عليها أسودٌ ضارياتٌ لَبوسهم سوابغُ بيضٌ لا تخرّقها النَّبلُ

امتنّ تعالى عليه بإيتائه حكماً وعلماً وتسخير الجبال والطير معه وتعلّم صنعة اللّبوس، وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى.

ثم امتنّ علينا[2] تعالى بقوله ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتكون[3] وقاية لكم في «حربكم» وسبب نجاة من عدوّكم. وقرىء بالنون والتاء والياء؛ فالنون ضمير لله تعالى، وبالتاء عائد على الدّروع[4]، وبالياء عائد على اللّبوس.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ استفهام يتضمّن الأمر، أي: اشكروا الله على ما أنعم عليكم [٣٨٠/ب] كقوله تعالى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة] أي: انتهوا عمّا حرّم الله تعالى.

ولمّا ذكر تعالى ما خصّ به نبيّه داود، ذكر ما خصّ به ابنه سليمان، فقال ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الرّيح لسليمان باللام،

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ص١٠٣..
(٢) ق: عليه.
(٣) ق: ليحصنكم.. ليكون.
(٤) ق: الزّروع.

وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ «مع» فقال ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ ۝٧٩﴾ [الأنبياء] وكذا ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ۝١٠﴾ [سبأ] وقال ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ ۝٣٦﴾ [ص] وذلك أنه لمّا اشتركا في التسبيح ناسب ذكر «مع» الدالّة[1] على الاصطحاب.

ولمّا كانت الرّيح مسخّرة[2] لسليمان أضيفت إليه[3] بلام التمليك، لأنها في طاعته وتحت أمره. و«عاصفة» حال، العامل فيها «سخّرنا». ويقال: عصفت الرّيح فهي عاصف وعاصفة. ولغة أسد: أعصفت فهي مُعْصِف ومُعْصِفة[4]. ووصفت هذه الرّيح بالعصف وبالرّخاء. والعصف: الشدة في السير، والرخاء: اللّين. فقيل: كان ذلك بالنسبة إلى الوقت الذي يريد فيه سليمان أحد الوصفين، فلم يتّحد الزمان، وقيل: الجمع بين الوصفين كونها رخاء في نفسها طيبة كالنسيم، عاصفة في عملها تبعد في مدة يسيرة كما قال تعالى ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۝١٢﴾ [سبأ]. وقيل: الرخاء في البداءة والعصف بعد ذلك.

ولما ذكر تعالى تسخير الرّيح له، وهي[5] جسم شفّاف لا يعقل، وهي لا تُدْرَك بالبصر، ذكر تسخير الشياطين له، وهم أجسام لطيفة تعقل. والجامع بينهما أيضاً سرعة الانتقال؛ ألا ترى إلى قوله ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ۝٣٩﴾ [النمل]. و«مَنْ» في موضع نصب أي: وسخّرنا من الشياطين مَنْ يغوصون،

---

(١) ق: للدلالة الدالّة.

(٢) ق: مستخدمة.

(٣) ق: إليها.

(٤) انظر الصحاح: عصف.

(٥) ق: وهو.

أو في موضع رفع على الابتداء والخبر في الجار والمجرور قبله. وجمع الضمير في قوله «يغوصون» حملاً على معنى «مَن»، وحسّن ذلك تقدُّم جمعٍ قبله. ومعنى «يغوصون» أي: في البحار لاستخراج اللآلىء. ودلّ الغوص على المغاص فيه وعلى ما يُغاص، لاستخراجه وهو الجوهر. ومعنى «له» أي: لسليمان، لأنّ الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره، فذكر أن الغوص ليس لأنفسهم، إنما هو لأجل سليمان وامتثالهم أمره. والإشارة «بذلك» إلى الغوص، أي: ودون الغوص من بناء المدائن والقصور وغير ذلك كما قال تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]. وقيل: الحمّام والنُّورة[1] والطاحون والقوارير والصابون من استخراجهم.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ﴾ أي: من أن يزيغوا عن أمره أو يبدّلوا أو يغيّروا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخّرون فيه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ
ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ
سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ
زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ

(١) النُّورة: أخلاط تستعمل لإزالة الشَّعَر.

وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ الآية، روي أن أيوب كان روميًّا من ولد إسحاق بن يعقوب، استنبأه[1] الله، وبسط عليه الدنيا، وكثر أهله وماله، فابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه.

﴿وَذَا[2] ٱلۡكِفۡلِ﴾ قيل: كان عبداً صالحاً ولم يكن نبيّاً. وقال الأكثرون: هو نبيّ.

﴿وَذَا[3] ٱلنُّونِ﴾ النون: الحوت [٣٨١/أ] وذو بمعنى صاحب، كما قال تعالى ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴿١﴾﴾ [القلم]. وانتصب مغاضباً على الحال فقيل: معناه غضبان، وقيل مغاضباً لقومه، أغضبهم بمفارقته وتخوّفهم[4] حلول العذاب، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله تعالى مدة، فلم يجيبوه، فأوعدهم بالعذاب، ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله تعالى له في الخروج.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: نضيق عليه، من القَدْر لا من القدرة.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ[5]﴾ في الكلام جمل محذوفة، قد أوضحت في سورة

---

(١) ق: استنابه.

(٢) ق: وذو.

(٣) ق: وذو.

(٤) ق: ويخوّفهم.

(٥) ق: الظلمة.

الصافات[١]. وجمع «الظلمات» لشدة تكاثفها، فإنها ظلمة مع ظلمة. وقيل: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل.

وروي أن يونس عليه السلام سجد في بطن الحوت قيل: سمع تسبيح الحيتان في قعر الماء ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ «أنْ» تفسيرية لأنه سبق فنادى وهو فيه معنى القول، ويجوز أن يكون التقدير: بأنّه[٢]، فتكون مخفّفة من الثقيلة. حصر الألوهيّة فيه تعالى، ثم نزّهه عن سمات النّقص، ثم أقرّ بما بعد ذلك. وعن النبي ﷺ[٣] «ما من مكروب يدعو بهذا الدّعاء إلاّ استُجيب له».

و«الغم» ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقائه في بطنه.

«وزكريا» تقدّم الكلام عليه في آل عمران[٤].

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ روي أنها كانت سيئة الخلق فحسّن الله خلقها. والضمير في «إنهم» عائد على زكريا ويحيى والزوجة.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: وقت الرغبة ووقت الرهبة.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام. والظاهر أن الفرج هنا حياء المرأة، أحصنته: أي منعته من الحلال والحرام. وقيل: الفرج أيضاً جيب قميصها. وأضاف الروح إليه تعالى على جهة

---

(١) انظر الآيات ١٣٩ وما بعدها من الصافات.

(٢) ق: فإنه.

(٣) أخرجه الترمذي ٩: ١٧١ من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه.

(٤) أخرجه تفسير ٣٧ من آل عمران.

التشريف. وأفرد «آية» لأنّ حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادة مريم عيسى عليه السلام من غير فحل، وإن كان في مريم آيات وفي عيسى آيات، لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر، وذلك هو آية واحدة.

قال الزمخشري(١): فإن قلت: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه(٢) - قال الله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر] أي: أحييتُه - وإذا ثبت ذلك كان قوله ﴿فَنَفَخْنَا(٣) فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم. قلت: معناه نفخنا الروح في عيسى فيها، أي: أحييناه في جوفها. ونحو ذلك أن يقول الزّمار: نفخت في بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته انتهى.

لا إشكال في ذلك، لأنه على حذف مضاف أي: فنفخنا في ابنها من روحنا. وقوله: قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها، استعمل نفخ متعدّياً. والمحفوظ أنه لا يتعدّى فيحتاج في تعديته إلى سماع. وغير متعدٍّ استعمله هو في قوله: أي نفخت في المزمار [٣٨١/ب] في بيته.

وقوله(٤) ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: لمن اعتبر بها من عالمي زمانهم فمن بعدهم. وناسب ذكر قصة زكريا وزوجه ويحيى للقرابة التي بينهم، قال الشاعر(٥): [من الطويل]

---

(١) الكشاف ٢: ٥٨٢.

(٢) ق: إحياء.

(٣) ق: ونفخنا.

(٤) كرر الناسخ العبارات الواقعة بين قوله «في بيته انتهى» وقوله «في بيته وقوله».

(٥) البيت لعمرو الجنبي في الكتاب ٢: ٢٦٦، وفي الخصائص ٢: ٣٣٣.

ألا ربّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ

يريد عيسى وآدم عليهما السلام.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ
أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ
مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن
كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ الآية، الظاهر أن قوله «أمتكم» خطاب لمعاصري رسول الله ﷺ. و«هذه» إشارة إلى ملّة الإسلام، أي: أن ملّة الإسلام هي ملّتكم التي يجب أن تكونوا عليها، لا تنحرفون عنها، ملة واحدة غير مختلفة.

﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ أخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطّعوا أمرهم. والضمير في «وتقطّعوا» عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات أي: وتقطّعتم. ولمّا كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات، عدل عن الخطاب إلى الغيبة، كأنّ هذا الفعل ما صدر من المخاطَب، لأنّ في الإخبار عنهم بذلك نعياً[1] عليهم ما أفسدوه، وكأنه يخبر غيرهم

(١) ق: بغياً.

بما[١] صدر منهم من قبيح فعلهم ويقول[٢]: ألا ترى إلى ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى؛ جعلوا أمر دينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء، لهذا نصيب[٣]، ولهذا نصيب، تمثيلاً لاختلافهم. ثم توعّدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة إلى جزائه[٤].

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ ذكر حال المحسن وأنه لا يُكفر سعيه. والكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه، إذ[٥] قيل لله: شكور. ولا: لنفي الجنس، فهو أبلغ من قوله: فلا نكفر سعيه. والكتابة عبارة عن إثبات عمله في صحيفة الأعمال، ليثاب عليه، ولا يضيع.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ استُعيرَ الحرامُ للممتنعِ وجودُه.

ومعنى ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ قدّرنا إهلاكها على ما هي عليه من الكفر، فالإهلاك هنا إهلاك عن كفر. و«لا» في ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ زائدة، أي: لا يرجعون إلى الإيمان، كقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف]. والمعنى: وممتنع على أهل قرية قدّرنا عليهم إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقوم القيامة، فحينئذ يرجعون ويقولون ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

(١) ق: ما.

(٢) ق: وتقول.

(٣) ق: انتصب.

(٤) ق: جزيه.

(٥) ق: إذا.

وغيّا[١] بما قرّب من مجيء الساعة، وهو فتح يأجوج ومأجوج. ويأجوج تقدّم الكلام عليه[٢]. والضمير في «وهم» عائد على «يأجوج ومأجوج».

﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ أي: من الأماكن المرتفعة. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يتساقطون ويسرعون.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الوعد بالبعث. «الحق» الذي لا شكّ [٣٨٢/أ] فيه. والفاء جواب «إذا» السابقة. و«إذا» الفجائية، و«هي» ضمير القصّة، مبتدأ. و«أبصار» مبتدأ و«شاخصة» خبره. والجملة خبر عن ضمير القصّة.

وقال الزمخشري[٣]: «هي» ضمير مبهم يوضّحه الأبصار، ويفسّره كما فسّره ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ [الأنبياء: ٣] انتهى.

لم يذكر غير هذا الوجه وهو قول الفرّاء.

﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: ممّا وجدنا الآن وتبيّنّا من الحقائق. ثم أضربوا عن قولهم «قد كنا في غفلة» وأخبروا بما كانوا قد تعمّدوه من الكفر والإعراض عن الإيمان فقالوا «بل كنا ظالمين».

والخطاب بقوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ للكفار المعاصرين رسول الله ﷺ ولا سيّما أهل مكة. ومعبوداتهم هي الأصنام. والحَصَب: ما يُحصب به، أي: يُرمَى به في نار جهنم.

﴿أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: للنار.

---

(١) أي: علّق وربط.
(٢) انظر تفسير الآية ٩٤ من الكهف.
(٣) الكشاف ٢: ٥٨٤.

﴿وَارِدُونَ﴾ الورود هنا ورود دخول.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الأصنام التي تعبدونها . ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ أي: ما دخلوها. ﴿وَكُلٌّ فِيهَا﴾ أي: كلّ من العابدين ومعبوداتهم.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ الزفير: صوت نَفَس[1] المغموم، يخرج من وسط القلب. والظاهر أن الزّفير إنما يكون ممّن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون، ممّن يدّعي الإلهيّة، كفرعون وغلاة الإسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد الله أوّلِ ملوكهم. ويجوز أن يجعل الله للأصنام التي عُبدت حياة، فيكون لها زفير.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يسمعون ما يسرّهم، بل يسمعون كلام من يتولّى عذابهم من الزّبانية، كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۝٩٧﴾ [الإسراء].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا
يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ
ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ
تُوعَدُونَ ۝١٠٣ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ
خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ
بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا
لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ۝١٠٦ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٨ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ
ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ

(١) ق: النفس.

ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ
وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا
تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية، سبب نزول «إن الذين سبقت» قول ابن الزبعرى حين سمع ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء]، لرسول الله ﷺ: قد خصمتك ورب الكعبة؛ أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل هم عبدوا الشياطين التي أمرَتْهم[1] بذلك. فأنزل الله الآية[2]. و«الحسنى» الخصلة المفضّلة في الحُسْن، تأنيث الأحسن[3]، إما السّعادة وإما البشرى بالثواب.

والحسيس: الصوت الذي يُحَسّ من حركة الأجرام. والشهوة: طلب النفس اللذة.

و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ عامّ في كل هول يكون يوم القيامة.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالسلام عليهم. وعن ابن عباس: تتلقّاهم الملائكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بالكرامة والثواب والنعيم فيه.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ المعنى: طيًّا مثل طيّ السجلّ.

---

(١) ق: أمرهم.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٠٦.

(٣) ق: الإحسان.

قال الزمخشري[١]: العامل في «يوم» من قوله «يوم نطوي» «الفزع» انتهى.

المعنى ليس بجائز لأن «الفزع» مصدر [٣٨٢/ب] وقد وصف قبل أخذ[٢] معموله، فلا يجوز ما ذكر. والعامل فيه: اذكر، مقدّرةً، التقدير: واذكر يوم نطوي. وطيّ: مصدر مضاف إلى المفعول، أي: ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة. والظاهر أن الكاف ليست مكفوفة بل هي جارّة، و«ما» بعدها مصدريّة ينسبك منها مع الفعل مصدر هو في موضع جرّ بالكاف. و«أول خلق» مفعول «بدأنا» والمعنى: نعيد أول خلق إعادةً مثل بدأتنا له[٣]، أي: كما أبرزناه من العدم إلى الوجود، كذلك نعيده من العدم إلى الوجود. وانتصب «وعداً» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تأكيد لتحتّم الخبر، أي: نحن قادرون على أن نفعل.

و«الزبور» الظاهر أنه زبور داود. وقيل: الزبور يعمّ الكتب المنزلة. و«الذكر» اللوح المحفوظ. و«الأرض» قال ابن عباس: هي أرض الجنّة كما قال تعالى ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر].

والإشارة في قوله «إن في هذا» إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة. «لبلاغاً» كفايةٌ يُبلغ بها إلى الخير، وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم.

و«للعالمين» قيل خاصّ بمن آمن به، وقيل عامّ. وكونه رحمة للكافرين حيث أخّر عقوبتهم، ولم يستأصل الكفّار بالعذاب.

---

(١) الكشاف ٢ : ٥٨٥.

(٢) ق: أحد.

(٣) ق: مثل به أمثاله.

قال [ابن عباس] عوفي مما أصاب غيرهم من الأمم من مسخ وخسف وغرق وقذف، وأخّر أمره إلى الآخرة.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون معناه: وما أرسلناك للعالمين إلا رحمة، أي: هو رحمة في نفسه وهدى بيّن، أخذ به من أخذ، وأعرض عنه من أعرض انتهى.

لا يجوز على المشهور أن يتعلّق الجار بعد إلاّ بالفعل قبلها إلا أن يكون العامل مفرّغاً له نحو: ما مررت إلا بزيد.

قال الزمخشري[1]: «إنما» لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم، كقولك[2]: إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأنّ «إنما يوحى إلي» مع فاعله[3] بمنزلة: إنما يقوم [زيد]، و«أنما إلٰهكم إله واحد» بمنزلة: إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعهما الدّلالة على أن الوحي إلى رسول الله ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية انتهى.

أمّا ما ذكره في «إنما» أنها لقصر ما ذكر، فهو مبني على أن «إنّما» للحصر، وقد قررنا أنها لا تكون للحصر، وأنّ مع إنّ كهي مع كأنّ ومع لعلّ، فكما أنها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجّي، فكذلك لا تفيده مع إنّ. وأما جعله «أنما» المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدلّ على القصر، فلا نعلم الخلاف إلا في إنّما بالكسر، وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر، فالجملة بعدها ليست جملة مستقلّة. ولو

(١) الكشاف ٢: ٥٨٦.

(٢) ق: كقوله.

(٣) لأن إنما يوحى إلي مع فاعله: مكررة في ق.

كانت أنّما دالّة على الحصر، لزم أن يقال إنه لم يُوْحَ إليه شيء إلا التوحيد، وذلك لا يصحّ فيه [٣٨٣/أ] إذ قد أوحي إليه أشياء غير التوحيد.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهام يتضمّن الأمر بإخلاص التوحيد والانقياد إلى الله تعالى.

﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم، وتتضمّن معنى التحذير والنّذارة.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ لم أخصّ أحداً دون أحد. وهذا الإنذار هو إعلام بما يحلّ بمن تولّى من العذاب وغلبة الإسلام، ولكني لا أدري متى يكون ذلك. و«إن» نافية، و«أدري» معلّقة. والجملة الاستفهامية في موضع نصب «بأدري». وتأخّر المستفهَم عنه لكونه فاصلة، إذ لو كان التركيب: أقريب ما توعدون أم بعيد، لم تكن فاصلة. وكثيراً ما يرجح الحكم في الشيء لكونه فاصلة آخر آية. والمعنى أنه تعالى لم يعلمني علمه، ولم يطلعني عليه، والله تعالى هو العالم الذي لا يخفى عليه شيء. و«ما» في قوله «ما توعدون» فاعل «بقريب» تقديره: أيقرب ما توعدون أم يبعد.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾ أي: لعلّ تأخير هذا الوعد امتحان لكم لننظر كيف تعملون، أو متاع[1] لكم إلى حين ليكون ذلك حجّة وليقع الموعد في وقت هو حكمه. و«أدري» هنا معلّقة أيضاً. وجملة التّرجي هي مصبّ الفعل. والكوفيون يُجْرون لعلّ مجرى هل؛ فكما يقع التعليق عن هل فكذلك عن لعلّ. وقد ذهب إلى ذلك أبو علي الفارسي، وإن كان [ذلك] ظاهراً فيها كقوله تعالى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى]. وقيل ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى يوم القيامة.

---

(١) ق: لمبيع.

﴿قَٰلَ[١] رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ قرىء: قل، على الأمر، وقال، على الخبر. وهو من باب الالتفات، انتقل من ضمير المتكلّم في «أدري» إلى ضمير الغائب في «قال». و«ربّ» منادى مضاف تقديره: يا ربّ. وقرىء: احكم، على الأمر. وقرىء بإسكان الياء في: ربّي أَحْكَمُ، جعله أفعل التفضيل. فربّي[٢] أحكم: مبتدأ وخبر. وقرىء: أَحْكَمَ، فعلاً ماضياً. وقرأ الجمهور: تصفون، بتاء الخطاب. وروي أن النبي ﷺ قرأ على أبيّ: ما[٣] يصفون، بياء الغيبة.

---

(١) ق: قل.

(٢) ق: فربّ.

(٣) ق: بما.

سورة الحج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ
تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ
حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ
عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن
كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن
مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۢ
بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ٧ ﴾.

هذه السورة مكّية إلا «هذان خصمان» إلى تمام ثلاث آيات[2]، قاله ابن عباس. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر حال الأشقياء والسعداء، وذكر

(١) مكّية وهي ثمان وسبعون آية.

(٢) الآيات ٩-١٢.

الفزع الأكبر وهو ما يهول يوم القيامة - وكان[١] مشركو مكة قد أنكروا المعاد، وكذّبوه بسبب تأخر العذاب عنهم - نزلت هذه السورة تحذيراً لهم وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدّة هولها، وذِكْر ما أعدّ لمنكريها، وتنبيههم[٢] على البعث بتطويرهم في خلقهم وبهمود الأرض واهتزازها بعدُ بالنبات. والظاهر أن قوله «يا أيها الناس» عامّ. ونبّه تعالى على سبب اتّقائه وهو ما يؤولون إليه من أهوال الساعة، وهو على حذف [مضاف] أي: اتقوا عذاب ربكم.

والزلزلة: الحركة المزعجة وهي عند النفخة [الأولى] وأضيفت إلى الساعة، لأنها من أشراطها. والمصدر [٣٨٣/ب] مضاف للفاعل، والمحذوف المفعول وهو الأرض، ويدلّ عليه قوله ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]. و«شيء» هنا يدلّ على إطلاقه على المعدوم، لأن الزلزلة لم تقع بعد.

وذكر تعالى أهول[٣] الصفات في قوله ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ الآية، لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم، ويتصوّروها[٤] بعقولهم، ليكون ذلك حاملاً على تقواه تعالى؛ إذ لا نجاة من تلك الشدائد إلا بالتقوى. وروي أنّ هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقرأهما رسول الله ﷺ فلم يُرَ[٥] أكثر باكياً من تلك الليلة. فلما أصبحوا، لم يحطّوا السّروج عن الدواب،

(١) ق: وكانوا.

(٢) ق: وينبيهم.

(٣) ق: أهوال.

(٤) ق: وتصوّرها.

(٥) ق: نر.

ولم يضربوا الخيام وقت النزول، ولم يطبخوا قدراً، وكانوا بين[1] حزين وباكٍ ومفكّر. والناصب «ليوم» «تذهل». والظاهر أن الضمير المنصوب في «ترونها» عائد على الزلزلة، لأنّها المحدَّث عنها، ويدلّ على ذلك وجود ذهول المرضعة ووضع الحمل. هذا إذا أريد الحقيقة وهي الأصل، ويكون ذلك في الدنيا. وقيل: الضمير يعود على «الساعة» فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم، ولا ذهول ولا وضع [هناك] كقولهم: يوم يشيب فيه الوليد. وجاء بلفظ «مرضعة» دون مرضع، لأنه أريد به الفعل لا النّسب، بمعنى ذات رضاع، وقال الشاعر[2]: [من الطويل]

كمـرضعـة أولاد أخـرى وضيّعـت بني بطنها هذا الضّلال عن القصد

والظاهر أن «ما» [في قوله «عن ما] أرضعت» بمعنى الذي، والعائد محذوف أي: أرضعته، ويقوّيه تعدّي «وتضع» إلى المفعول به في قوله «حملها» [لا] إلى المصدر.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ قرىء: سكارى، وهو جمع سكران كعجلان وعُجالى. وقرىء: سَكْرى. والصحيح أنه جمع. حكى سيبويه: رجل سَكِر، فيجمع على سَكْرى كزَمِن وزَمْنى. أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه، ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر، وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل. وجاء هذا الاستدراك بالإخبار عن عذاب الله أنه شديد، لمّا تقدّم ما هو بالنسبة إلى العذاب كالحالة الليّنة الهيّنة، وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى، وكأنه قيل: وهذه أحوال هيّنة، ولكن عذاب الله.

---

(١) ق: من بين.

(٢) البيت في شرح ديوان الحماسة ٢: ٧٣٦ للعُديل بن الفرخ العجلي.

شديد، ليس بهيّن ولا ليّن، لأن «الكنّ» لا بدّ أن تقع بين متنافيين بوجهٍ ما.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ ﴾ أي: في قدرته وصفاته. قيل: نزلت[١] في أبي جهل وقيل في النّضر، وكان جَدِلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا يقدر الله تعالى على إحياء من بلي وصار تراباً. والآية عامّة في كلّ من تعاطى الجدال، فيما يجوز[٢] على الله تعالى، وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا برهان ولا نَصَفَة[٣].

والظاهر أن قوله ﴿ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ هو من الجن كقوله ﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء].

والظاهر أن الضمير في «عليه» عائد على «مَن» لأنه المحدَّث عنه، وفي «أنه» [٣٨٤/أ] و«تولاّه» وفي «فأنه» عائد عليه أيضاً. والفاعل في تولّى[٤] ضمير «مَن» وكذلك الهاء في «يضلّه».

قال الزمخشري[٥] في «أنه من تولاّه فأنه يضلّه ويهديه»: مَن فَتَح، فلأنّ الأول فاعل «كُتب» - يعني به مفعولاً لم يُسمّ فاعله -. قال: والثاني عطف عليه انتهى.

هذا لا يجوز، لأنك إذا جعلت «فأنه» عطفاً على «أنّه» بقيت[٦] «أنه» بلا

(١) انظر لباب النقول ص١٤٨.
(٢) ق: فيما لا يجوز.
(٣) ق: ولا بصفة.
(٤) ق: يتولّى.
(٥) الكشاف ٣: ٥.
(٦) ق: يعنب.

استيفاء خبر، لأنّ «من تولاه» «من» فيه مبتدأة، فإن قدّرتها موصولة فلا خبر لها حتى تستقلّ[١] خبراً «لأنه». وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها إذ[٢] جعلت «فأنه» عطفاً على «أنه»[٣].

ومثل قول الزمخشري قال ابن عطية، قال: و«أنه» في موضع رفع على المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، و«أنه» الثانية عطف على الأولى مؤكدة مثلها.

وهذا خطأ لما بيّنّاه.

الظاهر أن ذلك من إسناد «كتب» إلى الجملة إسناداً لفظياً، أي: كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كُتب أن الله يأمر بالعدل.

قال الزمخشري[٤]: أو على تقدير: قيل، أو على أن «كتب» فيه معنى القول انتهى.

أما الأول وهو على تقدير: قيل: يعني فيكون «عليه» في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله [«لكتب» والجملة من «أنه من تولاه» في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله] لقيل مقدَّرة، وهذا لا يجوز عند البصريين، لأن الفاعل عندهم لا يكون جملة، فلا يكون ذلك مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله.

وأما الثاني فلا يجوز أيضاً على مذهب البصريين، لأنه لا تكسر[٥] أنّ بعد ما هو بمعنى القول بل بعد القولِ صريحِهِ فاعرفه!.

(١) ق: يستقل.
(٢) ق: إذا.
(٣) ق: فأنه.
(٤) الكشاف ٣: ٥.
(٥) ق: يكسر.

ولمّا ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله تعالى بغير علم، وكان جدالهم في الحشر والمعاد، ذكر دليلين واضحين على ذلك: أحدهما في نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوره في مراتب[١] سبع، وهي التراب والنّطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشُدّ والتوفّي ورذالة العمر، والثاني في الأرض التي يشاهدون تنقّلها من حال إلى حال.

فإذا اعتبر العاقل بذلك ثبت عنده وعلم أنه واقع لا محالة.

العلقة: قطعة[٢] من الدم الجامد. والمضغة: اللحمة الصغيرة قدر ما يُمضَغ. والمخلّقة: المسوّاة الملساء لا نقص ولا عيب، يقال: خلق السواك والعود: سوّاه وملّسه، من قولهم: صخرة خلقاء أي: ملساء.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ بهذا التّدريج قدرتنا وأنّ من قدر على [خلق] البشر أولاً من تراب، ثم من نطفة ثانياً - ولا تناسب بين التراب والماء - وقدر على أن يجعل النطفة علقة - وبينهما تباين ظاهر - ثم يجعل[٣] العلقة مضغة - قدر على إعادة ما أبدأه، بل هذا أدخل في القدرة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وهو وقت الوضع. وما لم نشأ إقراره، مَجَّته الأرحام وأسقطته[٤].

ومعنى ﴿نُخۡرِجُكُمۡ﴾ نخرج كل واحد منكم كقولك: الرجال يشبعهم رغيف، أي: يشبع كل واحد منهم رغيف. واللام في ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ﴾ تتعلق

(١) ق: مرات.
(٢) ق: نطفة.
(٣) ق: نجعل.
(٤) ق: أو أسقطته.

بمحذوفٍ تقديره: يستمر عمركم لتبلغوا. والأَشدّ: تقدم الكلام عليه في «يوسف»[١].

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي: يستوفي أجله أي بعد الأشُدّ وقبل الهرم، وهو أرذل العمر والخرف. [٣٨٤/ب] «لكيلا» يتعلق بـ«يردّ» وكي ناصبة بنفسها، أي: ليصير نسّاءً بحيث إذا اكتسب[٢] علماً في شيء لم ينشب أن ينساه، ويزلّ عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته. «وترى الأرض هامدة» هذا هو الدليل الثاني الذي تضمَّنَتْه والدليل الأول الآيةُ.

ولما كان الدليل الأول بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئي، قال ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ فلم يُحِلْ في جميع رتبه على الرؤية، ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهداً للأبصار، أحال على الرؤية فقال «وترى» أي: أيّها السامع أو المجادل. «هامدة» أي: يابسة لا نداوة فيها ولا رطوبة في شيء منها. ولظهوره تكرر هذا الدّليل في القرآن. و«الماء» ماء المطر والأنهار والعيون والسواقي. واهتزازها: تخلخلها واضطراب بعض أجسامها لأجل خروج هذا النبات. «وربت» أي: زادت وانتفخت. «من كل زوج» أي: صنف. «بهيج» أي: رائق للعين حسن المنظر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطوّرهم[٣] في تلك المراتب، ومن إحياء الأرض، حاصل بهذا وهو حقيقته تعالى، فهو الثابت الموجود القادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور، وقد وعد[٤]،

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من يوسف.

(٢) ق: لسبب.

(٣) ق: وبظهورهم.

(٤) ق: وقد وقع وعدنا بالبعث.

وهو قادر عليه، فلا بدّ من كيانه[١].

وقوله ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ [توكيد لقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾. والظاهر أن قوله «وأن الساعة آتية»] ليس داخلاً في سبب ما تقدّم ذكره، فليس معطوفاً على «أنه» التي تليه، فيكون على تقدير: والأمر أنّ الساعة. و«ذلك» مبتدأ، و«بأنّ» الخبر.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ
عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ
ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ
خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن
نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ
هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن
يُرِيدُ ١٦﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ الآية، الظاهر أن المجادل في هذه الآية غير المجادل في الآية قبلها[٢]؛ فعن محمد بن كعب أنها نزلت في الأخنس بن شريق. وعن ابن عباس أنها نزلت في أبي جهل.

---

(١) ق: مكانه.

(٢) الآية الثالثة المتقدمة.

قال ابن عطية: وكرر هذا على جهة التوبيخ، فكأنه يقول: هذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان، ومن الناس مع ذلك من يجادل، فكأنّ الواو واو الحال. والآية المتقدمة، الواو فيها واو عطف، عطفت[1] جملة الكلام على ما قبلها. والآية على معنى الإخبار وهي هنا مكررة للتوبيخ انتهى.

لا يُتخيّل أن الواو في «ومن الناس من يجادل» واو حال. وعلى تقدير الجملة التي قدّرها قبله لو كان مصرّحاً بها لم تتقدّر بإذ، فلا تكون للحال وإنما هي للعطف: قسم المجادلين[2] إلى مجادل في الله بغير علم متّبع لكل شيطان[3] مريد، ومجادل أيضاً بغير علم [ولا هدى] ولا كتاب منير إلى آخره، وعابدٍ ربّه على حرف.

والمراد بالعلم العلم الضروري، وبالهدى: الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة، وبالكتاب المنير: الوحي، أي: يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة.

وانتصب «ثاني عطفه» على الحال من الضمير المستكنّ في «يجادل». قال ابن عباس: متكبراً. وقال مجاهد: لاوياً[4] عنقه. و«ليضل» متعلق بـ«يجادل». والخزي في الدنيا: ما لحقه يوم بدر من الأسر والقتل والهزيمة. وقد أسر النّضر[5]، وقتل يوم بدر بالصفراء. والحريق: قيل طبقة [٣٨٥/أ]

(١) ق: عطف.

(٢) ق: المجدولين.

(٣) ق: متّبع لشيطان.

(٤) ق: لاوٍ على عنقه.

(٥) ق: النفر. والنضر هو ابن الحارث.

من طباق جهنم، وقد يكون من إضافة الموصوف إلى صفته[١]، أي: العذاب الحريق أي: المحرق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الخزي والإذاقة. ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: باجترامك وبعدل الله تعالى فيك. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ تقدّم [الكلام عليه][٢].

﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ قيل: نزلت[٣] في أعرابٍ من أسلم وغطفان، تباطؤوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف ألّا يُنصر[٤] محمد، فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود، فلا يَقْرونا، ولا يُؤْوونا.

وقال ابن عطية: «على حرف» على انحراف منه عن العقيدة البيضاء.

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفى هنا الضّرر والنفع، وأثبتهما في قوله ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ وذلك لاختلاف المتعلّق، وذلك أن قوله ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ هو الأصنام والأوثان، ولذلك أتى التعبير عنها «بما» التي لا تكون لآحاد من يعقل، وفي الثاني «بمَن» التي هي لمن يعقل. وعلى هذا فتكون الجملتان من إخبار الله تعالى عمّن يدعو إلهاً غير الله تعالى.

وذكروا في إعراب «يدعو» وجوهاً ذكرت في البحر[٥]. والذي نختاره أن مفعول «يدعو» محذوف تقديره: يدعو غير الأصنام ممّن يعقل، ثم أخبر عن هذا المدعوّ بقوله «لمن ضرّه» فاللام لام الابتداء، و«مَن» موصولة، و«ضَرُّه

(١) ق: الصفة إلى موصوفها.
(٢) انظر تفسير الآية ١٨٢ من آل عمران.
(٣) انظر أسباب النزول ص٢٠٦، ولباب النقول ص١٤٨.
(٤) ق: نصر.
(٥) انظر ٦: ٣٥٦.

أقربُ من نفعه» مبتدأ وخبر صلة «لمَن». و«مَن» [مبتدأ] خبره الجملة[1] الدالّة على الذّم، وهي قوله «لبئس المولى ولبئس العشير» تقديره هو، «فهو» هذا عائد على «من» الموصولة المبتدأ.

و﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الناصر. و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ المخالط.

والظاهر أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾[2] عائد على «من» لأنه المذكور، وحقّ الضمير أن يعود على المذكور، ثَمّ محذوف تقديره: إذا كان طالباً للنصر محتاجاً إليه.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ المظلّة.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ذلك الحبل. وهذا كله كناية عن التحيّل في طلب النصر، وهو لا يقع إلا إن أراده الله تعالى.

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾ جملة استفهام في موضع نصب. و﴿فَلْيَنظُرْ﴾ معلق عنها.

ومعنى قوله ﴿كَيْدُهُۥ﴾ أي: ما يتحيّل، وهو فاعل «بيذهبن».

و«ما» في قوله ﴿مَا يَغِيظُ﴾ مفعول، والمعنى أن غيظه لا يزول بإظهار كيده.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله.

«آيات بينات» أي: لا تفاوتَ في إنزال بعضه ولا إنزال كلّه. والهاء في «أنزلناه» للقرآن، أُضمر للدّلالة عليه. والتقدير: والأمر أن الله يهدي من

(١) ق: والجملة.
(٢) ق: يضرّه.

يريد، أي: يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته، لا خالق للهداية إلا هو تعالى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (١٧)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ
وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى
رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)
كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢)
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ (٢٤) إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ
سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ (٢٥)﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية، لمّا ذكر قبلُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ أعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه. و«والمجوس» هم عبدة النار، ويقال إنه كان لهم نبيّ اسمه زارادشت. ويجوز أن يحذف منه أل، فلا ينصرف كما إذا حذفت أل من اليهود، لا ينصرف أيضاً. وفي منع صرف مجوس قال الشاعر[(١)]: [من الوافر]

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٤٧.

احَارِ[١] تَرى بُرَيْقاً هبَّ وَهْناً كنارِ مجوسَ تَسْتَعِرُ[٢] استِعارا

[٣٨٥/ب] وقال الشاعر في منع صرف يهود[٣]: [من الطويل]

أولئك أولى[٤] من يهودَ بمدحة إذا أنت يوماً قلتها لم تؤنّب

ومنع الصرف للعلمية وتأنيث القبيلة.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ هم عبدة الأوثان والأصنام.

وخبر «إنّ» قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ وحسّن ذلك طول الفصل بين «إنّ» وخبرها بالمعاطيف، ويقلّ أن تقول[٥] : إنّ زيداً إنّ عَمْراً ضاربه، بلا فصل.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ[٦] لَهُۥ﴾ الظاهر أن السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر [لله] تعالى والانقياد لما يريده تعالى. وهذا معنى يشمل من يعقل وما لا يعقل، ومن يسجد سجود التكليف ومن لا يسجده. وعطف على «مَن» ما عُبد من دون الله تعالى. ففي السماوات الملائكة كانت تعبدها [بنو مليح]، والشمس عبدتها حمير، وعبد القمر كنانة، قاله ابن عباس. والدّبران تميم، والشّعرى لخم، والثّريا طيء، وعطارد أسد، والمرزم ربيعة. وفي الأرض

---

(١) ق: أجاد.

(٢) ق: تستعير.

(٣) ق: وقال في منع صرف يهود الشاعر. والبيت في الكتاب ٣: ٢٥٤، ونسبه محققه لرجل من الأنصار.

(٤) ق: أو أولى.

(٥) ق: ونقل أن يقول.

(٦) ق: ولله يسجد.

من عُبد من البشر والأصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر، وما عُبد من الحيوان. والأحسن على أنّ بين من يعقل وما لا يعقل قدراً مشتركاً، وهو الانفعال والطواعية لما يريد الله منه. و«مَن» مفعول «بِيُهِن» تقديره: أي شخص. والفاء في قوله «فما» جواب الشرط، و«من مكرم» مبتدأ و«مِن» زائدة، خبره «له».

﴿ ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ لمّا ذكر تعالى أهل السعادة وأهل الشقاوة، ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه، فقال «هذان خصمان» قال قيس بن عبادة وهلال بن بشر[١]: نزلت في المتبارزين يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، برزوا لعتبة[٢] وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. وقال ابن عباس: الإشارة إلى المؤمنين وأهل الكتاب وقع بينهم تخاصم؛ قالت اليهود: نحن أقدم ديناً منكم، فنزلت[٣].

وخَصْم: مصدر وأريد به هنا الفريق، فلذلك جاء «اختصموا» مراعاة للمعنى، إذ تحت كل خصم منهم أفراد. ومعنى[٤] «في ربهم» في دين ربّهم. والظاهر أن هذا الاختصام هو في الآخرة، ولذلك جاء بعد قوله «اختصموا» التقسيم بالفاء الدالّة على التعقيب في قوله «فالذين كفروا»، ولهذا قال علي كرّم الله وجهه: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى، وأقسم أبو ذرّ على هذا.

﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ كأنه تعالى يقدّر لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشتمل

---

(١) ق: قيس بن عباد وهلال بن يساف.

(٢) ق: لعبيدة وشيبة ابن أبي ربيعة.

(٣) أسباب النزول ص٢٠٧، ولباب النقول ص١٤٩. وانظر البخاري ٤:١٧٦٨.

(٤) ق: والمعنى.

عليهم.

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ﴾ صهرتَ الشحم بالنار، إذا أذَبْتَه، والصُّهارة: الأَلْيَة المذابة. وقيل: ينضج. و«ما» موصولة مفعولة «بيصهر». و«الجلود» معطوف على «ما».

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ المِقْمعة بكسر الميم: المِقرعة يقمع بها المضروب.

و﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ بدل من قوله «منها» أعيد معه حرف الجر. والظاهر تعليق الإعادة على الإرادة للخروج، فلا بدّ من محذوف يصحّ به المعنى أي: من أماكنهم[1] المعدّة لتعذيبهم.

﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ أي: في[2] تلك الأماكن. وقيل: أعيدوا فيها بضربِ [٣٨٦/ أ] الزّبانيةِ إيَّاهم بالمقامع.

﴿وَذُوقُواْ﴾ أي: ويقال لهم ذوقوا.

والظاهر أن [«مِن»] في ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ للتبعيض، وفي ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لابتداء الغاية أي: أنشئت[3] من ذهب.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هذا إخبار عمّا يقع منهم في الآخرة، وهو قولهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر] وما أشبه ذلك من محاورة أهل الجنّة. ويكون الصراط: الطريق إلى الجنة. والظاهر أن «الحميد» وصف لله تعالى، وناسب هذا الوصف لكثرة ما يحمده أهل الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، [المضارع] قد لا يلحظ فيه

---

(١) ق: مكانهم.

(٢) ق: من.

(٣) ق: أنشبت.

زمان معيّن من حال أو استقبال، فيدلّ إذ ذاك على الاستمرار، ومنه ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ كقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد]. وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صُدَّ رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام. والظاهر أنه نفس المسجد وقيل: الحرم كله. ومن صَدَّ عن الوصول إليه، فقد صَدَّ عنه. وقرىء: سواءً، بالنصب مفعول ثانٍ «لجعلناه» وارتفع به «العاكف». وسواءٌ، أصله مصدر بمعنى مستوٍ، فعلى هذا يكون «العاكف» مبتدأ، و«فيه» متعلق «بالعاكف»، و«سواء» الخبر، والجملة في موضع المفعول الثاني «لجعلناه». وخبر «إنّ» محذوف يدل عليه جزاء الشرط[1]، تقديره: يجزون على كفرهم وصدّهم بالعذاب الأليم.

ومفعول «يرد»: «بإلحاد» والباء زائدة. والأحسن أن يضمّن معنى «يرد»: يلتبس، فيتعدى بالباء. والإلحاد: هو[2] الميل عن القصد. والظلم: هو الشرك، ولذلك رتّب عليه العذاب الأليم.

﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ

(١) ق: جز الخبر.

(٢) ق: هو.

مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ
ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ
عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم
مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟
مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ
لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

ولمّا ذكر تعالى حال الكفار، وصدّهم عن المسجد الحرام، وتوعّد من أراد فيه بإلحاد، ذكّرهم حال أبيهم إبراهيم، ووبّخهم على سلوكهم غير طريقه، من كفرهم باتخاذ الأصنام، وامتنانه عليهم بإيفاد العالم إليهم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ أي: واذكر إذ بوأنا أي: جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءةً، أي: مرجعاً يرجع إليه للعمارة[1] والعبادة.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ خطاب لإبراهيم عليه السلام، وكذا ما بعده من الأمر. و«أن» مصدرية وصلت بالنّهي كما توصل بالأمر. والقائمون: هم المصلّون. ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: نادِ[2]. وروي أنه صعد أبا قبيس

(١) ق: العمارة.

(٢) ق: نادي.

فقال[١]: يا أيها الناس حجّوا بيت ربكم. «يأتوك» جواب الأمر. والكاف في «يأتوك» خطاب لإبراهيم عليه السلام. وجعل إتيان البيت إتياناً له عليه السلام، لأنه المُعْلِم بإتيان الناس. و«رجالًا» جمع راجل وهو الماشي على قدميه. «وعلى كل ضامر» أي: وركباناً على كل ضامر وهي الإبل التي ضمرت أجسادها من طول السير. والضمير في «يأتين» عائد على «كل ضامر». العميق: البعيد، وأصله البعد سفلًا، يقال: بئر عميق أي: بعيدة الغور، والفعل عَمُقَ وعَمِقَ، قال الشاعر[٢]: [من الطويل]

[٣٨٦/ب] إذا الخيل جاءت من فجاج عميقة
يمدّ بها في السير أشعث شاحب

﴿لِيَشْهَدُوا﴾ متعلق «بيأتوك». ونكّر المنافع لأنه أراد منافع مختصّة بهذه العبادة دينية ودنياوية، لاتوجد في غيرها من العبادات.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ كنّى عن النّحر والذّبح بذكر اسم الله تعالى، لأنّ أهل الإسلام لا ينفكّون عن ذكر اسمه، إذا نحروا، أو ذبحوا. [وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يُتقرّب به إلى الله أن يُذكر اسمه عليه]. والأيام المعلومات: أيام العشر، قاله ابن عباس. و«بهيمة الأنعام» تقدم الكلام عليها في العقود[٣].

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ الظاهر وجوب الأكل والإطعام. وقيل باستحبابهما، وقيل باستحباب الأكل ووجوب الإطعام، و«البائس» الذي أصابه بؤس أي: شدّة.

(١) ق: فقالوا.
(٢) لم أجده.
(٣) المائدة ٥: ١.

والتَّفَث: ما يصنعه المحرم عند حِلّه من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعثه ونحوه من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث[1].

والنذور هنا: ما ينذرونه من أعمال البّر في حجّهم.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ هو طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج، وبه تمام التحلّل. و«العتيق» القديم كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]. قال الشاعر[2]: [من الطويل]

إذا ذقتَ فاها قلتَ طَعْمُ مُدامةٍ ... مُعتَّقةٍ مما تجيء به التُّجُرْ

يعني بمعتّقة: قديمة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ﴾ «ذلك» إشارة إلى الطواف. وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره: تمام الحج. والحرمات: ما لا يحلّ هتكه، وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمة. وضمير «فهو» عائد على المصدر المفهوم من قوله «ومن يعظم» أي: فالتعظيم خير له عند ربّه، أي: قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها، والظاهر عمومه في جميع التكاليف. والظاهر أن خيراً هنا [ليس] أفعل تفضيل.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ دفعاً لما كانت العرب تعتاده من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة.

ويعني بقوله ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ما نصّ في كتابه على تحريمه، والمعنى: ما يتلى عليكم آية بتحريمه.

(١) انظر البخاري ٥: ٢٢٠٩، ومسلم ١: ٢٢١.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١١٠.

ولمّا حثّ على تعظيم حرمات الله، وذكر أنّ تعظيمها خير لمعظّمها عند الله تعالى أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزّور، لأنّ توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، وصدق القول أعظم الحرمات. وجُمع في قران[1] واحد، لأن الشرك من باب الزّور، لأنّ المشرك يزعمم أن الوثن مستحق العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزّور، واجتنبوا قول الزّور كله. و«مِن» في «من الأوثان» لبيان الجنس، وتقدّر بالموصول عندهم، أي: الرجس الذي هو الأوثان.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ شبّه المشرك بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء، فاختطفه الطير[2]، فتفرق قطعاً في حواصلها، أو عصفت [٣٨٧/أ] به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح[3] البعيدة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية، «ذلك» مبتدأ خبره محذوف تقديره: حال المشرك. وتقدّم تفسير «شعائر الله» في أول المائدة[4]. وأما هنا فقال ابن عباس وجماعة: هي[5] البدُنْ الهدايا، وتعظيمها: تسمينها والاهتبال[6] بها والمغالاة فيها. والضمير في «فإنها» عائد على الشعائر على حذف مضاف، أي: فإن تعظيمها. وأضاف التقوى إلى القلوب كما قال صلى الله

(١) ق: قرن.

(٢) ق: الرّيح.

(٣) ق: المطارح. والمطاوح: المقاذف.

(٤) انظر تفسير الآية ٢ من المائدة.

(٥) ق: نفي.

(٦) أي تكثير لحمها.

عليه وسلم «التقوى ها هنا»[١] وأشار إلى صدره.

قال الزمخشري[٢]: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بدّ من راجع من الجزاء[٣] إلى «مَن» ليرتبط[٤] به. وإنما ذكرت القلوب، لأنها مراكز التقوى التي[٥] إذا ثبتت فيها، وتمكّنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء انتهى.

وما قدّره عارٍ من راجع من الجزاء إلى «مَن»؛ ألاترى أن قوله: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، ليس في شيء منه ضمير يعود إلى «مَن» يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذي أداته «مَن»؟. وإصلاح ما قاله أن يكون التقدير: فإن تعظيمها منه. فيكون الضمير في منه عائداً[٦] على «مَن» فيرتبط الجزاء بالشرط فاعرفه!.

والضمير في «فيها» عائد على البُدْن. والمنافع: درّها ونسلها وصوفها وركوب ظهورها.

﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهو أن يسمنها ويوجبها هدياً فليس له شيء من منافعها، قاله ابن عباس. «ثم محلّها» و«ثم» للتّراخي في الوقت، فاستعيرت للتّراخي في الأفعال.

---

(١) من حديثٍ أخرجه مسلم ٤: ١٩٨٦، عن أبي هريرة.
(٢) الكشاف ٣: ١٣.
(٣) ق: إلى الخبر.
(٤) ق: لترتبط.
(٥) ق: الذي.
(٦) ق: عائد.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ أي: وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت العتيق. والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت.

﴿مَنسَكٗا﴾ قال الفرّاء: عيداً.

﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله تعالى، وأن يكون الذّبح له، لأنه رازق ذلك.

ثم خرج إلى الحاضرين فقال ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ[1] إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾ أي: انقادوا. وكما أنّ الإله واحد، يجب أن يُخلَص له في الذّبيحة، ولا يُشْرَك فيها بغيره. وتقدّم شرح الإخبات[2].

وناسب تبشير من اتّصف بالإخبات هنا، لأن أفعال الحجّ من نزع الثياب، والتّجرد من المخيط، وكشف الرأس، والتردّد في تلك المواضع المغْبَرّة المحجرة، والتلبّس بأفعال شاقّة، لا يعلم معناها إلا الله تعالى - مؤذن بالاستسلام المحض والتواضع المفرط، حيث يخرج الإنسان على مألوفه إلى أفعال غريبة، ولذلك وصفهم بالإخبات والوجل إذا ذكر الله تعالى، والصبر على ما أصابهم من المشاقّ، وإقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها إلا المؤمنون المصطَفَوْن، والإنفاق ممّا رزقهم [الله] ومنها الهدايا التي يغالون فيها.

وانتصب «البدن» على الاشتغال، أي: [٣٨٧/ب] وجعلنا البدن. وقرىء بالرفع على الابتداء. و«لكم» أي: لأجلكم. و«من شعائر» في موضع المفعول الثاني.

---

(١) ق: وإلهكم.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٣ من هود.

ومعنى ﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وأضافها إلى اسمه تعالى تعظيماً لها.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قال ابن عباس: نفع في الدنيا وأجر في الآخرة. وذِكْر اسم الله أن يقول عند النحر: الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك وإليك.

﴿عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ أي: على نحرها معقولة.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ عبارة عن سقوطها إلى الأرض بعد نحرها.

قال ابن عباس: «القانع» المستغني بما أعطيته «والمعتر» المعترض من غير سؤال.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ﴾ أي: مثل ذلك التسخير سخّرناها لكم، تأخذونها منقادة. منّ[1] الله تعالى عليهم بذلك، ولولا تسخير الله لم نُطِقْ ذلك[2]، وكفى بالإبل شاهداً وعبرة.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ قال مجاهد: أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة، وتلطيخ حوالي الكعبة بالدم تقرّباً إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآية. وكرّر تذكير النعمة بالتسخير، أي: لتشكروا الله على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجّه، بأن تهلّلوا وتكبّروا، فاختصر الكلام بأن ضُمّن التكبير[3] معنى الشكر وعدّي

(١) ق: إلى.
(٢) ق: بذلك.
(٣) ق: التكبّر.

تعديته. «وبشّر المحسنين» ظاهر في العموم.

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ
لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن
دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ
لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ
وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي
ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ
وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ
لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ ﴾.

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ[1] عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ الآية، روي أن المؤمنين لمّا كثروا بمكّة، وآذاهم[2] الكفّار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفّار، ويحتال[3] ويغدر، فنزلت إلى قوله «كفور»[4]. وعد فيها بالمدافعة، ونهى عن الخيانة، وخصّ المؤمنين بالدفع عنهم والنّصرة لهم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة ممّا يُفعل في الحجّ، وكان المشركون قد صدّوا رسول الله ﷺ عام الحديبية، وآذوا من كان بمكّة من المؤمنين - أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشّرة

---

(١) ق: يدفع.

(٢) ق: آذاهم.

(٣) ق: ويختال.

(٤) انظر القرطبي ١٢: ٦٧.

للمؤمنين بدفعه تعالى عنهم، ومشيرة إلى نصرهم، وآذنة لهم في القتال وتمكينهم في الأرض، بردّهم إلى ديارهم وفتح مكة، وأن عاقبة الأمور راجعة إلى الله تعالى.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ لمّا هاجر المؤمنون إلى المدينة، أذن الله تعالى لهم في القتال. وقرىء: أُذن وأَذن. ويقاتلون، بكسر التاء وفتحها.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ في موضع جرّ نعت «للذين»، أو بدل، أو في موضع نصب بأعني، أو في موضع رفع على إضمار: هم. و«إلا أن يقولوا» استثناء منقطع «فأن يقولوا» في موضع نصب، لأنه منقطع لا يمكن توجّه العامل إليه، فهو مقدّر بلكن من حيث المعنى، لأنك لو قلت: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله، لم يصحّ.

وقال الزمخشري[1]: «أن يقولوا» في محل الجرّ على الإبدال من «حق» أي: بغير [٣٨٨/أ] موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين، لا موجب الإخراج والتّسيير[2]. ومثله ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ[3] ۝٥٩﴾ [المائدة] انتهى.

اتّبع الزمخشري في هذا الزّجاج، وما أجازاه[4] من البدل لا يجوز، لأن البدل لا يكون إلا إذا سبقه نفي أو نهي، أو استفهام في معنى النفي، نحو: ما قام أحد إلا زيد، ولايضربْ أحد إلا زيد، وهل يضرب أحد إلا زيد؟.

---

(١) الكشاف ٣: ١٦.

(٢) ق: والتّيسير.

(٣) ق: بآيات ربنا.

(٤) ق: أجازه.

وأما إذا كان الكلام موجِباً أو أمراً، فلا يجوز البدل؛ لا يقال: قام القوم إلا زيد، على البدل. ولا لِيَضْرب القوم إلا زيد، على البدل. لأن البدل لا يكون إلا حيث يكون العامل يتسلّط[1] عليه. ولو قلت: قام إلا زيد، وَلْيَضْرب إلا عمرو، لم يجز. ولو قلت في غير القرآن: أُخرج الناس من ديارهم إلاّ بأن يقولوا لا إله إلا الله، لم يكن كلاماً. هذا إذا تُخيّل أن يكون «إلا أن يقولوا» في موضع جرّ بدلاً[2] من «غير» المضاف إلى «حق».

وأما أن يكون بدلاً من «حق» كما نصّ عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد؛ لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيراً، فيصير التركيب: بغير إلاّ أن يقولوا، وهذا لا يصحّ. ولو قدّرت: إلا بغير، كما تقدّر في النفّي في: ما مررت بأحد إلا زيدٍ، فتجعله بدلاً، لم يصحّ، لأنه يصير التركيب: بغير غير قولهم ربنا الله، فتكون قد أضفت غيراً إلى غير وهي هي فصار: بغير غير. ويصحّ في: ما[3] مررت بأح إلاّ زيد، أن تقول: ما مررت بغير زيد.

ثم إن الزمخشري حين مثّل البدل، قدّره «بغير موجب سوى التوحيد». وهذا تمثيل للصفة، جعل إلاّ بمعنى سوى، ويصحّ على الصفة، فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل. ويجوز أن تقول: مررت بالفاضل إلا زيد، على الصفة لا على البدل.

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة[4].

---

(١) ق: بتسليط.
(٢) ق: لا.
(٣) ق: فيما.
(٤) انظر تفسير الآية ٢٥١ من البقرة.

الهدم معروف. الصومعة: موضع العبادة، ووزنها فوعلة، وهي بناء مرتفع منفرد حديد الأعلى. والأصمع من الرجال: الحديد القول. وكانت قبل الإسلام مختصّة برهبان النصارى وبعُبّاد الصَّابئين، ثم استعمل في مئذنة المسلمين. والأظهر في تعداد هذه المواضع أن ذلك بحسب متعبّدات الأمم؛ فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين، والبيع للنصارى، والصلوات لليهود، وهو على حذف مضاف أي: ومواضع صلوات، والمساجد للمسلمين. وأخبر تعالى أنه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب.

والظاهر عود الضمير في قوله «يذكر فيها» على المواضع جميعها، فيكون «يُذكر» في موضع الصّفة لها. ويجوز أن يعود على قوله «ومساجد» فيكون «يذكر» صفة للمساجد.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ﴾ يجوز في إعرابه ما يجوز في إعراب ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ توعّد للمخالف ما ترتّب على التمكين.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فيها تسلية لرسول الله ﷺ بتكذيب من سبق من الأمم [٣٨٨/ب] السابقة لأنبيائهم، ووعيد لقريش إذ مثّلهم بالأمم المكذّبة المعذّبة. وأسند الفعل بعلامة التأنيث من حيث أراد الأمّة والقبيلة. وبنى الفعل للمفعول(١) في «وكذب موسى» لأنّ قومه لم يكذّبوه، إنما كذّبه القبط.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: أمهلت لهم وأخّرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم. وفي قوله(٢) «فأمليت للكافرين» ترتيب الإملاء على وصف الكفر،

(١) ق: بالمفعول.

(٢) ق: وقوله.

فكذلك[١] قريش أملى تعالى لهم، ثم أخذهم في غزوة بدر وفتح مكة وغيرهما[٢]. والأخذ كناية عن العقاب والإهلاك. والنّكير مصدر كالنذير[٣]، المراد به المصدر والمعنى: فكيف إنكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالهلاك ومعمورهم بالخراب. وهذا استفهام يصحبه[٤] معنى التعجب كأنه قيل: ما أشدّ ما كان إنكاري عليهم. وفي الجملة إرهاب لقريش.

﴿فَكَأَيِّن﴾ للتكثير، وتقدّم الكلام عليها[٥]. واحتمل أن تكون في موضع رفع على الابتداء، أو في موضع نصب على الاشتغال.

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ جملة حالية. ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ تقدّم تفسيرها في البقرة[٦].

وقال الزمخشري[٧]: فإن قلت: ما محلّ الجملتين من الإعراب؟ - أعني «وهي ظالمة فهي خاوية» - قلت: الأولى في محل نصب على الحال، والثانية لا محلّ لها، معطوفة على «أهلكناها» وهذا الفعل ليس له محلّ انتهى.

وهذا الذي قاله ليس بجيّد؛ لأنّ «فكأيّن» الأجود في إعرابها أن تكون مبتدأة، والخبر الجملة من قوله «أهلكناها» فهي في موضع رفع، والمعطوف على الخبر خبر، فيكون قوله «فهي خاوية» في موضع رفع. لكن يتّجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو إعراب «فكأيّن» منصوباً بإضمار فعل على

(١) ق: فلذلك.

(٢) ق: وغيرها.

(٣) ق: كالتدبير.

(٤) ق: تصحبه.

(٥) انظر تفسير الآية ١٤٦ من آل عمران.

(٦) انظر تفسير الآية ٢٥٩ من البقرة.

(٧) الكشاف ٣: ١٧.

الاشتغال، فتكون الجملة من قوله «أهلكناها» مفسّرة لذلك الفعل وعلى هذا لامحلّ لهذه الجملة المفسّرة، فالمعطوف عليها لا محلّ له.

وقرىء: وبئر، بهمز وبغير همز. يقال[١]: عطّلت البئر وأعطلتها، فعطَّلت بفتح الطاء، وعُطِّلت المرأة من الحليّ بكسر الطاء.

ووصف[٢] القصر «بمَشِيْد» ولم يوصف بمشيّد في قوله ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۝٧٨﴾ [النساء] لأنّ ذلك جمع ناسب التكثير فيه، وهذا مفرد. وأيضاً «مشيد» فاصلة آية، قال الشاعر[٣]: [من الطويل]

وتيماءَ لم يَتْرُكْ بها جذعَ نخلةٍ ولا أُطُمـاً إلا مَشِيْـداً بجنـدلِ

وثمّ بليدة عند البئر اسمها حاضورا[٤]، بناها قوم صالح، وأمّروا[٥] عليها جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا، وعبدوا صنماً، فأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان - وقيل اسمه شريح بن صفوان - نبيًّا فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله تعالى عن آخرهم، وسلّط الله عليهم بختنصّر الذي تقدّم ذكره في الأنبياء[٦]. وعَطْف «وبئر» و«قصر» على قوله «من قرية» يدلّ على التكثير. وقد عيّنت هذه البئر؛ فعن ابن عباس أنها كانت لأهل عدن من اليمن [٣٨٩/أ] وهي الرسّ[٧].

(١) ق: فقال.
(٢) ق: وأوصف.
(٣) البيت لامرىء القيس في في ديوانه ص ٢٥.
(٤) ويقال أيضاً حاصورا بالصاد المهملة انظر معجم البلدان «حاصورا».
(٥) ق: وأسروا.
(٦) انظر تفسير الآية من الأنبياء.
(٧) انظر الروش المعطار ص٢٧٢.

وعن كعب الأحبار أنّ القصر بناه عاد الثاني، وهو منذر بن عاد بن إرم بن[١] عاد. وعن الضحاك وغيره أن البئر بحضرموت من أرض الشِّحْر[٢]، والقصر مشرف على قُلّة[٣] جبل لا يُرتقى.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، تقدّم الكلام عليه[٤]. وإسناد العقل إلى القلب يدلّ على أنه محلّه. ولا ننكر أن للدّماغ بالقلب اتصالاً يقتضي[٥] فساد العقل إذا فسد الدماغ. ومتعلَّق «يعقلون بها» محذوف أي: ما حلّ بالأمم السابقة حين كذبوا أنبياءهم، وكذلك مفعول «يسمعون» أي: يسمعون أخبار تلك الأمم. والضمير في «فإنها» ضمير القصة.

﴿ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ﴾ وصفت القلوب بالتي في الصدور مبالغة كقوله[٦]

(١) ق: من.

(٢) ق: الشجر. وانظر الروض المعطار ص٣٣٨.

(٣) القُلّة: أعلى الجبل.

(٤) انظر تفسير الآية ١٠٩ من يوسف.

(٥) ق: ينتفي.

(٦) ق: كقولهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

والضمير في ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ لقريش. وكان صلى الله عليه وسلم يحذّرهم نقمات الله تعالى، ويوعدهم ذلك دنيا وآخرة، وهم لا يصدّقون ذلك، ويستبعدون وقوعه، فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء، وأنّ ما وعدْتَنا به لا يقع وأنْ لا بعث.

وفي قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أي: أن ذلك واقع لا محالة، لكن لوقوعه أجل لا يتعدّاه. وأضاف الوعد إليه تعالى، لأن رسوله عليه السلام هو المخبر به عن الله تعالى. وقيل: التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدّة، أي: وإن يوماً من [أيام] عذاب الله، لشدّة العذاب فيه وطوله، كألف سنة من عددكم؛ إذ أيام التّرحة[1] مستطالة وأيام الفرحة مستقصرَة. وقرىء: تعدّون، بالتاء للخطاب والياء للغيبة.

وتكرر التكثير «بكأيّن» من القرى لإفادة معنى غير ما جاءت له الأولى، لأنه ذكر فيها القرى التي أهلكها[2] دون إملاء وتأخير، بل أعقب الإهلاك التذكيرَ[3]. وهذه الآية لما كان تعالى قد أمهل قريشاً حتى استعجلت بالعذاب، جاءت بالإهلاك بعد الإملاء تنبيهاً على أن قريشاً، وإن أملى تعالى [لهم] وأمهلهم، فإنه لا بدّ من عذابهم، فلا يفرحوا[4] بتأخير العذاب عنهم.

ثم أمر نبيّه عليه السلام أن يقول لأهل مكة: يا أيها الناس إنما أنا لكم

(١) ق: الفرحة.

(٢) ق: أهلها.

(٣) الآية ٤٥ المتقدمة.

(٤) ق: تفرحوا.

نذير من عذاب الله موضّح لكم ما تحذرون، أو موضّح النّذارة لا تلجلج فيها. وذكر النّذارة دون البشارة، وإن كان التقسيم بعد ذلك يقتضيهما، لأن الحديث مسوق للمشركين. و«يا أيها الناس» نداء لهم وهم المقول فيهم.

والسّعي: الطلب والاجتهاد في ذلك، فيكون بإصلاح وإفساد.

وقرىء: معاجزين ومُعَجِّزين. فأما معاجزين فمعناه معاندين، ومعجّزين فمعناه مثبّطين.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ
أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٞ (٥٢) لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ (٥٣) وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ
صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٤) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ (٥٥) ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ
فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٦) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (٥٨) لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ
حَلِيمٞ (٥٩) ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ
ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ (٦٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ
وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ
ٱلۡكَبِيرُ (٦٢) ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية، ذكر له تعالى مسلاة ثانية، باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم، وأنه ما منهم أحد إلاّ وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه، وبثّ ذلك إليهم، وإلقائه في نفوسهم، كما أنه صلى الله عليه وسلم [كان] من أحرص الناس على هداية قومه، وكان فيهم شياطين [٣٨٩/ب] كالنضر بن الحارث يُلْقون لقومهم[١] وللوافدين عليهم شُبَهاً، يثبّطون بها عن الإسلام. ولذلك جاء قبل هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ وسعيهم بإلقاء الشُّبَه في قلوب من استمالوه.

ونسب ذلك إلى الشيطان لأنه هو المغوي والمحرّك شياطينَ الإنس [للإغواء كما قال ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ٨٢﴾ [ص]. وقيل إنّ «الشيطان» هنا هو جنس يراد به شياطين الإنس]. والضمير في «أمنيته» عائد على الشيطان أي: في أمنيّة نفسه، أي: بسبب أمنيّة نفسه. ومفعول[٢] «ألقى» محذوف لفهم المعنى وهو الشّر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النّبي، لأن الشيطان ليس يلقي الخير.

ومعنى ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ أي: يزيل تلك الشبهة شيئاً فشيئاً حتى يسلم الناس كما قال تعالى ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾ [النصر].

﴿يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ أي: معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها، ليجعل ما يلقي الشيطان من تلك الشُّبَه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه، وليعلم من أوتي العلم أنّ ما تمنّى الرسول والنّبي من هداية قومه وإيمانهم هو الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى رسول الله ﷺ، إنما تضمّنت

---

(١) ق: لقومه.

(٢) ق: ومفهوم.

حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنّوا، وذكر المفسّرون أشياء ذكرت في البحر[١].

«من قبلك» «مِن» لابتداء الغاية. [و«مِن» في] «من رسول» زائدة تفيد استغراق الجنس، وهو مفعول تقديره: رسولاً. وعَطْف «ولا نبي» على «من رسول» دليل على المغايرة، وتقدّم الكلام عليها[٢]. وحمل بعض المفسرين قوله «إذا تمنّى» على: تلا، و«في أمنيته» على: تلاوته. والجملة بعد «إلا» في موضع الحال أي: وما أرسلناه إلا وحاله هذه. والظاهر أنّ «تمنّى» من التّمنّي، أي: تمنّى هداية قومه واتّباعهم لما جاء به.

ومعنى ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تمنّيه ضلالةَ تابعِ الرسول أو النبي ليعارض الحق بالباطل.

والمرية: الشك. والظاهر أن «الساعة» يوم القيامة. واليوم العقيم: يوم بدر. وإنما وصف يوم الحرب بالعقم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن.

والتنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوين العوض، والجملة المعوّض منها هذا التنوين هو الذي حُذف بعد الغاية[٣]، أي: الملك [يوم] إذ تأتيهم الساعة.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ الآية، هذا ابتداء معنى آخر وذلك أنه لمّا مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممّن مات حتف أنفه، فنزلت مسوّية بينهم في أن الله

(١) انظر ٦ : ٣٨١ وما بعدها.
(٢) انظر تفسير الآية ١٥٧ من الأعراف.
(٣) ق: إلغائه.

يرزقهم رزقاً حسناً[١]. وظاهر «والذين هاجروا» العموم.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ لمّا ذكر الرزق ذكر المسكن وهو الجنة.

﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ يختارونه، إذ فيه[٢] رضاهم كما قال تعالى ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ قيل: نزلت[٣] في قوم من المؤمنين، لقيهم الكفار في الأشهر الحرم، فأبى المؤمنون قتالهم[٤]، وأبى المشركون إلا القتال، فلما اقتتلوا جدّ المؤمنون، ونصرهم الله تعالى. ومناسبتها لما قبلها واضحة [٣٩٠/أ] وهو أنه تعالى لمّا ذكر ثواب من هاجر وقُتل[٥]، أو مات في سبيل الله، أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ تقدّم الكلام عليه في أوائل آل عمران[٦].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

---

(١) انظر عبارة القرطبي ١٢ : ٨٨.

(٢) ق: فيهم.

(٣) انظر لباب النقول ص١٥١.

(٤) ق: أشهر الحرم فأبى المشركون من قتالهم.

(٥) ق: وقيل.

(٦) انظر تفسير الآية ٢٧ من آل عمران.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما دلّ على قدرته الباهرة من إيلاج الليل في النهار [والنهار في الليل] وهما مرئيان مشاهدان: مجيء الظلمة والنور، ذكر أيضاً ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي وهو نزول المطر وإنبات الأرض. [وإنزال المطر واخضرار الأرض] مرئيان، ونسبة الإنزال إلى الله تعالى مدرَك بالعقل.

وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ قال سيبويه[1] فيه: وسألته - يعني الخليل - عن «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة» فقال: هذا واجب، وهو تنبيه كأنك قلت: أتسمع! أنزل من السماء ماءً فكان كذا وكذا.

ولابن عطية والزمخشري فيه كلام ذكر في البحر[2].

﴿مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يشمل الحيوان والمعادن والمرافق[3].

«والفلك» تقدّم الكلام عليه[4]. والظاهر أنّ «أن تقع» في موضع نصب بدل اشتمال، أي: ويمنع وقوع السماء على الأرض. و«إلا بإذنه» متعلق «بتقع» أي: إلا بإذنه فتقع[5].

(١) الكتاب ٣: ٤٠.
(٢) انظر ٦: ٥٩٣ وما بعدها.
(٣) ق: والموافق.
(٤) انظر تفسير الآية ١٦٤ من البقرة.
(٥) ق: يقع، في الموضعين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ تقدم الكلام عليه[١].

﴿لَكَفُورٌ﴾ لَجحودٌ بنعم الله [يعبد] غير مَنْ أنعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها.

و﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ روي أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما في الذّبائح، وقولهم للمؤمنين: تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم، ولا تأكلون ما قتل الله تعالى، فنزلت[٢] بسبب هذه المنازعة.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ آية موادعة نسختها آية السيف[٣]، أي: وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع، فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء، وهذا وعيد وإنذار، ولكن برفق ولين.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ خطاب من الله للمؤمنين والكافرين، أي: يفصل بينكم بالثواب والعقاب، ومسلاة لرسول الله ﷺ ممّا كان يلقى منهم.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ

---

(١) انظر الآية ٢٨ من البقرة.

(٢) انظر القرطبي ١٢ : ٩٣.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

﴿ٱلْمَصِيرُ ۝٧٢﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ[1] وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، لمّا تقدّم ذكر الفصل بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة، [أخبر] تعالى أنه عالم بجميع ما في السماء[2] والأرض، فلا يخفى عليه أعمالكم، وأن ذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتبه قبل خلق السماوات والأرض، كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قيل: إلى الحكم السابق. والظاهر أنه إشارة إلى حصر المخلوقات تحت علمه وإحاطته.

﴿يَسْطُونَ﴾ [قال ابن عباس:] يبسطون إليهم أيديهم.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم[3]﴾ وعيد وتقريع. والإشارة «بذلكم»[4] إلى غيظهم على التّالين وسطوهم عليهم. وروي أنهم قالوا: محمد وأصحابه شرّ خلق [فقال الله تعالى: قل لهم يا محمد: أفأنبّئكم بشرٍّ ممّن ذكرتم على زعمكم: أهل النار فهم أنتم شرّ خلق] الله. و«النار» خبر مبتدأ محذوف تقديره [٣٩٠/ب] هو النار. و«الذين كفروا» المفعول الأول، والضمير في «وعدها» المفعول الثاني. «وبئس المصير» المخصوص بالذم محذوف تقديره: النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ

---

(١) ق: السماوات.

(٢) ق: السماوات.

(٣) ق: هل أنبئكم.

(٤) ق: بذلك.

مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ
وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ الآية، الخطاب عام يشمل من نظر في عبادة غير الله تعالى، فإنه يظهر له قبح ذلك. و«ضُرب» مبني للمفعول. والظاهر أن ضارب المثل هو الله تعالى؛ ضرب مثلاً لما يُعبد من دونه أي: بيّن شبهاً لكم ولمعبودكم.

و﴿تَدْعُونَ﴾ الخطاب لكفار مكة والضمير العائد على «الذين» محذوف تقديره: تدعونهم[1] آلهة.

﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ أي: لهذا المثل. وبدأ تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم أقل المخلوقات، من حيث إن الاختراع صفة ثابتة له تعالى مختصّة به، لا يشركه فيها أحد. وثنّى بالأمر الذي بلغ بهم غاية التّعجيز، وهو سلب الذباب، وعدم استنقاذ شيء مما سلبهم. وكان الذباب كثيراً عند العرب، وكانوا يضمّخون أوثانهم بأنواع الطيب، فكان الذباب يذهب بذلك. وعن ابن عباس: كانوا يطلونها بالزّعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب

(١) ق: تدعوهم.

فيدخل الذّباب من الكوى، فيأكله.

﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ[(١)]﴾ الواو للعطف على حال مقدّرة تقديره: على كل حال، ولو في[(٢)] هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا لأجل اجتماعهم، ولكنه ليس في مقدورهم ذلك. والضمير في «له» عائد على الخلق المفهوم من «يخلقوا».

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ قال ابن عباس: الصّنم والذّباب.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته، وسمّوه باسمه. ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم من القوة والغلبة.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾ نزلت[(٣)] بسبب قول الوليد بن المغيرة: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ ۝٨﴾ [ص] وأنكروا أن يكون[(٤)] الرسول من البشر، فردّ الله تعالى عليهم بأن رسله تعالى ملائكة وبشر. ثم ذكر أنه عالم بأحوال المكلّفين، لا يخفى عليه منهم شيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ﴾ أُمروا أولاً بالصلاة وهي نوع من العبادة، وثانياً بالعبادة، وهي نوع من فعل الخير، وثالثاً بفعل الخير، وهو أعمّ من العبادة، فبدأ بخاصّ ثم بعامّ ثم بأعمّ.

---

(١) ق: إليه.

(٢) ق: من.

(٣) انظر الطبري ١٧: ١٤٢.

(٤) ق: بيننا وأن يكونوا.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أَمْرٌ بالجهاد في دين الله تعالى وإعزاز كلمته، يشمل جهاد الكفار والمبتدعة.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي: استفرغوا جهدكم وطاقتكم في ذلك. وأضاف الجهاد إليه لمّا كان مختصًّا بالله تعالى من حيث هو مفعول لوجهه ولأجله.

﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ من تضييق بل هي حنيفيّة سمحة، ليس فيها تشديد بني إسرائيل، شرع فيها التوبة والكفّارات والرخص.

وانتصب «ملة أبيكم» بفعل محذوف تقديره: اتّبعوا ملّة. وفي ذلك تذكير لهم بترك إبراهيم عبادة الأصنام ونهيه إياه [٣٩١/أ] عن ذلك. وقال «أبيكم» بالإضافة إلى أبيه[١] الرسول، لأنه أب للرسول وأمّة الرسول في حكم أولاده فصار أباً لأمّته بهذه الوساطة. والظاهر أن الضمير في «هو سَمَّاكم» عائد على إبراهيم عليه السلام وهو أقرب مذكور.

ولكلّ نبيّ دعوة مستجابة، ودعا إبراهيم فقال ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ۝١٢٨﴾ [البقرة] فاستجاب الله تعالى له، فجعلها أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

و«المسلمين» [مفعول] بإسقاط حرف الجر تقديره: بالمسلمين. «من قبل» أي: من قبل ظهور ملّة الرسول عليه السلام. «وفي هذا» أي: التسمية، وهو إشارة إلى التسمية. وثَمّ مبتدأ محذوف تقديره: وفي هذا شرف لكم وفخر واستبشار. وخبر هذا المبتدأ قوله «وفي هذا» ولتكونوا: متعلق بما تعلّق به المجرور الذي هو «في هذا».

---

(١) ق: أمّة.

﴿ لِيَكُونَ [ٱلرَّسُولُ] شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ أنه قد بلّغكم. ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بأن الرسل قد بلّغتهم. وإذ قد خصّكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه، وثقوا به ولا تطلبوا النّصرة والولاية إلاّ منه، فهو خير مولى وناصر.

سورة المؤمنون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف. وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[2] «لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة» ثم قرأ: «قد أفلح المؤمنون» إلى عشر آيات. ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة؛ لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا﴾ الآية، وفيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج] وذلك على سبيل التّرجية فناسب ذلك قوله «قد أفلح المؤمنون» إخباراً بحصول ما كانوا[3] رَجَوْه من الفلاح.

---

(١) ق: المؤمنين. مكيّة، وهي مئة وثماني عشرة آية.

(٢) انظر المستدرك ٢: ٣٩٢.

(٣) ق: اختار بحصول ما كان.

وقوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ﴾ أريد بها النوع كقوله ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴿٣﴾﴾ [النساء] وهو مختص بالإناث بإجماع. وفي الجمع بين الأختين من ملك اليمين، وبين المملوكة وعمّتها وخالتها خلاف.

ومعنى ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ وراء هذا الحدّ الذي حدّ من الأزواج ومملوكات النساء. وانتصابه على أنه مفعول «بابتغى» أي: خلاف ذلك. ويشمل قوله «وراء ذلك» الزّنى واللواطة ومواقعة[١] البهائم والاستمناء. والجمهور على تحريم الاستمناء، وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن، فجاز إخراجها عند الحاجة، كالفصد والحجامة. وقد ذُكر عن بعض العرب فِعْلُ ذلك، وأُنشد لهم فيه أبيات، ذُكر بعض ذلك في النوادر لأبي علي[٢].

والظاهر عموم الأمانات، فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد، فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الأفعال والتّروك [٣٩١/ب] وما ائتمنه الإنسان.

والخشوع والمحافظة متغايران: بدأ أولاً بالخشوع[٣] وهو الجامع للمراقبة القلبية والتّذلل بالأفعال البدنية، وثنّى بالمحافظة، وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلّي وملبوسه ومكانه، وأداء أركانها على أحسن هيئاتها، ويكون ذلك [دأبه] في كل وقت.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: الجامعون لهذه الأوصاف. ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الأحقّاء أن يُسمَّوا وارثاً دون من عداهم. ثم ترجم الوارثين بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ

(١) ق: ومواقع.
(٢) لم أجد ذلك فيه.
(٣) الآية ٢ المتقدمة.

﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر. وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف[١].

﴿هُمْ فِيهَا﴾ يدلّ على تأنيث «الفردوس».

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ لمّا ذكر تعالى أن المتّصفين بتلك الأوصاف[٢] الجليلة هم يرثون الفردوس، فتضمّن ذلك المعاد الأخراوي، ذكر النشأة الأولى، ليستدل بها[٣] على صحة النشأة الأخرى.

﴿مِّن طِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو آدم عليه السلام، لأنه أُنسلَ من الطين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ عائد على ابن آدم، وإن كان لم يُذكر لشهرة الأمر.

(١) انظر تفسير الآية ١٠٧ من الكهف.

(٢) ق: الأوهام.

(٣) مكررة في ق.

﴿نُطْفَةً﴾ هو المني. ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرّحم.

وتقدم تفسير العلقة والمضغة[١].

﴿عِظَـٰمًا﴾ دليل على أن المضغة تصير بنفسها عظاماً. وقرىء: عظماً، والعظم[٢].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال ابن عباس وجماعة: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلى الدنيا.

و﴿فَتَبَارَكَ﴾ فعل ماض لا يتصرّف ومعناه: تعالى وتقدّس.

و﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ أفعل التفضيل. والخلاف فيها إذا أضيفت إلى المعرفة هل إضافتها محضة أم غير محضة؛ فمن قال محضة، أعرب «أحسن» صفة، ومن قال غير محضة، أعربه بدلاً.

والإشارة بقوله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ إلى هذا التطوير والإنشاء خلقاً آخر، أي: وانقضاء مدة حياتكم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾. ونبّه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع أولاً ثم بالإعدام ثم بالإيجاد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ الآية، لمّا ذكر ابتداء خلق الإنسان وانتهاء أمره، ذكّره بنعمه.

و«سبع طرائق» قيل لها «طرائق» لتطارق بعضها فوق بعض؛ يقال: طارق

---

(١) انظر تفسير الآية ٥ من الحجّ.

(٢) بالإفراد فيهما.

النعل: جعله على نعل، وطارق بين ثوبين: لبس أحدهما على الآخر.

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا مقرّه في الأرض. وعن ابن عباس: أنزل الله تعالى من الجنّة خمسة أنهار: جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل. وفي قوله «فأسكنّاه» دليل على أنّ مقرّ ما نزل من السّماء هو في الأرض، فمنه الأنهار والعيون والآبار. وكما أنزله تعالى بقدرته هو قادر على ذهابه. والباء في «به» للتعدية أي: على إذهابه، كان الفعل لازماً، فصار[1] بالباء متعدّياً، كما قال تعالى ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ۝٢٠﴾ [البقرة] أي: لأذهب سمعهم[2].

ولمّا ذكر [٣٩٢/أ] تعالى نعمة الماء، ذكر ما ينشأ عنه فقال ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ وخصّ هذه الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزّيتون لأنها أكرم الشجر وأجمعها للمنافع. ووصف النخل والعنب بقوله ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ[3]﴾ لأنّ ثمرها جامع بين أمرين: أحدهما أنه فاكهة يُتفكّه بها، والآخر أنه طعام يؤكل رطباً ويابساً: رُطَباً وتمراً، وعنباً وزبيباً، والزيتون بأن دهنه صالح للاصطباح والاصطباغ[4] جميعاً. والضمير في «لكم[5] [فيها»] عائد على الجنّات، وهم أعمّ [لسائر الثمرات. وعطف «وشجرة» على «جنات» وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشّام تخرج] من طور سيناء. الطور: الجبل، أضيف إلى «سيناء». والظاهر أنه علم، اسم بقعة امتنع من الصرف للعلمية والتأنيث. وقرىء بفتح السين وكسرها. وقرىء: تنبت، [بفتح التاء وضمّ

---

(١) ق: صار.

(٢) ق: بنفعهم.

(٣) ق: منافع. ووجّه العبارة بعدُ بما يناسب المنافع.

(٤) الاصطباح: الإضاءة. والاصطباغ: الائتدام.

(٥) ق: ولكم.

الباء، ويكون «بالدّهن» حالاً أي: ملتبسةً بالدّهن. وقرىء: تُنْبِت]، فالباء في «بالدهن» زائدة أي: تُنبت الدهنَ فيكون مفعولاً به.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ تقدّم الكلام عليه في النحل[1].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها. ونبّه على أغزر فوائدها وألزمها وهو الشرب والأكل، وأدرج باقي المنافع في قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾.

ثم ذكر ما يكاد يختصّ به بعض الأنعام وهو الحمل عليها، وقرنَهَا بالفُلْك لأنها سفائن البرّ كما أن الفلك سفائن البحر، قال ذو الرّمة[2]: [من الطويل]

[طَروقاً وجِلْبُ الرَّحل مشدودةٌ به] سفينـةُ بـرٍّ تحـت خـدّي زمـامُهـا

يريد: صيدح ناقته. ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ معطوف على قوله «وعليها» أعيد معه حرف الجر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ
عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ
فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ
وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى

(١) انظر تفسير الآية ٦٦ من النّحل.
(٢) ديوانه ص٦٣٨.

ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ الآية، لمّا ذكر أوّلاً بدء الإنسان وتطوّره في تلك الأطوار، وما امتنّ به عليه، ممّا جعله تعالى سبباً لحياتهم وإدراك مقاصدهم، ذكر أمثالاً لكفار قريش من الأمم السابقة المنكرة لإرسال الله تعالى رسلاً، المكذّبة بما جاءتهم به الأنبياء عن الله تعالى، فابتدأ بقصة نوح عليه السلام لأنه أبو البشر الثاني، كما ذكر أولاً آدم في قوله ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون]. ولقصته أيضاً مناسبة بما قبلها؛ إذ قبلها ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ فذكر قصة من صنع الفلك أولاً، وأنه كان سبب نجاة من آمن، وهُلْك من لم يكن فيه. فالفلك من نعمة الله تعالى. كلّ[1] هذه القصص يحذّر بها قريشاً نِقَم الله تعالى، ويذكّرهم نعمه.

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله[2] ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس]. والإشارة في «بهذا» إلى إفراد الله تعالى بالإلهيّة، وترك الأصنام.

﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ معلوم عندهم أنه ليس بمجنون.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: انتظروا حاله حتى ينجلي أمره وعاقبة خبره. فدعا ربه تعالى بأن ينصره ويُظفره بهم بسبب ما كذّبوه[3].

---

(١) ق: تعالى على.

(٢) ق: لقوله.

(٣) ق: كذّبون.

وتقدّم تفسير أكثر هذه الآية في هود[١]. ونهاه الله تعالى أن يخاطبه في قومه بدعاء نجاة أو غيره، وبيّن علّة النّهي بأنه تعالى قد حكم عليهم بالإغراق.

وأمره تعالى بأن [٣٩٢/ ب] يحمده على نجاته وهلاكهم، وكان الأمر له وحده، وإن كان الشرط قد شمله ومن معه، لأنه نبّيهم وهم متّبعوه في ذلك.

ثم أمره أن يدعوه بأن[٢] ينزله منزلاً مباركاً. قيل: كان ذلك عند الركوب في السفينة، وقيل: عند الخروج منها.

﴿إِنَّ[٣] فِي ذَٰلِكَ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ أي: إنّ فيما جرى على أمّة[٤] نوح لدلائل وعبراً.

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم، أو لمختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا كقوله تعالى ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٧ وما بعدها.

(٢) ق: بأنه.

(٣) ق: أي.

(٤) على هذه الأمة. وصحّ عندي ترقيم العبارة هكذا: إن فيما جرى على هذه - أمة نوح - لدلائل وعبراً.

كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ الآية، ذِكْرُ هذه القصة عقيب قصة نوح، يُظهر أن هؤلاء هم قوم هود، وهو قول الأكثرين.

﴿بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب منها.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ أي: بسطنا لهم الآمال والأرزاق ونعّمناهم. واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة «الذين» وكان العطف مشعراً بعلّية التكذيب والكفر، أي: الحامل [لهم] على ذلك كوننا نعّمناهم، وأحسنّا إليهم وكان ينبغي أن يكون الأمر بخلاف ذلك، وأن يقابلوا نعمنا بالإيمان وتصديق من أرسلته إليهم - وأن تكون جملة حالية أي: وقد أترفناهم أي كذبوا في هذه الحال. ويؤول هذا المعنى إلى المعنى الأول أي: كذبوا في حال الإحسان إليهم، وكان ينبغي أن لا يكفروا، وأن يشكروا النعمة بالإيمان بي والتّصديق لرسلي.

قوله: ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ تحقيق للبشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم، وأن لا مزيّة له عليهم.

والظاهر انّ «ما» موصولة في قوله: ﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وأن العائد محذوف تقديره: مما تشربون[1] منه، فحذف: منه لوجود مِن الداخلة على [ما] الموصولة.

(١) ق: يشربون.

قال الزمخشري[١]: «إذاً» واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم[٢]، أي: تخسرون عقولكم وتغبنون[٣] في آرائكم انتهى.

ليس «إذاً» واقعاً في جزاء الشرط، بل واقع[٤] بين «إنكم» والخبر. و«إنكم» والخبر ليس جزاءً للشرط، بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل[٥] [اللام] الموطئة. ولو كانت «إنكم» والخبر جواباً للشرط، لزمت الفاء في «إنكم». بل لو كانت بالفاء في تركيب[٦] غير القرآن، لم يكن ذلك التركيب جائزاً إلّا عند الفرّاء، والبصريّون لا يجيزونه، وهو عندهم خطأ.

واختلف المعربون في تخريج [«أنكم»] الثانية؛ فالمنقول عن سيبويه أن «أنكم» بدل من الأولى وفيها معنى التأكيد، وخبر «أنكم» الأولى محذوف، لدلالة خبر الثانية عليه، تقديره: أنكم تبعثون إذا متّم. وهذا الخبر المحذوف هو العامل في «إذا».

و﴿ ﴿هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل لا يتعدّى، يرفع الفاعل ظاهراً أو مضمراً، مثال رفع الظاهر قول الشاعر[٧]: [من الطويل]

[٣٩٣/أ] فهيهـات هيهـات العقيـق وأهلـه
وهيهـــات خـــلٌّ بـــالعقيـــق نـــواصلـــه

(١) الكشاف ٣: ٣١.
(٢) ق: قولهم.
(٣) ق: وتحقبون.
(٤) ق: واقعاً.
(٥) ق: قيل.
(٦) ق: في غير تركيب.
(٧) البيت لجرير في ديوانه ٢: ٩٦٥. وفيه أيهات.

ومثال المضمر قوله في هذه الآية: هيهات هو، أي: إخراجكم. وفي هيهات لغات؛

قال الزمخشري[١]: فمن نوّنه، نزّله منزلة المصدر إلى آخره.

ليس هذا بواضح، لأنهم قد نوّنوا أسماء [الأفعال] ولا نقول: إنها إذا نوّنت تنزّلت منزلة المصدر.

قال ابن عطية: طوراً يلي الفاعلُ دون لام؛ تقول: هيهات مجيءُ زيد، أي: بَعُد. وأحياناً يكون الفاعل محذوفاً، وذلك عند اللام كهذه الآية، التقدير: بَعُد الوجود لما توعدون انتهى.

هذا ليس بجيد لأنّ فيه حذف الفاعل، وفيه أنه مصدر حذف، وأبقي معموله، ولا يجيز البصريون شيئاً من هذا.

﴿إِنْ هِيَ﴾[٢] «إن» نافية و«هي» مبتدأ معناه: إن الحياة «إلا حياتنا» الخبر، ففسّر الضمير بسياق المعنى.

﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ نسبوه إلى افتراء الكذب على الله تعالى في أنه نبّأه وأرسله إلينا، وأخبره أنّا نُبعث.

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدّقين.

والضمير في ﴿قَالَ﴾ عائد على الرب. ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة للتوكيد. و«قليل» نعت لمنعوت محذوف [تقديره]: عن زمانٍ قليل. و«عن» تحتمل

(١) لم أجده في هذا الموضع في الكشاف.

(٢) ق: وقالوا إن هي.

وجهين: أحدهما أن تتعلق بفعل محذوف تقديره: عمّا قليل أنصرك، والثاني أن يكون متعلقاً بـ«يصبحُنّ» وفيه دليل على أنّ ما بعد اللام المتلقّى به القسم يجوز أن يتقدم على اللام، تقول: والله لأضربنّ زيداً، فيجوز تقديم المفعول على اللام فتقول: والله زيداً لأضربنّ.

و«نادمين» خبر لـ«يصبحن».

والصيحة: تقدم الكلام عليها[1]. وشبّههم في هلاكهم بالغثاء، وهو حميل السيل ممّا بلي[2] واسودّ من الورق والعيدان.

وانتصب «فبعداً» بفعل متروك إظهاره أي: بَعُدوا بعداً، أي: هلكوا هلاكاً. و«للقوم الظالمين» بيان لمن دُعي [عليه بالبُعد].

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ
رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا[3] ءَاخَرِينَ ﴾ قال ابن عباس: هم بنو إسرائيل.

(١) انظر تفسير الآية ٧٣ من الحجر.

(٢) ق: جميل السير ما يلي.

(٣) ق: قرناً.

﴿ مَاتَسْبِقُ﴾ إلى آخر الآية، تقدّم الكلام عليه في الحجر[(١)].

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: لأمم آخرين، أنشأناهم[(٢)] بعد أولئك. والتاء الأولى في «تترى»[(٣)] بدل من الواو، فأصله: وترى، كما أبدلوا التاء من الواو في تخمة، أصله وخمة. ووزن الكلمة فَعلى، فقرىء منوّناً، فتكون الألف فيه للإلحاق، كهي في أرطىً منوناً. وقرىء بغير تنوين، فتكون الألف للتأنيث اللازم كهي[(٤)] في أرطى، في لغة من لم ينوّن.

وانتصب على الحال أي: متواترين واحداً بعد واحد. وأضاف الرسل إليه تعالى.

وأضاف رسولاً إلى ضمير الأمة المرسَل إليها، لأن الإضافة تكون بالملابسة، والرسول يلابس المرسِل والمرسَل إليه؛ فالأول كانت الإضافة لتشريف الرسل، والثاني كانت الإضافة إلى الأمة حيث كذّبته، ولم ينجح فيهم إرساله إليهم فناسب الإضافة إليهم.

﴿ فَأَتْبَعْنَا[(٥)] بَعْضَهُم[٣٩٣/ب] بَعْضًا﴾ في الهلاك الناشىء عن التكذيب.

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ الظاهر أنه جمع أحدوثة، وهو ما يتحدث به الناس على جهة الغرابة والتعجّب.

---

(١) انظر تفسير الآية ٥ من الحجر.

(٢) ق: أنشأهم.

(٣) ق: تترك.

(٤) ق: فهي.

(٥) ق: وأتبعنا.

قال الزمخشري[1]: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ انتهى.

أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع، وإنما ذكره أصحابنا فيما شذّ من الجموع كقطيع وأقاطيع. وإذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير لا اسم جمع، وهو لم يلفظ له بواحد، فأحرى أحاديث، فقد لُفظ له بواحد وهو حديث، فالصحيح أنه جمع تكسير لما ذكرنا.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قال ابن عباس: هي التّسع.

والسلطان المبين قيل: هي العصا واليد وهما اللتان اقترن بهما التحدّي.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: رفيعي الحال في الدنيا.

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ أي: بنو إسرائيل.

﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: خاضعون متذلّلون.

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: قوم موسى. و«الكتاب» التوراة، ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله «لعلهم». ولا يصحّ عود هذا الضمير في «لعلهم» على فرعون وقومه، لأن الكتاب لم يُؤْتَهُ موسى إلا بعد هلاك فرعون لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص].

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ترجٍّ بالنسبة إليهم. «يهتدون» بشرائعها ومواعظها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ [وَأُمَّهُۥٓ]﴾ أي: قصتهما وهي آية عظمى بمجموعها، وهي

(١) الكشاف ٣: ٣٣.

آيات[١] مع التفضيل. والرّبوة هنا: قال ابن عباس: الغوطة بدمشق، وصفتها أنها ذات قرار ومعين على الكمال.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ﴾ [تقدّم تفسيرها في الأنبياء[٢]. ويدلّ على أن النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه قولُه «وإنّ هذه أمتكم»] وقوله «فتقطعوا». وجاء هنا «فاتقون» وهي أبلغ في التخويف والتّحذير من قوله في الأنبياء ﴿ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ لأن هذه جاءت عقيب إهلاك طوائف كثيرين: قوم نوح والأمم الذين من بعدهم. وفي الأنبياء وإن تقدّمت أيضاً قصّة نوح وما قبلها، فإنه جاء بعدها ما يدل على الإحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم، فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى.

وجاء هنا «فتقطعوا» إيذاناً أنّ التقطيع أعقب الأمر بالتقوى، وذلك مبالغة في عدم قبولهم ونفارهم عن توحيد الله تعالى وعبادته. وجاء في الأنبياء[٣] بالواو، فاحتمل معنى الفاء، واحتمل تأخّر تقطّعهم عن الأمر بالعبادة. وفرح كل حزب بما لديه دليل على تعمّقه في ضلاله، وأنه هو الذي ينبغي أن يعتقد، وكأنه لا ريب عنده في أنه الحق.

﴿ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾ هذا وعيد لهم حيث تقطّعوا في أمر رسول الله ﷺ؛ فقائل

---

(١) ق: آية.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٢ من الأنبياء.

(٣) قوله ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴿٩٣﴾ ﴾.

هو شاعر، وقائل هو ساحر، وقائل به جِنّة، كما تقطّع مَن قبلهم مِن الأمم. والغمرة: الماء الذي يغمر القامة، فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم [حتى] حين ينزل بهم الموت.

و«ما» في قوله ﴿أَنَّمَا﴾ [٣٩٤/أ] موصولة بمعنى الذي وهي[1] اسم «أنّ»، وصلتها «نمدهم». والضمير في «به» عائد على «ما» الموصولة. و﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ تبيين وتوضيح لما انبهم في «ما» الموصولة. وخبر «أن» قوله «نسارع لهم في الخيرات» والمعنى: نسارع لهم به، وحذف لطول الكلام ودلالة «به» الأولى عليه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ
أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟
ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ
ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

---

(١) ق: وهو.

بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي
طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ الآية، لمّا فرغ من ذكر الكفرة وتوعّدهم، عقّب ذلك بذكر المؤمنين، ووعدهم وذكّرهم بأبلغ صفاتهم، والإشفاق أبلغ التوقّع والخوف.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا ﴾ تقدّم الكلام عليه في البقرة[1].

﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ ﴾ أي: كتاب فيه إحصاء أعمال الخلق، يشير إلى الصحف التي[2] يقرؤون فيها ما ثبت لهم.

﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي: قلوب الكفار في ضلال، قد غمرها كما يغمر الماء.

﴿ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ أي: من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون.

﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من دون الغمرة والضلال المحيط بهم. والمعنى أنهم ضالّون معرضون عن الحق، وهم مع ذلك لهم سعايات فساد، فوصفهم تعالى بحالتي شرّ.

والضمير في «إذا هم» عائد على «مترفيهم». و«إذا» الفجائية جواب «لإذا» الشرطية.

(١) انظر تفسير الآية ٢٨٦ من البقرة.
(٢) ق: الذين.

﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ يجزعون[١]، عبّر عن الصراخ بالجزع إذ الجزع سببه.

﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [أي: لا تُمنعون منْ عذابنا أو لا يكون لكم نصر من جهتنا].

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي﴾ هي آيات القرآن.

﴿تَنكِصُونَ﴾ ترجعون، استعاره للإعراض عن الحق.

والضمير في «به» عائد على المصدر الدالّ عليه «تنكصون» أي: بالنكوص والتّباعد عن سماع الآيات. أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب، [وضُمّن] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ معنى مكذّبين، فعُدّي بالباء، أو تكون الباء للسبب أي: يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتوّ[٢].

﴿سَٰمِرًا﴾ السّامر مفرد بمعنى الجمع؛ يقال: قوم سامر وسُمَّر[٣]، ومعناه سَمَر الليل، مأخوذ من السّمر وهو ما يقع على[٤] الشجر من ضوء القمر، وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر. والسمير: الرفيق بالليل في السَّمَر، ويقال له السّمار أيضاً، ويقال: لا أفعله ما سَمَر ابنا سمير[٥]. والسّمير: الدهر، وابناه: الليل والنّهار. وكانوا يسمرون حول الكعبة بذكر القرآن وغيره.

[وقرىء: تَهْجُرون، بفتح التاء وضمّ الجيم. قال ابن عباس: تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه، من الهَجْر]. وقرىء: تُهْجِرون، بضم التاء وكسر

(١) ق: تجأرون تجزعون.
(٢) ق: وعقوبة.
(٣) ويقال أيضاً: سامر وسُمّار كحاجّ وحجّاج، انظر اللسان: سمر.
(٤) ق: عن.
(٥) انظر ثمار القلوب ص٢٦٩.

الجيم مضارع أَهْجَرَ وهو الفحشّ(١). وفي قراءة التاء التفات من غيبة إلى خطاب. وقرئ بالياء فلا التفات.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ ﴾ الآية، ذكر تعالى توبيخهم على إعراضهم عن اتّباع الحق. و«القولُ» القرآن الذي أتى به محمد ﷺ. قرّعهم أولاً بترك(٢) الانتفاع بالقرآن، ثم ثانياً بأنّ ما جاءهم جاء آباءهم(٣) الأولين، ثم ثالثاً بأنهم يعرفون محمداً ﷺ وصحّة نسبه وأمانته(٤) وصدقه، ثم رابعاً نسبوه إلى الجن، وقد علموا أنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم(٥) ذهناً.

[٣٩٤/ب] ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ لوقع التناقض باختلاف أهوائهم واضطرابها، واختلّ نظام العالم.

﴿ بِذِكْرِهِمْ ﴾ أي: بوعظهم والبيان لهم.

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا ﴾ هذا استفهام توبيخ أيضاً، المعنى بل أتسألهم مالاً فقلقوا(٦) لذلك واستثقلوك من أجله. وتقدّم الكلام على قوله «خرجاً» في آخر الكهف(٧).

ولمّا زيّف طريقة الكفّار، أتبع ذلك ببيان صحّة ما جاء به الرسول عليه

---

(١) ق: النّحش.
(٢) ق: ينزل.
(٣) ق: آباؤهم.
(٤) ق: وأمايته.
(٥) ق: وأتقنهم.
(٦) ق: فعلقوا.
(٧) انظر تفسير الآية ٩٤ من الكهف.

السلام، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ [إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾] وهو دين الإسلام.

ثم أخبر أنّ من أنكر المعاد[1] ناكب عن هذا الصراط، لأنه لا يسلكه إلا من كان راجياً للثواب خائفاً من العقاب، وهؤلاء غير مصدّقين بالجزاء فهم مائلون عنه.

﴿ مِّن ضُرٍّ ﴾ قيل: هو الجوع.

﴿ بِٱلْعَذَابِ ﴾ هو الأسر والقتل.

﴿ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ روي أنه لمّا أسلم ثمامة بن أثال[2] الحنفي، ولحق باليمامة، منع[3] الميرة من أهل مكّة، فأخذهم الله تعالى بالسّنين حتى أكلوا العِلْهِز[4]. فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك الله والرّحم، ألست تزعم أنك [بعثت] رحمة للعالمين؟. فقال: بلى. فقال: قتلتَ الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت الآية[5].

﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: آيسون من الشّر الذي نالهم.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ

---

(١) ق: العذاب.

(٢) ق: ثمالة بن أثالة.

(٣) ق: مع.

(٤) ق: العلمين. والعِلْهِز: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة.

(٥) انظر أسباب النزول ص ٢١٠.

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ
تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا
كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ الآية، تقدم الكلام على نظيرها[1]. «تشكرون» «ما» زائدة للتأكيد.

﴿بَلۡ قَالُواْ﴾ «بل» إضراب، أي: ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات بل قالوا - والضمير لأهل مكّة ومن جرى مجراهم من إنكار البعث - مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون إليهم من الكفّار.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ لمّا اتخذوا من دونه آلهة ونسبوا إليه الولد، نبّههم على فرط جهلهم بكونهم يقرّون بأنه تعالى له الأرض، ومن فيها ملك له، وأنه ربّ العالم العلوي، وأنه مالك كل شيء، وهم[2] مع ذلك ينسبون إليه الولد، ويتخذون له شركاء.

قوله: ﴿لِلَّهِۚ﴾ جواب مطابق لقوله ﴿لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ كما تقول: لمن الدار؟ فتقول: لزيد.

---

(١) انظر تفسير الآية ٧٨ من النحل.

(٢) ق: وهو.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعاً، وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام. وقرىء: لله، فيهما بلام الجر. فالقراءة الأولى فيها المطابقة لفظاً ومعنى، والثانية جاءت على المعنى، لأن قولك: من ربّ هذا؟ ولمن هذا؟ في معنى واحد، ولم يختلف في الأول أنه باللام. وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الأرض ومن فيها بالتذكير، أي: أفلا يتذكرون، فيعلموا[1] أن من له ملك الأرض ومن فيها حقيق أن لا يُشرك به بعض خلقه في الربوبية. وختم ما بعدها بالتقوى، وهي أبلغ من التذكير، وفيها وعيد شديد أي: أفلا يخافونه فلا يشركوا به؟. وختم ما بعد هذه بقوله «فأنى تسحرون» مبالغة في التوبيخ بعد إقرارهم والتزامهم [٣٩٥/أ] ما يقع عليهم به الاحتجاج. و«أنّى» بمعنى كيف. قرّر أنهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سُحروا بها، أي: كيف يُخدعون عن توحيده وطاعته. والسّحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الأفعال والأقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور، عبّر عنهم بذلك.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما ينسبون إلى الله تعالى من اتّخاذ الولد ومن الشركاء وغير ذلك ممّا هم فيه كاذبون.

ثم نفى اتّخاذ الولد وهو نفي استحالة، ونفى الشريك بقوله ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ أي: وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعهم، ولا في غير ذلك ممّا يليق به من الصفات العُلا. فنفي الولد تنبيه على من قال: الملائكة بنات الله، ونفي الشّرك في الألوهيّة تنبيه على من قال: الأصنام آلهة. و«من إله» نفي عام يفيد استغراق الجنس، ولهذا جاء ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ[كُلُّ إِلَٰهٍ ﴾ ولم يأت التركيب: إذاً لذهب] الإله. ومعنى «لذهب» أي: لانفرد كل

---

(١) ق: فيعلمون.

إله بخلقه الذي خلق واستبدّ به، وتميّز ملك كلّ واحد عن ملك الآخر، وغلب بعضهم بعضاً كحال ملوك الدنيا. وإذ لم يقع الانفراد والتغالب، فاعلموا[١] أنه إله واحد.

و«إذاً» لم يتقدّمه في اللفظ شرط ولا سؤال سائل ولا عِدَة، قالوا: فالشرط محذوف تقديره: ولو كان معه آلهة. وإنما حُذف لدلالة قوله «وما كان معه من إله» عليه، وهذا قول الفراء، زعم أنه جاء بعدها اللام كانت [لو] وما دخلت عليه محذوفة، وقد قرّرنا تخريجه[٢] لها على غير هذا في قوله ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ [الإسراء]. والظاهر أنّ [«ما»] في «بما خلق» بمعنى الذي.

وقال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي في تقرير استحالة وجود الإلهين ما نصّه[٣]: لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما، فلا بدّ أن يشتركا في الوجود، ولا بدّ أن يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بعينه، وما به الاشتراك[٤] غير ما به الممايزة، فيكون كل واحد مشاركاً للآخر، وكل مركّب فهو مفتقر إلى آخر ممكن لذاته. فإذن واجب الوجود لذاته ممكن الوجود لذاته، هذا خلف، فإذاً واجب الوجود ليس إلا واحداً فكلّ ما عداه محدث انتهى.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزيه عن الولد والشريك.

---

(١) ق: وإن لم يقع.. واعلموا. والعبارة من كلام الفخر الرازي، انظر تفسيره ٢٣: ١١٨.

(٢) ق: تخريجها.

(٣) لم أجده في هذا الموضع من تفسير الرازي.

(٤) ق: الإشراك.

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ
ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ
يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا
وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ
ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ
لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ
تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ
لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ
إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا
وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ
ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ الآية، لمّا ذكر ما كان عليه الكفار من ادّعاء الولد والشريك لله، وكان تعالى قد أعلم نبيّه [أنه] ينتقم [منهم]، ولم يبيّن أذلك في حياته أم بعد موته - أمره بأن يدعو بهذا الدعاء أي: إن تريني ما تعدهم واقعاً بهم في الدنيا أو في الآخرة، فلا تجعلني معهم. ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سبباً لجعله معهم، ولكنّه أمره أن يدعو بذلك

إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله تعالى.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ﴾ متعلق بـ«قادرون».

ثم أمره تعالى [٣٩٥/ب] [بحسن الأخلاق. و«بالتي هي أحسن» أبلغ من الحسنة، للمبالغة الدالّ عليها أفعل التفضيل، وجاء في صلة «التي» ليدلّ على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن. قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السيف[1]، و«بالتي هي أحسن» شهادة أن لا إله إلا الله. و«السيئة» الشرك.

ثم أمره تعالى] أن يستعيذ من نخسات الشياطين والهمز من الشيطان عبارة عن حثّه على العصيان والإغراء[2].

ثم أمره أن يستعيذ من حضورهم عنده، لأنّهم إذا حضروا توقّع الهمز. وفسّر همز الشيطان بسَوْرة الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قبلها جملة محذوفة تكون «حتى» غاية لها يدلّ عليها ما قبلها، التقدير: فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى إذا جاء أحدهم الموت. ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر[3]: [من الطويل]

فيا عجبًا حتى كليبٌ تسبُّني ... كأنّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ

أي: تسبّني الناس حتى كليب. فدلّ ما بعد حتّى على الجملة المحذوفة، وفي الآية دلّ ما قبلها عليها.

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) ق: والأعزايم.

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ١: ٤١٩.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: حضر وعاينه الإنسان فحينئذ يسأل الرجعة إلى الدنيا.

وفي الحديث[١] «إذا عاين المؤمن [الموت] قالت له الملائكة: نرجعك؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ بل قدوماً إلى الله تعالى، وأما الكافر فيقول ﴿ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾.

ومعنى ﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ في الإيمان الذي تركته.

﴿كَلَّآۚ﴾ كلمة ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد. فقيل: هي [من] قول الله تعالى لهم، وقيل[٢]: من قول من عاين الموت، يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسّر والنّدم.

ومعنى ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ لا يسكت عنها، ولا ينزع[٣] لاستيلاء الحسرة عليه، ولا يجد[٤] لها جدوى، ولا يجاب لما سأل ولا يغاث.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: الكفار. «برزخ» حاجز بينهم وبين الرجعة إلى وقت البعث. وفي هذه الجملة إقناط كلّي أن لا رجوع إلى الدنيا وإنما الرجوع إلى الآخرة. استعير البرزخ للمدّة التي بين موت الإنسان وبعثه.

﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ أي: لا تواصل بينهم حين افتراقهم إلى ما أعدّ لهم من ثواب وعقاب، وإنما التواصل بالأعمال. ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا

---

(١) رواه ابن جرير ١٨: ٤٠ من حديث عائشة.
(٢) ق: لو قيل.
(٣) أي لا ينتهي.
(٤) ق: يجدي.

وبين إثباته في قوله ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ [الصافات] لأنّ يوم القيامة مواطن ومواقف.

وتقدّم الكلام في الموازين في الأعراف[1].

قال الزمخشري[2]: «في جهنم خالدون» بدل من «خسروا أنفسهم»، ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محلّ لها، أو خبر بعد خبر «لأولئك»، أو خبر مبتدأ محذوف انتهى.

جعل «في جهنم» بدلاً من «خسروا»، وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به «في جهنم» أي: استقرّوا[3] في جهنم، من بدل الشيء من الشيء وهما لمسّمى واحد على سبيل المجاز؛ لأنّ من خسر نفسه استقرّ في جهنم.

وأجاز أبو البقاء[4] أن يكون «الذين» نعتاً «لأولئك»، وخبر «فأولئك»: «في جهنم». والظاهر أن يكون خبراً «لأولئك» لا نعتاً[5]، و«خالدون» خبراً ثانياً، و«في جهنم» متعلقاً[6] [٣٩٦/أ] به.

اللّفح أشد من النفخ تأثيراً. والكلوح: تشمّر الشفتين عن الأسنان، ومنه كلوح الكلب والأسد. وخصّ الوجه باللفح لأنه أشرف ما في الإنسان،

---

(١) انظر تفسير الآية ٨ من الأعراف.
(٢) الكشاف ٣: ٤٣.
(٣) ق: استقرّ.
(٤) لم أجد ذلك في الإملاء.
(٥) ق: خبر لأولئك لا نفياً.
(٦) مكررة في ق.

والإنسان أحفظ له من الآفات من غيره من الأعضاء. فإذا لفح[١] الأشرف فما دونه ملفوح. ولمّا ذكر إصابة النار للوجه، ذكر الكلوح المختصّ ببعض أعضاء الوجه.

وفي الترمذي[٢] «تتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرّته» قال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي﴾ [يقول الله تعالى لهم على لسان من يشاء من ملائكته: «ألم تكن آياتي»] وهي القرآن. ولمّا سمعوا هذا التقرير، أذعنوا وأقرّوا على أنفسهم بقولهم ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، من قولهم: غلبني فلان على كذا، إذا أخذه منك وامتلكه. والشقاوة: سوء العاقبة.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: عن الهدى.

ثم تدرّجوا من الإقرار إلى الرّغبة والتضرّع، وذلك أنهم أقرّوا - والإقرار بالذّنب اعتذار - فقالوا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من جهنم.

﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى التكذيب واتّخاذ آلهة وعبادة غيرك.

﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: متجاوزون الحدّ في العدوان، حيث ظلمنا أنفسنا أولاً، ثم سومحنا، فظلمناها ثانياً.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي: ذِلُّوا فيها، وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زُجرت. يقال: خَسَأْتُ الكلب، وخَسَأَ هو بنفسه، يكون متعدّياً ولازماً.

---

(١) ق: نفخ.

(٢) ٨: ٣١٩، أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب أو تخفيفه. قيل: هو آخر كلام يتكلمون[١] به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزّفير والعواء كعواء الكلاب، لا يَفهمون ولا يُفهمون.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ الفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين. وهذه الآية ممّا يقال[٢] للكفّار على جهة التوبيخ. ونزلت في كفّار قريش مع صهيب وعمّار وبلال ونظرائهم، ثم هي عامّة فيمن جرى مجراهم قديماً وبقيّة الدهر.

﴿سِخْرِيًّا﴾ أي: تسخرون منهم ومن اتّباعهم للحق.

قال الزمخشري[٣] في قراءة من قرأ[٤] «أنهم» بالفتح: هو المفعول الثاني أي: جزيتهم فوزهم انتهى.

الظاهر أنه تعليل أي: جزيتهم لأنهم. والكسر على الاستئناف، وقد يراد به التعليل[٥] فيكون الكسر [مثل الفتح من حيث الإعراب لاضطرار المفتوحة إلى عامل.

و﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾] الناجون من هلكة إلى نعمة.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ سألهم سؤال توقيف وهو تعالى يعلم عدد ما لبثوا.

ولما سئلوا عن المدّة التي أقاموا فيها في الأرض، أجابوا بقولهم ﴿لَبِثْنَا

---

(١) ق: يكلّمون.
(٢) ق: كما تقال.
(٣) الكشاف ٣: ٤٤.
(٤) ق: قرىء.
(٥) ق: القليل.

﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ تردّدوا فيما لبثوا، فنَسُوا[١] لفرط هول العذاب حتى قالوا «يوماً أو بعض يوم».

العبث: اللعب الخالي من فائدة. وانتصب على أنه مصدر في موضع الحال تقديره: عابثين، أو على أنه مفعول من أجله والمعنى في هذا: ما خلقناكم للعبث وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا﴾ معطوف [٣٩٦/ب] على «أنما» فهو داخل في الحسبان.

و«الكريم» صفة للعرش، لتنزّل الخيرات منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين.

«ومن» شرطية وجوابه «فإنما حسابه». و«لا برهان له به» صفة لازمة، لا للاحتراز من أن يكون ثَمَّ آخر يقوم عليه برهان، فهي مؤكدة كقوله[٢] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ۝٣٨﴾ [الأنعام]. ويجوز أن يكون جملة اعتراض بين الشرط وجزائه، فلا موضع لها من الإعراب.

وافتتح السورة بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام.

ثم أمر رسوله ﷺ أن يدعو بالغفران والرحمة.

---

(١) ق: فقسرا.

(٢) ق: لقوله.

سورة النور(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾.

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الآية، هذه السورة مدنيةٌ بلا خلاف. ولمّا ذكر تعالى في مشركي قريش ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: أعمال سيئة ﴿ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۝٦٣ ﴾ [المؤمنون] واستطرد بعد ذلك إلى أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك وإلى مآلهم في النار - كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوارٍ بغايا يستحسنون عليهن، ويأكلون من كسبهن من الزّنى، فأنزل أوّل هذه السورة تغليظاً في أمر الزّنى. وكان فيما ذكر ناس من المسلمين همّوا بنكاحهنّ.

«سورة» مرفوع بالابتداء، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فيما أنزلنا سورة، أو هذه سورة. وقرىء بالنصب: سورةً، على الاشتغال أي: أنزلنا سورة أنزلناها.

---

(١) مدنية وآياتها أربع وستون.

قال الزمخشري[1]: أو على: دونك سورةً انتهى.

جعله منصوباً على الإغراء، ولا يجوز حذف أداة الإغراء.

كان الابتداء بقوله «سورة» وإن كان نكرة لتقدير صفة محذوفة تسوّغ الابتداء بالنكرة، كأنه قيل: سورة معظّمة أنزلناها.

وقرىء: وفرضناها[2]، بالتخفيف والتشديد.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ﴾ أي: أمثالاً ومواعظ وأحكاماً، ليس فيها مشكل يحتاج إلى تأويل.

«الزانية» مبتدأ، والخبر محذوف أي: فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني، وقوله «فاجلدوا» بيان لذلك الحكم، هذا مذهب سيبويه. وقدّمت «الزانية» على «الزاني» لأن داعيتها أقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها، ولكون زناها أفحش وأكثر عاراً، وللعلوق بولد الزّنى وحال النساء الحجبة والصيانة. وأل في «الزانية والزاني» للعموم في جميع الزُّناة. والجَلْد: إصابة الجِلد [بالضرب] كما تقول: رَأَسَه وبَطَنه وظَهَره، أي: ضرب رأْسَه وبطْنَه وظهْرَه. والمأمور بالجلد أئمة المسلمين ونوابهم.

﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ الظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصَن في هذا العموم، وهو لا يندرج [فيه] لا الصبي ولا [٣٩٧/أ] المجنون.

والظاهر الاقتصار على الجلد أُحصنا أو لم يُحصنا، وهو مذهب الخوارج.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٦.

(٢) ق: وفرضنا.

واتفق فقهاء الأمصار على أن المُحْصَن يُرجم ولا يُجلد. وجلد علي رضي الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال: جلدتُها بكتاب الله، ورجمتُها بسنّة رسول الله.

﴿رَأْفَةٌ﴾ أي: لين وهوادة في استيفاء حدود الله تعالى. وقرىء: تأخذكم، بالتاء والياء. ورأفة، بسكون الهمزة وفتحها.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ تثبُتٌ وحضٌّ وتهييجٌ للغضب لله تعالى ولدينه. وأمر[1] تعالى بحضور جلدهما طائفة إغلاظاً على الزناة وتوبيخاً لهم بحضرة الناس. وسُمّي الجلد عذاباً إذ فيه إيلام وافتضاح، وهو عقوبة على ذلك الفعل.

والطائفة المأمور بشهودها ذلك أقل ما يتصور فيه ذلك ثلاثة.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ الظاهر أنه خبر قُصد به تشنيع الزّنى وأمره. ومعنى «لا ينكح» لا يطأ. وزاد المشركة في التقسيم فالمعنى أن الزاني في وقت زناه لا يجامع إلا زانية من المسلمين أو أخسّ منها وهي المشركة. والنكاح بمعنى الجماع.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) ق: وأمره.

﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ القذف: الرمي بالزّنى وغيره، واستعير الرّمي للشتم، لأنه إذاية بالقول كما قال[1]: [من المتقارب]

[ولو عن نَثَا غيرِهِ جاءني] وجُرحُ اللسان كجرح اليدِ

و﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الظاهر أن المراد النساء العفائف. وخصّ النساء بذلك، وإن كان الرجال يشركونهن[2] في الحكم، لأن القذف فيهن أشنع وأنكى للنفوس، ومن حيث هنّ هوى الرجال، ففيه إيذاء لهنّ ولأزواجهن وقراباتهنّ. وقيل: المعنى: الفروج المحصنات، كما قال ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء] ويكون اللفظ شاملاً للنساء والرجال. ولمّا كانت معصية الزّنى كبيرة من أمهات الكبائر، وكان متعاطيها كثيراً ما يتستّر[3] بها، فقلّما يطّلع عليها أحد، شدّد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة شهداء رحمة بعباده وستراً. والمعنى: ثم لم يأتوا الحكّام. والجمهور على إضافة «أربعة» إلى «شهداء».

وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم: بأربعةٍ، بالتنوين وهي قراءة فصيحة، لأنه إذا اجتمع اسم العدد والصفة [كان] الإتباع أجود من الإضافة.

قال ابن عطية: وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك إضافته إنما يجوز[4] في الشعر انتهى.

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٨٥.

(٢) ق: يشركوهن.

(٣) ق: يستر.

(٤) ق: تجوز.

ليس كما ذكر، إنما يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعده اسم نحو: ثلاثة رجال، وأما في الصفة فلا، بل الصحيح التفضيل الذي ذكرناه.

وإذا نوّنت «أربعة» «فشهداء» بدل إذ هو وصف يجري مجرى الأسماء، أو صفة لأنه صفة حقيقية، ويضعف قول من قال إنه حال أو تمييز.

﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أَمْر للإمام ونوّابه بالجلد.

والظاهر وجوب الجلد وإن لم يطالب المقذوف، وبه قال ابن أبي ليلى.

وقال أبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي والشافعي: لا يجلد إلاّ بمطالبته. وقال [٣٩٧/ب] مالك كذلك إلا أن يكون الإمام سمعه يقذفه، فيحدّه إذا كان مع الإمام شهود عدول، وإن لم يطالب المقذوف.

والظاهر أن العبد القاذف حرًّا، إذا لم يأت بأربعة شهداء، جُلد ثمانين لاندراجه في عموم ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعي.

وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثوري وعثمان البتي [والشافعي]: يجلد أربعين.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ الظاهر أنه لا تقبل شهادته أبداً، وإن أكذب نفسه وتاب. وهو نهي جاء بعد أمر، فكما أن حكمه الجلد، كذلك حكمه ردّ شهادته.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الظاهر أنه كلام مستأنف غير داخل في حيّز «والذين يرمون»، كأنه إخبار بحال الرّامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتّب في خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبداً.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ هذا الاستثناء يعقب جملاً ثلاثاً[1]: جملة الأمر بالجلد، وهو لو تاب وأكذب نفسه، لم يسقط عنه حدّ القذف. وجملة النهي عن قبول شهادتهم أبداً، وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم إذا تابوا بناءً على أنّ هذا الاستثناء راجع إلى جملة النّهي وجملة الحكم بالفسق، أو هو راجع إى الجملة الأخيرة، وهي الثالثة، وهي الحكم بفسقهم.

والذي يقتضيه النظر أن الاستثناء إذا تعقب جملاً، يصلح أن يتخصّص كلّ واحد منها بالاستثناء، أن يجعل تخصيصاً في الجملة الأخيرة. وهذه المسألة تُكلّم عليها في أصول الفقه، وفيها خلاف وتفصيل، ولم أر من تكلّم عليها من النّحاة غير المهاباذي[2] وابن مالك. واختار ابن مالك أن يعود إلى الجمل كلّها كالشرط. واختار المهابادي أن يعود إلى الجملة الأخيرة، وهو الذي نختاره، وقد استدللنا على صحة ذلك في شرح التسهيل.

ولمّا ذكر تعالى قذف المحصنات، وكان الظاهر أنه يتناول [الأزواج] وغيرهن، وكان رسول الله ﷺ عزم على حدّ هلال ابن أمية حين رمى زوجته بشَرِيك بن سَحْماء فنزلت[3] «والذين يرمون أزواجهم» والمعنى: بالزّنى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ ولم يقيد بعدد اكتفاءً بالتقييد في قذف غير الزوجات. والمعنى: شهداء على صدق قولهم.

و﴿أَزْوَٰجَهُمْ﴾ يعمّ سائر الأزواج من المؤمنات والكافرات والإماء فكلّهن

(١) ق: ثلاثة.

(٢) ق: المهادي.

(٣) ق: شحماء. أسباب النزول ص٢١٢، ولباب النقول ص١٥٢. وانظر البخاري ٤: ١٧٧١.

يلاعنّ الزّوج، للانتفاء من العمل[1]. وقرىء: أربعَ شهاداتٍ، بالنصب على المصدر. وارتفع «فشهادةُ» خبراً على إضمار مبتدأ، أي: فالحكم أو الواجب. أو مبتدأ على إضمار الخبر متقدّماً، أي: فعليه أن يشهد، أو مؤخراً أي: كافية أو واجبة.

وقرىء: والخامسةُ، بالرفع فيهما[2] وهو مبتدأ. وقرىء: أنّ لعنة الله، وأنْ لعنة الله، مخفّفة من الثقيلة. وينسبك من القراءتين مصدر هو خبر عن قوله «والخامسة» والتقدير: والخامسة [٣٩٨/أ] كينونة لعنة الله عليه. وقرىء: أن غضب الله، بالتشديد والتخفيف.

﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ أي: يدفع. و«العذاب» قال الجمهور: [الحدّ]، وقال أصحاب الرأي: لا حدّ عليها إن لم تلاعن، ولا يوجبه عليها قول الزوج. والظاهر الاكتفاء في اللعان بهذه الكيفية المذكورة في الآية.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف تقديره: لهلكتم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ
ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو
عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ
ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ

(١) ق: الحبل.

(٢) أي في هذه الآية، والآية ٩ التالية.

عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآية، سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور في الصحيح[١]. و«الإفك» الكذب والافتراء. والعصبة: الجماعة: وتقدم الكلام عليها في يوسف[٢]. «منكم» أي: من أهل ملّتكم وممّن ينتمي للإسلام، ومنهم منافق ومنهم مسلم. والظاهر أنّ خبر «إنّ» هو «عصبة منكم» و«منكم» في موضع الصفة.

و﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ مستأنف. والضمير في «لا تحسبوه» الظاهر أنه عائد على «الإفك».

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الأذى وانكشاف كذب القاذفين.

﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم ضحك، وبعضهم سكت، وبعضهم تكلّم. و«اكتسب» في المآثم ونحوها لأنها تدلّ على اعتمال وقصد، فهو أبلغ في التكذيب[٣]. وكَسَب: مستعمل في الخير لأن حصوله مُغْنٍ عن الدّلالة على اعتمالٍ فيه. وقد

---

(١) انظر البخاري ٤: ١٧٧٤، ومسلم ٤: ٢١٢٩.

(٢) انظر تفسر الآية ٨ من يوسف.

(٣) ق: التدبيب.

يستعمل كَسَب في[1] الوجهين.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ المشهور أنه عبد الله بن أبيّ [بن] سلول. والعذاب العظيم هو عذاب يوم القيامة، وقيل: هو ما أصاب حسّان من ذهاب بصره وشلّ يده. وقرىء: كبره، بكسر الكاف وضمّها. والعذاب العظيم: عماه وحدّه وضرْبُ صفوان له بالسيف على رأسه، وقال[2]: **[من الطويل]**

تَـوَقَّ ذبـاب السيـف عنـي فـإنني ... غـلام إذا هُـوْجيـتُ لسـتُ بشـاعـر
ولكننـــي أحمـــي حمـــاي وأتّقـــي ... من الباهت الرامي البريء الظواهر

وأنشد حسان أبياتاً يثني فيها [على أم المؤمنين] ويظهر براءته ممّا نُسب إليه وهي هذه الأبيات[3]: **[من الطويل]**

حَصـــانٌ رَزانٌ مـــا تُـــزَنُّ بِـــرِيبـــةٍ ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ
حليلـةُ خيـرِ النـاس دينـاً ومنصبـاً ... نبيِّ الهدى والمكرماتِ الفواضلِ
عقيلـة حـيّ مـن لـؤي بـن غـالـب ... كرام المساعي مجدها غير زائل
مهـــذّبـــة قـــد طيّـــب الله خيمهـــا ... وطهّـرهـا مـن كـل شيـن وبـاطـل
فـإن كـان مـا بلّغـت عنّـي قلتـه ... فـلا رفعـت سـوطـي إلـيّ أنـاملـي
وكيف وودّي[4] ما حييت ونصرتي ... لآل رســول الله زيــن المحــافــل
له رتب عالٍ على الناس فضلها ... تقــاصــر عنهــا ســورة المتطــاول

(١) ق: من.
(٢) الأول منهما في السيرة النبوية ٣: ٣١٨. وهو مما قاله صفوان لحسان بعد أن ضربه بالسيف.
(٣) ديوانه ص٣٨٠.
(٤) ق: ودّي.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [«لولا»] حرف تحضيض بمعنى هلاّ، وفيه تحريض على ظن الخير وزجر وأدب.

والظاهر أن الخطاب للمؤمنين حاشا من تولّى كبره [٣٩٨/ب].

وقيل: ويحتمل دخولهم في الخطاب . وفيه عتاب، أي: كان الإنكار واجباً عليهم.

وعدل بعد الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر، فلم يجيء التركيب: ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم، ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرّح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضٍ أن لا يصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حقّ المؤمن إذا سمع مقالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظنّ الخير، وأن يقول بناءً على[1] ظنّه: هذا إفك مبين. هكذا باللفظ الصّريح ببراءة أخيه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ أي: في الدنيا، بالنعم التي منها الإمهال للتوبة. ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة. ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ العذاب فيما خضتم فيه من حديث الإفك.

يقال: أفاض في الحديث واندفع وهَضَب وخاض.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ العامل في «إذ» «لمسّكم». «تلقّونه» أي: يأخذه بعضكم من بعض، يقال: تلقّى القول وتلقّنه وتلقّفه. والأصل: تتلقّونه.

ومعنى ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ أي: تَلُوكُونه بأفواهكم، وتديرونه فيها من غير علم، لأن الشيء المعلوم يكون في القلب، ثم يعبّر عنه اللسان، وهذا الإفك ليس

(١) ق: وإن بني على ظنه.

محلّه إلا الأفواه، كما قال ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ أي: ذنباً صغيراً، وهو عند الله من الكبائر.

وعلّق مسّ العذاب بثلاثة آثام: تلقّي الإفك والتّكلم به واستصغاره. ثم أخذ يوبّخهم على التّكلم به وكان الواجب عليهم إذ سمعوه أن لا يفوهوا به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ قال مجاهد: الإشارة إلى عبد الله بن أبي ومن أشبهه. ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لعداوتهم لهم. والعذاب الأليم في الدنيا: الحَدُّ، وفي الآخرة النار.

والظاهر في «الذين يحبون» العموم في كل قاذف منافقاً كان أو مؤمناً. وتعليق الوعيد على محبّة الشّياع دليل على أن إرادة الفسق فسق.

«والله يعلم» أي: البريء من المذنب، وسرائر الأمور، ووجه الحكمة في ستركم، والتغليظ في الوعيد. «والله يعلم» كذبهم. «وأنتم لا تعلمون» لأنه غيب.

وجواب «ولولا» محذوف أي: لعاقبكم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ﴾ بالتّبرئة. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بقبول توبة مَن تاب مِن قَذْف.

قال ابن عباس: [الخطاب] لحسّان ومسطح وحمنة، والظاهر العموم.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن
يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا
تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ الآية، تقدم الكلام على «خطوات الشيطان»] في البقرة[1]. والضمير في «فإنه» عائد على «مَن» الشرطية، أي: فإن متّبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء، وهو ما أفرط قُبْحُه، و«المنكر» وهو ما تنكره العقول السليمة[2] أي: يصير رأساً في الضلال بحيث يكون آمراً تطيعه[3] أصحابه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالتوبة الممحّضة ما طهر أحد منكم أي: ما زكا.

﴿يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ ممّن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبقها، أو من يشاء بقبول [٣٩٩/أ] التوبة النصوح.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائركم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ هو مضارع ائتلى، افتعل من الأَلِيَّة وهي الحَلْف. وقيل: معناه يقصّر[4]، بنى افتعل من أَلَوْت بمعنى قصّرت ومنه ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴿١١﴾﴾ [آل عمران]. وقال الشاعر[5]: [من الطويل]

(١) انظر تفسير الآية ١٦٨ من البقرة.
(٢) ق: السلبة.
(٣) ق: بطبعه.
(٤) ق: بعصوبتي.
(٥) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٩.

وما المرءُ ما دامت حُشاشة نفسه بمـدركِ أطـرافِ الخطـوب ولا آلِ

وسبب[١] نزولها المشهور، أنه حَلْفَ أبي بكر[٢] على مسطح، أن لا ينفق عليه، ولا ينفعه بنافعة. وقال ابن عباس والضّحاك: قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عمّن قال في الإفك وقالوا: لا نصل من تكلّم به، فنزلت في جميعهم. والآية تتناول من هو بهذا الوصف.

«الغافلات» أي: السليمات الصدور النقيّات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر، لأنهنّ لم يجرّبن الأمور، ولا يفطنّ لما يفطن له المجرّبات.

﴿ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ جاء في قذف المحصنات. قبل هذا الاستثناء بالتوبة[٣]، وفي هذه الآية لم يجىء استثناء. ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل: [نزلت] في مشركي مكة؛ كانت المرأة إذا خرجت المدينة مهاجرةً، قذفوها، وقالوا: خرجت لتفجر. قاله أبو حمزة اليمامي، ويؤيده قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ﴾. [والناصب «ليوم تشهد» ما تعلّق به الجارّ والمجرور وهو «ولهم».

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ﴾ يوم: بدل من «يوم» والتنوين في إذ للعوض في الجملة المحذوفة والتقدير: يوم إذ تشهد عليهم]. والدين هنا: الجزاء أي: جزاء أعمالهم.

الخبيث: من يكتم في قلبه إذاية الناس حتى يمكر بهم.

---

(١) انظر البخاري ٤ : ١٧٨٢.

(٢) ق: خلف أبو بكر.

(٣) انظر الآيتين ٤، ٥ من السورة.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة للطيبين والطيبات. والضمير في «يقولون عائد على ذوي الخبث.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال، لا أحبّ أحداً يراني عليها، فلا يزال حتى يدخل عليّ رجل من أهلي، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية، فقال أبو بكر بعد نزولها: يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن[2]؟ فنزل ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ

---

(١) أسباب النزول ص٢١٩. ولباب النقول ص١٥٨.

(٢) ق: مساكن.

جُنَاحٌ ﴿٢٩﴾ [النور]. ومناسبتها لما قبلها هو أنّ أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتّفقت الخلوة، فصارت كأنها طريق للتّهمة، فأوجب الله تعالى ألاّ يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسّلام، لأنّ في الدخول على غير هذا الوجه وقوع التّهمة. وفي ذلك من المضرّة ما لا خفاء فيه.

والظاهر أنه يجوز للإنسان أن يدخل بيت نفسه بغير استئذان ولا سلام لقوله «غير بيوتكم». ويروى[1] «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أستأذن على أمي؟ قال: نعم. قال: ليس لها خادم غيري، أستأذن عليها كلما دخلتُ؟. قال: أتحبّ أن تراها عريانة؟. قال الرجل: لا. قال: فاستأذن».

وغيّا النّهي عن الدخول بالاستئناس والسلام[2] على أهل تلك البيوت.

والظاهر أن الاستئناس هو خلاف الاستيحاش.

﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ هي الفنادق التي في طرق[3] المسافرين، وقيل: الخِرَب التي تُدخَل [٣٩٩/ب] للتبرّز[4]، [وقيل]: الرُّبُط، [وقيل]: حوانيت البيّاعين. والمتاع: المنفعة كالاستكنان من الحرّ والبرد وإيواء الرّحال[5] والسِّلَع والشراء والبيع وغير ذلك.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ﴾ الآية، تقدّم مثل هذا التركيب في قوله تعالى

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٨ : ٨٨ عن عطاء بن يسار.

(٢) غيّاه بالاستئناس والسلام: أي ربطه بهما.

(٣) ق: الطرق.

(٤) ق: للتبرد.

(٥) ق: وأبو الرجال.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]. و«مِن» لابتداء الغاية.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم.

﴿خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ من إجالة النظر وانكشاف العورات، فيجازي على ذلك.

والمؤمنات: عامّ في الزوجات والمملوكات.

﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ وهي الكحل والخضاب والخاتم.

﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ الخُمُر: جمع خمار وهو المِقْنعة التي تلقي المرأة على رأسها[1]، وهو جمع كثرة مقيس، ويجمع في القلّة على أخمرة وهو مقيس فيه أيضاً. وقال[2]: [من الرمل]

وتـرى الشَّجْـراء فـي رَيِّقِـه كرؤوسٍ قُطّعتْ فيها الخُمُرْ

وكان النساء يغطين رؤوسهن بالأخمرة ويُسْدِلْنَها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر عليهنّ. وضمّن «وليضربن» معنى: وليضعن وليلقين، فلذلك عدّاه بعلى. وبدأ تعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزّينة، ثم ثنّى بالمحارم وسوّى بينهم في إبداء الزّينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب [ما في نفوس] البشر؛ فالأب والأخ ليسا[3] كابن الزّوج، فقد يُبدَى للأب ما لا يُبدَى لابن الزّوج. ولم يذكر تعالى هنا العمّ ولا الخال، وقال الحسن: هما كسائر المحارم في جواز

(١) ق: نفسها.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٤٥.

(٣) ق: ليس.

النّظر.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ مخصوص بمن كان على دينهنّ، قال ابن عباس: ليس للمسلمة أن تتجرّد بين نساء أهل الذّمة، ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أَمَةً لقوله تعالى ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾. وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن امنع نساء أهل الذمّة[1] من دخول الحمّام مع المؤمنات.

والظاهر العموم في قوله «أو ما ملكت أيمانهن» فيشمل الذكور والإناث، فيجوز للعبد أن ينظر من سيّدته ما ينظر أولئك المستثنَوْن، وهو مذهب عائشة وأم سلمة.

وقال سعيد بن المسيّب: لا تغرّنكم آية النور، فإن المراد بها الإماء.

قال الزمخشري[2]: وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصيًّا كان أو فحلاً.

وعن ميسون بنت بحدل الكلابية[3]، أن معاوية دخل عليها ومعه خصيّ، فتقنّعت منه، فقال: هو خصيّ. فقالت: يا معاوية، أترى المُثْلة تحلّل ما حرّم الله؟.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: لا يحلّ إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم، ولم يُنقل [عن] أحد من السّلف إمساكهم [انتهى].

(١) ق: نساء دخول أهل الذّمة.
(٢) الكشاف ٣: ٦٢.
(٣) ق: الكلامية.

و«الإربة» الحاجة إلى الوطء، لأنهم[1] بُلْه لا يعرفون شيئاً من أمر النّساء. ويدخل في هذه الصيغة المجنون والمعتوه والمخنّث والشيخ الفاني والزّمِن الموقوذ[2] بزمانته.

وقَسّم التابعين غير أولي الحاجة للوطء [٤٠٠/أ] إلى قسمين: رجال وأطفال.

والمفرد المحلّى بأل يكون للجنس فيعمّ، ولذلك وصف بالجمع في قوله ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ ومن ذلك قول العرب: أهلك الناس الدينار الصُّفْر والدّرهم البِيْض، يريد: الدنانير والدراهم. فكأنه قال: والأطفال ﴿ٱلطِّفْلِ﴾ ما لم يراهق الحلم.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها[3]، فيُعلم أنها ذات خلخال. وزعم حضرمي أنّ امرأة اتّخذت خلخالاً من فضّة واتخذت جَزْعاً[4] فجعلته في ساقها، فمرّت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجَزْع فصوّت، فنزلت[5] هذه الآية.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لمّا سبقت منه تعالى أوامر ومناهٍ، وكان الإنسان لا يكاد يقدر على مراعاتها دائماً، وإن ضبط نفسه، واجتهد، فلا بدّ من تقصير - أَمَر

---

(١) ق: لأنهنّ.

(٢) ق: المقود. والزّمِن: المبتلى بآفة. والموقوذ بزمانته: الغالب عليه آفته.

(٣) أي يصوّت عند التّحرك.

(٤) الجَزْع: الخرز اليماني.

(٥) لباب النقول ص١٥٩.

بالتّوبة وترجّي الفلاح إذا تابوا. وعن ابن عباس: توبوا ممّا كنتم تفعلونه في الجاهلية [لعلكم] تسعدون في الدنيا والآخرة.

وقرىء: أيـهُ المؤمنون. و﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴿٤٩﴾﴾ [الزخرف] و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن]. أصل ها للتنبيه، ضُمّت لضم الياء قبلها إتباعاً، وضمّها لغة لبني مالك رهط شقيق بن سلمة.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الآية، لمّا تقدّمت أوامر ونواهٍ في غضّ البصر وحفظ الفرج وإخفاء الزّينة وغير ذلك، [قال بعده «وأنكحوا»]. والظاهر أن الأمر في «وأنكحوا» للوجوب، وبه قال أهل الظاهر، وأكثر العلماء على أنه[1] للنّدب. وتقدّم في المفردات[2] أن الأيّم من لا زوج له من ذكر أو أنثى ووزنه فَيْعِل، يقال منه: آم يئيم، وقال[3]: [من م. الكامل]

(١) ق: أنها.

(٢) يعني في شرح مفردات الآية في البحر، انظر ٦: ٤٤٣.

(٣) البيت في اللسان «أيم» منسوب إلى يزيد بن الحكم الثقفي.

كـــل امــرىءٍ سَتَئِيـــم منـــ ـــه العِرْس أو منها يئيم[١]

﴿وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ جمع أَمَة، أصله: أَمَوَه[٢]، حذفت منه لام الكلمة وهي الواو.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ أي: ليجتهد في العفّة وصون النّفس، وهو استفعل، بمعنى طلب العفّة من نفسه وحملها عليها. وجاء الفكّ على لغة الحجاز.

﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ قيل: النكاح هو اسم لما يُمهر به، وينفق في الزواج، كاللّحاف واللباس: لما يُلتَحَف به ويُلْبَس. أَمَر أوّلاً بما يعصم عن الفتنة[٣] ويُبعد عن مواقعة العصيان، وهو غضّ البصر، ثم بالنكاح الذي يُحصَن به الدّين، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النّفس الأمّارة بالسّوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوات عند العجز عن النكاح إلى أن يُرزق القدرة [عليه][٤]. ولما حث السّادة[٥] على تزويج الصالحين من العبيد والإماء، رغّبهم في أن يكاتبوهم إذا طلبوا ذلك، ليصيروا أحراراً، فيتصرفوا[٦] في أنفسهم.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَـٰبَ﴾ أي: المكاتبة كالعتاب والمعاتبة.

﴿مِمَّا مَلَكَتْ﴾ يعمّ المماليك الذكور والإناث. «والذين» يحتمل أن يكون مبتدأ خبره الجملة والفاء دخلت في الخبر لما تضمّن الموصول من معنى

(١) ق: كل أمر سايم.. منها بايم.

(٢) ق: أومه.

(٣) ق: الغيبة.

(٤) نهاية كلام للزمخشري ابتدأ بقوله: أمر أولاً. انظر الكشاف ٣: ٦٥.

(٥) ق: ولمّا بعث السيد.

(٦) ق: فينصرفون.

اسم الشرط. والخير: المال، قاله ابن عباس.

﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للمكاتِبين.

﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ لا [٤٠٠/ب] يدلّ على مقدار معيّن من المال.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ في صحيح مسلم[١] عن جابر أنّ عبد الله بن أبيّ كان له ستّ جوارٍ: معاذة ومُسَيكة وأميمة وعَمْرة وأروى وقُتَيلة، جاءت إحداهنّ ذات يوم بدينار وأخرى ببُرْد. فقال لهما: ارجعا فازنيا. فقالتا: والله لا نفعل ذلك، قد جاءنا الله تعالى بالإسلام، وحرّم الزّنى. فأتتا رسول الله ﷺ وَشَكَتَا[٢] ذلك فنزلت. والفتاة: المملوكة. وهذا خطاب للجميع، ويؤكد أن يكون «وآتوهم» خطاباً للجميع.

والنّهي عن الإكراه على الزّنى مشروط[٣] بإرادة التّعفف منهن، لأنه لا يمكن الإكراه إلا مع إرادة التّحصن، أما إذا كانت مريدة الزّنى فإنه لا يُتصوّر الإكراه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جواب للشرط. والصحيح أن التقدير: غفور رحيم لهم، ليكون جواب الشرط فيه[٤] ضمير يعود على [«مَنْ» الذي هو اسم الشرط، ويكون ذلك مشروطاً بالتوبة.

ولمّا غفل الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء[٥] عن هذا الحكم قدّروا: فإن الله غفور رحيم لهنّ، أي: للمكرهات، فعريت جملة جواب الشرط من

---

(١) ٤: ٢٣٢٠، بألفاظ مختلفة. وانظر أسباب النزول ص٢٢٠.

(٢) ق: وشكيا.

(٣) ق: عن الزّنى شروط.

(٤) ق: مَن.

(٥) إملاء ٢: ١٥٦.

ضمير يعود على اسم] الشرط.

﴿وَمَثَلًا﴾ أي: قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم في براءتهما.

وقال [الضّحاك]: المراد بالمثل ما في التوراة والإنجيل من إقامة الحدود وأنزل في القرآن مثله. «وموعظة» أي: ما وعظ به في الآيات. والمَثَل من نحو قوله ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴿٢﴾﴾ [النور]، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴿١٢﴾﴾ [النور]، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴿١٧﴾﴾ [النور]. وخصّ المتقين، لأنهم المنتفعون بالموعظة.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ الآية، النور: الضوء المُدْرَك بالبصر، وإسناده إلى الله تعالى مجاز كما تقول: زيد كَرَمٌ. وإسناده على اعتبارين: إما على أنه بمعنى اسم الفاعل أي: منوِّر السماوات والأرض، وإمّا على حذف مضاف أي: ذو نور، ويؤيّده قوله «مثل نوره». وأضاف النور إلى السماوات والارض للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض.

المشكاة: الكوّة غير النافذة، قال الكلبي: وهو حبشي معرّب. وهو على

حذف مضاف أي: صفة نوره[١] كنور مشكاة ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ المصباح: آلة يستصبح بها، كالمفتاح: آلة للفتح. وقال أبو موسى: المشكاة: الحديدة والرّصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزّجاجة. والزّجاجة ظرف للمصباح لقوله ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾.

﴿كَأَنَّهَا﴾ أي: كأن الزّجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهي أبلغ في الإنارة، أو لما احتوت عليه من نور المصباح كأنها كوكب درّي. قرىء: دُرِّيّ، بضم الدال وتشديد الياء نسبة إلى الدّر لصفائه. وقرىء: دُرِيْء، بالهمز على وزن مُريق. وقرىء: دِريء، بكسر الدّال والهمز، وهما مشتقان من درأ أي: دفع، كأنّهما يدفعان الظّلمة. وقرىء: يوقد، أي: المصباح. وتوقد[٢]، بالتاء أي: الزجاجة، ونسب الاتّقاد إليها لتوقّد[٣] المصباح فيها.

﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: من زيت شجرة. ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ قيل: بارك فيها سبعون نبيًا [٤٠١/أ] منهم إبراهيم عليه السلام. والزّيتون من أعظم الشجر ثمراً[٤]. و﴿زَيۡتُونَةٍ﴾ بدل من «شجرة».

وأجاز الكوفيون والفارسي أن يكون عطف بيان، ولا يجيز البصريون ذلك، لأنهم شرطوا في عطف البيان أن يكون معرفة لمعرفة.

﴿لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾ هي من شجر الشام، فليست من شرق الأرض ولا من غربها لأن شجر الشام أفضل الشجر.

---

(١) ق: نور.

(٢) قبلها في ق: وتوقد أي المصباح.

(٣) عبارة ق: ونسب أي الإيقاد إليها يتوقد.

(٤) ق: تمر.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ مبالغة في صفاء الزيت، وأنه لإشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار. والجملة من قوله ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ حالية معطوفة على حال محذوفة، أي: يكاد زيتها يضيء في كل حال، ولو في هذه الحال التي تقتضي أنه لا يضيء لانتفاء مسّ النّار له.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: متضاعف تعاون عليه المشكاة والزّجاجة والمصباح والزيت، فلم يبق مما يقوّي ويزيده إشراقاً شيء، لأن المصباح إذا كان في مكان ضيّق كان أجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع فإنه ينشر[1] النّور، والقنديل أعون شيء على زيادة النّور، وكذلك الزيت وصفاؤه، وهنا تمّ المثال.

وما أحسن ما جاء في التركيب في قوله تعالى ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ حيث ذكر المصباح مرتين: نكرة ومعرفة، وكذلك في قوله «الزّجاجة» ذكرها نكرة ومعرفة، فدلّ ذلك على تفخيم هذا التركيب وحُسْنه، ولو كان في غير القرآن لاكتفى بقوله: كمصباح في مشكاة في زجاجة. وهذا التشبيه كله إنما جاء باعتبار ما يتخيله الناس [من انتشار هذا النور، وإلاّ فالنور المنسوب إلى الله أعظم من كل نور يُتخيل]. ولقد أحسن أبو تمام في قوله، وقد مدح ملكاً، فشبّهه بعمرو في إقدامه، وحاتم في كرمه، وأحنف في حلمه، وإياس في ذكائه فقال[2]: [من الكامل]

إقدام عمروٍ في سماحة حاتم   في حِلْم أحنفَ في ذكاء إياسِ

---

(١) ق: تيسر.

(٢) ديوانه ٢: ٢٤٩.

فقيل له: شبّهتَ هذا الملك بأجلاف من العرب. فقال مرتجلاً[١]:

لا تنكروا ضربي له مَن دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
[من الكامل]

والنبراس: المصباح.

ثم قال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي: بهداه. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ويصطفيه لها. ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال لتقع لهم العبرة والنظر المؤدّي إلى الإيمان.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ الظاهر أن يتعلق «في بيوت» بقوله «يسبّح». وإن ارتباط هذه بما قبلها هو أنه تعالى لمّا ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء، ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون. ثم ذكر أشرف عباداتهم القلبية، وهو تنزيههم الله تعالى عن النقائص وإظهار ذلك بالتلفّظ به في مساجد الجماعات. ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله تعالى، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وخوفهم ما يكون في البعث. ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفّار في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النور] [٤٠١/ب] وكأنه لمّا ذكرت الهداية للنّور، جاء التقسيم[٢] لقابل الهداية وعدم قابلها فبدىء بالمؤمن[٣] وما تأثّر به من أنواع الهدى، ثم ذكر الكافر.

وقرىء: يُسبِّح، بكسر الباء، و«رجال» فاعل. وقرىء بفتح الباء، و«رجال» فاعل بفعل محذوف؛ لما قال «يسبح له» قيل[٤]: من يسبّحه؟

(١) ديوانه ٢: ٢٥٠.
(٢) ق: القسيم.
(٣) ق: بالمؤمنين.
(٤) ق: قدر.

فقيل «رجال»، وحذف لدلالة «يسبّح» عليه. و«فيها» بدل من قوله «في بيوت».

ثم ذكر تعالى وصف المسبّحين [بأنهم] لمراقبتهم أمر الله تعالى، وطلبهم رضاه، لا يشتغلون عن ذكر الله. واحتمل قوله «لا تلهيهم» وجهين: أحدهما أنهم لا تجارة لهم تلهيهم عن ذكر الله كقوله[1]: [من الطويل]

علـى لاحـبٍ لا يُهتَـدى بمنـاره [إذا سافَهُ العَوْدُ النَّباطيُّ جَرْجَرا]

أي: لا منار له فيُهتدى به. والثاني أنهم ذوو تجارة وبَيْع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله تعالى وعمّا فرض عليهم.

واللام في «ليجزيهم» معلقة بمحذوف تقديره: فعلوا ذلك ليجزيهم.

﴿أَحْسَنَ﴾ هو على حذف مضاف أي: ثواب أحسن ما عملوا. و«ما» في ﴿مَا عَمِلُوا۟﴾ يحتمل أن تكون موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف تقديره: عملوه، واحتمل أن تكون مصدرية أي: أحسن عملهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال المؤمنين، ذكر حال الكافرين، فمثّل لهم ولأعمالهم مَثَلين: أحدهما بُطْل أعمالهم في الآخرة وأنهم لا ينتفعون بها، والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦.

الضلال والظّلمة. شبّه أولاً أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض، ظنّه العطشان ماءً، فقصده، وأتعب نفسه في الوصول إليه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ أي: جاء موضعه الذي تخيّله فيه.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: فقده، لأنه مع الدنوّ لا يرى شيئاً، كذلك الكافر يظن أن عمله في الدنيا نافعُهُ حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم ينفعه عمله، بل صار وبالاً عليه. والقيعة: المكان المنخفض من الأرض وجمعها قيعان.

و﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ العطشان. والسراب: الضّباب المنعقد كأنه سحاب، وهو لا حقيقة له.

والظاهر أنه تعالى شبّه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب، صفته كذا، وأن الضمائر في ما بعد «الظمآن» له.

والمعنى في ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: ووجد مقدور الله عليه من هلاك بالظمأ. «عنده» أي: عند موضع السراب.

﴿فَوَفَّىٰهُ﴾ ما كتب له من ذلك، وهو المحسوب له والله تعالى معجّل حسابه لا يؤخّره عنه. فيكون الكلام متناسقاً[1] آخذاً بعضه بعنق بعض، وذلك باتّصال الضمائر لشيء[2] واحد. ويكون هذا التشبيه مطابقاً لأعمالهم من حيث إنهم اعتقدوها نافعة، فلم تنفعهم. وحصل لهم الهلاك بأثر ما حوسبوا.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ التشبيه الثاني لأعمالهم. فالأول فيما [٤٠٢/أ] تؤول إليه أعمالهم في الآخرة، وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا. وبدأ بالتشبيه

---

(١) ق: مستأنفاً. وفيه وجه.

(٢) ق: كشيء.

الأول لأنه آكد في الإخبار، لما فيه من ذكر ما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السّرمد، ثم أتبعه بهذا التمثيل الذي نبّههم[1] على ما هي أعمالهم عليه، لعلهم يرجعون إلى الإيمان، ويفكّرون في نور الله تعالى الذي جاء به الرسول عليه السلام.

وقرىء: سحابُ ظلماتٍ، على الإضافة. وسحابٌ، منوّناً، ظلماتٍ، مجرور بدلاً[2] من «ظلمات» المتقدمة، يكون «بعضها فوق بعض» مبتدأً وخبراً في موضع الصّفة «لظلمات».

وقرىء: سحابٌ، منوّناً، ظلماتٌ، منوّناً بدلاً من قوله «سحاب». والضمير في «يده» عائد على محذوف تقديره: إذا أخرج من استقرّ في الظلمات يده «لم يكد يراها» أي: لم يُقارب رؤيتَها لتكاثفِ الظُّلمة، وإذا انتفت المقاربة، انتفت الرؤية.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۢ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

(١) ق: ينهم.

(٢) ق: بدل. وكذا في الموضع التالي بعد سطرين.

﴿ أَلَمْ تَـرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر، وأن الإيمان والضلال أمرهما راجع إليه، أعقب بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده. والظاهر حَمْل التسبيح على حقيقته وتخصيص «مَن» في قوله: ومن في الأرض، بالمطيع لله من الثَّقلين. وقيل «مَن» عامّ لكلّ موجود، وغلّب من يعقل على ما لا يعقل فأدرج ما لا يعقل فيه.

ولما ذكر انقياد من في السماوات والأرض والطير إليه تعالى، وذكر ملكه لهذا العالم وصيرورتهم إليه، أكّد ذلك بشيء عجيب من أفعاله مشعراً بانتقال من حال إلى حال، وكان عقب قوله ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فأعلم بانتقال إلى معاد، فعطف عليه ما يدلّ على تصرّفه في نقل الأشياء من حال إلى حال.

ومعنى ﴿ يُـزْجِى ﴾ يسوق قليلاً [قليلاً] ويستعمل في سَوْق الثقيل برفق كالسحاب والإبل. والسحاب اسم جنس واحده سحابة. والمعنى: يسوق سحابة إلى سحابة.

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ أي: بين أجزائه سحابة تتصل بسحابة[1]، فيجعل ذلك ملتئماً بتأليف بعضه إلى بعض، فيجعله ركاماً أي: متكاثفاً، يجعل بعضه على بعض.

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ أي: المطر لتراكم السحاب بعضه على بعض وانعصاره بذلك.

﴿ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ أي: [من] فُتُوقِه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار. والخِلال: قيل مفرد، وقيل جمع خَلَل، كجبال وجبل.

والظاهر أن في السّماء جبالاً من بَرَد، قاله مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين، خلقها الله تعالى كما خلق في الأرض جبالاً من حجر. و«جبال»

---

(١) ق: لأنه سحابه يتصل سحابه.

على معنى الكثرة.

وقرىء: سنا، مقصوراً، برقه، مفرداً. وقرىء: سناء، ممدوداً، بُرَقه، بضم الباء وفتح الراء جمع بُرْقة كاللُّقمة، وهي المقدار من البرق. «يذهب بالأبصار» الباء [٤٠٢/ب] للتعدية تقديره: يُذهب الأبصار.

﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ والظاهر أنّ «من ماء» متعلق «بخلق» و«مِن» لابتداء الغاية، أي: ابتداء خلقها من الماء. واندرج في «كل دابة» المميّز وغيره فسهل التفصيل «بمَنْ» التي لمن يعقل وما لا يعقل، إذا كان مندرجاً في العامّ، فحكم له بحكمه، كأن الدوابّ كلهم مميّزون. والماشي على بطنه الحيّات والحوت ونحوه من الدّود وغيره.

و﴿عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ الإنسان والطير.

و﴿عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كسائر الحيوان الأرضي من البهائم وغيرها. فإن وُجد من [له] أكثر من أربع فقيل: اعتماده إنما هو على الأربع ولا يفتقر في مشيه إلى جميعها. وقدّم ما هو أغرب في القدرة وأعجب وهو الماشي بغير آلة مشي [على] مَن [له] رِجْل وقوائم، ثم على رجلين ثم على أربع.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا
حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا﴾ الآية، نزلت إلى قوله ﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان] في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر، دعاه يهودي في خصومة بينهما إلى رسول الله ﷺ، ودعا هو إلى كعب بن الأشرف فنزلت[1].

ولمّا ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبع ذلك بذمّ قوم آمنوا بألسنتهم دون عقائدهم.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ عن الإيمان. [﴿مِّنۢ﴾] بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: بعد قولهم «آمنا». ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى القائلين، فينتفي عن جميعهم الإيمان، أو إلى الفريق المتولّي، فيكون ما سبق لهم من الإيمان ليس إيماناً، إنما كان ادّعاءً باللسان من غير مواطأة بالقلب.

وأفرد الضمير في «ليحكم»[2] وقد تقدم قوله «إلى الله ورسوله» لأن حكم الرسول عن الله تعالى.

وقسمَ تعالى جهات تولّيهم عن حكومته فقال ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: نفاق وعدم إخلاص.

﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: عرضت لهم الرّيبة والشّك في نبوّته بعد أن كانوا مخلصين.

﴿أَمۡ يَخَافُونَ﴾ أي: يعرض لهم الخوف من الحَيْف في الحكومة فيكون ذلك ظلماً لهم. ثم استدرك «ببل» أنهم الظّالمون.

---

(١) أسباب النزول ص ٢٢١.
(٢) ق: ويحكم.

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ ﴾ لمّا بلغ المنافقين ما أنزل الله تعالى فيهم إلى الرسول عليه السلام وأقسموا إلى آخره. أي ليخرجُنّ عن ديارهم وأموالهم ونسائهم، أو لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجُنّ. وتقدّم الكلام في «جهد أيمانهم» في الأنعام[1]. ونهاهم تعالى عن قَسَمهم لعلمه تعالى أنه ليس حقّاً. و«طاعة» مبتدأ، و«معروفة» صفة، والخبر محذوف أي: أمثل وأولى. أو خبر مبتدأ محذوف أي: أَمْرُنا، أو المطلوب طاعة معروفة.

﴿ فَإِن[2] تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾ أي: على الرسول. ﴿ مَا حُمِّلَ ﴾ وهو التبليغ ومكافحة الناس بالرّسالة وإعمال الجهد في إنذارهم. ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ وهو السّمع والطاعة واتّباع الحق. ثم علّق هدايتهم على طاعته فلا تقع إلا بطاعته.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ[٤٠٣/أ] إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ تقدّم الكلام على مثل هذه الجملة في المائدة[3].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾.

(١) انظر تفسير الآية ١٠٩ من الأنعام.

(٢) قبلها في ق: فإن تولّو أي.

(٣) انظر تفسير الآية ٩٢ من المائدة.

والخطاب في ﴿مِنكُمْ﴾ للرسول عليه السلام وأتباعه. و«مِن» للبيان أي: الذين هم أنتم. وعد الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض، ويجعلهم خلفاء.

﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة. واللام في «ليستخلفنهم» جواب قسم محذوف أي: وأقسم ليستخلفنّهم، أو أجري وعد الله، لتحقّقة، مجرى القسم، فجووب بما يجاب به القسم. وعلى تقدير حذف القسم يكون معمول «وعد» محذوفاً تقديره: استخلافكم وتمكين[1] دينكم ودلّ عليه جواب القسم المحذوف.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ أي: يثبته ويوطده بإظهاره[2] وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله.

و﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ صفة مدح جليلة.

وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى بما أظهر الله تعالى على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم عليه السلام إلى زمان هذه الملّة المحمّدية.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ قال صاحب النظم: لايحتمل أن يكون[3] «ومأواهم» متصلاً بقوله «لا تحسبن» ذلك نهي وهذا إيجاب، فهو إذاً معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره: لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض بل هم مقهورون ومأواهم النار [انتهى].

---

(١) ق: وتمكّن.

(٢) ق: بإظهار.

(٣) ق: لاتحتمل أن تكون.

واستبعد العطف من حيث إن «لا تحسبن[١]» نهي و«مأواهم» جملة خبرية، فلم يناسب عنده أن تعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما[٢]، وهذا مذهب قوم.

ولمّا أحسّ الزمخشري بهذا قال[٣]: كأنه قيل: الذين كفروا لا يفوتون[٤] الله.

فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة.

والصحيح ان ذلك لا يشترط، بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضها على بعض، وإن لم تتّحد في النّوعية، وهو مذهب سيبويه.

قال الزمخشري[٥]: يكون الأصل: لا يحسبنّهم الذين كفروا معجزين. ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول، وكأن الذي سوّغ ذلك أن الفاعل والمفعولَيْن لمّا كانت لشيء[٦] واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى.

قد رددنا هذا التخريج في أواخر [آل] عمران في قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا ﴿١٨٨﴾﴾ في قراءة من قرأ بياء الغيبة، وجعل الفاعل «الذين يفرحون».

وملخّصه أن هذا ليس من الضمائر التي يفسّرها ما بعدها، فلا يتقدر: لا

(١) ق: يحسبنّ.
(٢) ق: كتباينهما.
(٣) الكشاف ٣: ٧٤.
(٤) ق: للذين كفروا لا يقولون الله.
(٥) الكشاف ٣: ٧٤.
(٦) ق: كالشيء.

تحسبنّهم؛ إذ لايجوز: ظنّه زيد قائماً[١]، على تقدير رَفْعِ زيد بظَنَّه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾ الآية، روي[٢] أن عمر بعث إليه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له مدلج، وكان نائماً، فدقّ الباب، ودخل، فاستيقظ [٤٠٣/ب] وجلس، فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددتُ أن الله تعالى [نهى] أبناءنا[٣] ونساءنا عن الدخول علينا في هذه الساعة إلا بإذن. ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ، فوجد هذه الآية قد نزلت، فخرّ ساجداً لله تعالى.

و«ليستأذنكم» أمرٌ، والظاهر حمله على الوجوب وقيل على النّدب. والظاهر عموم «الذين ملكت أيمانكم» في العبيذ والإماء والظاهر من قوله «ثلاث مرات» ثلاثة استئذانات، ويؤيّده قوله عليه السلام «الاستئذان ثلاث»[٤].

(١) ق: ظنّه زيد فيك قائماً.

(٢) أسباب النزول ص ٢٢٢.

(٣) ق: أنبانا.

(٤) صحيح الجامع الصغير ٢: ٤٠٩. وانظر البخاري ٥: ٢٣٠.

﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ما يُنام فيه من الثياب، ولبس ثياب اليقظة، وقد ينكشف النائم.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ لأنه [وقت] وضع الثياب للقائلة، لأنّ النهار إذ ذاك يشتدّ حرّه في ذلك الوقت.

﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرّد من ثياب اليقظة، والالتحاف بثياب[1] النوم.

﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ سمّى كل واحدة منها عورة، لأن الناس يختلّ[2] تسترّهم وتحفّظهم فيها. والعورة: الخلل، ومنه أَعْوَرَ الفارسُ[3] وأعور المكان، والأعور: المختلّ العين.

وقرىء: ثلاث، بالرفع، أي: تلك. وقرىء بالنصب.

وقرأ الأعمش: عَوَرات، بفتح الواو وهي لغة تميم وهذيل بن مدركة.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي: يمضون ويجيئون. وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم طوّافون، أي: المماليك والصّغار طوّافون عليكم، أي: يدخلون عليكم المنازل غدوة وعشيّة بغير إذن إلاّ في تلك الأوقات.

«كذلك» الإشارة إلى ما تقدّم ذكره من استئذان المماليك وغير البُلّغ.

ولمّا أمر تعالى النساء بالتحفّظ من الرجال والأطفال غير البلّغ في الأوقات التي هي [مظنّة] كشف عورتهنّ، استثنى القواعد من النساء اللاتي كبرن،

---

(١) ق: ثياب.

(٢) ق: تحيل.

(٣) أعور الفارس: إذا بدا فيه موضع فيه خلل للضرب. والمكان: انكشف.

وقعدن عن الميل إليهن والافتتان بهن، فقال «والقواعد» وهو جمع قاعد من صفات الإناث.

وقال ابن السكّيت: امرأة قاعد: قعدت عن الحيض.

وقال ابن قتيبة: سمّين بذلك لأنّهن بعد الكبر يكثرن القعود.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ عن ابن عباس: لمّا نزل ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء] تحرّج المسلمون عن مؤاكلة الأعمى لأنه لا يبصر موضع الطعام الطيّب، والأعرج لأنه لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض [لأنه] لا يستطيع استيفاء الطعام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قيل: وتحرّجوا[2] عن أكل [طعام] القرابات، فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم، ومبيّنة أن تلك إنّما هي في التّعدي والقمار وما يأكله المؤمن من مال من يكره أهله.

---

(١) أسباب النزول ص٢٢٣.

(٢) ق: ويخرجوا.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قيل: الزّمنى ملكوا التصرّف في البيوت التي سلّمت إليهم مفاتيحها. وقيل: وليّ اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۝٦﴾ [النساء] ومفاتيحه بيده.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [٤٠٤/أ] قرن الله تعالى الصديق بالقرابة المحضة. قيل لبعضهم: من أحبّ[1] إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: لا أحبّ أخي إلاّ إذا كان صديقي!.

وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة، ألا ترى استغاثة الجهنّميين ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء] ولم يستغيثوا بالآباء والأمّهات.

وانتصب ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ على الحال، أي: مجتمعين أو متفرقين. ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

قال ابن عباس: المساجد، فسلّموا على من فيها، فإن لم يكن فيها أحد قال: السّلام على رسول الله. وقيل: يقول: السلام عليكم: يعني الملائكة، ثم يقول[2]: السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقيل: فإذا دخلتم بيوتاً من هذه البيوت، لتأكلوا فيها، فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين [هم] منكم ديناً وقرابة.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثابتة بأمره مشروعة من لدنه. وانتصب «تحية» لقوله[3] «فسلموا» لأن معناه: فحيّوا، كقولك: قعدت جلوساً.

---

(١) ق: أحبّك.

(٢) ق: تقول.

(٣) ق: فقوله.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الآية، لمّا افتتح السورة بقوله ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا ﴿١﴾ ﴾ [النور] وذكر أنواعاً من الأوامر والحدود ممّا أنزله على رسوله عليه السلام، اختتمها بما يجب له عليه السّلام على أمّته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الإسلام، ومِن طلب استئذانه إن عرض لأحدٍ منهم عارض، ومن توقيره في دعائهم إياه. و«المؤمنون» مبتدأ، والموصول خبره وهو قوله «الذين آمنوا».

ومعنى ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ نحو مقاتلة عدوّ وتشاور في أمر مهمّ، أو تضامّ لإرهاب مخالف، يُحتاج فيه إلى اجتماع ذوي الآراء، فإذ ذاك لا يحلّ ذهاب أحد ممّن يُحتاج إليه إلا بعد استئذان رسول الله ﷺ. ولذلك غيّا الذهاب[١] بقوله «حتى يستأذنوه[٢]» ثم أكّد الاستئذان بقوله «إن الذين يستأذنونك» بلفظ «إنّ» وبالإشارة في قوله [«أولئك»] وبالخبر بعده. ثم أمره تعالى بأن يأذن لمن استأذنه لبعض شأنه، وأمره باستغفار الله له على طاعته باستئذانه له.

---

(١) أي قيّده.

(٢) ق: يستأذنوك.

﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ﴾ خطاب لمعاصري رسول الله ﷺ. لمّا كان التّداعي بالأسماء على عادة البداوة أُمروا بتوقير الرسول ﷺ بأن يَدْعوه بأحسن ما يُدعى به نحو: يا رسول الله، يا نبيّ الله، ألا ترى إلى بعض جُفاة من أسلم كان يقول: يا محمّد.

وفي قوله ﴿ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم﴾[1] إشارة إلى جواز ذلك مع بعضهم لبعض، إذ لم يؤمر بالتّوقير والتعظيم في دعائه عليه السّلام إلاّ من دعاه لا من دعا غيره، وكانوا يقولون[2]: يا أبا القاسم، يا محمد، فنُهوا عن ذلك.

ومعنى ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ ينصرفون قليلاً [قليلاً] عن الجماعة في خفية.

و﴿لِوَاذٗا﴾ يلوذ بعضهم ببعض وهذا بذاك بحيث يدور معه حيث دار، استتاراً من رسول الله ﷺ.

و«لواذاً» [٤٠٤/ب] صحّت الواو فيه وإن كان قبلها كسرة لصحّتها في الفعل في قولهم: لاوذ، بخلاف: قام قياماً، فإنها اعتلّت في الفعل، فاعتلّت في مصدره.

وقيل: في حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير إذن ويستأذن المؤمنون إذا عرضت لهم حاجة.

وخالف: يتعدى بنفسه، تقول: خالفت أمر زيد. وبإلى، تقول: خالفت إلى كذا. فقوله ﴿عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ ضمّن خالف معنى صدّ وأعرض، فعدّاه بعن. والضمير في «أمره» عائد على الرسول عليه السلام. وظاهر الأمر الوجوب،

---

(١) ق: بعضهم.

(٢) ق: غيره ويقولون.

ولذلك جعل في المخالفة إصابة الفتنة أو إصابة العذاب.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله عليه السلام. وفيه تهديد ووعيد. وأتى بالمضارع وهو «يعلم» كناية عن المجازاة. والظاهر أنّ الخطاب في «أنتم» للمنافقين ولغيرهم. و«ما» عامّة في الأعمال التي يعملها المكلّفون.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ «ويوم» قيل: معطوف على «ما» أي: عَلِم الذي أنتم عليه، وعَلِم يوم يرجعون إليه، فينبّئكم بما عملتم، فتعلّق علمه بالأمرين: حالاً وهو «ما أنتم عليه»، ومآلاً وهو «ويوم يُرجعون إليه». والتفت من ضمير المخاطب في «أنتم» إلى ضمير الغيبة في «يُرجعون».

سورة الفرقان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ
فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا
يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن
شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ
سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ
ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ
جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا

---

(١) مكية وهي سبع وسبعون آية.

يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1]. ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر من تعظيم رسول الله ﷺ في الاستئذان، وتوقيره عليه السلام في أن لا يكون دعاؤهم له عليه السلام كدعاء بعضهم بعضاً، بل بالإجلال والتعظيم والتوقير، ورتّب على مخالفة أمره إصابة الفتنة أو العذاب - ناسب افتتاح هذه السورة بتعظيمه عليه السلام بنسبته إليه، وإنزاله القرآن عليه، وجعله نذيراً للعالمين كلهم، وناسب قوله ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴿٦٤﴾﴾ [النور] قوله في هذه السورة ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴿٢﴾﴾ [الفرقان] وتنزيهه تعالى عن الولد والشريك والضمير في «ليكون» عائد على «عبده» لأنه أقرب مذكور. و«الفرقان» القرآن.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ عامّ في الخلق.

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ تقدير الأشياء هو حدّها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والإتقان[2].

والضمير في ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ عائد على ما يُفهم من سياق الكلام، لأنّ في قوله ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذۡ[٤٠٥/أ] وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ﴾ دلالة على ذلك إذا لم يُنْفَ إلا وقد قيل به. ويندرج في «واتخذوا» كلّ من ادّعى إلهاً غير الله ولا يختصّ

(١) الآيات ٦٨ - ٧٠.

(٢) ق: والإنفاق.

بذلك عُبّاد الأوثان ولا عُبّاد[1] [الكواكب].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قال ابن عباس: هو النضر بن الحارث[2] وأتباعه. والإفك: أسوأ الكذب.

و﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ قال مجاهد: قوم من اليهود ألقوا أخبار الأمم إليه. وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزّى، ويسار مولى العلاء[3] بن الحضرمي، وجبر مولى عامر. وكانوا كتابيين يقرؤون التوراة، أسلموا وكان الرسول عليه السلام يتعهّدهم.

والظاهر أن الضمير في «فقد جاءوا» عائد على «الذين كفروا» والمعنى أنّ هؤلاء الكفار وردوا ظلماً كما تقول: جئت المكان، فيكون جاء متعدّياً بنفسه. ويجوز أن يُحذف الجارّ أي: [جاؤوا] بظلم وزور، ويصل الفعل بنفسه.

﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي: جمعها، من قولهم: كتب[4] الشيء أي: جمعه، أو من الكتابة أي: كتبها بيده، فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون أنه لا يكتب شيئاً.

و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو أو هذه أساطير، و«اكتتبها» خبر ثانٍ. و«أساطير» تقدّم الكلام عليه[5].

---

(١) ق: والإنفاق.

(٢) ق: النضر والحارث.

(٣) ق: وبشار مولى العلي.

(٤) ق: كتبت.

(٥) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

قال الزمخشري[١]: قرأ طلحة: اكتُتبها، مبنيًّا للمفعول والمعنى: اكتتبها كاتب له، لأنه أمّي[٢] لا يكتب بيده، وذلك من تمام[٣] إعجازه، ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار: اكتتبها إياه كاتب، كقوله ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف] ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه، فانقلب مرفوعاً مستتراً بعد أن كان بارزاً منصوباً، وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار «اكتتبها» كما ترى انتهى.

لا يصحّ ذلك على مذهب جمهور البصريين، لأنّ: اكتتبها له كاتب، وصل فيه اكتتب لمفعولين أحدهما مسرّح وهو ضمير الأساطير، والآخر مقيّد وهو ضميره عليه السلام، ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار: اكتتبها إياه كاتب. فإذا بني هذا للمفعول إنما ينوب عن الفاعل المفعول المسرّح لفظاً وتقديراً لا المسرّح لفظاً المقيّد تقديراً، فعلى هذا كان يكون التركيب: اكتتبه لا اكتتبها. وعلى هذا الذي قلناه جاء السّماع من العرب في هذا النّوع الذي أحد المفعولين فيه مسرّح لفظاً وتقديراً والآخر مسرّح لفظاً لا تقديراً، قال الفرزدق[٤]: [من الطويل]

ومنّا الذي اختير[٥] الرجال سماحةً   وجوداً إذا هبَّ الرياحُ الزّعازعُ

ولو جاء على ما قرّره الزمخشري لجاء التركيب: ومنّا الذي اختيره الرجال، لأن اختار تعدّى إلى الرجال على إسقاط حرف الجر إذ تقديره:

(١) الكشاف ٣: ٨٢.

(٢) ق: أمّياً.

(٣) ق: إتمام.

(٤) ديوانه ١: ٤١٨.

(٥) ق: اختار.

اختير من الرجال.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: كلّ سر خفيّ. وردّ عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم، لأن هذا القرآن لم [٤٠٥/ب] يكن ليصدر إلا من عالم بكل المعلومات.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول [مجلس] مشهود ذكره ابن إسحاق في السّير، فقال عتبة وغيره: إن كنت تحبّ الرئاسة ولّيناك علينا، أو المال جمعنا لك. فلمّا أبى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا[(١)]: مالك وأنت رسول من الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق لا لتماس الرزق؟ سل ربك أن ينزل معك ملكاً ينذر معك، أو يلقي[(٢)] عليك كنزاً تنفق منه، أو يردّ لك جبال مكة ذهباً، وتزال الجبال ويكون مكانها جنّات تطّرد[(٣)] فيها المياه. وأشاعوا هذه المحاجّة فنزلت. وهذا استفهام يصحبه استهزاء.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر. [«فضلّوا» أي: أخطؤوا الطريق، فلا يجدون سبيل هداية، ولا يطيقونه، لالتباسهم بضدّه من الضّلال].

والإشارة «بذلك» الظاهر أنه إلى ما ذكره الكفّار من الكنز والجنّة في الدنيا. والظاهر أنّ هذا الجَعْل [كان] يكون في الدنيا لو شاء الله، وقيل في الآخرة.

---

(١) ق: فقال.

(٢) ق: ويلقي.

(٣) اطّردت المياه: جرت.

«ويجعل لك» قرىء بجزم اللام معطوفاً[١] على قوله «جعل» لأنه في موضع جزم على جواب الشرط. وقرىء بالرفع على الاستئناف أي: وهو يجعل لك.

قال الزمخشري[٢]: وقرىء: ويجعلُ، بالرفع عطفاً على «جعل» إذ الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله[٣]: **[من البسيط]**

وإن أتـاه خليـل يـومَ مسـألـةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

انتهى.

هذا الذي ذهب إليه الزمخشري ليس مذهب سيبويه، وفي المسألة خلاف ذكر في النحو.

﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾ جعلناه مُعَدًّا. ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً كثيرة الإيقاد. ﴿لِمَن كَذَّبَ﴾ عامّ في هؤلاء المكذّبين وغيرهم.

﴿إِذَا رَأَتۡهُم[٤]﴾ أي: صارت منهم بقدر ما يرى الرائي من البعد كقولهم: دورهم تتراءى، أي: تتناظر وتتقابل[٥]. ومنه: لا تتراءى ناراهما. وقيل: هو على حذف مضاف أي: [إذا] رأتهم خزنتها من مكان بعيد، سمعوا لها صوت تغيّظ، لأن الغيظ لا يُسمع. وإذا كان على حذف مضاف كان المعنى:

---

(١) ق: معطوف.
(٢) الكشاف ٣: ٨٣.
(٣) البيت لزهير في ديوانه ص١٥٣.
(٤) ق: رأيتهم.
(٥) ق: وتتقاوى.

تغيَّظ الزّبانية[١] وزفروا على الكفّار غضباً وشهوة للانتقام منهم. وقيل: سمعوا صوت لهيبها واشتعالها.

وانتصب «مكاناً» على الظرف. أي: في مكان ضيّق. وعن ابن عباس: يضيق عليهم تضييق الزُّجّ[٢] في الرمح. «مقرّنين» قرنت [أيديهم] في أعناقهم بالسلاسل. وقيل: يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد.

«هنالك» ظرف مكان أشير به لقوله «مكاناً ضيقاً».

والظاهر دعاء الثّبور وهو الهلاك فيقولون: واثبوراه.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ يقال لهم: لا تدعوا، أو هم أحقّ أن يقال لهم ذلك، وإن لم يكن هناك قول، أي: لا تقتصروا على حزن واحد، بل احزنوا حزناً كثيراً. وكثرته إمّا لديمومة العذاب، فهو متجدّد دائماً، وإمّا لأنّه أنواع، وكل نوع منه يكون ثبوراً لشدّته وفظاعته.

والظاهر [٤٠٦/أ] أن الإشارة «بذلك» إلى النار وأحوال أهلها.

و﴿خَيْرٌ﴾ هنا ليست تدلّ على الأفضلية بل هي على ما جرت عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيّته بالفضل دون مقابله كقوله[٣]: **[من الوافر]**

[أتهجوه ولست له بكفءٍ] فشرُّكما لخيركما الفداءُ

وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ.

---

(١) ق: كان المعنى كان يغيظوا الزبانية.

(٢) الزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٣) البيت لحسّان في ديوانه ص٦٤.

قال ابن عطية: ومن حيث كان الكلام استفهاماً، جاز فيه مجيء لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير، لأن المُوقف جائز له أن يوقف محاوره على ما شاء، ليرى هل يجيبه بالصواب أم بالخطأ. وإنما منع سيبويه وغيره من التفضيل إذا كان الكلام خبراً لأن فيه مخالفة. وأما إذا كان استفهاماً فذلك سائغ انتهى.

ما ذكره يخالفه قوله: فشرّكما لخيركما الفداء.

وقوله ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف] فإن هذا خبر، وكذلك قولهم: العسل أحلى من الخلّ، إلا أن يقيّد[1] الخبر بأنّه إذا كان واضحاً[2] الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه، ولا يتردّد أيهما أفضل فإنه يجوز.

﴿وَعۡدٗا﴾ أي: موعوداً. ﴿مَسۡـُٔولٗا﴾ سألته الملائكة في قولهم ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ﴿٨﴾﴾ [غافر].

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ
عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ
مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا
بُورٗا ﴿١٨﴾ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن
يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ
لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ
لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا

(١) ق: يعيد.

(٢) ق: واضح.

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾
وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ
خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[1] وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قرىء: نحشرهم، وفنقول، بالنون والياء فيهما.

قال ابن عطية: وقرأ الأعرج: نحشِرهم، بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لأن يَفْعِل بكسر العين في المتعدّي[2] أقيس من يَفْعُل بضم العين انتهى.

ليس هذا كما ذكر، بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه إذا لم يكن للمبالغة[3] ولا حلقيّ عين ولا لام، فإنه جاء على يَفْعُل ويَفْعِل كثيراً. فإن شُهر أحد الاستعمالين اتُّبع وإلاّ فالخيار، حتى أن بعض أصحابنا خيّر فيهما سمع للكلمة أو لم يسمع.

[﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾]. قال[4] الجمهور: من عبد من يعقل ممّن لم يؤمر[5] بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير، وهو الأظهر لقوله ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ[6]﴾ وما بعده من المحاورات[7] التي ظاهرها [أنها] لا تصدر إلا من العقلاء، جاء ما

(١) ق: نحشرهم.

(٢) ق: التعدي.

(٣) ق: للمغالبة.

(٤) ق: وقال.

(٥) ق: يأمر.

(٦) ق: أظللتم.

(٧) ق: المجازات.

يشبه ذلك منصوصاً في قوله ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ] و﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى ۝١١٦﴾ [المائدة].

وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤول عنه ليجيبوا بما أجابوا [به] فيبكّت عَبَدَتهم بتكذيبهم إياهم[١]، فتزيد حسرتهم. وجاء الاستفهام مقدّماً فيه الاسم على الفعل، ولم يأت التركيب: أأضللتم، ولا: أم ضلّوا، لأنّ كلاًّ من الضلال والإضلال واقع، والسؤال إنما هو عن فاعله. وتقدّم نظير هذا في قوله ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا ۝٦٢﴾ [الأنبياء].

«سبحانك» تنزيه لله تعالى أن يُشْرَك معه في العبادة أحد أو يُفْرَد بعبادة. و«من أولياء» مفعول على زيادة «مِن»، وحَسَّنَ زيادتها انسحاب النّفي على «أن تتخذ[٢]» لأنه معمول لـ«ينبغي»[٣]، وإذا انتفى الانبغاء[٤] لزم منه انتفاء متعلّقه وهو اتّخاذ وليّ من دون الله تعالى.

ولمّا تضمّن[٥] قولهم [٤٠٦/ب] ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ أنّا لم نضللهم ولم نحملهم على الامتناع من الإيمان، صلح أن يستدرك «بلكن»، والمعنى: لكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النّعمة، وأطلت أعمارهم، وكان يجب عليهم شكرها والإيمان بما جاءت به الرسل عليهم السلام، فكان ذلك سبباً للإعراض عن ذكر الله تعالى.

---

(١) ق: إياه.
(٢) ق: يتخذ.
(٣) ق: ليبتغي.
(٤) ق: الابتغاء.
(٥) ق: انضم.

﴿ بُورًا ﴾ البور: مصدر يوصف به الواحد والجمع، وقيل: جمعُ بائر كعائذ وعُوذ، وقيل: فَسْدى، وهو لغة الأزد يقولون: أمر بائر أي: فاسد، وبارت البضاعة: فسدت. ومنه قولهم: أرض بور: أي متعطّلة لا نبات فيها.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ هذا من قول الله تعالى بلا خلاف وهي مفاجأة بالاحتجاج والإلزام. والخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ[1] ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان] أي: كذّبكم[2] المعبودون ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ أي: بقولهم إنكم أضللتموهم وزعمهم أنكم أولياؤهم من دون الله تعالى فما يستطيعون صرفاً لأنفسهم عمّا هم عليه، أو ما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه، ولا نصراً لأنفسهم من البلاء الذي[3] استوجبوه بتكذيبهم.

﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ﴾ الظاهر أنه عام، والظّلم هنا الشّرك.

ومفعول «أرسلنا» محذوف تقديره: رسولاً من المرسلين. والجملة بعد «إلاّ» في موضع الحال. ولمّا تقدّم طعنهم على الرسول عليه السلام بأكل الطعام والمشي في الأسواق، أخبر تعالى أن هذه عادة[4] مستمرة في كل رسله عليهم[5] السلام.

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ هو عامّ للمؤمن والكافر؛ فالصحيح فتنة

---

(١) ق: قولهم أنتم.

(٢) ق: كذبتم.

(٣) ق: الذين.

(٤) ق: عبادة.

(٥) ق: عليه.

للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني، والرسول المخصوص بكرامة النبوّة فتنة لأشراف الناس الكفّار في عصره، وكذلك العلماء وحكّام العدل. وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب[١].

والتوقيف بـ«أتصبرون»[٢] خاص للمؤمنين المحققين، فهو لأمة محمد ﷺ، كأنه جعل إمهال الكفار فتنة للمؤمنين، أي: اختباراً ثم وقفهم هل تصبرون أم لا، ثم أعرب قوله ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الآية، «لا يرجون» أي: لا يخافون. ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فتخبرنا أنك رسول حقًّا. ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ فيخبرنا بذلك. وهذا كلّه على سبيل التّعنّت، وإلاّ فما جاءهم به من المعجزات كافٍ[٣] لو وفقوا.

﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي: تكبّروا. ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: عظّموا أنفسهم بسؤال رؤية الله تعالى وهم ليسوا بأهلٍ لها. واللام في «لقـد» جواب قسم محذوف.

«وعتوا» تجاوزوا [الحدّ] في الظلم. ووصَفَه بكبير مبالغةً في إفراطه، أي: لم يجسروا[٤] على هذا القول العظيم إلاّ لأنهم بلغوا الاستكبار وأقصى

---

(١) ما سبق ابتداء من قوله «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة»، من كلام ابن عطية انظر البحر ٦: ٤٩٠.

(٢) ق: ما تصبرون.

(٣) ق: كان.

(٤) ق: يخسروا.

العتوّ.

وجاء هنا «عتواً» على الأصل، وفي مريم ﴿عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ على[1] استثقال اجتماع [٤٠٧/ أ] الواوين، والقلب لمناسبة الفواصل.

قال ابن عباس: «عتواً» كفروا أشدّ الكفر وأفحشوا.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ «يوم» منصوب باذكر وهو أقرب، أو بفعل يدل عليه. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يُمنعون البشرى. ولا يعمل فيه «لا بشرى» لأنه مصدر ولأنه منفيّ بلا التي لنفي الجنس، لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. ودخول «لا» على «بشرى» لانتفاء أنواع البشرى.

وهذا اليوم: الظاهر أنه يوم القيامة لقوله بعدُ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]. والظاهر عموم «المجرمين»[2] فيندرج هؤلاء القائلون فيهم.

والظاهر أنّ الضمير في «ويقولون» عائد على القائلين لأنهم المحدَّث عنهم كأنهم يطلبون نزول الملائكة ثم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم، لأنهم لا يلقونهم[3] إلا بما يكرهون، فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدوّ ونزول الشدّة: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ عوذاً، يستعيذون من الملائكة. وقال أبو عبيدة: هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في الحرم او في شهر حرام، إذا لقيه وبينهما تِرَةٌ.

---

(١) ق: عن.

(٢) ق: المؤمنين.

(٣) ق: يقولونهم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ القدوم الحقيقي مستحيل في حقّ الله تعالى، فهو عبارة عن حكمه بذلك وإنفاذه. قيل: أو على حذف مضاف أي: قَدِمَتْ ملائكتنا، أسند[1] ذلك إليه لأنه عن أمره. وحسنت لفظة «قدمنا» لأن القادم على شيء مكروه لم يقرّره ولا أمر به مغيِّرٌ له ومُذْهِب.

ومثّلت[2] حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقِرَى ضيف ومَنٍّ على أسير وغير ذلك من مكارمهم - بحال قوم خالفوا سلطانهم، فقصد إلى ما تحت أيديهم، فمزّقها بحيث لم يترك لها أثراً. وفي أمثالهم[3]: أقلّ من الهباء.

و﴿مَّنثُورًا﴾ صفة للهباء. شبّهه بالهباء لقلّته وأنه لا يُنتفع به، ثم وصفه بمنثور لأن الهباء تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حرّكته الرّيح رأيته قد تناثر وذهب.

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ المستقَرّ: مكان الاستقرار في أكثر الأوقات. والمقيل: المكان الذي يأوون إليه في الاسترواح إلى الأزواج والتّمتع. ولا نوم في الجنة فسمّي مكان استرواحهم إلى الحور «مقيلاً» على طريق التشبيه إذ المكان المتخيّر للقيلولة يكون أطيب المواضع.

وفي لفظ «وأحسن»[4] رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حُسن الوجوه وملاحة الصّور إلى غير ذلك من التّحاسين.

---

(١) ق: انسد.

(٢) ق: لثلث.

(٣) لم أجده. وانظر مجمع الأمثال ٢: ٧٣ والمستقصى ١: ٢٨٦.

(٤) ق: الأحسن.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ الظاهر أن السّماء هي المُظِلّة لنا. والباء باء الحال أي: متغيّمة، أو باء السبب أي: بسبب طلوع الغمام منه، كأنه الذي تنشقّ به السماء كما تقول: شقّ السّنام بالشفرة.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: إلى الأرض لوقوع الجزاء والحساب.

و«الحق» صفة للملك، أي: الثابت لأنّ كلّ مُلْك يومئذ يبطل [٤٠٧/ب] ولا يبقى إلا ملكه. وخبر «الملك» «يومئذ»، و«للرحمن» متعلق «بالحقّ» أو للبيان(١) أي: أعني للرحمن. وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف. ودلّ قوله «على الكافرين» على تيسيره على المؤمنين؛ ففي الحديث(٢) أنه «يهون حتى يكون على المؤمن أخفّ عليه من صلاة مكتوبة صلّاها في الدنيا».

---

(١) ق: وللبيان.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٧٥ من حديث أبي سعيد الخدري.

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ قيل: سبب نزولها هو عقبة وأبيّ. وقيل: كان عقبة خليلاً لأميّة وأسلم [عقبة]، فقال أميّة: وجهي من وجهك حرام إن بايعتَ محمداً. فكفر وارتدّ لرضى أميّة فنزلت[١]. وذُكر من إساءة عقبة إلى[٢] الرسول ما كان سبّب أن قال له الرسول عليه السّلام: «لا ألقاك خارجاً من مكّة إلاّ علوت رأسك بالسيف»[٣] فقُتل عقبة يوم بدر صبراً[٤]، أمر عليًّا فضرب عنقه. وقُتل أبيّ بن خلف يوم أحد في المبارزة.

والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندّم الظالم وتمنّيه أنه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظّلم. وما من ظالم إلاّ وله في الغالب خليل خاصّ به يعبّر عنه بفلان. وفلان: كناية عن اسم علم لمن يعقل، كما أنّ «فُلُ» كناية عن نكرة من يعقل، تقول: يافُلُ، معناه يا رجل.

والظاهر أن الظالم[٥] يعضّ يديه فعل النّادم والمتفجّع.

و﴿ٱلذِّكۡرِ﴾ ذكر الله أو القرآن أو الموعظة. والظاهر حمل «الشيطان» على ظاهره لأنه هو الذي وسوس إليه في مخالّة من أضلّه، أو يريد خليله الذي أضلّه، سمّاه شيطاناً لأنه أضلّ كما أضلّ الشيطانُ، ثم خذله، ولم[٦] ينفعه في العاقبة. والظاهر أن هذه الجملة من تمام كلام الظالم.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٢٥. وفيه: إن تابعت محمداً.

(٢) ق: على.

(٣) أخرجه الأصبهاني في الدلائل ٢: ٤٧٠ من حديث ابن عباس.

(٤) يقال: قتل فلان صبراً إذا حُبس على القتل حتى يُقتل. انظر السيرة النبوية ٢:٢٩٧. وانظر أيضاً الطبري ١٩: ٦.

(٥) ق: الظاهر.

(٦) ق: لم.

والظاهر أنّ دعاء رسول الله ﷺ ربّه وإخباره بهجر قومه قريش القرآن هو ممّا جرى له في الدّنيا بدليل إقباله عليه مسلّياً ومواسياً بقوله «وكذلك جعلنا» وأنه هو الكافي في هدايته ونصره فهو وعدٌ منه بالنصر. وهذا القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه. والظاهر أن «مهجوراً» بمعنى متروكاً من الإيمان به مبعداً[1] مقصيًّا من الهجر. وانتصب «هادياً ونصيراً» على التمييز.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على سبيل[2] الاقتراح والاعتراض الدّال على نفورهم عن الحق.

قال الزمخشري[3]: «نُزّل» ها هنا بمعنى أنزل لا غير كخبّر بمعنى أخبر وإلاّ كان متدافعاً انتهى.

وإنما قال إنّ «نزّل» بمعنى أنزل، لأن نزّل عنده أصلها أن تكون للتفريق. فلو أقرّه على أصله عنده من الدّلالة على التفريق[4] تدافع هو وقوله ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾. وقد قرّرنا أن «نزّل» لا يقتضي التفريق، لأن التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة، وقد بيّنا ذلك في أول آل عمران[5]. وقائل ذلك كفّار قريش؛ قالوا: لو كان هذا من عند الله لنزل جملة [٤٠٨/ أ] واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل. وقيل: قائلو ذلك اليهود. والكاف في «كذلك» للتشبيه، و«ذلك» إشارة إلى تنزيله مفرقاً.

(١) ق: مبعد.
(٢) ق: وقالوا أي الكفار على سبيل.
(٣) الكشاف ٣: ٩٠.
(٤) فلو أقرّه.. على التفريق، الجملة مكررة في ق.
(٥) انظر تفسير الآية ٣ من آل عمران.

و«لنثبت» متعلّق بنزّلناه المحذوفة. «وَرَتَّلْنَاهُ» أي: فصّلناه.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يضربونه على جهة المعارضة منهم - كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإنجيل - إلا جاء القرآن بالحق في ذلك، ثم هو أوضح بياناً وتفصيلاً.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ الظاهر [أنهم] لمّا اعترضوا[1] في حديث القرآن وإنزاله مفرّقاً، كان في ضمن كلامهم أنهم ذوو رشد وخير، وأنهم على طريق مستقيم، ولذلك اعترضوا، فأخبر تعالى بحالهم وما يؤول إليه أمرهم في الآخرة بكونهم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾. والظاهر أنه يحشر الكافر على وجهه، بأن يسحب على وجهه. وفي الحديث[2] «إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم». وقيل: هو مجاز للذّلة المفرطة والهوان والخزي.

وأعربوا «الذين» مبتدأ، والجملة من «أولئك» في موضع الخبر. ويجوز عندي أن يكون «الذين» خبر مبتدأ محذوف: لمّا تقدّم ذكر الكافرين وما قالوا، قال إيعاداً[3] لهم وتسميعاً بما يؤول إليه حالهم: [هم] الذين يُحشرون. ثم استأنف إخباراً آخر[4] عنهم فقال «أولئك شرٌّ مكاناً».

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا

---

(١) ق: اعتر.

(٢) رواه البخاري ٤: ١٧٨٤ من حديث أنس بألفاظ مختلفة.

(٣) ق: إبعاداً.

(٤) ق: أخبر.

كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِۚ
أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن
يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ
ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ
سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ
أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، لمّا تقدم تكذيب قريش والكفّار لما جاء به الرسول عليه السلام، ذكر تعالى ما فيه تسلية له عليه السلام، وإرهاب للمكذبين، وتذكير أن يصيبهم[1] ما أصاب الأمم السابقة لما كذّبوا رسلهم، فناسب أولاً أن ذكر من نزّل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذّبوا به. فكذلك هؤلاء لو نزّل عليه القرآن جملة واحدة لكفروا وكذّبوا كما كذّب قوم موسى. و«الكتاب» هنا التّوراة. و«هارون» بدل أو عطف بيان. و«وزيراً» مفعول ثان لجعلناه.

والمذهوب إليهم القبط وفرعون. وفي الكلام حذف تقديره: ذهبا وأدّيا الرسالة فكذّبوهما فدمّرناهم. والتدمير أشدّ الإهلاك.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ منصوب بإضمار فعل تقديره: وأهلكنا قوم نوح، أو معطوف على ضمير النّصب في «فدمرناهم». وأجازوا أن يكون منصوباً على

(١) ق: تصيبهم.

الاشتغال أي: وأغرقنا قوم نوح. وهو قد يجوز لأن «لمّا» إن كانت ظرفاً كما زعم بعضهم بمعنى حين، فالجملة بعدها في موضع جرّ[(١)]، والناصب «للمّا» «أغرقناهم». وإن كانت «لمّا» حرف وجوب لوجوب - وهو الصحيح - كان «أغرقناهم» جواباً «للمّا» وهو لا يجوز أن يفسر [ناصباً «لقوم»].

و«ذلك» إشارة إلى أولئك المتقدّمي الذكر، فلذلك حسن دخول «بين» عليه من غير أن يُعطف عليه شيء[(٢)]، كأنه قيل بين المذكورين.

وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها «بذلك».

وانتصب [«وكلاّ»] الأول على الاشتغال، أي: [٤٠٨/ب] وأنذرنا كلاًّ أو حذّرنا كلاًّ، والثاني على أنه مفعول «بتبّرنا» لأنه لم يأخذ مفعولاً.

ومعنى ضَرَب الأمثال: أي: بيّن لهم القصص العجيبة من قصص الأولّين، ووصفنا لهم ما أدّى إليه[(٣)] تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله تعالى وتدميره إيّاهم[(٤)].

والضمير في ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ﴾ لقريش، كانوا يمرّون على سدوم من قرى لوط، وتقدّم الكلام عليها[(٥)].

و«مطر السوء» الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا.

---

(١) ق: خبر.
(٢) من غير أن يعطف عليه شيء: مكررة في ق.
(٣) ق: إليهم.
(٤) ق: إياه.
(٥) انظر تفسير الآية ٧٤ من الأنبياء.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ فيعتبروا بما جرى لأهلها. ثم أضرب «ببل» والمعنى أنهم حملهم على عدم الاعتبار كونهم لا يؤمنون بالبعث وهو النّشور.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الأنبياء[(١)].

و«بعث» صلة «للذي» وضميره محذوف. و«رسولاً» منصوب على الحال.

﴿إِن كَادَ﴾ «إنْ» هي المخفّفة من الثقيلة. وتقدم الكلام على هذا في أول البقرة في قوله ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ ومذهب الكوفيين في ذلك.

﴿أَن صَبَرْنَا﴾ في موضع مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: لولا صبرنا موجود. وجواب «لولا» محذوف تقديره: لأضلّنا.

والظاهر أنّ ﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿أَضَلُّ﴾ خبره، والجملة في موضع نصب «ليعلمون» و﴿يَعْلَمُونَ﴾ معلّق.

ويجوز أن تكون «مَن» موصولة مفعولة «بيعلمون» و«أضلّ» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أضلّ، وهذه الجملة صلة «لمن». وجاز حذف هذا المضمر للاستطالة التي حصلت بالتمييز كما حصلت في[(٢)] قول العرب: ما أنا بالذي قائل لك سوءً.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ﴾ هذا إياس من إيمانهم، وإشارة[(٣)] إليه عليه

(١) انظر تفسير الآية ٣٦ من الأنبياء.
(٢) ق: من.
(٣) ق: وأشار.

السلام أن لا يتأسّف عليهم، وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع وقلّة النظر في العواقب مثل البهائم. ثم ذكر أنهم أضلّ سبيلاً من الأنعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلّصهم من عذاب الله تعالى، والأنعام لا سبيل لها[١] إلى فهم المصالح. و«أرأيت» استفهام تعجّبٍ مِنْ جهل مَنْ هذه حالته. و﴿إِلَـٰهَهُۥ﴾ المفعول الأول «لاتّخذ» و«هواه» الثاني، أي: أقام مقام إلهه الذي يعبده هواه، فهو جارٍ على ما يكون في هواه.

والمعنى أنه لم يتّخذ إلهاً إلاّ هواه. ومفعول «أرأيت» الأول هو «مَنْ»، والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني. وتقدّم لنا الكلام في «أرأيت» في أوائل الأنعام[٢].

ومعنى ﴿وَكِيلًا﴾ أي: هل تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، فتتوكل عليه، وتجبره[٣] على الإسلام.

و«أم» منقطعة تتقدّر ببل والهمزة كأنه قال: بل أتحسب كأن هذه المذمّة أشدّ من التي[٤] تقدّمتها حتى حقّت بالإضراب عنها إليها، وهو كونهم مسلوبي الأسماع كالأنعام التي هي مَثَل في الغفلة والضلالة؟. ثم انتقل إلى إضراب آخر بقوله ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أي: أشدّ في الضّلال من الأنعام، وحذف: من الأنعام.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ

(١) ق: لهم.
(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.
(٣) ق: فيتوكل عليه ويخبره.
(٤) ق: الذي.

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا
وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ
رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ
أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا
كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ
وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا
فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا
يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ
ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ
بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا
وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا
مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ [٤٠٩/أ] كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم، ذكر أنواعاً من الدلائل التي تدلّ على قدرته التّامة، لعلّهم يتدبّرونها، فبدأ بحال الظّل في زيادته ونقصانه وتغيّره من حال إلى حال، وأنّ ذلك جارٍ على مشيئته. وتقدّم الكلام على «ألم تر» في البقرة(١). والمعنى: ألم تر إلى صنع ربّك وقدرته.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٤٣ من البقرة.

و«كيف» سؤال عن حال في موضع نصب «بمدّ» والجملة في موضع متعلّق «ألم تر» لأنّ «تَرَ» معلّقة[١]. والجملة الاستفهامية التي هي معلّق عنها فعل القلب ليس باقياً على حقيقة الاستفهام، فالمعنى: ألم تر إلى مدّ ربّك الظّل.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مستقرّاً على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها[٢]على ذلك الظّل: سلّطها عليه ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يُتبع الدّليل في الطريق، فهو يزيد بها وينقص ويمتدّ ويقلص، ثم نسخه بها: قبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير. وفيه التفات من خروج ضمير الغائب إلى ضمير المتكلّم في «جعلنا» و«قبضناه».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ انتقل من ضمير المتكلّم إلى ضمير الغائب. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ تشبيهاً بالثوب الذي يغطّي البدن، ويستره من حيث الليل يستر الأشياء.

والسُّبات: ضرب من الإغماء يعتري اليقظان مرضاً، فشبّه النّوم به. والسّبت: الإقامة في المكان، فكان السّبات سكوناً ما. والنّشور هنا الإحياء؛ شبّه[٣] اليقظة به ليطابق الإحياء مع الإماتة.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ استعارة حسنة أي: قدّام المطر، لأنه يجيء معلمة به. والطَّهور: فَعول إما للمبالغة كنؤوم[٤] فهو معدول عن طاهر، وإما أن

---

(١) ق: متعلقة.

(٢) ق: وجعله.

(٣) ق: الاحاشنه.

(٤) ق: كنوم.

يكون[1] اسماً لما يُتطهر به كالسَّحور والفَطور، وإما مصدر لتطهّر جاء على غير المصدر، حكاه سيبويه.

والظاهر في قوله ﴿ مَآءً طَهُورًا ﴾ أن يكون للمبالغة في طهارته، وجه المبالغة كونه لم يَشُبْه شيء بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه، فإنه تشوبه[2] أجزاء أرضية من مقرّه أو من ممّره أو ممّا يُطرح فيه. ويجوز أن يوصف بالاسم وبالمصدر.

﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ وصف «بلدة» بصفة المذكّر، لأنّ البلدة في معنى البلد في قوله ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر]. وقدّم إحياء الأرض وسَقْي الأنعام على سقي الأناسيّ، لأنّ حياتهم بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدّم ما هو السبب في ذلك، ولأنّهم إذا وجدوا ما يسقي أرضهم ومواشيهم، وجدوا سقياهم. ونكّر الأنعام والأناسيّ ووُصفا بالكثرة[3] لأن كثيراً منهم لا يعيشهم إلا ما أنزل الله تعالى من المطر. وكذلك «لنحيي به بلدة ميتاً» يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظانّ الماء بخلاف سكّان المدن فإنهم قريبون من الأودية والأنهار والعيون فهم غنيّون غالباً عن ماء المطر. وخصّ الأنعام من بين ما خلق من [٤٠٩/ب] الحيوان الشارب، لأن الطيور والوحوش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها المشرب بخلاف الأنعام فإنها قِنْية الأناسي[4] ومنافعهم متعلّقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم.

---

(١) ق: وإن كان اسماً.

(٢) ق: تشربه.

(٣) ق: ووصفاه للكثر.

(٤) أي: التي يقتنونها لأنفسهم.

و﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ جمع إنسان [في مذهب سيبويه، وجمع إنسيّ في مذهب الفرّاء والمبرّد، وحكي أناسين في جمع إنسان] كسرحان وسراحين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: عائد على القرآن وإن لم يَجْرِ له ذكر لوضوح الأمر، ويعضده ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ ۝٥٢﴾ [الفرقان].

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يقال: مرج الأمر: اختلط واضطرب، وقيل: مرج وأمرج. العذب: الحلو. والفرات: البالغ[١] في الحلاوة. والمِلْح: المالح. والأجاج: البالغ في الملوحة.

والظاهر أنه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح. والبرزخ والحِجْر: ما حجز بينهما من الأرض والسّد.

و﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ كلمة يقولها المتعوّذ وقد فسّرناها[٢]، وهي ها هنا واقعة على سبيل المجاز، كأنّ كلّ واحد من البحرين متعوّذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، كما قال ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن] أي: لايبغي أحدهما على الآخر بالممازجة. فانتفاء البغي ثَمَّ كالتعوّذ ها هنا؛ جعل كلّ واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعوّذ منه.

والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم. والبشر يطلق على الواحد والجمع. والنّسب والصّهر[٣] يعمّان [كلّ قربى بين آدميين. والظاهر أن «الكافر» اسم جنس فيعمّ. وقيل: هو أبو جهل والآية نزلت] فيه. ومعنى «ظهيراً» هيّناً مَهيناً، من قولهم: ظهرتَ به إذا خلّفتَه خلف ظهرك، لا تلتفت إليه.

---

(١) ق: المبالغ.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ من هذه السورة.

(٣) ق: والضمير.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ أمره تعالى أن يحتجّ عليهم مزيلاً لوجوه التّهم بقوله ﴿مَآ[1] أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن أجراً، أي: لا أطلب مالاً ولا نفعاً يختصّ بي. والضمير في «عليه» عائد على القرآن.

والظاهر في «إلا من شاء» أنه استثناء منقطع تقديره: لكن من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً فليفعل.

والظاهر تعلّق «به» بقوله «فاسألْ» وبقاءُ الباء غير مضمّنة معنى عن. و﴿خَبِيرًا﴾ من صفات الله تعالى، كما تقول: لقيت بزيدٍ أسداً، ولقيت بزيدٍ البحر، تريد: هو الأسد شجاعة والبحر كرماً. والمعنى أنه تعالى اللطيف العليم الخبير. والمعنى: فاسأل الله الخبير بالأشياء العالم بحقائقها، وقال الشاعر[2]: **[من الطويل]**

فإن تسألوني بالنّساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الظاهر أنهم لمّا قيل لهم «اسجدوا للرحمن» فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة - والكلمة عربية لا ينكر وضعها - أظهروا التّجاهل بهذه الصّفة التي لله تعالى، مغالطةً منهم ووقاحة.

﴿قَالُوا۟[3] وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وهم عارفون به وبصفته الرحمانية[4]، وهذا كما قال فرعون ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء] حين قال له موسى ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف] على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين، كما

---

(١) ق: لا.

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة في المفضليات ص٣٩٢.

(٣) ق: فقالوا.

(٤) ق: وبصفته كذا الرحمانية.

قال له موسى ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الإسراء] فكذلك كفّار قريش استفهموا [٤١٠/أ] عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به. وقرىء: يأمرنا، بالياء والتاء.

﴿وَزَادَهُمْ﴾ أي: هذا القول وهو الأمر بالسجود للرحمن. ﴿نُفُورًا﴾[1] أي: فراراً.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ الآية، لمّا جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالاً عن مجهول، نزلت هذه الآية مصرّحة بصفاته التي تُعرّف به وتوجب الإقرار بألوهيّته. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر أنه خلق السماوات والأرض وغير ذلك، نبّههم على ما لهم به اعتناء تامّ من رصد الكواكب وأحوالها ووضع أسماء لها.

والظاهر أن المراد بالبروج المعروفة عند العرب، وتقدّم الكلام عليها[2].

والضمير في «فيها» الظاهر أنه عائد على السماء وقيل على البروج. فالمعنى: وجعل في جملتها سراجاً وهو الشمس.

وانتصب «خلفة» على الحال فقيل: هو مصدر خلف خلفة أي: خلف هذا ذاك وذاك هذا، وقيل: خلفة في الزيادة والنقصان.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قال ابن عباس: ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما، فيستدركه في الذي يليه.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ

---

(١) ق: إلا نفوراً.

(٢) انظر تفسير الآية ١٦ من الحجر.

قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ
إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ
بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾
قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

ولمّا تقدم ذكر الكفار وذمّهم وجاء ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وهذه إضافة تشريف وتفضيل. وهو جمع عبد، أي: الذين يعبدونه حق عبادته.

والظاهر أنّ «وعباد» مبتدأ، و«الذين يمشون» الخبر. وقيل «أولئك» [الفرقان: ٧٥] الخبر، و«الذين» صفة. والهَوْن: الرفق واللّين.

وانتصب ﴿هَوْنًا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف، أي: مشياً هوناً، أو على الحال أي: يمشون هيّنين في تؤدة وسكينة وحُسْن سمت، لا يضربون بأقدامهم الأرض ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أي: بما لا يسوغ الخطابُ به.

﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي: سلام توديع لا تحيّة، كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴿٤٧﴾﴾ [مريم].

وقيل: هو على إضمار فعل تقديره: سلّمنا سلاماً.

[﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ البيتوتة هو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم، وهو خلاف الظّلول] والظّلول[1]: الإقامة بالنهار. ولمّا ذكر حالهم بالنّهار بأنهم يتصرّفون أحسن تصرّف، ذكر حالهم بالليل. والظاهر أنه يعني إحياء الليل بالصلاة أو أكثره. ثم عقبه بذكر دعائهم هذا إيذاناً بأنهم، مع اجتهادهم، خائفون يبتهلون إلى الله تعالى في صرف العذاب عنهم.

و﴿سَآءَتْ﴾ احتمل أن يكون بئست، والمخصوص بالذّم محذوف، وفي «ساءت» ضمير مبهم، ويتعيّن أن يكون «مستقراً ومقاماً» [تمييزاً والتقدير: ساءت مستقرًّا ومقاماً] هي، وهذا المخصوص بالذّم هو رابط الجملة الواقعة خبراً لإنّ.

ويجوز أن يكون «ساءت» بمعنى أحزنت[2]، فيكون المفعول محذوفاً[3]، أي: ساءتهم، والفاعل ضمير جهنّم. وجاز في مستقر ومقام أن يكونا تمييزين، وأن يكونا حالين، قد عطف أحدهما على الآخر.

﴿لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ الإنفاق في غير طاعة الله [٤١٠/ب] إسراف،

---

(١) ق: والظّلول.

(٢) ق: أحريت.

(٣) ق: محذوف.

والإمساك عن طاعة الله إقتار.

وقرىء: يَقتِرُوا، بفتح الياء وكسر التّاء وضمّها، من قتر. ويُقتِر، بضم الياء وكسر التاء، من أقتر. واسم «كان» ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله «أنفقوا». و﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الإسراف والإقتار.

و﴿قَوَامًا﴾ معتدلاً، يجوز أن يكون خبراً لكان. و«بين ذلك» خبراً و«قواماً» حال.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ الآية، «سأل ابن مسعود[1] رسول الله ﷺ: أيّ الذّنب أعظم؟. فقال: أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك، قال: ثم أيّ؟. قال[2]: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: ثم أيّ؟. قال: أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تصديقها «والذين لا يدعون» الآية.

وقيل: الأثام: الإثم، ومعناه: يلق جزاء أثام، فأطلق اسم الشيء على جزائه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كل فرد[3] ممّا تقدّم.

«يضاعف» و«ويخلد» قرىء بالرفع فيهما على الاستئناف أو يكون في موضع الحال تقديره: مضاعفاً له العذاب وخالداً فيه مهاناً. وقرىء بالجزم فيهما، على أن يكون «يضاعف» بدلاً[4] من «يلق» بدل فعل من فعل كما قال الشاعر[5]: [من الطويل]

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٧٨٤، ومسلم ١: ٩٠.
(٢) ق: ثم قال أي قال، في الموضعين.
(٣) مكررة في ق.
(٤) ق: يدل.
(٥) البيت لعبيد الله الحر، في الكتاب ٣: ٨٦، والمقتضب ٢: ٦٣.

متى تأتنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا   تجدْ حطباً جزلاً وناراً تأجَّجا

والظاهر أن توبة المؤمن القاتل النفس بغير حقّ مقبولة لعموم قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾.

و﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ هو المفعول الثاني، وهو أصله أن يكون مقيّداً بحرف الجر أي: بسيّئاتهم.

و﴿حَسَنَٰتٍ﴾ هو المفعول الأول وهو المسرّح كما قال تعالى ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ]. وقال الشاعر(١): [من الرجز]

تضحك منّي أخت ذات النّحْيَيْنْ   أبـدلهـا الله بلـونٍ(٢) لـونَيْـن

سوادَ وجهٍ وبياضَ عينينْ

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ عاد [إلى ذكر] أوصاف عباد الرحمن. والظاهر أن المعنى: لا يشهدون بالزّور أو شهادة الزّور.

واللّغو: كلّ ما ينبغي أن يُلغى ويُطرح. والمعنى: وإذا مرّوا بأهل اللغو مرّوا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقّف عندهم والخوض معهم كقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ هي القرآن.

﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ النّفي متوجّه إلى القيد الذي هو صمّ وعميان، لا للخرور الداخل عليه. وهذا الأكثر في لسان العرب أن النّفي

---

(١) الرجز في شرح ديوان الحماسة ٤: ١٨٤١ مع اختلاف في رواية البيت الأول.

(٢) ق: بلونها.

يتسلّط على القيد. والمعنى أنهم إذا ذُكّروا بها، أكبّوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكّر بها بآذان واعية وأعين راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم، فإنهم إذا ذكّروا بها كانوا مكبّين عليها مقبلين على من يذكّر بها في ظاهر الأمر، وكانوا صمًّا وعمياناً حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها.

﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ كناية عن السّرور والفرح. وهو مأخوذ من القرّ وهو البرد، يقال: دمع السّرور بارد ودمع الحزن سخن. ويقال: أقرّ الله عينك [٤١١/أ] وأسخن الله عين العدو. وقال الشاعر(١): [من الطويل]

فأمّا عيون العاشقين فأسخنت وأما عيون الشّامتين فقرّتِ

قال الزمخشري(٢): وجاء «أعين» بصيغة جمع القلّة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة، لأنه أريد أعين المتّقين وهي قليلة بالإضافة إلى [عيون] غيرهم انتهى.

ليس بجيّد لأنّ «أعين» ينطلق على العشرة فما دونها(٣)، والمتّقون ليست أعينهم عشرة، بل هي عيون كثيرة جدًّا، وإن كانت عيونهم قليلة بالنسبة إلى عيون غيرهم، فهي من الكثرة بحيث تفوت العدّ.

وقرىء: ذرّيتنا، على الإفراد. وذرّياتنا، على الجمع.

«أولئك» إشارة إلى الموصوفين بهذه الأوصاف العشرة.

---

(١) لم أجده.

(٢) الكشاف ٣: ١٠٢.

(٣) ق: دونه.

و«الغرفة» اسم معرّف بأل، فيعمّ أي: الغرف، كما جاء ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ] وهي العلالي.

قال[1] ابن عباس: هي بيوت من زبرجد ودرٍّ وياقوت.

والباء في ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ للسبب. والتّحية: دعاء بالتّعمير. والسّلام: دعاء بالسّلامة، أي: تحيّيهم الملائكة أو يحيّي بعضهم بعضاً.

﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معادل لقوله في جهنم ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

والظاهر أن قوله ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ﴾ خطاب لكفّار قريش القائلين ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان]. أي: لا يحفل بكم ربي لولا تضرّعكم إليه واستغاثتكم إياه[2] في الشدائد. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما جاء به الرسول عليه السلام فتستحقّون العقاب. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العقاب وهو ما أنتجه تكذيبكم. ونفّس لهم في حلوله بلفظة «فسوف يكون». ﴿لِزَامًۢا﴾ أي: لازماً لا تنفكّون منه.

---

(١) ق: كذا قال.

(٢) ق: إليه.

سورة الشعراء(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾.

﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾الآية، هذه السورة مكية كلّها، في قول الجمهور، إلا أربع آيات من «والشعراء» إلى آخر السورة(2). ومناسبة أولها لآخر ما قبلها أنه [لمّا] قال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ۝٧٧﴾ [الفرقان] ذكر تلّهف رسول الله ﷺ علىكونهم لم يؤمنوا وكونهم كذبوا بالحق لمّا جاءهم. ولمّا أوعدهم في آخر السورة في قوله ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ أوعدهم في أوّل هذه فقال إثر إخباره بتكذيبهم ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾(3) [الشعراء]. و«تلك» إشارة إلى آيات السورة أو آيات القرآن. و«المبين» هو القرآن.

---

(1) مكية وهي مئتان وسبع وعشرون آية.

(2) الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧.

(3) ق: فسوف يأتيهم.

وتقدم تفسير ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ في أول الكهف[١].

﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لئلاّ يؤمنوا، أو خيفة أن لا يؤمنوا.

﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ﴾ دخلت «إنْ» على «نشأ». و«إن» للممكن أو المحقّق المنبهم زمانه. ومعنى «آية» أي: ملجئة إلى الإيمان، تقهر عليه «أعناقهم» [٤١١/ب] أعناق الناس: رؤساؤهم ومقدّموهم، شُبّهوا بالأعناق، كما قيل لهم الرؤوس والصدور. ﴿خَٰضِعِينَ﴾[٢] أي: متذلّلين.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ﴾ تقدّم تفسيره في الأنبياء[٣].

﴿إِلَّا كَانُواْ﴾ جملة حالية أي: إلا يكونون[٤] معرضين عنها. وكان: تدّل على أنّ دينهم وعادتهم الإعراض عن ذكر الله تعالى.

ولمّا كان إعراضهم عن النّظر في صانع الوجود، نبّه تعالى على قدرته، وأنه الخالق المنشىء[٥] الذي يستحق العبادة بقوله ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾. والزوج: النّوع. والكريم: الحسن.

﴿لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ تسجيل على أكثرهم بالكفر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: الغالب القاهر. ولما كان الموضع موضع بيان القدرة، قدّم صفة العزّة على صفة الرحمة فالرحمة إذا كانت عن قدرة، كانت

---

(١) انظر تفسير الآية ٦ من الكهف.

(٢) ق: خاظعين.

(٣) انظر تفسير الآية ٢ من الأنبياء.

(٤) ق: يكونوا.

(٥) ق: للشيء.

أعظم وقعاً. والمعنى أنه عزّ في نقمتنا من الكفّار ورحم مؤمني كل أمّة.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ
رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ
هَٰرُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم
مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ
ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ
لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ
أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟
لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سَٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

ولمّا ذكر تكذيب قريش بما جاءهم من الحق وإعراضهم عنه، ذكر قصة موسى عليه السلام، وما قاسى مع فرعون وقومه، ليكون ذلك مسلاة لما يقاسي عليه السلام من كفار قريش. وإذ[1] كانت قريش قد اتّخذت آلهةً من دون الله تعالى، وكان [قوم] فرعون قد اتّخذوه إلهاً، وكان أتباع ملّة موسى عليه السلام هم المجاورين من آمن بالرسول عليه السلام - بدأ بقصة موسى عليه السلام، ثم ذكر بعد ذلك ما يأتي ذكره من القصص.

والعامل في «وإذ»: اتْلُ مضمرةً أي: اتْلُ هذه القصة فيما تتلو. ومعنى «نادى» دعا. و«أن» يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون تفسيرية. وسجّل عليهم بالظّلم لظلم أنفسهم بالكفر وظلم بني إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد.

و«قوم فرعون» قيل: بدل من «القوم الظالمين». والأجود أن يكون عطف بيان، لأنهما عبارتان يعتقبان على مدلول واحد؛ إذ كل واحد من عطف البيان [ومتبوعه مستقلّ بالإسناد. ولما كان «القوم الظالمين» يوهم الاشتراك أتى عطف البيان] بإزالته إذ هو أشهر.

وقرىء: ألا يتّقون، بالياء على الغيبة، وبتاء الخطاب على طريق الالتفات إليهم إنكاراً وغضباً عليهم، وإن لم يكونوا حاضرين، لأنه مبلّغهم ذلك ومكافحهم.

---

(١) ق: وإذا.

والظاهر أنّ «ألا» للعرض المضمّن الحضّ على التقوى.

قال الزمخشري[١]: ويحتمل أن يكون «ألا يتقون» حالاً من الضمير في «الظالمين» أي: يظلمون غير متّقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال انتهى.

هذا الاحتمال الذي أورده خطأ فاحش، لأنه جعله حالاً من الضمير في «الظالمين»، وقد أعرب هو «قوم فرعون» عطف بيان، فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي منهما، لأن «قوم فرعون» معمول لقوله «أئت» والذي زعم أنه حال معمول لقوله «الظالمين» وذلك لا يجوز.

وأيضاً لو لم يفصل بينهما بقوله [٤١٢/أ] «قوم فرعون» لم يَجُزْ أن تكون الجملة حالاً، لأنّ ما بعد الهمزة يمتنع أن يكون معمولاً لما قبلها.

وقولك: جئت أمسرعاً، على أن يكون: أمسرعاً حالاً من الضمير في: جئت لا يجوز. فلو أضمرت عاملاً بعد الهمزة جاز.

ولمّا كان فرعون عظيم النخوة[٢] حتى ادّعى الإلهيّة، كثير المهابة قد أشربت القلوب الخوف منه، خصوصاً من كان من بني إسرائيل، قال موسى عليه السلام «إني أخاف أن يكذبون».

وقرىء: يضيقُ ولا ينطلقُ، بالرفع فيهما عطفاً على «أخاف». فالمعنى أنه يفيد ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان.

وقرىء بالنصب فيهما عطفاً على «يكذّبون»، [فيكون] التكذيب وما بعده

---

(١) الكشاف ٣: ١٠٦.

(٢) ق: النجوة.

متعلّقاً[١] بالخوف.

وفي الخبر أن الله تعالى أرسل موسى إلى هارون وكان هارون بمصر حين بعث الله تعالى موسى نبيّاً بالشّام. قيل: سار بأهله إلى مصر، فالتقى بهارون، وهو لا يعرفه، فقال: أنا موسى. فتعارفا، وأمرهما أن ينطلقا إلى فرعون لأداء الرسالة. فصاحت أمّهما لخوفها عليهما، فذهبا إليه.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ أي: قِبَلي قَوَد ذنب أو عقوبة ذنب، وهو قتله القبطيّ الكافر خباز فرعون بالوكزة التي وكزها.

و﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لقوله ﴿إِنِّي أَخَافُ ﴿١٢﴾﴾ [الشعراء] أي: لا تخف ذلك.

وقوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾ أمرٌ لهما بخطاب لموسى فقط، لأن هارون ليس بمكلَّم بإجماع، ولكنه قال لموسى ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴿٤٢﴾﴾ [طه].

و﴿مَعَكُم﴾ قيل: مِنْ وَضْع الجمع موضع المثنّى أي: معكما. وقيل: هو على ظاهره من الجمع والمراد موسى وهارون ومن أُرسلا إليه. وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير يرجّح أن يكون أريد بصورة الجمع [المثنى] والخطاب لموسى وهارون فقط قال: لأنّ لفظة «مع» تُباين من يكون كافراً، فإنه لا يقال: الله معه. وعلى [أنه] أريد بالجمع التّثنية، حمله سيبويه رحمه الله، وكأنهما، لشرفهما عند الله تعالى، عاملهما في الخطاب معاملة الجمع؛ إذ كان ذلك جائزاً[٢] أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته عنده.

وأفرد «رسول» هنا ولم يثنّ [كما] في قوله ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾﴾ [طه] إمّا

---

(١) ق: متعلق.

(٢) ق: جائز.

لأنه مصدر بمعنى الرسالة، فجاز أن يقع مفرداً خبراً لمفرد فما فوقه، وإمّا لكونهما ذَوَيْ شريعة واحدة، فكأنهما رسول واحد، أو أريد بقوله ﴿إِنَّا﴾ أنّ كل واحد منّا رسول.

و﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه ردّ عليه وأنّه مربوب لله تعالى. باداه بنقض ما كان أبرمه من ادّعاء الألوهية، ولذلك أنكر فقال ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء]. والمعنى: [إليك].

و﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ يجوز أن تكون تفسيرية لما في «رسول» من معنى القول، وأن تكون مصدرية. و«أرسل» بمعنى أطلِقْ وسرِّحْ كما تقول: أرسلت الحجر من يدي، وأرسلت الصقر. وكان موسى عليه السلام مبعوثاً إلى فرعون في أمرين: إرسال بني إسرائيل [٤١٢/ب] لتزول عنهم العبودية، والإيمان بالله، وبُعث بالعبادات والشرع إلى بني إسرائيل. وإرسالهم[1] معهما كان إلى فلسطين، وكانت مسكن موسى وهارون.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ الآية، يروى أنهما انطلقا إلى فرعون، وأدّيا الرسالة، فعرف موسى، فقال [له]: «قال ألم نربك فينا وليداً». وفي الكلام حذف يدلّ عليه المعنى تقديره: فأتيا فرعون، فقالا له ذلك. ولمّا بادهه موسى بأنه رسول رب العالمين وأمره بإرسال بني إسرائيل معه، أخذ يستحقره، ويُضرب عن المرسِل وما جاء به من عنده، ويذكّره بحالة الصُّغْر[2] والمنّ عليه بالتّربية. والوليد: الصبيّ، وهو فعيل بمعنى مفعول، أطلق ذلك عليه لقربه من الولادة.

---

(١) ق: وارساهم.

(٢) الصُّغر والصّغار بمعنى.

وقرئ: فَعْلتك، بفتح الفاء إذ كانت وكزة واحدة. وقرأ الشّعبي: فِعْلتك، بكسر الفاء يريد الهيئة، لأن الوكزة نوع من القتل. عدّد عليه نعمة التّربية، ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث كان يَقتل نظراءه من بني إسرائيل، وذكّره ما جرى على يده من قتل القبطيّ وعظّم ذلك بقوله «وفعلت فعلتك التي فعلت» لأن هذا[1] الإبهام بكونه لم يصرّح أنها القتل تهويل للواقعة وتعظيم [شأن]. ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالنعمة التي لي عليكَ من التربية والإحسان.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أجابه موسى عليه السلام عن كلامه الأخير المتضمّن للقتل؛ إذ كان الاعتذار فيه أهمّ من الجواب في ذكر النعمة بالتربية، لأنّ فيه إزهاق النفس[2].

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ معناه من الجاهلين بأنّ وكزتي إياه تأتي على نفسه.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ الفرار لم يكن منه وحده وإنما هو منه ومن مَلَئِه المذكورين قبل[3].

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى المصدر المفهوم من قوله ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء] ذكّر بهذا أخيراً [ردًّا] على ما بدأ به فرعون في قوله «ألم نربّك فينا وليداً». والظاهر أنّ هذا الكلام إقرار من موسى عليه السلام بالنّعمة، يقول: وتربيتك لي نعمة عليّ من حيث عبّدت غيري وتركتني، واتّخذتني ولداً، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي.

---

(١) ق: في هذا.

(٢) ق: روح النفس.

(٣) ق: قبل.

قال قتادة: هذا منه على جهة الإنكار عليه أن تكون [ثَمَّ] نعمة، كأنه[(١)] يقول: أويصحّ لك أن تعتدّ عليّ نعمة ترك قتلي من أجل أنك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي: ليست بنعمة، لأن الوالجب كان أن لا تقتلني، وأن لاتقتلهم[(٢)]، ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك.

ولمّا أخبر موسى فرعون بأنه رسول رب العالمين لم يسأل إذ ذاك فيقول: وما ربّ العالمين؟ بل أخذ في المداهاة وتذكار التربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي. فلما أجابه عن ذلك انقطعت حجّته في [٤١٣/أ] التربية والقتل. وكان في قوله «رسول رب العالمين» [الشعراء:١٦]. دعاء إلى الإقرار بربوبيّة الله تعالى وإلى طاعة رب العالمين[(٣)]، فأخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى أنه رسول من عنده. والظاهر أن سؤاله إنّما[(٤)] كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمرادّة، وكان عالماً بالله تعالى ويدلّ[(٥)] عليه ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء] ولكنّه تعامى عن ذلك طلباً للرئاسة ودعوى الإلهية، واستفهم «بما» استفهاماً عن مجهول من الأشياء. [وقد ورد له استفهام بمَنْ في موضع آخر في قوله ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه].

ولمّا[(٦)] سأله فرعون وكان السؤال «بما» التي هي سؤال عن الماهيّة،

(١) ق: كافة.

(٢) ق: لا يقتلني وأن لا يقتلهم.

(٣) ق: العالم.

(٤) ق: بما.

(٥) ق: وكلل.

(٦) ق: لمّا.

ولم[١] يمكن الجواب بالماهيّة، أجاب بالصّفات التي تبيّن للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها، وهي ربوبية السماوات والأرض وما بينهما.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بشيء قطّ، فهذا أَوْلى ما توقنون[٢] به، لظهوره وإنارة دليله. وهذه المحاورة من فرعون تدل على أن موسى عليه السلام دعاه إلى التوحيد.

﴿قَالَ لِمَنْ[٣] حَوْلَهُۥٓ﴾ هم أشراف قومه. قيل: كانوا خمس مئة رجل، عليهم الأساور، وكانت للملوك خاصة.

﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أي: ألا تُصغون إلى هذه المقالة، إغراءً به وتعجّباً، إذ كانت عقيدتهم أن فرعون ربّهم ومعبودهم.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ نبّههم على منشئهم ومنشيء[٤] آبائهم. وجاء في قوله «الأولين» دلالة على إماتتهم بعد إيجادهم. وانتقل من الاستدلال بالعام إلى ما يخصّهم، ليكون أوضح لهم في [بيان] بطلان دعوى فرعون الإلهية؛ إذ كان آباؤهم الأولون[٥] تقدّموا فرعون في الوجود، فمحال أن يكون وهو في العدم الصّرف إلهاً لهم.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ أي: هذا الذي يدّعي الرسالة، لا يفهم السؤال، فضلاً عن أن يجيب عنه. فقال موسى عليه السلام ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فعدل إلى

---

(١) ق: ولمن.
(٢) ق: يوقنون.
(٣) ق: للملأ.
(٤) ق: منشأهم ومنشأ.
(٥) ق: الأولين.

طريق أوضح من الثاني؛ وذلك أنه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النّهار، وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النّهار. وهذا التقدير المستمر على الوجه العجيب لا يتمّ إلا بتدبير مدبّر يدبّره.

ولمّا انقطع فرعون في باب الاحتجاج، رجع إلى الاستعلاء والغَلَب - وهذا أبين علامات الانقطاع - فتوعّد موسى بالسّجن حين أعياه خطابه فقال[1] «لئن اتخذت إلها غيري» الآية.

ولمّا كان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى مالا يروعه توعُّد فرعون، قال له على جهة اللطف به والطّمع في إيمانه ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: يوضّح لك صدقي، أفكنت تسجنني حتى في هذه الحالة التي لا يناسب أن أسجن وأنا ملتبس بها؟.

ولمّا سمع فرعون هذا من موسى طمع أن يجد موضع معارضة فقال له ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ أي: رماها من[2] [٤١٣/ب] يده. وتقدم الكلام على عصا موسى[3] عليه السلام. والثعبان أعظم ما يكون من الحيّات.

ومعنى «مبين» ظاهر الثّعبانيّة ليست من الأشياء التي تُزوَّر بالشعبذة والسّحر.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه. ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ تتلألأ كأنها قطعة من الشمس.

---

(١) ق: قال.

(٢) من: مكررة في ق.

(٣) انظر تفسير الآية ١٠٧ من الأعراف.

ومعنى ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: بياضها يجمع[١] النظّارة على النّظر إليه لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورانياً. روي أنه لمّا أبصر أمر العصا قال: فهل غيرها؟. فأخرج يده. فقال: ما هذه؟ قال: يدي. فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشي الأبصار ويسدّ الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ الآية، تقدّم الكلام عليها[٢].

﴿لِمِيقَٰتِ[٣] يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم الزّينة.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضرر علينا في وقوع ما توعّدنا به من قطع الأيدي والأرجل والتّصليب، بل لنا المنفعة التامّة بالصبر عليه. يقال: ضارّه يضيرُه ضيراً، وضارَه يضُوره ضوراً.

و﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ أي: إلى عظيم ثوابه. أو لا ضير علينا إذ انقلابنا إلى الله تعالى بسبب من أسباب الموت، والقتل أهون أسبابه.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾
فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا
لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا
مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم

(١) ق: يجتمع.
(٢) انظر تفسير الآية ١٠٩ من الأعراف.
(٣) ق: في الميقات.

مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ الآية، أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني[1] إسرائيل ليلاً من مصر إلى تُجاه[2] البحر، وأخبر أنهم سيُتّبعون. فخرج سَحَراً جاعلاً طريق الشام على يساره وتوجّه [نحو] البحر. فيقال له في ترك الطريق فيقول: هكذا أُمرت. فلما أصبح، علم فرعون بسُرى موسى ببني إسرائيل، فخرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر. وذكروا أعداداً في أتباع فرعون وفي بني إسرائيل والله أعلم بصحّة ذلك.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي: قال إنّ هؤلاء. وصفهم بالقلّة ثم جمع القليل - فجعل كل حزب قليلاً - جمع السلامة الذي هو للقلّة وقد يجمع القليل على أقلّة وقُلُل. والظاهر تقليل العدد. والشرذمة: الجمع القليل[3] المحتقر، وشرذمة كل شيء: بقيّتهُ[4] الخسيسة.

وقال الجوهري[5]: الشرذمة: الطائفة من الناس، والقطعة من الشيء، وثوب شَراذم: أي قطع.

ومعنى «حاذرون»[6] خائفون متحرّزون منهم.

---

(١) ق: بني.
(٢) أي تلقاءه وجهته.
(٣) غير ظاهرة في ق.
(٤) ق: يقينه.
(٥) الصحاح: شرذم.
(٦) ق: حذرون.

﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم﴾ الضمير عائد على القبط.

﴿مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ بحافّتي النّيل من أسوان إلى رشيد.

﴿وَكُنُوزٖ﴾ هي الأموال التي خزنوها.

﴿وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾ قال ابن لهيعة: هو الفيّوم[1].

قال الزمخشري[2]: «كذلك» يحتمل ثلاثة أوجه: النّصب على: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا، والجرّ على أنه وصف «لمقام» أي: ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: الأمر كذلك انتهى.

الوجه الأول لا يسوغ، لأنه يؤول إلى تشبيه [٤١٤/أ] الشيء بنفسه. وكذلك الوجه الثاني لأن المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم ولا يُشَبَّه الشيء بنفسه[3].

والظاهر أنّ ﴿مُّشۡرِقِينَ﴾ حال من الفاعل أي: وقت إشراق الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي: رأى أحدهما الآخر.

﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ أي: مُلْحَقُون، قالوا ذلك حين رأوا العدوّ القوي وراءهم والبحر أمامهم، وساءت ظنونهم.

والكاف في «كذلك» للتشبيه، و«ذلك» اسم إشارة.

(١) ق: القيوم.

(٢) الكشاف ٣: ١١٥.

(٣) وانظر أيضاً شرح الآية ٦١ الآتي.

قال الزمخشري[1]: يحتمل أن [يكون] المعنى: أخرجناهم هم مثل ذلك الإخراج انتهى.

وهذا لا يصحّ، لأنه يؤول إلى تشبيه الشيء بنفسه. والذي يظهر أنه إشارة إلى ما يُفهم من قوله تعالى ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ [الشعراء] فمعناه: اخرج بهم من ديار مصر، أي: مثل ذلك الإخراج لهم كان هذا الإخراج لفرعون وقومه.

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ زجرهم وردعهم بحرف الرّدع وهو «كلاّ». والمعنى: لن يدركوكم لأن الله تعالى وعدكم بالنصر والخلاص منهم.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ عن قريب إلى طريق النّجاة ويعرّفنيه وسيكفيني أمرهم.

ولمّا انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون - وكان بين يدي موسى عليه السّلام -: أين أُمرتَ وهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟. قال: أُمرتُ بالبحر، ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر. وثَمَّ محذوف تقديره: فضرب فانفلق. فضرب موسى بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبط طريق. أراد تعالى أن يجعل هذه الآية متّصلة بموسى عليه السلام ومتعلّقة بفعلٍ فَعَله، ولكنه بقدرة الله تعالى؛ إذ ضَرْب البحر بالعصا لا يوجب انفلاق البحر بذاته، ولو شاء تعالى لفَلَقَه دون ضربه بالعصا. وتقدّم الخلاف في مكان هذا البحر[2]. والفِرْق: الجزء المنفصل. والطّود: الجبل العظيم المنطاد[3] في السماء.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ أي: قرّبنا. ﴿ثَمَّ﴾ أي: هناك. وثَمّ ظرف مكان للبعد.

(١) الكشاف ٣: ١١٥.

(٢) بل تقدّم ذكره في الآية ٥٠ من البقرة، والآية ١٣٨ من الأعراف.

(٣) أي: المرتفع.

﴿ٱلْآخَرِينَ﴾ أي: قوم فرعون، أي: قرّبناهم. ولم يذكر من قربوا منه، فاحتمل أن يكون المعنى: قرّبناهم حيث انفلق البحر من بني إسرائيل، أو قرّبنا بعضهم من بعض، حتى لا ينجو أحد، أو قرّبناهم من البحر. و«الآخرين» فرعون وقومه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لعلامةً واضحة عاينها[1] النّاس وشاع أمرها.

والذي يظهر أن قوله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أي: أكثر قوم فرعون وهم القبط؛ إذ قد آمن من السّحرة ناس، وآمنت آسيه امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وعجوز اسمها مريم.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا۟ نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ
يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥)
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ
يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ
لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ (٨٤)
وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ
يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ
هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)
قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

---

(١) ق: عاينوها.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية، لمّا كانت العرب لها خصوصية بإبراهيم عليه السلام، أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يتلو عليهم قصصه وما جرى له مع قومه. ولم يأت في قصة من قصص هذه السّورة. أَمْرُه عليه السّلام [٤١٤/ب] بتلاوة قصّة[1] إلاّ في هذه.

والعامل في «إذ» «نبأ». والظاهر أن الضمير في «وقومه» عائد على «إبراهيم» وقيل على أبيه، أي: وقوم أبيه كما قال ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام]. و«ما» استفهام بمعنى التحقير والتّقرير.

وقد كان إبراهيم عليه السّلام يعلم أنهم عبدة أصنام، ولكن سألهم ليريهم أنّ ما كانوا يعبدونه ليس مستحقّاً للعبادة، لما يترتّب على جوابهم من أوصاف معبوداتهم التي هي منافية للعبادة.

ولمّا سألهم عن الذي يعبدونه، لم يقتصروا على ذكره فقط، بل أجابوا بالفعل ومتعلّقه وما عطف عليه من تمام صفتهم مع معبودهم فقالوا ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ على سبيل الابتهاج والافتخار، فأتوا بقصّتهم معهم كاملة، ولم يقتصروا على أن يجيبوا بقولهم: أصناماً.

ولمّا أجابوا إبراهيم عليه السلام، أخذ يوقفهم على قلّة عقولهم، باستفهامه عن أوصاف مسلوبة عنهم، لا يكون ثبوتها إلا لله تعالى.

---

(١) ق: سورة.

ومعنى ﴿يَسْمَعُونَكُمْ [إِذْ] تَدْعُونَ﴾ أي[١] يجيبونكم كقوله: سمع الله لمن حمده. والعامل في «إذ» «يسمعونكم».

قال ابن عطية: ويجوز فيه - [أي: في «إذ تدعون»] - قياس: مدّكر، ولم يقرأ به أحد. والقياس أن يكون اللفظ به: إذ دَدْعون. والذي منع من هذا اللفظ كثرة المتماثلات انتهى.

هذا الذي ذكره من أنه يجوز فيه قياس «مدّكر»! لأن ذلك الإبدال - وهو ابدال التّاء دالاً - لا[٢] يكون إلا في افتعل مما فاؤه ذال أو زاي أو دال نحو: ادّكر وازدجر وادّهن، أصله: اذتكر وازتجر وادتهن، أو جيم شذوذاً قالوا: اجْدَ مَع في: اجتمع، ومن تاء الضمير بعد الزّاي والدّال، ومثّلوا بتاء الضمير للمتكلم فقالوا في فزت: فُزْدُ، وفي جلدتُ: جلدُّ، ومن تاء: تولج شذوذاً قالوا: دولج. وتاء المضارعة ليس شيئاً ممّا ذكرنا، فلا تُبدل تاؤه دالاً.

وقول ابن عطية: والذي منع من هذا اللفظ إلى آخره، يدلّ على أنه لولا ذلك لجاز إبدال تاء المضارعة دالاً وإدغام الذّال فيها، فكنت تقول في إذ تخرج: ادّخرج، وذلك لا يقوله أحد، بل إذا أدغم مثل هذا أبدل من الذال تاء وأدغم في التاء فتقول: اتّخرج.

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ بتقربكم إليهم ودعائكم إياهم. ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ بترك[٣] عبادتكم إياهم. فإذا لم ينفعوا ولم يضرّوا فما معنى عبادتكم لها؟.

﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ﴾ هذه حيدة عن جواب الاستفهام لأنهم لو قالوا: يسمعوننا

---

(١) ق: أو.

(٢) ق: وهو لا.

(٣) ق: تنزل.

ولا ينفعوننا، ويضرّوننا [فضحوا أنفسهم بالكذب الذي لا يُمترى فيه. ولو قالوا: ما يسمعوننا ولا ينفعوننا ولا يضروننا] أسجلوا[١] على أنفسهم بالخطأ المحض فعدلوا إلى التقليد البحت لآبائهم في عبادتها من غير برهان ولا حجّة. والكاف في موضع نصب «بيفعلون» أي: يفعلون في عبادتهم تلك الأصنام مثل ذلك الفعل الذي نفعله[٢] وهو عبادتهم. [٤١٥/أ] والحيدة عن الجواب من علامات انقطاع الحجّة. و﴿بَلْ﴾ هنا إضراب عن جوابه لمّا سأل، وأَخْذٌ في شيء آخر لم يسألهم عنه، انقطاعاً وإقراراً بالعجز.

﴿وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ وصفهم بالأقدمين دلالةً على تقادم عبادة الأصنام فيهم؛ إذ كانوا عبدوها في زمان نوح عليه السلام وزمان[٣] من بعده.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ بقدرته. ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى طاعته.

والظاهر أن قوله ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ الطعام المعهود والسّقي المعهود، وفيه تعديد نعمة الرزق[٤]. ولمّا كان الخلق لا يمكن أن يدّعيه أحد، لم يوكّد فيه «بهو» فلم يكن التركيب: الذي هو خلقني. ولمّا كانت الهداية قد يمكن ادّعاؤها، والإطعام والسّقي كذلك، أكّد بـ«هو» في قوله ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾. وذكر بعد نعمة الخلق والهداية ما تدوم به الحياة ويستمر نظام الخلق، وهو الغذاء والشّرب. ولمّا كان ذلك سبباً لغلبة إحدى الكيفيّات على الأخرى بزيادة الغذاء أو نقصانه فيحدث بعد ذلك مرض، ذكر نعمته بإزالة ما حدث من السّقم. وأضاف المرض إلى نفسه ولم يأت التركيب:

---

(١) أسجل الكلام: أرسله.
(٢) ق: يفعله.
(٣) ق: فزمان.
(٤) ق: نعمه للرزق.

وإذا أمرضني، لأنه لا ينبغي أن يُسند[1] ما فيه تَأَذٍّ إليه تعالى وذلك على سبيل الأدب، وإن كان تعالى هو الفاعل لذلك. وإبراهيم عليه السلام عدّد نعم الله تعالى عليه والشفاء محبوب والمرض مكروه، ولمّا لم يكن المرض منها لم يُضِفْه إلى الله تعالى.

ولمّا كانت الإماتة ثم البعث لا يمكن إسنادها إلا إلى الله تعالى، لم يحتَجْ إلى توكيد. ودعوى نمرود الإماتة والإحياء هي منه على سبيل المَخْرَقة والقحة. وكذلك لم يحتج إلى تأكيد في «والذي أطمع».

وقدّم إبراهيم عليه السّلام الثّناء على الله تعالى وذكروه بالأوصاف الحسنة بين يدي طَلِبَتِه ومسألته، ثم سأله تعالى فقال ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ فدلّ أنّ تقديم الثّناء على المسألة من المهمّات. والظاهر أن الحكم هو الفصل بين الناس بالحق.

و﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ هو الثّناء وتخليد المكانة، وأعظم ذلك ما جاء في الصلاة على رسول الله ﷺ: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

ولمّا فرغ من مطالب الدّنيا والآخرة لنفسه، طلب لأشدّ الناس التصاقاً به، وهو أصله الذي كان ناشئاً عنه، وهو أبوه فقال ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾.

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ إما من الخزي وهو الهوان، وإما من الخزاية وهي الحياء. والضمير في «يبعثون» ضمير العباد.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بدل من [﴿يَوْمَ﴾] ﴿يُبْعَثُونَ﴾. ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: كما ينفع في

(١) ق: أن لا يسند.

الدنيا يفديه(١) ماله ويذبّ عنه بنوه.

[قال ابن عطيّة: وهذه الآيات في قوله «يوم لا ينفع مال ولا بنون» عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام. وهي إخبار من الله عزّ وجلّ بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزى فيه انتهى.

كأنَّ ابن عطية قد أعرب «يوم لا ينفع» بدلاً من «يوم يبعثون» وعلى هذا لا يتأتّى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام وجَعْل بعضه من كلام إبراهيم وبعضه من كلام الله تعالى؛ لأن العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الأول، أو الأول.

وعلى كلا التّقديرين لا يصحّ أن يكون من كلام الله إذ يصير التقدير: ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون].

والظاهر أن الاستثناء(٢) منقطع أي: لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرّبت لينظروا إليها ويغتبطوا بحشرهم [٤١٥/ب] إليها.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أُظهرت وكُشفت بحيث كانت بمرأى منهم. وجيء ذلك كله بلفظ الماضي في «أتى» و«أُزلفت» و«بُرّزت» لتحقُّق وقوع ذلك وإن كان لم يقع.

والضمير في «فكبكبوا» عائد على الأصنام أُجريت مجرى من يعقل من

---

(١) ق: يعذّبه.

(٢) ق: إلا استثناء.

حيث ذُكرت بعبادة وأُسند إليها فِعْل من يعقل[١].

﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم الكفرة الذين شملتهم الغواية.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ قبيلُهُ. وكلّ من تبعه فهو جند له وعون.

والخطاب في ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ للأصنام على جهة الاعتراف والإقرار بالحق.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجَرَأَة، وهم ساداتهم وذوو المكانة في الدنيا والاستتباع كقولهم ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب] الآية.

والظاهر أن «فلو» أُشربت معنى التمنّي و«فنكون»[٢] الجواب كأنه قيل: ياليت لنا كرّة فنكون. وقيل: هي الخالصةللدّلالة لما كان سيقع لوقوع غيره، فيكون قوله «فنكون»[٣] معطوفاً على «كرّة» أي: فكوناً من المؤمنين. وجواب «لو» محذوف أي: لكان لنا شفعاء وأصدقاء أو: لخلصنا من العذاب.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إلى قصّة إبراهيم ومحاورته لقومه.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: أكثر قوم إبراهيم. بيّن تعالى أنّ أكثر قومه لم يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التي استدلّ بها إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك مسلاة لرسول الله ﷺ في تكذيب قومه إياه عليه السلام.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

---

(١) يعقل: مكررة في ق.

(٢) ق: وفيكون.

(٣) ق: فيكون.

أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، تقدّم الكلام على قوم نوح[1].

﴿أَلَا تَتَّقُونَ[2]﴾ لمّا عرض عليهم تقوى الله برفق انتقل من العرض إلى الأمر فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ في نصحي لكم وفيما دعوتكم إليه من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، فشرع أشرافهم في تنقيص متّبعيه، وأن الحامل على انتفاء إيمانهم له كونه اتّبعه الأرذلون.

وقوله ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ جملة حالية أي: كيف نؤمن وقد اتّبعك أراذلنا فنتساوى معهم في اتّباعك؟. وكذا فعلت قريش في شأن عمّار وصهيب. والضعفاء أكثر استجابة من الرؤساء، لأن أذهانهم ليست مملوءة بزخارف الدنيا، فهم أَدْرَكُ للحقّ وأَقْبَلُ له[3] من الرؤساء. وقرىء: وأتباعك، جمع تابع كصاحب وأصحاب.

---

(١) انظر تفسير الآية ٧١ من يونس.

(٢) ق: يتّقون.

(٣) ق: لهم.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا مشعر بأنهم طلبوا منه ذلك، فأجابهم بذلك، كما طلب رؤساء قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد من آمن من الضعفاء فنزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام] الآية، أي: لاأطردهم عني لاتباع شهواتكم والطمع في إيمانكم.

ولمّا اعتلّوا في ترك إيمانهم بإيمان من هو دونهم دلّ ذلك على أنه [لم] تثلج صدورهم للإيمان؛ إذ اتّباع الحقّ لا يأنف منه أحد لوجود الشركة فيه. أخذوا في التهديد والوعيد ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن تقبيح ما نحن عليه [٤١٦/أ] وادّعائك الرسالة من الله تعالى ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ أي: بالحجارة، وقيل بالشتم. وأيس إذ ذاك من فلاحهم، فنادى ربه وهو أعلم بحاله ﴿ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾ فـدعائي ليس لأجل أنهم آذوني، ولكن لأجل دينـك.

﴿ فَٱفْتَحْ ﴾ أي: فاحكم. ودعا لنفسه ولمن آمن به بالنجاة، وفي ذلك إشعار بحلول العذاب بقومه، أي: ونجّني ممّا يحلّ بهم.

و«المشحون» المملوء بما ينبغي له من قدر ما يحمل، يقال: شحنها عليهم خيلاً ورجالاً.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي: بعد نجاة نوح والمؤمنين.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ
أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، كان أخاهم من النسب، وكان تاجراً جميلاً أشبه الخَلْق بآدم عليه السلام. عاش أربع مئة سنة وأربعاً وستّين سنة، وبينه وبين ثمود مئة سنة. وكانت منازل عاد ما بين عُمان إلى حضرموت أمرع البلاد، فجعلها الله تعالى جبالاً ورمالاً. أمرهم أولاً بما أمر به نوح وقومه، ثم نعى عليهم من سوء أعمالهم مع كفرهم فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ والرّيع بكسر الراء وفتحها: جمع ريعة وهو المكان المرتفع. وقال أبو عبيدة: الريع أيضاً الطريق.

والمصانع: جمع مصنعة، قيل: وهي البناء على الماء. ولمّا خوّفهم عذاب الله وعقابه كان من جوابهم أن قالوا: سواء علينا وَعْظك وعدمه. وجعلوا قوله وعظاً إذ لم يعتقدوا صحّة ما جاء به، وأنه كاذب فيما ادّعاه. وقولهم ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوّفهم به.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾
وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا

كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية.

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا[١] مخلّدين في نعيمهم، لا يزولون عنه، وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخلية الله تعالى إياهم ومايتنعمون فيه من الجّنات وغير ذلك مع الأمن والدَّعة[٢].

والهضيم[٣]: قال ابن عباس: إذا أينع وبلغ.

﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾ أي: مغارات ليحفظوا أموالهم فيها ﴿فَرِهِينَ﴾[٤] قال قتادة: آمنين، وقيل غير ذلك.

و﴿مِّثْلُنَا﴾ أي: في الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر، فلا اختصاص لك بالرئاسة.

﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ أي: بعلامة على صحة دعواك. وفي الكلام حذف تقديره: قال: آتي بها. قالوا: ما هي؟. قال هذه ناقة. روي أنهم اقترحوا عليه ناقة عُشَراء[٥]، تخرج من هذه الصخرة تلد سَقْباً[٦]. فقعد صالح يتفكر، فقال له جبريل عليه السلام: صلّ ركعتين، وسل ربك النّاقة. ففعل، فخرجت الناقة، وبركت بين أيديهم ونتجت سقباً مثلها في العِظَم.

---

(١) ق: لا يتركوا.

(٢) هذا من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٣: ١٢٢.

(٣) ق: والنخل والهضيم.

(٤) ق: فرهين.

(٥) الناقة العشراء: التي أتى على حملها عشرة أشهر.

(٦) السَّقب: الذكر من ولد الناقة.

وتقدّم في الأعراف[١] طرف من قصة ثمود والناقة.

والشِّرب: النصيب المشروب من الماء نحو السِّقْي. وظاهر هذا العذاب أنه في الدنيا، وكان وقع، ووصف بالعظم لحلول العذاب فيه. ونُسب العقر إلى جميعهم [لكونهم راضين بذلك حتى روي أنهم استرضوا المرأة في خدرها والصبيان فرضوا جميعاً].

﴿فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾ لا ندمَ توبةٍ بل ندم خوفٍ أن يحلّ بهم العذاب عاجلاً، وذلك عند معاينة العذاب في[٢] [٤١٦/ب] غير وقت التوبة.

أصبحوا وقد تغيّرت ألوانهم حسبما كان أخبرهم به صالح عليه السلام. وكان العذاب صيحة خمدت لها أبدانهم، وانشقّت قلوبهم، وماتوا عن آخرهم، وصُبّ عليهم حجارة خلال ذلك، وأل في ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ للعهد في العذاب السابق أي: عذاب ذلك اليوم العظيم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي
لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا
عَجُوزًا فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

(١) في الآيات ٧٣-٧٩.

(٢) ق: معاينة وذلك في.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية.

﴿أَتَأْتُونَ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ. و﴿ٱلذُّكْرَانَ﴾ جمع ذكر مقابل الأنثى. والإتيان كناية عن وطء الرجال، وقد سمّاه تعالى بالفاحشة. ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو مخصوص بذكران بني آدم، وقيل: مخصوص بالغرباء.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ﴾ ظاهر في كونهم لا يأتون النساء إمّا البتّة وإما غلبة.

﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ يدلّ على الإباحة بشرطها ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي: من الإناث. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون الحدّ في الظلم. وهو إضراب بمعنى الانتقال من شيء إلى شيء.

ولمّا نهاهم عن هذا الفعل القبيح، توعّدوه بالإخراج وهو النّفي من بلده الذي نشأ فيه، أي: لئن لم تنته عن دعواك النبوّة وعن الإنكار علينا فيما نأتيه من الذّكران، لننفينّك كما نفينا من نهانا قبلك.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ أي: للفاحشة التي أنتم تعملونها. و«لعملكم» متعلق بـ«القالين».

قال أبو عبد الله الرازي[1]: القِلى: البغض الشديد، كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد انتهى.

ولا يكون قلي بمعنى أبغض وقلا من الطبخ[2] والشيء من مادة واحدة، لاختلاف التركيب؛ فمادة قلا من الشيء، من ذوات الواو وتقول: قلوت اللحم فهو مقلوّ. ومادة قلى من البغض، من ذوات الياء: قليت الرجل فهو

(١) تفسير الرازي ٢٤: ١٦١.
(٢) ق: الط.

مقليّ، قال[1]: [من الطويل]

[صرفتُ الهوى عنهنّ من خشية الرّدى و]لستُ بمقليّ الخلال ولا قالِ

ولمّا توعّدوه بالإخراج، أخبرهم ببغض عملهم، ثم دعا ربّه فقال ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ أي: من عقوبة ما يعملون من المعاصي.

ولمّا كانت زوجته مندرجة في الأهل، وكان ظاهر دعائه دخولها في التّنجية، وكانت امرأته كافرة، استثنيت في قوله ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. و«في[2] الغابرين» صفة، أي: من الباقين من لداتها[3] وأهل بيتها. ونجاته عليه السلام أن أمره تعالى بالرحلة ليلاً، وكانت امرأته كافرة، تعين عليه قومه، فأصابها حجر، فهلكت فيمن هلك.

قال قتادة: أمطر الله تعالى على شذّاذ القوم حجارة من السماء فهلكوا.

وقال مقاتل: خسف الله بقوم لوط، وأرسل الحجارة على[4] من كان خارجاً من القرية. ولم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٥.

(٢) ق: ومن.

(٣) ق: ولدانها.

(٤) ق: إلى.

خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ روي في الحديث[١] أن شعيباً أخا مدين أُرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة، أمرهم بإيفاء الكيل وهو الواجب، ونهاهم عن الإخسار وهو التّطفيف، ولم يذكر الزيادة على الواجب لأنّ النفوس قد تشحّ بذلك [٤١٧/أ] فمن فعله فقد أحسن، ومن تركه فلا حرج.

وتقدّم تفسير القسطاس في سورة الإسراء[٢].

﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ﴾ تقدّم الكلام عليها[٣].

ولمّا تقدّم أَمْره عليه السّلام بتقوى الله، أمرهم ثانياً بتقوى من أوجدهم وأوجد من قبلهم، تنبيهاً على أن من أوجدهم قادر على أن يعدمهم ويهلكهم. وعطف [عليهم] «والجبلة» إيذاناً بذلك فكأنه قيل: مصيركم إلى ما صار[٤] إليه أوّلوكم، فاتقوا الله الذي تصيرون إليه.

«والجبلة» الخَلْق، وقيل: الخَلْق المنجمد الغليظ، مأخوذ من الجبل.

(١) انظر الطبري ١٩ : ٦٥.
(٢) انظر تفسير الآية ٣٥ من الإسراء.
(٣) انظر تفسير الآية ٨٥ من الأعراف.
(٤) ق: أصاب.

ثم طلبوا منه إسقاط كسف من السّماء عليهم، وليس له ذلك، فالمعنى: إن كنت صادقاً، فادعُ الذي أرسلك أن يُسقط[1] علينا كسفاً، أي: قطعة. ودلّ طلبهم ذلك على التصميم على الجحود والتكذيب.

ولما طلبوا منه ما طلبوا، أحال علم ذلك إلى الله تعالى، وأنه هو العالم بأعمالكم، وما تستوجبون عليها من العقاب، فهو يعاقبكم [بما شاء].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وهو نحوٌ ممّا اقترحوا. ولم يذكر الله تعالى كيفية عذاب الظّلة، وروي في حديثها اختلاف كثير؛ فروي أنه حبس عنهم الرّيح سبعاً، فابتُلوا بحرٍّ عظيم، يأخذ بأنفاسهم، لا ينفعهم ظلّ ولا ماء، فاضطرّوا إلى أن خرجوا إلى البرّية، فأظلّتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا تحتها، فأمطرت عليهم ناراً، فأحرقتهم. وكرّر ما كرّر، في أوائل هذه القصص، تنبيهاً على أن طريقة الأنبياء واحدة، لا اختلاف فيها، وهي الدّعاء إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ورفض ما سواه، وأنهم ورسول الله ﷺ مشتركون في ذلك، وأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو ما جاءت به الرّسل عليهم السلام قبله، وتلك عادة الأنبياء.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا

(١) ق: تسقط.

كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا
مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ
وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ
فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الآية، الضمير في «وإنه» عائد على القرآن، أي: أنه ليس بكهانة ولا سحر، بل هو من عند الله تعالى. وكأنه عاد أيضاً إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عمّا يأتيهم من الذكر، ليتناسب المفتتح والمختتم.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾ هنا جبريل عليه السلام. وتقدّم في سورة مريم[1] لِمَ أُطلق عليه الرّوح.

والظاهر تعلّق «على قلبك» و«لتكون» «بنزل»[2]. وخصّ القلب - والمعنى: عليك - لأنه محلّ الوعي والتّثبيت، وليُعلم أن المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ، لا يجوز عليه التبديل والتغيير، وليكون علّة في التّنزيل أو النزول اقتصر عليها، لأن ذلك أزجر للسامع، وإن كان القرآن نزل للإنذار والتبشير.

والظاهر تعلّق «بلسان» «بنزل»[3] فكان يسمع من جبريل عليه السلام

(١) لم يتقدم ذلك، انظر تفسير الآية ١٧ من مريم.

(٢) ق: تنزل.

(٣) ق: تنزل.

حروفاً عربية.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مذكور في الكتب المنزلة القديمة منبَّه عليه مشار[(١)] إليه.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ أي[(٢)]: [٤١٧/ب] علامة على صحّته عِلْم بني إسرائيل به؛ إذ كانت قريش ترجع في كثير من الأمور النقلية إلى بني إسرائيل، ويسألونهم عنها، ويقولون: هم أصحاب الكتب الإلهية. وقد تهوّد كثير من العرب، وتنصّر كثير[(٣)]، لاعتقادهم في صحّة دينهم.

وذكر الثعلبي عن ابن عباس أن أهل مكة بعثوا إلى أحبار يثرب، يسألونهم عن النبي ﷺ فقالوا: هذا زمانه، ووصفوا نعته، وخلطوا في أمر محمد عليه السلام فنزلت الآية في ذلك[(٤)]. ويؤيد هذا كون الآية مكيّة.

وقرىء: يكن، بالياء، آيةً[(٥)]، بالنصب خبر «يكن»، و«أن يعلمه» أن مع الفعل بتأويل المصدر تقديره: عِلْمُ بني إسرائيل وهو اسم «يكن».

وقرىء: تكن، بالتّاء، آيةٌ، بالرفع.

وخرّجه الزمخشري[(٦)] على أنه «آية» اسم «تكن»[(٧)]، و«أن يعلمه» الخبر،

---

(١) ق: مشاراً.
(٢) أي: مكررة في ق.
(٣) ق: كبير، في الموضعين.
(٤) انظر تفسير القرطبي ١٣ : ١٣٨.
(٥) ق: أنه.
(٦) الكشاف ٣: ١٢٨.
(٧) ق: على أنه آية اسم يكن.

فجعل النكرة اسم «تكن» و«أن يعلمه» المعرفة الخبر.

وهو عكس الإعراب، أعني جَعْل الاسم نكرة والخبر معرفة وهو لا يجوز إلّا في الشعر كقول الشاعر[1]: [من الوافر]

كـأنّ سبيئـةً مـن بيـتِ رأسٍ يكـون مـزاجَهـا عسـلٌ ومـاءُ

والأحسن في هذه القراءة أن يكون في «تكن»[2] ضمير القصّة اسماً لها، و«آيةٌ أن[3] يعلمه» جملة في موضع خبر «تكن».

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ ﴾ بلغة العجم على رجل أعجمي، فقرأه على العرب، لم يؤمنوا به من حيث لم يفهموه، واستنكفوا اتّباعه.

وقال الفرّاء[4]: ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم أو أعجمي على حذف ياء النسب، كما قالوا: الأشعرين واحدهم أشعري.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: على العرب بلسان العجم.

والضمير في «سلكناه» عائد على ما عادت عليه الضمائر قبلُ[5] وهو القرآن. والمعنى: مثل ذلك السَّلْك، وهو الإدخال والتمكين والتّفهم لمعانيه.

﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلناه ومكّنّاه في قلوب المجرمين، والمعنى: ما ترتّب على ذلك السَّلْك من كونهم فهموه وأدركوه، فلم يزدهم ذلك، إلّا عناداً وجحوداً

(١) البيت لحسّان في ديوانه ص٥٩.

(٢) ق: يكن.

(٣) ق: وأن.

(٤) لم أجده في معاني القرآن.

(٥) ق: قيل.

وكفراً به. ورؤيتهم للعذاب، قيل: في الدنيا، وقيل: يوم القيامة.

﴿فَيَقُولُوا۟﴾[١] أي: كل أمّة معذّبة. ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ مؤخّرون. وهذا على جهة التّمني منهم والرّغبة، حيث لا تنفع الرغبة.

ثم رجع لفظ الآية إلى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله تعالى في طلبهم سقوط السماء كسفاً وغير ذلك، وقولهم للرسول: أين الذي تعدنا به؟.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ بإقامة الحجة عليهم في أنّ مدّة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني، إذا نزل العذاب بعدها.

ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك[٢] قرية من القرى إلا وقد أرسل لها من ينذرها عذاب الله، إن هي عصت، ولم تؤمن، كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وجمع «منذرون» لأنّ «من قرية» عامّ في القرى الظالمة [٤١٨/أ] كأنه قيل: وما أهلكنا القرى الظّالمة. والجملة من قوله «لها منذرون» في موضع الحال من «قرية».

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد «إلا» ولم تعزل عنها في قوله ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ [الحجر]؟. قلت: الأصل عزل الواو، لأن الجملة صفة «لقرية». وإذا

(١) ق: فيقولون.
(٢) ق: تهلك.
(٣) الكشاف ٣: ١٣٠.

زيدت، فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف] انتهى.

الإعراب أن يكون «لها» في موضع الحال، وارتفع «منذرون» بالمجرور أي: إلا كائناً[1] لها منذرون، فتكون من مجيء الحال مفرداً لا جملة. ولو قدّرنا «لها منذرون» جملة، لم يَجُزْ أن تجيء صفة بعد إلاّ. [ومذهب الجمهور أنه لا تجيء الصفة بعد إلاّ] معتمدة على أداة الاستثناء نحو: ما جاءني أحد إلا راكب، وإذا سُمع مثل هذا، خرّجوه على البدل أي: إلاّ رجل راكب. ويدلّ على صحّة هذا المذهب أن العرب تقول: ما مررت بأحدٍ إلا قائماً، ولا يُحفظ من كلامها: [ما] مررت بأحدٍ إلا قائمٍ [بالجرّ]. فلو كانت الجملة في موضع الصّفة للنكرة، لورد المفرد بعد إلاّ صفةً لها. فإن كانت الصفة غير معتمدة على الأداة، جاءت الصفة بعد إلاّ نحو: ما جاءني أحد إلا زيد خير من عمروٍ، والتقدير: ما جاءني أحد خير من عمروٍ إلا زيد. وأمّا كون الواو تُزاد لتأكيد وصل الصّفة بالموصوف فغير معهود في كلام النحويين لو قلت: جاءني رجل وعاقل، على أن يكون «وعاقل» صفة لرجل لم يَجُزْ. وإنما تدخل الواو في الصفات جوازاً إذا عطف بعضها على بعض، وتغاير مدلولها نحو: مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر. وأما ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف] فقد تقدّم الكلام عليه في موضعه.

و«وذكرى» منصوب على المصدر، والعامل فيه [«منذرون»] لأنه في معنى: مذكِّرون.

---

(١) ق: كائنا.

قال الزمخشري[(١)]: ووجه آخر وهو أن تكون «ذكرى» متعلقة «بأهلكنا» مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجّة، بإرسال المنذرين إليهم، ليكون [إهلاكهم] تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصوا مثل عصيانهم، وما كنّا ظالمين فنهلك قوماً غير ظالمين. وهذا الوجه عليه المعوّل انتهى.

هذا لا معوّل عليه! لأنّ مذهب الجمهور أنّ ما قبل إلاّ لا يعمل فيما بعدها[(٢)] إلا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه، أو تابعاً له غير معتمد على الأداة، نحو: ما مررت بأحد إلا زيد[(٣)] خير من عمروٍ. والمفعول له ليس واحداً من هذه الثلاثة، فلا يجوز أن تتعلق «بأهلكنا». ويتخرّج جواز ذلك على مذهب الكسائي والأخفش، وإن كانا لم ينصّا على المفعول له بخصوصيّته.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآية، كان مشركو قريش يقولون: إن لمحمدٍ تابعاً[(٤)] من الجن، يخبره كما يخبر [٤١٨/ب] الكهنة فنزلت[(٥)]. والضمير في «به» يعود على القرآن، بل ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء].

وما أحسن ما ترتّب[(٦)] نفي هذه الجمل! نفى أولاً تنزُّل الشياطين به - والنّفي في الغالب يكون من الممكن، وإن كان هنا لا يمكن من الشياطين

(١) الكشاف ٣: ١٣٠.
(٢) عبارة ق: أن ما بعد في الأصل قبل إلاّ يعمل فيما قبلها.
(٣) ق: زيداً.
(٤) ق: بايعاً.
(٥) انظر الدرّ المنثور ٥: ٩٥.
(٦) ق: يرتب.

التنزّل بالقرآن - ثم نفى انبغاء[١] ذلك والصلاحية أي: ولو فُرض الإمكان، لم يكونوا أهلاً له[٢]، ثم نفى قدرتهم[٣] على ذلك، وأنه مستحيل في حقهم التنزّل به. فارتقى من نفي الإمكان إلى نفي الصلاحية إلى نفي القدرة والاستطاعة، وذلك مبالغة مترتّبة في نفي تنزيلهم به. ثم علّل انتفاء ذلك - على استماع كلام أهل السماء - [بأنهم] مرجومون بالشهب.

ثم قال تعالى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ والخطاب في الحقيقة للسامع لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول عليه السلام، ولذلك قال المفسّرون: المعنى: قل يل محمد لمن كفر: لا تدع مع الله إلهاً آخر.

ثم أمره تعالى بإنذار عشيرته. والعشيرة تحت الفخذ وفوق الفصيلة. ونبّه على العشيرة، وإن كان مأموراً بإنذار الناس كافة، لأن في إنذارهم - وهم عشيرته - عدمَ محاباةٍ ولطفٍ بهم، وأنهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والإنذار.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ تقدم الكلام على هذه الجملة في آخر الحجر[٤]. وهو كناية عن التواضع. نهاه عن التكبّر بعد التواضع.

و﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عامّ في عشيرته وغيرهم.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾[٥] قرىء بالفاء والواو.

(١) ق: انتفاء.

(٢) ق: إهلاكه.

(٣) قدرتهم: مكررة في ق.

(٤) انظر تفسير الآية ٨٨ من الحجر.

(٥) ق: فتوكل.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾ في التهجّد والصلاة والقيام بالليل.

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ معطوف على مفعول «يراك» أي: ويرى تقلّبك.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: قل يا محمد هل أخبركم. وهذا استفهام توقيف وتقرير.

﴿عَلَىٰ مَن﴾ متعلق بـ«تنزّلُ». والجملة المتضمّنة معنى الاستفهام في موضع نصب «لأنبئكم» لأنه[1] بمعنى أعلمكم. فإن قدّرتها متعدّية [لاثنين كانت سادّة مسدّ المفعول الثاني. وإن قدّرتها متعدية] لثلاثة، كانت سادّة[2] مسدّ الاثنين.

﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ وهو الكثير الإفك وهو الكذب. و﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.

فأفّاك وأثيم صيغتا مبالغة، والمراد الكهنة.

والضمير في ﴿يُلْقُونَ﴾[3] يحتمل أن يعود على «الشياطين» أي: ينصتون ويصغون بأسماعهم، ليسترقوا شيئاً مما يتكلّم به الملائكة حتى ينزلوا بها إلى

(١) ق: لأنبئكم لأنه معلّق لأنه.
(٢) ق: سدّت.
(٣) ق: تلقون.

الكهنة. أو يلقون السمع - أي: المسموع - إلى من يتنزّلون عليه.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ أي: وأكثر الشياطين الملقين[١] كاذبون. فعلى معنى الإنصات يكون استئناف إخبار. وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة احتمل الاستئناف، واحتمل أن يكون حالاً من «الشياطين» أي: تنزّل على كل أفّاك أثيم ملقين ما سمعوا.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ قيل: هي في أمية بن أبي الصلت وأبي عزّة ومسافع الجمحي وهبيرة بن أبي وهب وأبي سفيان بن الحارث وابن الزّبعرى. وقد أسلم ابن [٤١٩/أ] الزبعرى وأبو سفيان.

و«الشعراء» عامّ يدخل فيه كل شاعر. والمذموم من يمدح ويهجو شهوة محرّمة، ويقذف المحصنات، ويقول الزّور وما لا يسوغ شرعاً.

و«الغاوون» قال ابن عباس: الرّواة. وقال أيضاً: المستحسنون لأشعارهم المصاحبون لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ تمثيل لذهابهم[٢] في كل شعب من القول واعتسافهم وقلّة مبالاتهم بالغلوّ في المنطق ومجاوزة الحدّ في القصد، حتى يفضّلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحّهم على حاتم، ويبهتوا البريء ويفسّقوا التّقي.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وذلك لغلّوهم[٣] في أفانين الكلام

---

(١) ق: المقين.

(٢) ق: لدهائهم.

(٣) ق: لعلوهم.

ولهجهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة، قد ينسبون لأنفسهم ما لا يقع منهم.

وقد درأ الحدّ في الخمر عمر بن الخطاب عن نعمان بن عدي في شعر قاله لزوجته حين احتجّ عليه بهذه الآية. وقد كان ولّاه ميسان، فعزله وأراد أن يحدّه. والفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك[١]: [من الوافر]

فبتن كأنهنّ مصرّعات ... وبتّ أفضّ أغلاق الختام

فقال له سليمان: لقد وجب عليك الحدّ. فقال: لقد درأ الله عنّي الحدّ بقوله ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف النبوّة إذ أَمْرهم كما ذكر.

والمراد بالمستثنَيْن حسّان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان ينافح عن رسول الله ﷺ. وقال عليه السلام لكعب بن مالك[٢] «أُهْجُهُم فوالّذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النّبل». وقال لحسّان[٣] «قل وروح القدس معك».

ولمّا ذكر ﴿وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ توعّد الظالمين هذا التوعّد العظيم الهائل الصّادع للأكباد.

وأبهم[٤] في قوله ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وكان السّلف الصالح يتواعظون

(١) ديوانه ص٨٣٦، ولم أجده في طبعة بيروت.

(٢) أخرجه النسائي ٥: ٢٠٢، ٢١٢ من حديث أنس، في شعر ابن رواحة. وانظر مسلم ٤: ١٩٣٥.

بها.

والمفهوم من الشريعة أن الذين ظَلموا هم الكفّار. وقرأ ابن عباس وابن أرقم عن الحسن: أي منفلت ينفلتون، بفاءين وتاءين. ومعناه أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة. و«سيعلم» هنا معلّقة. و«أي منقلب» استفهام، والناصب له «ينقلبون» وهو مصدر. والجملة في موضع المعمول «لسيعلم».

سورة النمل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ .

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾ الآية ، هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة لأنه قال ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ ﴾ [الشعراء] [٤١٩/أ] وقبله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ ﴾ [الشعراء]، وقال هنا «طس تلك آيات القرآن[2]» أي: الذي هو تنزيل ربّ العالمين. وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم، لأن المضاف إلى العظيم[3] عظيم. والمبين: تقدم الكلام عليه[4].

و﴿ هُدٗى ﴾ قيل: الجنة. ﴿ وَبُشۡرَىٰ ﴾ بالثواب.

---

(١) مكّية وهي ثلاث وتسعون آية.

(٢) ق: الكتاب.

(٣) ق: التعظيم.

(٤) انظر تفسير الآية ١٥ من المائدة.

ولمّا كان الإيقان[١] بالآخرة مما هو ثابت عندهم[٢] مستقر الديمومة جاءت الجملة اسمية، وأكّد[٣] المسند إليه فيها بتكراره فقيل «هم يوقنون». وجاء خبر المبتدأ فعلاً ليدلّ على الديمومة. واحتمل أن تكون تلك الجملة استئناف إخبار.

قال ابن عطية: و«الأخسرون» جمع أخسر لأن[٤] أفعل صفة لا يجمع إلا أن يضاف فتقوى رتبته في الأسماء، وفي هذا نظر انتهى.

لا نظر في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير إذا كان بأل، بل لا يجوز فيه إلاذلك، إذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية، فتقول: الزّيدون هم الأفضلون والأفاضل، والهندات هنّ الفضليات والفُضْل.

وأما قوله: لا يجمع إلا أن يضاف، فلا يتعيّن إذ ذاك جمعه، بل إذا أضيف إلى نكرة فلا يجوز جمعه، وإن أضيف إلى معرفة[٥] جاز فيه الجمع والإفراد على ما قرّر ذلك في كتب النحو.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ لمّا تقدّم ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ ۝١﴾ [النمل] خاطب نبيّه عليه السلام بقوله «وإنك» أي: هذا القرآن الذي تلقّيته هو من عند الله تعالى، وهو الحكيم العليم لا كما ادّعاه المشركون من أنه إفك وأساطير وكهانة وشعر وغير ذلك من تقوّلاتهم. وبُني الفعل للمفعول وحُذف الفاعل، وهو

(١) ق: الإتقان.
(٢) ق: عندهم لم.
(٣) ق: وأكلت.
(٤) ق: لأنه.
(٥) ق: إلى جمع.

جبريل عليه السلام، للدلالة عليه في قوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء]. ولقى [مخففاً] يتعدّى إلى واحد، والتضعيف[1] فيه للتعدية فيتعدّى به إلى اثنين، وكأنه كان[2] غائباً عنه، فلقيه فتلقّاه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِذْ[3] قَالَ مُوسَىٰ﴾ تقدّم الكلام عليه[4].

﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ على الإضافة، وبشهابٍ، منوّناً، قبسٍ، بدلاً منه.

والظاهر أن الضمير في «جاءها» عائد على النار. و«نودي» المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله ضمير عائد على موسى عليه السلام، و«أن» على هذا يجوز أن تكون مفسّرة لوجود شرط المفسّرة فيها، ويجوز أن تكون مصدرية: إما الثنائية التي تنصب المضارع و«بورك» صلة لها، والأصل حرف الجر أي:

(١) ق: وهو التضعيف.

(٢) ق: وكان كأنه.

(٣) ق: وإذ.

(٤) انظر تفسير الآية ١٠ من طه.

بأن بورك، و«بورك» الخبر. وإما المخفّفة من الثقيلة وأصلها بحرف الجر، و«من» مفعول لم يُسَمَّ فاعله.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: هل يجوز أن تكون - يعني «أنْ» في قوله «أن بورك» - المخفّفة من الثقيلة وتقديره: أنه بورك، والضمير ضمير الشأن والقصة؟. قلت: لا لأنه لا بدّ من قد. فإن قلت: فعلى إضمارها؟ [قلت]: لايصحّ لأنها علامة ولا تحذف انتهى.

يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، و«بورك» فعل دعاء، كما تقول: بارك الله فيك. وإذا كان دعاءً، لم يَجُزْ دخول قد عليه فيكون كقوله [٤٢٠/أ] تعالى ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ ﴿٩﴾﴾ [النور] في قراءة من جعله فعلاً ماضياً. وكقول العرب: إما أن جزاك الله خيراً وإما أن يغفر لك. وكان الزمخشري بنى ذلك على أنّ «بورك» خبر لا دعاء فلذلك لم يجز أن تكون المخفّفة من الثقيلة.

و﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ موسى عليه السلام.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾هم الملائكة. وجعلت النار ظرفاً له عليه السلام لمّا كان طالباً لها وجائياً إليها.

والظاهر أن الضمير في «إنه» ضمير الشأن. و«أنا الله» جملة في موضع الخبر. و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان.

قال الزمخشري[٢]: يجوز أن يكون الضمير في «إنه» راجعاً إلى ما دلّ

(١) الكشاف ٣: ١٣٧.
(٢) الكشاف ٣: ١٣٨.

عليه ما قبله، يعني: إنّ مكلّمك أنا، و«الله» بيان «لأنا»، و«العزيز الحكيم» صفتان للبيان انتهى.

إذا حذف الفاعل، وبني الفعل للمفعول، فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف، إذ قد غيّر الفعل عن بنائه له، وعزم على أن لا يكون محدّثاً عنه. فعَوْد الضمير إليه مما ينافي ذلك إذ يصير معتنى به مقصوداً.

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ تقدم الكلام [عليه][1]. وهنا شبّهها حالة اهتزازها بالجانّ، قيل: وهو صغار الحيّات، شبهها بها في سرعة اضطرابها وحركتها مع عظم جثتها. ولمّا رأى موسى عليه السلام هذا الأمر الهائل ولّى مدبراً.

﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: لم يرجع.

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع. والمعنى: لكن من ظلم من غيرهم.

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ ﴾ أي: في جملة تسع آيات. وتقدم الكلام على الآيات في الأعراف[3].

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: ذاهباً إلى فرعون.

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا ﴾ ضمّن «جحدوا» معنى كفروا، فلذلك عدّاه بالباء. وانتصب «ظلماً» على أنه مفعول من أجله والعامل فيه «جحدوا».

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧٧ من الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ من طه.

(٣) انظر تفسير الآية ١٣٣ من الأعراف.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ الآية، هذا ابتداء قصص وإخبار بمغيّبات وعبر[١]. ونكّر «علماً» لأنه طائفة من العلم.

«منطق الطير» استعارة لما يُسمع منها من الأصوات، وهو حقيقة في بني آدم. لمّا كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بني آدم كما يفهم بعض الطير من بعض، أُطلق عليه «منطق».

﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ظاهر العموم، والمراد الخصوص، أي: من كل شيء يصلح لنا ونتمنّاه. وأريد به كثرة ما أوتي، فكأنه مستغرق لجميع الأشياء.

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يحشر أولهم على آخرهم، أي: يوقف متقدّمو العسكر حتى يأتي آخرهم، فيجتمعون، لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ ﴾ هذه غاية[٢] لشيء مقدّر أي: وساروا حتى إذا أتوا. أو يضمّن «يوزعون» معنى فعل يقتضي أن تكون «حتى» غاية[٣] له، أي: فهم

---

(١) ق: وغير ذلك.

(٢) ق: عامة.

(٣) ق: عامة.

يسيرون مكنوفاً[1] بعضهم [من] مفارقة بعض. وعدّي «أتوا» بعلى إمّا لأنّ إتيانهم كان من فوق، وإما أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره، من قولهم: أتى على الشيء، إذا أتى على آخره وأنفذه. وذكروا اختلافاً كثيراً في صغر هذه النملة [٤٢٠/ب] [وكبرها] وفي اسمها العلم ما لفظه. وليت شعري من الذي وضع لها لفظاً يخصّها؟ أبنو آدم أم النّمل؟!. وقالوا كانت نملة [عرجاء.

ولحوق التاء في «قالت» لا يدلّ على أنّ النملة مؤنثة، بل يصحّ أن يقال في المذكر: قالت نملة]، لأن «نملة» وإن كانت بالتاء هو ممّا لا يتميّز [فيه] المذكر من المؤنث. وما كان كذلك كالنملة والقملة ممّا بينه في الجمع وبين واحِدِهِ[2] من الحيوان تاء التأنيث، فإنه يُخْبَر عنه إخبار المؤنث، ولا يدلّ كونه يُخبر عنه إخبار المؤنث على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق، لا دالّةً على التأنيث الحقيقي، بل دالّة على الواحد من هذا الجنس. والضمير في «ادخلوا» ضمير جمع مَن يعقل، وكذلك ضمير الخطاب في «مساكنكم» لما كان النّمل قابلاً لفعل ما أُمروا به، نُزّلوا منزلة جمع من يعقل.

و﴿ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ قيل بالشام، وقيل بأقصى اليمن.

وفي الكلام حذف تقديره: فسمع سليمان قولها فتبسّم ضاحكاً ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: أجعلني أَزَعُ شكر نعمتك وأرتبطه حتى لا ينفلت مني[3] حتى لا أنفكّ شاكراً لك.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾

(١) ق: ملفوفاً.

(٢) ق: واحدة.

(٣) ق: لا ينقلب عني.

لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ
بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ
ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ
سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ
عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ الآية، الظاهر أنه تفقد جميع الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور المُلْك والاهتمام بالرّعايا. قيل: وكان يأتيه من كل صنف واحد. وفي الكلام حذف تقديره: ففقد الهدهد حين تفقد الطّير. «أم» هنا هي المنقطعة تتقدر[1] ببل والهمزة.

ودلّ قوله ﴿مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أنه كان في عسكر سليمان من كان يغيب عنه.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أبهم العذاب الشديد، وفي تعيينه أقوال مضطربة، فمنها أنه يحشر مع غير جنسه. والسلطان المبين: الحجة والعذر. وفيه دليل على الإغلاظ على العاصين وعقابهم. وبدأ أولاً بأخفّ العقابين وهو التعذيب، ثم أتبعه بالأشدّ وهو إذهاب المهجة بالذّبح. وأقسم على هذين لأنهما من فعله، وأقسم على الإتيان بالسلطان، وليس من فعله لمّا نظم الثلاثة في الحكم بأو، كأنّه قال: ليكوننّ أحد هذه الثلاثة. والمعنى. إن أتى بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح، وإلا كان أحدهما.

---

(١) ق: يتقدّر.

والظاهر أن الضمير في «فمكث» عائد على «الهدهد» أي: غير زمن بعيد، أي: عن قرب. ووصف مكثه بقصر المدّة للدلالة على إسراعه خوفاً من سليمان، وليُعلم كيف كان الطير مسخّراً له، ولبيان ما أُعطي من المعجزة الدّالة على نبوّته وعلى قدرة الله تعالى. وكان فيما روي قد أُعلم بما أقسم عليه سليمان، فبادر إلى جوابه بما يُسكن غيظه عليه، وهو أن غيبته كانت لأمرٍ عظيم، عرض له، فقال ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾. وفي هذا جسارةُ مَنْ لديه علمٌ لم يكن عند غيره وتبجّحه[1] بذلك، وإبهام حتى تتشوف[2] النفس إلى معرفة ذلك المبهم ما هو. ومعنى الإحاطة هنا أنه علم علماً ليس عند نبي [٤٢١/أ] الله تعالى سليمان عليه السلام.

قال الزمخشري[3]: ألهم الله الهدهد، فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوّة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاءً له في علمه وتنبيهاً على أن في أدنى خَلْقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يُحط به، لتتحاقر[4] إليه نفسه، ويصغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة للعلماء، وأعظِمْ بها فتنة. والإحاطة بالشيء علماً أن يُعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم. قالوا: وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه [شيء] ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه انتهى.

ولمّا أبهم في قوله «بما لم تحط به» انتقل إلى ما هو أقلّ منه إبهاماً وهو قوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ إذ فيه إخبار بالمكان الذي جاء منه، وأنه له

(١) ق: وينجحه.

(٢) ق: تشوف.

(٣) الكشاف ٣: ١٤٣.

(٤) ق: ليتحاقر.

علم بخبر مستيقن له. وقرىء: فمكث، بضم الكاف وفتحها.

وذكر أن مثل «سبأ بنبأ» يسمّى تجنيس التصريف، قال[١]: وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف، ومنه قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر]. ولفظ «نبأ» لا يكون إلا الخبر الذي له شأن، ولفظ الخبر مطلق ينطلق على ما له شأن وما ليس له شأن.

ولمّا أبهم الهدهد أولاً، ثم أبهم ثانياً دون ذلك الإبهام، صرّح بما كان أبهمه فقال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾.

ومعنى «وجدت» هنا أصبت. والضمير في «تملكهم» عائد على «سبأ» إن كان أريد به القبيلة، وإن أريد الموضع فهو على حذف مضاف أي: وجئتك من أهل سبأ. والمرأة بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملك اليمن كلها، وقد ولده أربعون ملكاً، ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت على المُلْك. وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا على سبيل المبالغة، والمعنى: من كل شيء احتاجت إليه، أو من كل شيء في أرضها.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قيل: كرسيّها، وكان مرصّعاً بالجواهر. وما أحسن انتقالات[٢] هذه الأخبار بعد تهدّد الهدهد وعلمه بذلك؛ أخبر أولاً باطّلاعه على ما لم يطّلع عليه سليمان، تحصُّناً من العقوبة برتبة العلم الذي حصلت له، فتشوّف السامع إلى ذلك، ثم أخبر ثانياً بمتعلّق ذلك العلم، وهو أنه من سبأ، وأنه أمر متيقَّن، لا يُشكّ فيه، فزاد تشوّف السامع إلى سماع ذلك النبأ،

---

(١) صاحب القول هو صاحب كتاب التفريع بفنون البديع، انظر البحر ٧: ٦٦.

(٢) في المطبوع: ائتلافات.

ثم أخبر ثالثاً[١] عن المُلْك الذي أوتيَتْه امرأة - وكان سليمان قد سأل الله تعالى أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده -، ثم أخبر رابعاً ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا من شأن النّساء أن تملك فحول الرجال وهو قوله «وأوتيت من كلّ شيء» وقوله «ولها عرش عظيم».

وكان سليمان له بساط، قد صُنع له وكان عظيماً. [ولمّا] لم يتأثر سليمان عليه [٤٢١/ب] السلام للإخبار بهذا كله إذ هو أمر دنياوي، أخبره خامساً بما يهزّه لطلب هذه الملكة ودعائها إلى الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقرىء: ألا، بالتخفيف وهو حرف استفتاح. ويا، للتنبيه. واسجدوا، فعل أمر. وقرىء: ألّا، بالتشديد وهي «أن» أُدغمت نونها في «لا» التي للنفي. ويسجدوا، فعل مضارع منصوب بأن. والمعنى: فهم لا يهتدون لنفي سجودهم لله تعالى، أي: الحامل لهم على انتفاء الهداية انتفاء سجودهم لله، لأن الذّنب يجرّ الذنب، فلمّا انتفى عنهم السجود انتفت الهداية. وفي البحر إعراب يوقف عليه فيه[٢].

و«الخبء» مصدر أُطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما ممّا خبّأه الله تعالى من غيوبه. والظاهر أن «في السماوات» متعلق «بالخبء» أي: المخبوء في السماوات.

والظاهر أن قوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ إلى ﴿ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل] من كلام الهدهد.

(١) ق: ثانياً.

(٢) انظر ٧: ٦٨.

ولمّا فرغ الهدهد من كلامه، وأبدى عُذره في غيبته، أخّر سليمان أمره إلى أن يتبيّن[١] له صدقه، فقال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ . والنظر هنا التأمّل والتّصفح. و«أصدقت» جملة معلّق عنها «سننظر» وهي في موضع نصب على إسقاط حرف الجرّ، لأنّ نظر بمعنى التأمّل والتّفكر إنّما يتعدّى[٢] بحرف الجرّ الذي [هو] في. وعادل بين الجملتين «بأم»، ولم يكن التركيب: أم كذبت، لأنه كان ثَمَّ كذّابون.

وفي الكلام حذف تقديره: فأمر بكتابة كتاب إليهم وبذهاب الهدهد رسولاً إليهم بالكتاب فقال ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾ أي: الحاضر المكتوب الآن. ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ عنهم إلى مكان قريب بحيث تسمع[٣] ما يصدر منهم، وما يرجع به بعضهم إلى بعض من القول. وفي قوله «اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم» دليل على إرسال الكتب للمشركين من الإمام، يبلّغهم الدّعوة، ويدعوهم إلى الإسلام. وقد كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك العرب. وقال وهب: أَمْره بالتولّي حُسْنُ أدبٍ ليتنحّى حسبما يُتأدَّب [به] مع الملوك، بمعنى: وكن قريباً بحيث تسمع مراجعاتهم.

ومعنى ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: تأمّل واستحضره في ذهنك. وقيل: معناه: فانتظر. و«ماذا» إن كان معنى «فانظر» معنى التأمّل بالفكر، كان «انظر» معلّقاً. و«ماذا» إما كلمة استفهام في موضع نصب، وإما أن يكون «ما» استفهاماً و«ذا» موصول بمعنى الذي. فعلى الأول يكون «يرجعون» خبراً عن «ماذا»، وعلى الثاني يكون «ذا» هو الخبر و«يرجعون» صلة «ذا». وإن

---

(١) ق: تبيّن..

(٢) ق: يتعدّ.

(٣) ق: يسمع.

كان معنى «فانظر»: فانتظر، فليس فعل قلب فيعلّق، بل يكون «ماذا» كلّه موصولاً بمعنى الذي، أي: فانتظر[١] الذي يرجعون. والمعنى: فانظر ماذا يرجعون حتى تردّ[٢] إليّ ما يرجعون من القول.

وفي الكلام حذف [٤٢٢/أ] تقديره: فذهب وألقى الكتاب وتفكّر فيما يرجع به إليه.

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى
مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ
أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ
أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ
أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ
ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا
عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ
لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى
ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ

---

(١) ق: فانظر.

(٢) ق: يردّ.

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾ .

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ الآية، فقيل إن الهدهد ألقى الكتاب من كوّة كانت في القصر، وتوارى فيها. فأخذت الكتاب، ونادت أشراف قومها - وكانت قارئة عربية من قوم تُبّع -: قالت يا أيها الملأ. وكرم الكتاب لطبعه بالخاتم. وفي الحديث[١] «كرم الكتاب ختمه»، أو لكونه من سليمان وكانت عالمة بملكه.

ثم أخبرتهم فقالت ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾، كأنها قيل لها: ممّن الكتاب، وما هو؟. فقالت: إنه من سليمان وإنه كيت وكيت[٢]. أبهمت أولاً ثم فسّرت. وفي بنائها «ألقي» للمفعول دلالة على جهلها بالملقي حيث حذفته، أو تحقير[٣] له حيث كان طائراً إن كانت شاهدَتْه. والظاهر أن بداءة الكتاب من سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخر ما قصّ[٤] الله تعالى، منه خاصّة.

و[«أن» في] ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾ مفسّرة. و«لا تعلوا» نهي لمشاكلة عطف الأمر عليه.

ولمّا قرأت على الملأ الكتاب، ورأت ما فيه من الأمر بالانتقال إلى سليمان،

(١) ضعيف، رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس. انظر ضعيف الجامع الصغير ٤: ١٣٨.

(٢) ق: ليت وليت.

(٣) ق: تحقيراً.

(٤) ق: نصّ.

استشارتهم[1] في أمرها، وكانت بأرض مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام.

والمراد هنا: أشيروا عليّ بما عندكم فيما[2] حدث لها، ومن الرأي السّديد والتدبير.

وقصدت بإشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب[3] نفوسهم ليمالئوها ويقوموا[4] معها.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: مبرمة وفاصلة أمراً.

﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: تحضروا عندي، فلا أستبدّ بأمرٍ، بل تكونون حاضرين معي.

و«ما كنت قاطعة أمراً» عامّ في كل أمر، أي: إذا[5] كانت عادتي هذه معكم، فكيف لا أستشيركم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروج من الملك والانسلاك في طاعة غيري والصيرورة تبعاً.

فراجعها الملأ بما أقرّ عينها من قولهم إنهم أولو قوّة أي: قوة بالعدّة والعدد. ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أصحاب شجاعة ونجدة. ثم قالوا ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، وذلك من حُسْن محاورتهم إذ وكلوا الأمر إليها. وفيه دليل على الطاعة المفرطة، أي: نحن ذكرنا ما نحن عليه، ومع ذلك فالأمر موكول إليك، كأنهم أشاروا أوّلاً بالحرب، أو أرادوا: نحن أبناء الحرب لا

---

(١) ق: استشاراتهم.

(٢) ق: من ما.

(٣) ق: وتطييت.

(٤) ق: وتقوموا.

(٥) ق: إذ.

أبناء الاستشارة، وأنتِ ذات الرأي والتدبير الحسن، فانظري ماذا تأمرين به، نرجع[1] إليك ونتّبع رأيك.

و«فانظري» من التأمّل والتفكّر. و«ماذا» هو المفعول الثاني «لتأمرين». والمفعول الأول محذوف لفهم المعنى أي: تأمريننا به. والجملة معلّق عنها «انظري»، فهي في موضع مفعول «لانظري» بعد إسقاط الحرف من اسم الاستفهام.

ولمّا وصل إليها كتاب سليمان لا على يد رجل بل على طائر، استعظمت مُلْك سليمان، وعلمت أنّ من سُخّر له الطير حتى يرسله بأمر خاص إلى شخص خاص مغلقٍ عليه الأبواب، غير ممتنع عليه تدويخ [٤٢٢/ب] الأرض وملوكها. فأخبرت بحال الملوك، ومالت إلى المهاداة والصلح فقالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ أي: تغلّبوا عليها.

﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي: خرّبوها بالهدم والحرق والقطع، وأذلّوا أعزّة أهلها بالقتل والنهب والأسر.

وقولها فيه تزييف لآرائهم في الحرب وخوف عليهم وحياطة لهم واستعظام لملك سليمان عليه السلام.

وجاء لفظ الهديّة مبهماً، وقد ذكروا في تعيينها أقوالاً[2] مضطربة، وذكروا من حيلها في الهدية ومن حال سليمان حين وصلت إليه وكلامه مع رسلها ما الله أعلم بصحّته. و«فناظرة» معطوف على «مرسلة». و«بِمَ»[3] متعلق بـ«يرجع». والنّظر هنا معلّق أيضاً، والجملة في موضع مفعول به. وفيه دلالة

(١) ق: يرجع.
(٢) ق: أقوال.
(٣) ق: وثم.

على أنها لم تثق[١] بقبول الهدية، بل جوّزت الرّد، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان. والهديّة[٢] اسم لما يُهدى، كالعطيّة: اسم لما يُعطَى. وروي أنها قالت لقومها: إن كان ملكاً دنياويًّا، أرضاه المال، وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيًّا لم يُرضه المال، وينبغي لنا أن نتبعه على دينه.

وفي الكلام حذف تقديره: فأرسلت الهدية.

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ أي: الرسول سليمان. والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد، وكذلك الضمير في ﴿ٱرۡجِعۡ۝٣٧﴾ [النمل]. والرسول يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث.

و﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ استفهام إنكار واستقلال، وفي ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا وعدم تعلّق قلبه بها عليه السلام. [ثم] ذكر نعمة الله عليه وأنّ ما آتاه الله من النبوّة وسعة المُلك خير مما آتاكم بل أنتم بما يُهدَى إليكم تفرحون لحبّكم الدنيا.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ هو خطاب للرسول الذي جاء بالهديّة وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد. والمعنى: ارجع إليهم بهديّتهم. ثم أقسم سليمان فقال ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ﴾ متوعداً لهم. وفيه حذف أي: إن لم يأتوني مسلمين. ودلّ هذا التوعّد على أنهم كانوا كفّاراً باقين على الكفر إذ ذاك. والضمير في«بها» عائد على الجنود.

ومعنى ﴿لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة. وحقيقة القِبَل: المقاومة والمقابلة أي: لا يقدرون أن يقاتلوهم. والضمير في «منها» عائد على «سبأ» وهي أرض

---

(١) ق: يتق.

(٢) ق: واهديه.

بلقيس وقومها.

وانتصب «أذلة» على الحال. «وهم صاغرون» حال أخرى.

والذلّ: ذهاب ما كانوا فيه من العزّ. والصَّغار: وقوعهم في أسر واستعباد، ولايقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً.

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ الآية، قال ابن عباس: كان سليمان مهيباً لا يُبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه. فنظر ذات يوم رَهَجاً[1] قريباً منه فقال: ما هذا؟ قالوا بلقيس. فقال ذلك.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ الآية، وكان سليمان عليه السلام يجلس في مجلس الحكم من الصبح إلى الظهر. فقيل: [٤٢٣/أ].

﴿مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلس الحكم، وقيل: قبل أن تستوي من جلوسك قائماً.

﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ أي: على الإتيان به. ﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حمله. ﴿أَمِينٌ﴾ لا أختلس منه شيئاً.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قيل: هو آصف بن برخيا، وقيل غير ذلك. والعلم الذي أوتيه قيل: اسم الله الأعظم. والظاهر أن ارتداد الطّرف حقيقة، ولذلك روي أن سليمان قال: أريد أسرع من ذلك، حين أجابه العفريت. فروي أنّ آصف قال لسليمان عليه السلام: مُدَّ عينيك حتى ينتهي طَرْفك. فمدّ طرفه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش من مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله تعالى.

---

(١) الرّهج: الغبار.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ في الكلام حذف تقديره: فدعا الله فأتاه به. «فلما رآه» أي: عرش بلقيس. وانتصب «مستقرّاً» على الحال، و«عنده» معمول له.

والظرف إذا وقع في موضع الحال، كان العامل فيه واجب الحذف، فقال ابن عطية: وظهر العامل في الظرف من قوله «مستقرًا» وهذا هو المقدَّر أبداً في كل ظرف، جاء ها هنا مُظْهَراً، وليس في كتاب الله مثله انتهى.

﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ أي: هذا الإتيان بعرشها، وتحصيل ما أرادت من ذلك هو فضل ربي عليّ وإحسانه. ثم علّل ذلك بقوله ﴿ لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ ﴾. وتلقّي سليمان النعمة وفضل الله تعالى بالشكر إذ ذاك نعمة متجدّدة، والشكر قيد النّعم.

و«أأشكر أم أكفر» في موضع نصب «ليبلوني» وهو معلّق لأنه في معنى التمييز، والتمييز في معنى العلم. وكثر التعليق في هذا الفعل إجراءً له مجرى العلم وإن لم يكن مرادفاً له، لأن مدلوله الحقيقي هو الاختبار.

﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: ذلك الشكر عائد ثوابه إليه إذ كان قد صان نفسه عن كفران النعمة، وفعل ما هو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه.

﴿ وَمَن كَفَرَ﴾ أي: فضل الله تعالى ونعمته عليه.

﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عن شكره، إذ ثمرة شكره لا يعود نفعها إلى الله، لأنه هو الغني المطلق الكريم بالإنعام على من كفر نعمته.

والظاهر أن قوله «فإن ربي غني كريم» هو جواب الشرط ولذلك أضمرنا في قوله «غنيّ»: أي: عن شكره. ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً دلّ عليه ما قبله من قسيمه، أي: ومن كفر فلنفسه، أي: ذلك الكفر عائد عقابه إليه.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أَمْرٌ بالتنكير وهو أن يُزاد فيه ويُنقَص. والتنكير جَعْله متنكّراً متغيّراً عن شكله وهيئته.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ في الكلام حذف تقديره: فنكّروا عرشها ونظروا ما جوابها إذا سئلت عنه ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ﴾ أي: أمِثْلُ هذا العرش الذي[1] رأيتيه عرشك الذي تركتيه[2] ببلادك؟. ولم يأت التركيب: أهذا عرشك؟ بل [٤٢٣/ب] جاء بأداة التشبيه لئلا يكون ذلك تلقيناً لها. ولمّا رأته على هيئة لا تعرفها فيه، وتميّزت فيه أشياء من عرشها لم تجزم بأنه هو، ولا نَفَتْه النّفي البالغ، بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت: كأنه هو، وذلك من جودة ذهنها حيث لم تجزم في الصورة المختلفة بأحد الجائزَيْن من كونه إياه أو من كونه ليس إياه، وقابلت تشبيههم بتشبيهها.

والظاهر أن قوله ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ إلى قوله ﴿مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٤٣﴾ [النمل] ليس من كلام بلقيس وإن كان متصلاً بكلامها، فقيل هو من كلام سليمان عليه السلام.

و«الصرح» كل بناءٍ عالٍ، ومنه ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا ۝٣٦﴾ [غافر].

ولمّا وصلت بلقيس أمر سليمان الجن فصنعت له صرحاً، وهو السطح في الصحن[3] من غير سقف، وجعلته مبنيًّا كالصّهريج وملىء ماءً، وبثّ فيه السّمك والضفادع، وطبّق بالزّجاج الأبيض الشفاف، ولهذا جاء صرحاً. وجُعل لسليمان في وسطه كرسي، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجنّ

(١) ق: الذي أنت عليه.
(٢) إلحاق الياء بالتاء لغة، انظر الكتاب ٤ : ٢٠٠.
(٣) ق: في الصخر.

والإنس. فلما وصلت بلقيس قيل لها: ادخلي إلى نبيّ الله سليمان عليه السلام. فرأت اللجّة وفزعت، ولم يكن لها بدٌّ من امتثال الأمر، فكشفت عن ساقيها، فرأى سليمان ساقيها سالمتين مما قالت الجن [فيها]. فلمّا بلغت هذا الحدّ قال لها سليمان إنه صرح ممرّد من قوارير. فعند ذلك استسلمت بلقيس وأذعنت، وأسلمت، وأقرّت على نفسها بالظّلم. وفي الكلام حذف تقديره: فدخلت امتثالاً للأمر. واللجّة: الماء الكثير. وكَشْف ساقيها عادة كل من كان لابساً وأراد أن يخوض الماء إلى مقصد له، ولم يكن المقصود من الصّرح إلا تهويل الأمر، وحصل كشف السّاق على سبيل التّبع.

قال ابن عطية: و«مع» ظرف بني على الفتح. وأما إذا سكّنت العين فلا خلاف أنه حرف جاء لمعنى انتهى.

والصحيح أنها ظرف فتحت العين أو سكنت، وليس التسكين مخصوصاً بالشعر كما زعم بعضهم، بل ذلك لغة لبعض العرب، والظرفية فيها مجاز، وإنما هو اسم يدلّ على معنى الصّحبة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ
طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ
لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا
مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا
دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

﴿يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ الآية، «ثمود» هي بعد عاد الأولى، وصالح أخوهم في النّسب. لمّا ذكر قصة موسى وداود وسليمان وهم من بني إسرائيل، ذكر قصّة من هو من العرب يذكّر بها قريشاً والعرب، وينبّههم على أنّ من تقدّم من الأنبياء من العرب كان يدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، ليعلموا أنهم في عبادة الأصنام على ضلالة، وأن شأن الأنبياء عربهم وعجمهم هو الدعاء إلى عبادة الله تعالى.

و«أنْ» في ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ﴾ يجوز أن تكون مفسّرة؛ لأنّ «أرسلنا» يتضمن معنى القول. ويجوز أن تكون مصدرية أي: بأن اعبدوا، فحذف حرف الجر. فعلى الأول لا موضع لها من الأعراب، وعلى الثاني ففي موضعها خلاف أهو في موضع نصب أم في موضع [٤٢٤/أ] جرّ.

والظاهر أنّ الضمير في ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ عائد على «ثمود» وأن قومه انقسموا فريقين: مؤمناً وكافراً، وقد جاء ذلك مفسّراً في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ [مِن قَوْمِهِۦ] لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿٧٥﴾﴾. وإذا هنا هي الفجائية. وعطف بالفاء التي تقتضي التعقيب لا المهلة، فكان المعنى أنهم بادروا بالاختصام متعقّباً دعاء صالح إياهم إلى عبادة الله تعالى. وجاء «يختصمون» على المعنى لأن الفريقين جمع؛ فإن كان الفريقان مَنْ آمن ومَنْ كفر فالجمعية حاصلة في كل فريق. ويدلّ على أن فريق المؤمن جمعٌ قوله ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف] فقال «آمنتم» وهو ضمير الجمع. وإن كان الفريق المؤمن هو صالحاً[1] وحده،

---

(١) ق: صالح.

فإنه قد انضمّ إلى قومه والمجموع جمع. وأوثر «يختصمون» على يختصمان وإن كان من حيث لفظ التثنية جائزاً فصيحاً، لأنه مقطع فصل. واختصامهم دعوى كلّ فريق أن الحقّ معه. وقد ذكر الله تعالى تخاصمهم في الأعراف[1].

ثم تلطّف صالح بقومه، ورفق بهم في الخطاب، فقال منادياً لهم على جهة التحنّن عليهم ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بوقوع ما يسوؤكم قبل الحالة الحسنة، وهي رحمة الله تعالى. وكان قد قال لهم في حديث الناقة ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف] فقالوا له ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت][2].

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: تشاءَمْنا بك وبالذين آمنوا معك. فردّ عليهم بقوله ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: حظّكم في الحقيقة من خير أو شرّ هو من عند الله وبقضائه، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم. ثم انتقل إلى الإخبار عنهم بحالهم فقال: بل أنتم قوم تفتنون بشهواتكم أي: تشغفون بها.

وجاء «تفتنون» بتاء الخطاب على مراعاة «أنتم» وهو الكثير في لسان العرب. ويجوز: يُفتنون، بياء الغيبة[3] على مراعاة لفظ «قوم» وهو قليل؛ تقول العرب: أنت رجل تأمر بالمعروف، بتاء الخطاب وبياء الغيبة.

و«المدينة» مجتمع ثمود وقريتهم وهي الحِجْر. وذكر المفسرون أسماء

---

(١) ذلك في الآيات ٧٣-٧٩.

(٢) والصحيح أن هذه الآية وردت في معرض ردّ قوم لوط عليه. أما ردّ قوم صالح فجاء ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف].

(٣) ق: بتاء الغيبة.

التسعة وفي بعضها اختلاف، ورأسهم قدار[١] بن سالف، وأسماؤهم لا تنضبط بشكل ولا بتعيين، وكانوا عظماء القرية وفُسّاقها وأغنياءها. والرهط من الثلاثة إلى العشرة، والنّفَر من الثلاثة إلى التسعة. واتفق المفسّرون على أن المعنى: تسعة رجال.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ﴾ معناه تحالفوا. وقرىء: لتبيّتُنّه، ثم لتقولُنَّ، وضم ما قبل نون التوكيد. وقرىء بالنّون فيهما وفتح ما قبل نون التوكيد. والظاهر أن في الكلام حذف معطوف، يدلّ عليه ما قبله والتقدير: ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه. ودلّ عليه قولهم ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ وما روي أنهم عزموا على قتله وقتل أهله . ويكون قولهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ كذباً في الإخبار. أوهموا قومهم [٤٢٤/ب] أنهم إذا قتلوه وأهله سرًّا، ولم يشعر بهم أحد وقالوا تلك المقالة أنهم صادقون وهم كاذبون.

ومَكْرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله، ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون.

والظاهر أن «كيف» خبر «كان» و«عاقبة» الاسم، والجملة في موضع نصب «بانظر» وهي معلّقة. وقرىء: إنّا[٢]، بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرىء بفتحها، فأنّا: بدل من «عاقبة» أو خبر «لكان» و«كيف» في موضع الحال أو خبر مبتدأ محذوف أي: هي، أي: العاقبة تدميرهم. أو يكون التقدير: لأنّا، وحذف حرف الجر. وعلى كلتا[٣] القراءتين يجوز أن تكون «كان» تامّة

(١) ق: قداد.
(٢) ق: إمّا.
(٣) ق: كلا.

و«عاقبة» فاعلاً[(١)] بها، وأن تكون زائدة و«عاقبة» مبتدأ خبره «كيف».

ولمّا أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم، بيّن ذلك بالإشارة إلى منازلهم وكيف خلت منهم. وخراب البيوت وخلوّها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد، ممّا يعاقب به الظَّلَمة إذ يدلّ ذلك على استئصالهم.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ الآية، «ولوطاً» عطف على ﴿ صَٰلِحًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النمل] أي: وأرسلنا لوطاً.

و﴿ أَتَأْتُونَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ. وأبهم أوّلاً في قوله «الفاحشة» ثم عيّنها في قوله ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ﴾.

﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أي: تعلمون قُبح هذا الفعل المبتكر الذي أحدثتموه، وأنه من أعظم الخطايا، أو آثار العصاة قبلكم، أو ينظر بعضكم لبعض ولا يستتر ولا يتحاشى من إظهار ذلك.

وانتصب «شهوة» على أنه مفعول من أجله. و«تجهلون» غلّب فيه الخطاب كما غلّب في قوله ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النمل] ومعنى «تجهلون» أي: عاقبة ما أنتم عليه، أو تفعلون فعل السّفهاء المُجّان.

---

(١) ق: فاعل.

ولمّا أنكر عليهم، ونسبهم إلى الجهل، ولم تكن لهم حجّة فيما يأتونه من ذلك، عدلوا إلى المغالبة والإيذاء.

وتقدّم[١] معنى ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ في الأعراف[٢]. وباقي الآية تقدم تفسير نظيره في الأعراف[٣].

و﴿فَسَآءَ﴾ بمعنى بئس، والمخصوص بالذّم محذوف تقديره: مطرُهم.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ
وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن
يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن
يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ
هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾ الآية، لمّا فرغ من قصص هذه السورة، أمر

(١) وتقدم: مكررة في ق.

(٢) انظر شرح الآية ٨٢ من الأعراف.

(٣) انظر شرح الآية ٨٢ نفسها.

رسوله عليه السلام. بحمده تعالى، وبالسلام على المصطفين، وأخذ في مباينة واجب الوجود للأصنام التي أشركوها مع الله تعالى وعبدوها. وابتدأ في هذا التقرير لقريش وغيرهم بالحمدلة، وكأنها صدر خطبة لما يلقى[1] من البراهين الدالّة على الوحدانية والعلم والقدرة.

ولمّا كان خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السّماء، لا شبهة للعاقل في أن ذلك لايكون إلا لله تعالى، وكان الإنبات ممّا قد يتسبّب فيه الإنسان بالبذر والسّقي والتهيئة، ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبّب إليه - بيّن تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات وتأكيد ذلك بقوله ﴿مَّا كَانَ [٤٢٥/ أ] لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾. ألا ترى [أنّ] المتسبّب لذلك قد لا يأتي على وفق مراده، ولو أتى فهو جاهل لطبعه ومقداره وكيفيته، فكيف يكون فاعلاً لها؟!.

والبهجة: الجمال والنّضرة والحسن، لأنّ الناظر فيها يبتهج أي: يسرّ ويفرح.

وقوله ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ[2]﴾ استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكّم بحالهم، وتنبيه على موضع التّباين بين الله تعالى وبين الأوثان التي يعبّر عنها «بما» التي هي لما لا يعقل؛ إذ معلوم عند من له عقل أنه لا شركة[3] في الخيريّة بين الله تعالى وبينهم. وكثيراً ما يجيء هذا النوع من أفعل التفضيل حيث يُعلم ويُتحقق أنه لا شركة فيها، وإنما يذكر على سبيل إلزام الخصم

(١) ق: تلقي.

(٢) ق: تشركون.

(٣) ق: يشركه.

وتنبيهه على خطأ مرتكبه. وقرىء: ذات، بالإفراد. بهجة[١]، [بسكون الهاء]. وجمع التكسير يجري في الوصف مجرى[٢] الواحدة كقوله تعالى ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة] وهو على معنى جماعة. [وقرىء: ذوات، بالجمع. بهجة، بفتح الهاء].

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ قد تقدّم أن [نفي] مثل هذه الكينونة، قد يكون ذلك لاستحالة وقوعه كهذا، أو لامتناع وقوعه شرعاً، أو لنفي الأولوية. والمعنى هنا أنّ إنبات ذلك منكم محال، لأنه إبراز شيء من العدم إلى الوجود، وهذا ليس بمقدور إلا الله تعالى.

ولمّا ذكر منّته عليهم، خاطبهم بذلك، ثم لمّا ذكر ذمّهم عدل من الخطاب إلى الغيبة فقال ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ إما التفاتاً وإما إخباراً للرسول بحالهم، أي: يعدلون عن الحق، أو يعدلون به غيره أي: يجعلون له مثيلاً وعديلاً.

ولمّا ذكر تعالى أنه منشىء السماوات والأرض، وذكر شيئاً مشتركاً بين السماء والأرض، وهو إنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق بالأرض - ذكر شيئاً مختصًّا بالأرض، وهو جعلها قراراً أي: مستقرًّا لكم بحيث يمكنكم الإقامة بها والاستقرار عليها، ولا يديرها الفَلَك قيل: لأنها مضمحلّة في جنب الفلك كالنقطة في وسط الرّحى.

﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ أي: بين أماكنها في شعابها وأوديتها أنهاراً.

---

(١) ق: ذات بهجة بالإفراد.

(٢) ق: ليجري.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً[١] ثوابت حتى لا تنكفىء[٢] بكم وتميد.

والبحران: العذب والملح. والحاجز: الفاصل من قدرة الله تعالى.

وما أحسن ما جاء تركيب هذه الجمل بلفظ «وجعل» إذ صارت كل جملة مستقلّة بذاتها بخلاف عطف المفردات، وجاءت بلفظ الماضي دلالة على أن لا تجدّد فيها، بخلاف الجمل التي بعدها، فإنها جاءت بلفظ المضارع الدالّ على التكرّر والتجدّد.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ «المضطر» اسم مفعول وهو الذي أحوجه مرض أو فقر أو حادث من حوادث الدهر إلى الالتجاء إلى الله تعالى، والتضرع إليه، فيدعوه لكشف ما اعتراه من ذلك وإزالته عنه.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ هو كل ما يسوء، وهو عامّ في كل ضرّ. انتقل من حالة المضطر وهي خاص [٤٢٥/ب] إلى أعمّ وهو ما يسوء، سواء أكان المكشوف عنه في حالة الاضطرار أو فيما دونها.

و﴿خُلَفَآءَ﴾ أي[٣]: الأمم السالفة، أو في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وظلمة البر هي ظلمة الليل وهي الحقيقة، وتنطلق مجازاً على الجهل وعلى انبهام الأمر؛ يقال: أظلم عليّ الأمر. وهداية البرّ تكون بالعلامات، وهداية البحر تكون بالنجوم.

---

(١) ق: جبال.

(٢) ق: يتكفف.

(٣) ق: إلى.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ تقدّم نظير هذه الجملة[١].

وقرىء: عما تشركون، بتاء الخطاب.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ الظاهر أن «الخلق» هو المخلوق، وبدؤه: اختراعه وإنشاؤه. ويظهر أن المقصود هو من يعيده الله في الآخرة من الإنس والجن والمَلَك لا عموم المخلوق. ولمّا كان إيجاد بني آدم إنعاماً إليهم وإحساناً، ولا تتمّ النّعمة إلا بالرّزق قال ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي: أحضروا حجتكم ودليلكم على ما تدّعون من إنكار شيء ممّا تقدّم تقريره.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في أنّ مع الله إلهاً آخر فأين دليلكم عليه؟. وهذا راجع إلى ما تقدّم من جميع الاستفهام الذي جيء به على سبيل التقرير. وناسب ختم كل استفهام بما تقدّمه: لمّا ذكر إيجاد[٢] العالم العلوي والسفلي ختم بقوله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

ولمّا ذكر جعل الأرض مستقرًّا ختم بقوله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إذ كان فيهم من يعلم ويفكّر[٣] في ذلك. ولمّا ذكر إجابة دعاء المضطر ختم بقوله ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ[٤]﴾ إشارة إلى توالي النسيان على الإنسان إذا صار في خير وزال اضطراره.

---

(١) انظر تفسير الآية ٥٧ من الأعراف.

(٢) ق: اتحاد.

(٣) ق: وتفكّر.

(٤) ق: يذكرون.

ولمّا ذكر الهداية في الظلمات قال ﴿تَعَٰلَى[ٱللَّهُ] عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

واعتقب[١] كل واحدة من هذه الجمل قوله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على سبيل التوكيد والتقرير أنه لا إله إلا هو تعالى.

قيل: سأل الكفار عن وقت القيامة التي وعدهم رسول الله ﷺ، وألحّوا عليه فنزل[٢] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية. والمتبادر إلى الذهن أن «مَنْ» فاعل «بيعلم»، و«الغيب» مفعول، و«إلا الله» استثناء منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ «مَن»، وجاء مرفوعاً على لغة تميم. ودلّت هذه الآية على أنه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب و«أيان» تقدّم الكلام فيها في الأعراف[٣]، وهي هنا اسم استفهام بمعنى متى، وهي معمولة «ليبعثون»[٤] و«يشعرون» معلّق، والجملة التي فيها استفهام في موضع نصب به.

وقرىء: بل ادّارك، أصله تدارك. وقرىء: أدرك، على وزن أفعل، قال ابن عباس: المعنى: بل تدارك علمهم ما جهلوه في الآخرة بمعنى: تكامل علمهم في الآخرة بأن كلّ ما أوعدوا به حق. وهذا حقيقة إثبات العلم لهم لمشاهدتهم عياناً في الآخرة ما وُعدوا به غيباً[٥] في الدنيا. وكونه بمعنى المضيّ ومعناه الاستقبال لأن الإخبار به [٤٢٦/أ] صدق فكأنه قد وقع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا

(١) ق: واعيقب.
(٢) انظر القرطبي ١٣ : ٢٢٥.
(٣) انظر تفسير الآية ١٨٧ من الأعراف.
(٤) ق: لتبعثون.
(٥) عينانا.

هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا
يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ
رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ
غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ
ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ
بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ الآية، [لمّا تقدّم أنه تعالى منفرد بعلم الغيب، ومن جملتها وقت السّاعة، وأن الكفار في شكّ منها عمون] ناسب ذكر مقالتهم في استبعادها، وأنّ ما وُعدوا به من ذلك ليس بصحيح، إنما ذلك ما سطّر الأولون، من غير إخبار بذلك عن حقيقة. [ثم] ذكروا أنهم وعدوا ذلك وآباؤهم، فلم يقع شيء من هذا الموعود، ثم جزموا وحصروا أنّ ذلك من أكاذيب من تقدّم. وجاء هنا تقديم الموعود [به] وهو «هذا» وتأخّر في آية أخرى[1] على حسب ما سيق الكلام لأجله.

ثم أمر نبيّه عليه السلام أن يأمرهم بالسير في الأرض. وتقدم الكلام في

---

(١) في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المؤمنون].

نظيره[١]. وأراد «بالمجرمين» الكافرين.

ثم سلّى نبيه عليه السلام فقال ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في كونهم لم يسلموا، ولم يذعنوا إلى ما جئت به.

ولمّا استعجلت قريش بأمر الساعة أو بالعذاب الموعود به هم، وسألوا عن الوقت الموعود به على سبيل الاستهزاء، قيل له: [﴿قُلْ] عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ أي: تبعكم عن قرب، وصار كالرديف التابع لكم بعض ما استعجلتم به، وهو كان عذاب يوم بدر، وقيل عذاب القبر. وقرىء: ردف، بكسر الدال وفتحها، وهما لغتان. وأصله التعدّي بمعنى: تبع ولحق، فاحتمل أن يكون مضمّناً معنى اللازم، ولذلك فسّره ابن عباس وغيره بأزف[٢]، وقرب، لمّا كان يجيء بعد الشيء قريباً منه، ضمّن معناه، أو مزيداً للاّم في مفعوله لتأكيد وصول الفعل إليه، كما زيدت الباء في ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]. وقد عدّي بمن على سبيل التضمين لما يتعدى بها، قال الشاعر[٣]:

فلما ردفنا من عمير وصحبه   تولّوا سراعاً والمنية تعنق

[من الطويل]

أي: دنونا[٤] من عمير.

وبدأ بما يخصّ الإنسان ثم عمّ كل غائبة. عبّر أولاً بالمَحالّ وهي الصدور، عن الحالّ فيها وهي القلوب. والظاهر عموم قوله ﴿مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي: ما من شيء في غاية الغيبوبة والخفاء إلا في كتاب عند الله تعالى ومكنون

(١) انظر تفسير الآية ١١ من الأنعام.

(٢) ق: بارق.

(٣) البيت في شرح شواهد الكشاف ٤٦٩ غير منسوب.

(٤) ق: دنوا. وما سبق من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٣: ١٥٨.

علمه. و«من غائبة» في موضع المبتدأ. و«من» زائدة. و«في كتاب» خبره.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لمّا كان القرآن وما قصّ الله تعالى فيه لا يكاد يجدي عندهم، أخبر تعالى عنهم أنهم موتى القلوب، أو شُبّهوا بالموتى، وإن كانوا أحياء صحاح الأبصار، لأنهم إذا تُلي عليهم، لا تعيه آذانهم، فكانت حالهم، لانتفاء جدوى السماع، كحال الموتى.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْيِ﴾ حيث يضلّون الطريق فلا يقدر أحد أن يزيل ذلك عنهم ويحوّلهم هداةً بُصَراء إلا الله تعالى. وقرىء: بهادي العمي، اسم فاعل مضاف. وقرىء: بهادٍ، منوّناً. العُمْيَ. وقرىء: تهدي، مضارع هدى. العُمْيَ، بالنصب.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾ هم الذين علم الله تعالى أنهم يصدّقون بآياته.

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ منقادون للحق.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا انتجز [٤٢٦/ب] وَعْد عذابهم الذي تضمّنه القول الأزلي من الله تعالى كقوله ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر]. فالمعنى: إذا أراد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه فيهم من العذاب، أخرج لهم دابّة من الأرض. و«وقع» عبارة عن الثبوت واللزوم. وروي أن خروجها حين ينقطع الخير، ولا يؤمَر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا تائب.

وفي الحديث[1] أن الدابّة وطلوع الشمس من المغرب من أول الأشراط. ولم يعيّن الأول [منهما] وكذلك الدجّال. وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس

(١) انظر صحيح مسلم ٤: ٢٢٢٦.

أحدها. والظاهر أن الدابة التي تخرج واحدة. [وروي أنها تخرج في كل بلد دابة مما هو مثبوت نوعها في الأرض وليست واحدة] فيكون قوله ﴿دَآبَّةً﴾ اسم جنس. واختلفوا في كيفيتها اختلافاً كثيراً، وقيل: تخاطبهم فتقول للمؤمن هذا مؤمن، وللكافر هذا كافر. وقيل: «تكلَمهم» تجرحهم من الكَلْم.

وروي أنها تَسِمُ الكافر في جبهته وتُربّده[1]، وتمسح على وجه المؤمن فتبيّضه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ
عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ
مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا
جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ
بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ
أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ الآية، الحشر: الجمع على عنف. «من كل

---

(١) كتب فوقها في ق: كذا. وتُربد وجهه: تُعبّسه وتغيّره.

أمة» أي: من الأمم. و«مِن» هي للتبعيض. «فوجاً» أي: جماعة كثيرة.

﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ «مِن» للبيان أي: الذين يكذّبون. والآيات: القرآن.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ تقدم تفسيره[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ أي: إلى الموقف. ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم﴾ استفهام توبيخ وتقريع وإهانة.

﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الظاهر أن الواو للحال، أي: أوقع تكذيبكم بها غير متدبّرين لها، ولا محيطين علماً بكنهها. و«أم» هنا منقطعة تتقدر ببل وحدها.

انتقل من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ إلى الاستفهام عن عملهم أيضاً على جهة التوبيخ، أي: أيّ شيء كنتم تعملون؟ والمعنى: إن كان لكم عمل أو حجّة فهاتوا. وليس لهم عمل ولا حجّة فيما عملوه إلا الكفر والتكذيب و«أماذا كنتم»[2] بجملته يحتمل أن يكون استفهاماً منصوباً بخبر كان وهو «تعلمون»، وأن يكون «ما» هو الاستفهام، و«ذا» موصول بمعنى الذي، فيكونان مبتدأ وخبراً، وكان: صلة لذا، والعائد محذوف تقديره: [أي شيء الذي كنتم] تعملونه.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: العذاب الموعود به بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله تعالى.

ولمّا ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة ليرتدع بسماعها من أراد تعالى

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧ من النّمل.

(٢) ق: وما.

ارتداعه، نبّههم على ما هو دليل على التوحيد والحشر بما هم يشاهدونه في حالة حياتهم، وهو تقليب الليل والنهار من نور إلى[1] ظلمة ومن ظلمة إلى نور، وفاعل ذلك واحد، وهو الله تعالى.

قال الزمخشري[2]: وهو مراعى من حيث المعنى، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلّف؛ لأن معنى «مبصراً» ليبصروا فيه طريق التقلّب في المكاسب انتهى.

الذي يظهر أن هذا من باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله، وحذف من آخره ما أثبت في أوّله، فالتقدير: جعلنا الليل مظلماً، لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً، لتتصرّفوا فيه. فالإبصار ينشأ [٤٢٧/أ] عنه التصرّف في المصالح، ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء]. فالسكون علّة لجعل الليل مظلماً، والتصرّف علّة لجعل النهار مبصراً. وتقدّم لنا الكلام على نظير هذين الحذفين مشبعاً في البقرة في قوله ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴿١٧١﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ تقدّم الكلام عليه[3]. وهذه النفخة هي نفخة الفزع. وروى أبو هريرة[4] أن المَلَك له في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع وهو فزع الحياة الدنيا وليس بالفزع الأكبر، ونفخة الصّعق، ونفخة القيام من القبور. وعبّر هنا[5] بالماضي في قوله «ففزع» وإن كان لم يقع إشعاراً

(١) ق: من نوازل.
(٢) الكشاف ٣: ١٦١.
(٣) لم يتقدم، وانظر تفسير الآية ٧٣ من الأنعام.
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠: ١٣، وانظر القرطبي ١٣: ٢٣٩.
(٥) ق: وغير هذا.

بصحّة وقوعه وأنه كائن لا محالة.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: فلا ينالهم هذا الفزع. وروى أبو هريرة[١] حديثاً أنهم الشهداء متقلّدو السيوف حول العرش. وقد صحّحه القاضي أبو بكر بن العربي. وقرىء: أتوه، فعلاً ماضياً. وآتُوه، اسم فاعل.

والضمير في ﴿أَتَوْهُ﴾ عائد على الموقف، ويجوز أن يراد رجوعهم إلى الله تعالى وانقيادهم له. و﴿دَٰخِرِينَ﴾ حال ومعناه منقادين ذليلين.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ هو من رؤية العين. ﴿تَحْسَبُهَا﴾ حال من فاعل «ترى» أو من «الجبال».

و﴿جَامِدَةً﴾ من جمد مكانه إذا لم يبرح منه. وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور، وهي أول أحوال الجبال: تموج وتسير، ثم ينسفها الله تعالى، فتصير كالعهن، ثم تكون هباءً منبثًّا[٢] في آخر الأمر.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [جملة حالية، أي: تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها، وهي سائرة. وتشبيه مرورها بمرّ السحاب] في كونها تمرّ مرًّا حثيثاً كمرّ[٣] السحاب.

وانتصب ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تليها، فالعامل فيه مضمر من لفظه.

---

(١) رواه ابن جرير أيضاً ٢٠ : ١٤، وانظر القرطبي ١٣ : ٢٤١.

(٢) ق: تكون هنا مبينا.

(٣) ق: كما مرّ.

والحسنة: الإيمان. ورتّب[1] على ذلك شيئين أحدهما أنه له خير منها. ويظهر أن «خير» ليس أفعل تفضيل. و«مِن» لابتداء الغاية أي: له خير من الخيور، مبدؤه ومنشؤه منها، أي: من جهة هذه الحسنة. أو «خير» هنا الثواب، والأَخْيَر[2]: الأمن من الفزع. وقرىء: من فزعٍ، بالتنوين. ويومئذٍ: منصوب على الظرف معمول لقوله «آمنون» أو «الفزعِ»، أو في موضع الصفة «لفزع» أي: كائن في ذلك الوقت. وقرىء بإضافة «فزع» إلى «يومئذ» بكسر الميم حركة إعراب، وفتحها حركة بناء لإضافته إلى مبني. والتنوين في «يومئذ» تنوين العوض، حذفت الجملة وعوّض منها. والأولى[3] أن تكون الجملة المحذوفة ما قرب من الظرف أي: يوم إذ جاء بالحسنة.

والسّيئة: الكفر والمعاصي فيمن ختم الله عليه من أهل المشيئة بدخول النار. وخُصّت الوجوه إذ كانت أشرف الأعضاء، ويلزم من كبّها في النّار كبّ الجميع. أو عبّر بالوجه عن جملة الإنسان.

والظاهر من ﴿فَكُبَّتْ﴾ أنهم يُلقون في النار منكوسين أعلاهم قبل أسفلهم. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ خطاب لهم على إضمار القول، أي: يقال لهم وقت الكبّ هل تجزون.

ثم أمر تعالى [٤٢٧/ب] نبيّه عليه السلام أن يقول ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾. والآمر هو الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ أي: أفرده[4] بالعبادة.

---

(١) ق: وتب.

(٢) ق: والآخر.

(٣) ق: والأول.

(٤) ق: أفرده.

و«البلدة» هي مكّة. وأسند التّحريم إليه تشريفاً لها واختصاصاً.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المنقادين لأمر الله فأعبده كما أمرني.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ﴾ أي: أتلو عليكم القرآن.

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ به ووحّد الله تعالى [وامتثل] أمر نبيّه عليه السلام وآمن بما جاء به، فثمرة هدايته مختصّة به.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ فوبال ضلاله مختصّ به. وحذف جواب «من ضلّ» لدلالة مقابله عليه، ويحتمل أن يكون ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ويحتاج إلى رابط يعود على «مَن» تقديره: من المنذرين له.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أُمر أن يقول ذلك، فيحمد ربّه على ما خصّه به من شرف النبوة والرسالة.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطرهم إلى معرفتها والإقرار إلى أنها آيات الله تعالى.

ولمّا قسمهم إلى مهتدٍ وضالٍّ، أخبر تعالى أنه محيط بأعمالهم غير غافل عنها.

وقرىء: يعملون، بياء الغيبة التفاتاً من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

سورة القصص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾.

﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الآية، هذه السورة مكية كلها وقيل غير ذلك. ومناسبة أوّل هذه السورة لآخر ما قبلها أنه أمره تعالى. بحمده ثم قال: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۝٩٣﴾ [النمل] وكان ممّا فسّر به آياته تعالى معجزات الرسول عليه السلام، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان هو المجري[2] بها على يديه، فقال ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ فأضافها إلى «الكتاب» إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات وأكثر الآيات البيّنات و«الكتاب» هو القرآن.

﴿نَتْلُوا۟﴾ أي نقرأ[3] عليك بقراءة جبريل عليه السلام. ومفعول «نتلو»:

(١) مكية وآياتها ثمان وثمانون.

(٢) ق: مجري.

(٣) ق: يقرأ.

«من نبأ» أي: بعض نبأ. و«بالحق» متعلق «بنتلو» أي: محقّين، أو في موضع الحال من «نبأ» أي: ملتبساً بالحقّ. وخصّ المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بالتلاوة.

﴿ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تجبّر واستكبر حتى ادّعى الربوبية والألوهية. و«الأرض» أرض مصر. والشّيع: الفرق. ملك القبط واستعبد بني إسرائيل.

﴿ وَنُرِيَ ﴾ حكاية حال ماضية. والجملة معطوفة على قوله ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص] لأن كلتيهما تفسير للنّبأ.

و﴿ أَن نَّمُنَّ ﴾ أي: بخلاصهم من فرعون وإغراقه.

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ[1] أَئِمَّةً ﴾ أي: مقتدى بهم في الدين والدنيا.

﴿ وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أي: يرثون فرعون وقومه: ملكهم وما كان لهم.

والتمكين: التوطئة في الأرض وهي أرض مصر والشام بحيث ينفذ أمرهم ويتسلّطون على من سواهم [٤٢٨/أ].

وقرىء: ونُري، مضارع أرينا ونصب ما بعده. ويَرى، مضارع رأى ورفع ما بعده. «وهامان» وزير فرعون.

و﴿ يَحْذَرُونَ ﴾ [أي]: من زوال ملكهم وإهلاكهم على يدي مولود من بني إسرائيل.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ

(١) مكررة في ق.

فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ
لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ
الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية، الظاهر أن الإيحاء هنا هو إرسال ملك إليها لقوله بعد ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ أجمعوا على أنها لم تكن نبيّةً.

والظاهر أن هذا الإيحاء هو بعد الولادة فيكون ثَمَّ جملة محذوفة أي: وضعت موسى أمّه في زمن الذّبح وخافت عليه فأوحينا. و«أن» تفسيرية أو مصدرية.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأولاد فألقيه في اليّم. «اليم» هنا نيل مصر. «ولا تخافي» أي: من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيُقتل. «ولا تحزني» لمفارقتك[1] إياه. «إنا رادوه إليك» وعد صادق بتسكين قلبها وتبشيرها بحياته وجَعْله رسولاً. وقد تقدّم طرف من هذا الكلام في طه[2].

واستفصح الأصمعي إمرأة من العرب أنشدت شعراً فقالت: أبعد قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ - الآية - فصاحة؟. وقد جمع بين أمرين

(١) ق: لمفارتك.

(٢) انظر تفسير الآيات ٣٨-٤٠ من طه.

ونهيَيْن وخبرين وبشارتين.

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ﴾ في الكلام حذف تقديره: ففعلت ما أُمرت به من إرضاعه ومن إلقائه في اليمّ. واللام في «ليكون» للتعليل المجازي، لما كان مآل التقاطه وتربيته إلى كونه عدوّاً لهم وحزناً، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتّبنّي وكونه حبيباً يكون لهم[1]. ويُعبَّر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة.

و«قرة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو قرّة. وتقدّم شرح القرّة[2].

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ جملة حالية أي: لا يشعرون أنه الذي يفسد ملكهم على يديه.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾ جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ الآية، أي: صار فارغاً من الصبر، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون، فدهمها الأمر، فطاش لبّها، وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله تعالى. وجواب «لولا» محذوف تقديره: لأبدت به. والظاهر أن الضمير في «به» عائد على «موسى»، فالباء زائدة أي: لتظهره. وقيل: مفعول «تبدي» محذوف أي: لتبدي القول به أي: بسببه وأنه ولدها.

﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ أي: اتّبعي أثره وتتبّعي[3] خبره. فروي أنها

---

(١) ق: لهم يكون.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٤ من الفرقان.

(٣) ق: أي ابتغي أثره وتبتغي.

خرجت في سكك المدينة مختفية، فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون، يتطلّبون له امرأة ترضعه حين لم يقبل المراضع. وفي الكلام حذف تقديره: فقصّت أثره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أي[1]: أبصرته. ﴿عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بُعد. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٤٢٨/ب] بطلبها إياه ولا بإبصارها. و«عن جنب» عن شوق إليه.

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ التحريم هنا بمعنى المنع أي منعناه أن يرضع ثدي امرأة.

و«المراضع» جمع مرضعة وهي المراة التي تُرضع.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه[2]. والظاهر أن الضمير في «له» عائد على موسى. ولما قالت [لهم]: هل أدلكم؟ فقالوا لها: إنك قد عَرَفْتِه، فأخبرينا مَنْ هو. فقالت: ما أردتُ إلا أنهم ناصحون للملك. فتخلّصت منهم بهذا التأويل. وفي الكلام حذف تقديره: فمرَّتْ بهم إلى أمّه وكلّموها في إرضاعه.

ولمّا أنجز تعالى وعده في الرّد، ثبت عندها أنه سيكون رسولاً نبيًّا. ﴿وَلِتَعْلَمَ[3] أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فعلنا ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ تقدم الكلام عليه في يوسف[4].

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن

(١) مكررة في ق.
(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من طه.
(٣) ق: وليعلم.
(٤) انظر تفسير الآية ٢٢ من يوسف.

شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ
نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ
فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ
عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ
جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ
قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الأية، «المدينة» قال ابن عباس هي منف[1]، ركب فرعون يوماً، وسار إليها، فعلم موسى بركوبه، فلحق بتلك المدينة في وقت القائلة.

﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ في الدين؛ إذا أحدهما إسرائيلي مؤمن والأخر قبطي كافر.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ وهو الإسرائيلي.

﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وهو القبطيّ، وقيل اسمه فاتون. وهذا حكاية حال ماضية. والظاهر أن فاعل «فقضى» ضمير عائد على موسى.

وكان موسى لم يتعمّد قتله، ولكن وافقت وكزته الأجل، فندم موسى عليه السلام وقال ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وهو ما لحقه من الغضب حتى أدّى إلى الوكزة التي قضت على القبطي، وجعله من عمل الشيطان، وسمّاه ظلماً

(١) مدينة مصرية مما يلي جبل المقطم. انظر الروض المعطار ص ٥٥١.

لنفسه، واستغفر منه، لأنه أدّى إلى قَتْل من لم يؤذن له في قتله.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: من قَتْل القبطيّ أن يؤخذ به. «يترقب» وقوع المكروه به.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: الإسرائيلي الذي كان قتل القبطيّ بسببه[1]. و«إذا» هنا للمفاجأة. و«بالأمس» يعني اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ. «يستصرخه» يصيح به مستغيثاً من قبطيّ آخر. ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ الظاهر أن الضمير في «له» عائد على الإسرائيلي. ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ﴾ لكونك كنت سبباً في قتل القبطي بالأمس. قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ الظاهر أنّ الضمير في «أراد» و«يبطش» هو لموسى. ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: للمستصْرِخ وموسى، وهو القبطي. قال الإسرائيلي[2] ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾ دفعاً لما ظنّه منه.

﴿جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وشأن الجبار أن يقتل بغير حق.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل هو مؤمن آل فرعون، وكان ابن عمّ فرعون. قال الكلبي: واسمه جبريل بن شمعون «يسعى» أي: يشتدّ في مشيته. ولمّا أمر فرعون بقتله، خرج الجلاوزة من الشارع الأعظم لطلبه، فسلك [٤٢٩/أ] هذا الرجل طريقاً أقرب إلى موسى. و«من أقصى» و«يسعى» صفتان. ومعنى «يأتمرون» يتشاورون.

﴿فَأَخْرُجْ﴾ امتثل موسى عليه السلام ما أمره به ذلك الرجل وعلم صدقه

(١) ق: تسببه.

(٢) ق: القبطي.

ونُصْحه، وخرج وقد أقبل طالبوه[١] فلم يجدوه. وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق، ولم يصحب أحداً، فسلك مجهلاً واثقاً بالله تعالى داعياً راغباً إلى ربه في تنجيته من الظالمين.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ الآية، «توجّه» ردّ وجهه. «تلقاء» تقدم الكلام عليه في يونس[٢]، أي: ناحية وَجِهة، استعمل المصدر استعمال الظرف. وكان هناك ثلاث طرق فأخذ موسى في أوسطها وأخذ طالبوه في الآخرَيْن وقالوا: المريب لا يأخذ في أعظم الطرق ولا يسلك إلا في بُنيّاتها[٣]. فبقي في الطريق ثماني ليالٍ وهو حافٍ لا يطعم إلا ورق الشجر.

---

(١) ق: وقد اقتلت طالبيه.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥ من يونس. ولم يشرحها ثَمَّةَ.

(٣) بُنيّات الطرق: هي الطرق الصغار تتشعّب من الجادّة.

والظاهر من قوله ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ﴾ أنه كان لا يعرف الطريق فسأل ربّه أن يهديه أقصد الطريق بحيث إنه لا يضلّ، إذ لو سلك ما لا يوصله إلى المقصود لتاه. وعن ابن عباس: قصد مدين، وأخذ يمشي من غير معرفة فأوصله الله تعالى إلى مدين.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه. والورود يكون بمعنى الوصول إلى الشيء وبمعنى الدخول فيه. قيل: وكان هذا بئراً. والأمّة: الجمع الكثير. ومعنى «عليه» أي: شفيره وحاشيته. ﴿يَسْقُونَ﴾ يعني مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: [من] الجهة التي وصل إليها قبل أن يصل إلى الأمّة. ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ قال ابن عباس: تذودان[1] غنمهما عن الماء خوفاً من الرّعاة الأقوياء، وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء. واسم الصغرى عبرا والكبرى صبورا. ولمّا رآهما موسى واقفتين لا تتقدّمان للسّقي، سألهما[2] فقال ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾. والسؤال بالخَطْبِ إنما يكونُ في مصاب أو مضطهد[3] [أو من يشفق عليه أو يأتي بمكروه من الأمر]. وفي سؤاله عليه السلام دليل على جواز مكالمة الأجنبية فيما يَعِنّ. ولم يكن لأبيهما[4] أجير فكانتا تسوقان الغنم إلى الماء، ولم يكن لهما قوة الاستسقاء وكان الرعاة يستقون[5] من البئر، فيسقون مواشيهم، فإذا صدروا فإن بقي في الحوض شيء سقتا. فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم، وهما تمنعان غنمهما عن الماء، فرقّ

(١) ق: يذودان.

(٢) ق: لا يتقدمان للسقي بنتا لهما.

(٣) ق: مضطهرد.

(٤) ق: ولم يكون بيهما.

(٥) ق: يسقون.

عليهما وقال «ما خطبكما».

وقرىء: يَصْدر، من صدر، وقرىء: يُصْدر من أصدر و«الرعاء» فاعل. فالتقرير فيمن قرأ: يَصْدر أن يكون المعنى: حتى يَصْدر الرعاء عن الماء بغنمهم. والمعنى على من قرأ: يُصدر، أي: يُصدر الرّعاء عن الماء غنمهم. وجَمْع راعٍ على رعاء شاذ في القياس وبابه أن يُجمع فُعَله كقاضٍ وقُضَاة، خلافاً للزمخشري[1] إذا زعم أن جمع راعٍ على فِعالٍ قياس. وقرىء: الرُّعاء، بضم الراء. وهو اسم جمع كالرجال. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ اعتذار لموسى عن مباشرتهما السّقي بأنفسهما وتنبيه على أنّ أباهما لا يقدر على السّقي لشَيَخِه وكِبَره، واستعطاف [٤٢٩/ب] لموسى عليه السلام في إعانتهما.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي: سقى غنمهما لأجلهما. وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يُقلّه إلا عدد من الرجال، فأقلّه هو وحده. وقيل: كانت لهم دلو لا ينزع بها إلا أربعون رجلاً فنزع بها وحده وروي أنه زاحمهم على الماء حتى سقى لهما[2]، كل ذلك رغبة في الثواب، على ما كان به من نصب السّفر وشدّة الجوع، حتى كانت تظهر الخضرة في بطنه من البقل.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: ظل شجرة، قيل: كانت سَمُرَة[3].

﴿فَقَالَ[4] رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال المفسرون: تعرض لمن

---

(١) انظر الكشاف ٣: ١٧٠.

(٢) ق: حتى زاحمهما.

(٣) ق: سحرة. والسَّمُرة: من شجر الطلح.

(٤) ق: قال.

يطعمه[١] لِما ناله من الجوع، ولم يصرّح بالسؤال. و«أنزلت» هنا بمعنى تُنزل. وفي الكلام حذف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما من غير إبطاء في السقي، وقصّتا[٢] عليه أمر السّقي لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له.

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ «إحداهما» مبهم فقيل الكبرى وقيل الصغرى.

و﴿ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ في موضع الحال أي: مستحية متخفّرة. قال عمر بن الخطاب: قد سترت وجهها بكمّ درعها[٣].

﴿ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ في ذلك ما كان [عليه] شعيب عليه السلام من الإحسان والمكافأة لمن عمل له عملاً، وإن لم يقصد المكافأة.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ ﴾ أي: فذهب معها إلى أبيها. وفي هذا دليل على اعتماد أخبار المرأة، إذ ذهب موسى عليه السلام معها كما يُعتمد على أخبارها في باب الرواية .

﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ أي: ما جرى له من خروجه من مصر وسبب ذلك.

﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: قَبِل الله دعاءك في قولك ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص] ولمّا أخبره[٤] بنجاته منهم آنسه بقوله «لا تخف» وقرّب إليه طعاماً فقال له موسى: إنّا أهل بيت لا نبيع ديننا

---

(١) ق: لما يَطعمه. وهو وجه.
(٢) ق: وقصّا.
(٣) درع المرأة: قميصها.
(٤) ق: وأخبره.

بملء الأرض ذهباً. فقال له شعيب: ليس هذا عوض السّقي، ولكن هذه[١] عادتي وعادة آبائي: قِرى الضيف وإطعام الطعام. فحينئذ[٢] أكل موسى عليه السلام.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أبهم القائلة. قيل وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة. «يا أبت استأجرة» أي: لرعي الغنم وسقيها. ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن البئر وحده، وانتزع بتلك الدلو وزاحمهم حتى غلبهم على الماء. وبالأمانة لأنها حين قام يتبعها هبّت الرّيح فلفَّت ثيابها فوصفَتْها، فقال لها: ارجعي خلفي ودلّيني على الطريق. وقولها كلام حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية في القائم بأمر، فقد تمّ المقصود، وهو كلام جرى مجرى المثل وصار مطروقاً للناس، وكان ذلك تعليلاً للاستئجار، وكأنها قالت: استأجره لأمانته وقوّته، وصار الوصفان[٣] منبِّهَيْن عليه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾.

قال الزمخشري[٤]: «هاتين» فيه دليل على أنه كانت له غيرهما انتهى.

لا دليل في ذلك،لأنهما كانتا اللتين رآهما تذودان [٤٣٠/أ] وجاءته إحداهما، فأشار إليهما، والإشارة إليهما لا تدلّ على أنّ له غيرهما. رغب شعيب في مصاهرته لما وصفَتْه به، ولما رأى فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلّقه بالله تعالى، وفراره من الكفر.

---

(١) ق: هذا.

(٢) ق: بحسد.

(٣) ق: الوصفين.

(٤) الكشاف ٣: ١٧٢.

وظاهر قوله ﴿أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أنّ الإنكاح إلى الوليّ لا حقّ للمرأة فيه خلافاً لأبي حنيفة في بعض [صوره] بأن تكون بالغة عالمة بمصالح نفسها، فإنها تعقد على نفسها بمحضر من الشهود.

و﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾ مبهم، وهذا عرض لا عَقْد، ألا ترى إلى قوله «إني أريد»؟. وحين العقد يعيّن من شاء منهما، وكذلك لم يحدّ أول أمد الإجارة.

والظاهر من الآية جواز النكاح بالإجارة وبه قال الشافعي وأصحابه.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ في موضع الحال من ضمير «أنكحك» إما الفاعل وإما المفعول. و«تأجرني» من أَجَرْته: [كنت له أجيراً] كقولك: أبَوْته: كنت له أباً. ومفعول «تأجرني» الثاني محذوف تقديره: نفسك.

و«ثماني حجج» ظرف. «عشراً» تقديره: عشر حجج. «فمن عندك» خبر مبتدأ محذوف تقديره: فالإتمام إحسان من عندك.

﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وعد صادق مقرون بالمشيئة، من الصالحين في حسن المعاملة ووطاءة[1] الخُلق.

ولما فرغ شعيب ممّا حاور[2] به موسى قال موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ على جهة التقرير والتوثّق في أن الشّرط إنما وقع في ثماني حجج. و«ذلك» مبتدأ خبره «بيني وبينك» أشار إلى ما عاهده عليه، أي: ذلك الذي عاهدتني وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا نخرج عنه. ثم قال «أيما الأجلين» أي:

---

(١) ق: ووطأة. ووطاءة الخلق: لينه ودماثته.

(٢) ق: جاور.

الثماني[1] أو العشر. و«ما» زائدة، و«أي» شرطية منصوبة «بقضيت».

«فلا عدوان» جواب الشرط. «والله على ما نقول» أي: على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا. «وكيل» أي: شاهد.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ جاء عن النبي ﷺ أنه وفّى أطول الأجلين وهو العشر[2]. وثَمّ[3] محذوف تقديره: زوّجه ابنته، وسار بأهله، أي: نحو مصر بلده وبلد قومه. والخلاف فيمن تزوّج: الكبرى أم الصغرى، وكذلك في اسميهما. وتقدّم كيفية مسيره وإيناسه النار في طه[4].

---

(١) ق: اليماني.

(٢) رواه ابن جرير ٢٠: ٤٣ من حديث ابن عباس.

(٣) ق: ثمّ.

(٤) انظر تفسير الآية ٩ وما بعدها من طه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تسخنون بها إذ كانت ليلة باردة، وقد أضلّوا الطريق.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ الآية، «مِن» في «من شاطىء» لابتداء الغاية. و«من الشجرة» كذلك؛ إذ هي بدل من الأولى أي من قبل الشجرة. و«الأيمن» يحتمل أن يكون صفة «للشاطىء» و«للوادي»، على معنى اليمن والبركة. ووصفت البقعة بالبركة لما خُصّت به من آيات الله تعالى وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام. ويتعلق «في البقعة» «بنودي»، أو يكون في موضع الحال من «شاطىء». و«الشجرة» عنّاب وقيل غير ذلك. و«أن» يحتمل أن تكون تفسيرية وأن تكون مخفّفة من الثقيلة. وجاء في طه ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾، وفي النمل ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾، وهنا ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ﴾. ولا منافاة إذ [٤٣٠/ب] حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء.

والجمهور على أنه تعالى كلّمه في هذا المقام من غير واسطة.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ تقدّم الكلام عليه[1]. و﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ تقدّم الكلام عليه[2] أيضاً.

والظاهر حَمْل ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ على الحقيقة وهو الخوف. وقرىء: الرَّهَب والرَّهْب والرُّهْب. قال الثوري: خاف موسى أن يكون حدث به سوء، فأمره تعالى أن يعيد يده إلى جيبه لتعود على حالتها الأولى، فيعلم موسى أنّه لم يكن سوءاً بل آية من الله تعالى.

---

(١) انظر تفسير الآية ١١٧ من الأعراف.
(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ من طه.

﴿فَذَٰنِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد وهما مؤنثتان، ولكن ذكّر لتذكير الخبر.

﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ حجتان نيّرتان.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القبطي الذي وكزه فمات، فطلب من ربّه ما يزداد به قوة، وذكر أخاه والعلّة التي تكون[1] له زيادة في التبليغ. و«أفصح» [يدلّ] على أن فيه فصاحة ولكنْ أخوه أفصح.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ وقرىء: ردءاً، بالهمز. ورِداً، بحذف الهمزة[2] ونقل حركتها إلى الدّال. وقرىء: يصدّقْني، بالجزم على أنه جواب الأمر. وبالرفع على أنه صفة لقوله «ردءاً».

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ المعنى فيه: سنقوّيك بأخيك. ويقال في الخير: شدّ الله عضدك، وفي الشّر: فتّ الله في عضدك. والسلطان: الحجة والغلبة والتسلّط.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بسوء، أو إلى أذيّتكما.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ أن يتعلّق بقوله «ونجعل»[3] أو «بيصلون».

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ

(١) ق: يكون.

(٢) ق: الهمز.

(٣) ق: ويجعل.

مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا
لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ
وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾
فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ
ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ .

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية، «بآياتنا» هي العصا واليد.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات الدّلالة على صدقه، وأنه أمر خارق كفّوا عن مقاومته، ورجعوا إلى البهت والكذب على عادتهم، ونفوا أنهم سمعوا[(١)] بهذا في آبائهم الأوّلين، وقد كذبوا في ذلك لأن الرسل جاءتهم قبل.

ولمّا رأى موسى ما قابلوه به من انتفاء السّماع في الزمان السابق، قال موسى ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ يعني بذلك نفسه.

ونفى فرعون علمه بإله غيره للملأ، ويريد بذلك نفي وجوده، أي: ما لكم من إله غيري. واستمرّ فرعون في مخرقته، ونادى وزيره هامان، وأمره أن يوقد النار على الطين. قيل: وهو أول من عمل الآجرّ، ولم يقل: اطبخ الآجرّ لأنه لم يتقدم لهامان علم بذلك، ففرعون هو الذي يعلّمه[(٢)] ما يصنع. ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ أي: ابنِ لي.

---

(١) ق: ما سمعوا.

(٢) ق: يعمله.

﴿لَعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أوهمَ قومَهُ أنَّ إله موسى يمكن الوصول إليه والقدرة عليه، وهو عالم متيقّن أن ذلك لا يمكن. واطّلع في معنى طلع؛ يقال: طلع إلى الجبل واطّلع بمعنى واحد.

و«الأرض» هنا أرض مصر.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كناية عن إدخالهم في البحر حتى غرقوا؛ شُبّهوا بحصيات قذفها الرامي من يده، ومنه: نبذ النّواة.

وجعل هنا بمعنى صيّر [٤٣١/أ] أي: صيّرناهم أئمة، أي: قدوة للكفّار، يقتدون بهم في ضلالاتهم، اشتهروا بذلك وبقي حديثهم.

وعطف «ويوم القيامة» على «في هذه الدنيا» و«من المقبوحين» قال ابن عباس: من المشوّهين الخِلْقة بسوادِ الوجوه وزرقة العيون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو التوراة، وهو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض والأحكام.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وهود وصالح ولوط. ويقال: لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التي مُسخ أهلها قردة.

وانتصب «بصائر» على الحال أي: طرائق هدى يُستبصر بها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا
فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ
بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ
أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ
كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ
ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ
وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ
نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ۞.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾ الآية، لمّا قصّ تعالى من أنباء موسى وغرائب ما جرى له، وأوحى[1] تعالى بجميع ذلك إلى محمد رسوله عليه السلام، ذكّره بإنعامه عليه بذلك، وبما قصّه من الغيوب التي كان لا يعلمها لا هو ولا قومه، فقال[2] «وما كنت بجانب الغربيّ».

و«الأمر» قيل: الحكم والنبوّة الذي آتاه الله موسى. وبدأ أوّلاً بنفي شيء خاص وهو أنه لم يحضر وقت قضاء الله لموسى الأمر، ثم ثنّى بكونه لم

---

(١) ق: أوحى.

(٢) ق: يقال.

يكن من الشاهدين والمعنى - والله أعلم - من الشاهدين لجميع ما أعلمناك به، فهو نفي لشهادته جميع ما جرى لموسى عليه السلام فكان عموماً بعد خصوص. و«بجانب الغربي» من إضافة الموصوف إلى صفته عند قوم، ومن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه عند قوم. [فعلى القول الأول] أصله[1]: بالجانب الغربي، وعلى الثاني أصله: بجانب المكان الغربي.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مقيماً. ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هم شعيب والمؤمنون.

﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ تقرأ عليهم تعلّماً منهم - يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه - ولكنّا أرسلناك وأخبرناك بها وعلّمناكها.

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه، ولكن أعلمناك رحمة وأرسلناك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ العرب.

﴿وَلَوْلَآ﴾ الأولى حرف امتناع لوجود. و﴿أَن تُصِيبَهُم﴾ في موضع المبتدأ كأنه قال: لولا إصابتهم. ﴿فَيَقُولُواْ﴾[2] معطوف على «أن تصيبهم». و﴿لَوْلَآ﴾ الثانية للتحضيض، جوابها ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾[3]. وجواب «لولا» الأولى محذوف تقديره: ما أرسلناك منذراً لهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ هو محمد ﷺ والظاهر أنه عائد على قريش الذين قالوا: لولا أوتي - أي: محمد - ما أوتي موسى. وذلك أن تكذيبهم لمحمد ﷺ تكذيب لموسى عليه السلام، ونسبتهم السّحر للرسول نسبة

---

(١) ق: تقديره أصله.

(٢) ق: فيقول.

(٣) ق: فنكون.

السحر لموسى؛ إذ الأنبياء عليهم السلام هم من وادٍ واحد، فمن نسب إلى واحد من الأنبياء ما لا يليق، كان ناسباً ذلك إلى جميع الأنبياء. وتتناسق الضمائر[1] كلها في هذا وفي قوله ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص] وإن كان [٤٣١/ب] الظاهر من القول أنه النّطق اللساني، فقد ينطلق على الاعتقاد، وهم من حيث إنكار النبوّات معتقدون أن ما ظهر على أيدي الأنبياء من الآيات إنما هو من باب السحر.

وقرىء: ساحران. وسحران. والضمير في «جاءهم» عائد على العرب.

﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ أي: بكلّ من السّاحرين أو من السّحرين.

ثم أمره تعالى أن يصدع بهذه الآية وهي قوله ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ أي: أنتم أيها المكذّبون بالكتب الإلهية التي تضمّنت الأمر بالعبادات ومكارم الأخلاق، ونهت عن الكفر والنقائص، ووعد الله عليها الثواب الجزيل، إن كان تكذيبكم لمعنى «فأْتوا بكتاب من عند الله» يهدي أكثر من هذه أتّبعه معكم. والضمير في «منهما»[2] عائد على ما أُنزل على موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وتعليق إتيانهم بشرط الصدق أمر متحقّق متيقّن أنه لا يكون ولا يمكن صدقهم، كما أنه لا يمكن أن يأتوا بكتاب من عند الله أهدى من الكتابين. ويجوز أن يراد بالشرط التهكّم بهم.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج، ولم يمكنهم أن يأتوا بكتاب هو أفضل. والاستجابة تقتضي[3]

(١) ق: ويتناسق الضمير.

(٢) ق: منها.

(٣) ق: يقتضي.

دعاءً وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم دائماً إلى الإيمان.

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الآية، الضمير في «لهم» عائد على قريش. وقال رفاعة القرظي[١]: نزلت في عشرة من اليهود هو أحدهم. ومعنى «وصّلنا» تابعنا القرآن موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزّجر والدّعاء إلى الإسلام. وفي الحديث[٢] «ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرّتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي» الحديث.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي: لا تقدر[٣] على خلق الهداية فيه. ولا تنافي[٤] بين هذا وبين قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾ [الشورى] لأن معنى هذا: وإنك لترشد. وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب. وحديثه مع رسول الله ﷺ حالة أن مات مشهور[٥].

والضمير في ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ عائد على قريش. وقيل [القائل] الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف: إنك على الحق فنخاف[٦] من اتّباعك. ومعنى ﴿ يُجْبَىٰٓ ﴾ يساق.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ

(١) ق: القرطبي.
(٢) رواه مسلم ١ : ١٣٤ من حديث أبي بردة عن أبيه بلفظ آخر.
(٣) ق: يقدر.
(٤) ق: ينافي.
(٥) انظر مثلاً صحيح مسلم. ١ : ٥٥.
(٦) ق: فيخاف.

فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا
ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ
وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا
غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ
يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ
أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا
مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا
يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾
وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ
ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ
عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا
تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن
رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾ .

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ الآية، هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم، كانوا في مثل حالهم، من إنعام الله تعالى عليهم بالرقود في ظلال الأمن، وخفض العيش، فغمطوا النعمة، وقابلوها بالأشر والبطر، فدمّرهم الله تعالى، وخرّب ديارهم.

و«معيشتها» منصوب على التميز على مذهب الكوفيين، أو مشبّه بالمفعول على مذهب بعضهم، أو مفعول به على تضمن «بطرت» [معنى فعل متعدٍّ] أي: خسرت [٤٣٢/أ] معيشتها، أو على إسقاط «في» أي: في معيشتها، أو على الظرف على حذف مضاف أي: أيام معيشتها. وتقدم ذكر المساكن(١).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ تقدّم الكلام عليه(٢)

لمّا ذكر تعالى تفاوت ما بين ما أُوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال: أبعد هذا التفاوت الظاهر يُسوّى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا. والفاء في «فهو لاقيه» للتّسبب لأنّ لقاء الموعود مسبّب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير. و«ثم» لتراخي حال الإحضار عن حال التّمتع بتراخي وقته عن وقته. وقرىء: ثم هو، بضم الهاء وبسكونها، أجري مجرى الفاء والواو، فكما سكّنوا هاء هو وهي نحو: فهْو وهْي، فكذلك سكنوها بعد ثمّ.

ومعنى ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: المحضرين العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الآية، نداؤه تعالى يحتمل أن يكون بواسطة أو بغير واسطة ﴿فَيَقُولُ(٣) أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ أي: على زعمكم. وهذا الاستفهام على جهة التوبيخ والتقريع. والشركاء: هم من عُبدوا من دون الله تعالى من ملك أو غيره. ومفعولا «تزعمون»(٤) محذوفان أحدهما العائد على الموصول والتقدير:

---

(١) انظر تفسير الآية ١٢٨ من طه.

(٢) انظر تفسير الآية ١٣١ من الأنعام.

(٣) ق: فنقول.

(٤) ق: يزعمون.

تزعمونهم[١] شركاء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: الشياطين وأئمة الكفر ورؤوسه. و«حق» وجب عليهم القول أي: مقتضاه و«هؤلاء» مبتدأ. و«الذين» صفة له. و«أغوينا» صلة «للذين» والعائد محذوف تقديره: أغويناهم. و«أغويناهم» خبر المبتدأ. وتقيّد بقوله «كما غوينا» فاستفيد من الخبر ما لم يُستفد من الصلة.

ويجوز أن يكون «هؤلاء» مبتدأ، و«الذين أغوينا» خبر المبتدأ، و«أغويناهم» استئناف إخبار مقيّد[٢] بقوله «كما غوينا».

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ لمّا سئلوا: أين شركاؤكم؟ وأجابوا بغير جواب، سئلوا ثانياً فقيل «ادعوا شركاءكم». وأضاف الشركاء إليهم، أي: الذين جعلتموهم شركاء لله. وقوله «ادعوا» على سبيل التهكّم بهم، لأنه يعلم أنه لا فائدة في دعائهم.

﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ هذا لسخافة عقولهم في ذلك الموطن أيضاً؛ إذ لم يعلموا أنّ من كان موجوداً منهم في ذلك الموطن لا يجيبهم. والضمير في «ورأوا» قيل للتّابع والمتبوع. وجواب «لو» محذوف، والظاهر أن يُقدَّر مما يدلّ عليه ما يليه أي: لو كانوا مؤمنين ما رأوا العذاب في الآخرة.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ حكى أوّلاً ما يوبّخهم به من اتّخاذ الشركاء [ثم] باستعانتهم بشركائهم [ثم] بما يبكّتون[٣] به من الاحتجاج عليهم بإرسال

(١) ق: يزعمونهم.
(٢) ق: مقيداً.
(٣) ق: ينكثون.

الرسل وإزالة العلل.

ومعنى ﴿فَعَمِيَتْ﴾ أظلمت عليهم الأمور فلم يستطيعوا أن يخبروا بما فيه نجاة لهم. وأتى بلفظ الماضي لتحقّق[١] وقوعه.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً فيما يتخلّصون به إذ أيقنوا أنهم لا حجّة لهم [٤٣٢/ب] فهم في عمىً وعجز عن الجواب. والمراد بالنّبأ الخير عمّا أجاب به المرسل إليه رسوله.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ نزلت[٢] بسبب ما تكلّمت به قريش من استغراب أمر النبي ﷺ، وقول بعضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف] وقائل ذلك الوليد بن المغيرة.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [«مِن»] هنا للسبب أي: وسبب رحمته إياكم جعل لكم الليل والنهار. ثم علّل جَعْل كل واحد منهما، فبدأ بعلّة الأول وهو الليل وهو «لتسكنوا فيه»، ثم بعلّة الثاني وهو [النهار وهو] «ولتبتغوا من فضله»، ثم بما يشبه العلّة لجعل هذين الشيئين وهو «ولعلكم تشكرون» أي: هذه الرحمة والنعمة.

وهذا النّوع من علم البديع يسمّى التفسير، وهو أن تسمّي أشياء ثم تفسّرها[٣] بما يناسبها.

---

(١) ق: ليحقق.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٢٩.

(٣) ق: يسمي.. يفسّرها.

والضمير في «فيه» عائد على «الليل». و«من[١] فضله» يجوز أن يكون عائداً على الله تعالى والتقدير: من فضله، أي: من فضل الله فيه، أي: في النهار. وحذف لدلالة المعنى عليه، ولدلالة لفظ «فيه» السابق عليه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الآية، تقدّم الكلام[٢] عليها. وكرّر هنا على جهة الإبلاغ والتأكيد.

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ
مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا
ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ
يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

(١) ق: وفي.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٢ من القصص.

و«قارون» اسم أعجمي امتنع من الصرف للعلمية والعجمة. قيل: ومعنى كان من قومه: أي ممّن آمن به، وهو إسرائيلي بإجماع. واختُلف في قرابته من موسى عليه السلام اختلافاً كثيراً؛ قال ابن عباس إنه ابن عمّه، وهو قارون بن يصهر[١] بن قاهث جدّ موسى، لأن النّسابين ذكروا نسبه كذلك. وكان يسمّى المنوّر لحسن صورته، وكان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم، فنافق كما نافق السامريّ.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ ذكروا من أنواع بغيه الكفر والكبر وحسده لموسى عليه السلام على النبوّة، ولهارون على الذّبح والقربان وظُلْمه لبني إسرائيل حين ملّكه فرعون عليهم، ودسّه بغيًا، تكذب عليه أنه تعرّض لها، وتفضحه بذلك بين ملأ بني إسرائيل. ومن تكبّره أنه زاد في ثيابه شبراً.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾ قيل: أظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام. وقيل: سمّيت أمواله كنوزاً إذ كان ممتنعاً من أداء الزّكاة، وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أوّل عدواته. و«ما» موصولة صلتها «إنّ» ومعمولاها.

وتقدّم الكلام على مفاتح[٢] في سورة الأنعام.

و«لَتَنُوءُ» أي: لتثقل. الصحيح أن الباء للتعدية أي: لتُنيء العصبة.

﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ تقدم تفسيره[٣].

والمراد: وآتيناه من الكنوز ما إنّ حفظها والاطّلاع عليها يثقل على العصبة،

---

(١) ق: يصر.

(٢) ق: مفاتيح. وانظر تفسير الآية ٥٩ من الأنعام.

(٣) انظر تفسير الآية ٨ من يوسف.

أي: هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يُتعب حفظها القائمين عليها.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ نهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال النفس وأشر وإعجاب. وإنما يفرح بإقبال الدنيا [٤٣٣/أ] عليه من اطمأنّ إليها وغفل عن أمر الآخرة.

قال الزمخشري[١]: ومحلّ «إذ» منصوب بـ«تنوء» انتهى.

هذا ضعيف جدّاً، لأن إثقال المفاتيح العصبة ليس مقيّداً بوقت قول قومه له: لا تفرح.

قال ابن عطية: وهو متعلق بقوله «فبغى عليهم» انتهى.

هذا ضعيف أيضاً، لأن بغيه عليهم لم يكن مقيّداً بذلك؟.

وقال أبو البقاء[٢]: «إذ قال له قومه» ظرف «لآتيناه».

وهذا ضعيف أيضاً، لأن الإيتاء لم يكن وقت ذلك القول.

وقال أيضاً[٣]: ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دلّ عليه الكلام، أي: بغى عليهم إذ قال له قومه[٤] انتهى.

ويظهر لي أن يكون تقديره[٥]: فأظهر التفاخر والفرح، بما أوتي من الكنوز، إذ قال له قومه لا تفرح.

---

(١) الكشاف ٣: ١٩٠.

(٢) إملاء ٢: ١٨٠.

(٣) إملاء ٢: ١٨٠.

(٤) ق: قال لقومه.

(٥) ق: تقديرية.

ولمّا نهوه[١] عن الفرح المطغي أمروه بأن يطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ثواب[٢] الدار الآخرة بأن يفعل فيه أفعال البّر ويجعله زاداً إلى الأخرة.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: معناه: ولاتضيّع عمرك في أن لا تعمل صالحاً.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ قيل هي الكيمياء، وقيل هي غير ذلك.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ قيل: كان يوم السبت، أي: أظهرَ ما يقدر عليه من الملابس والمراكب وزينة الدنيا. قيل: في ثياب حمر، وقيل: هو وحشمه في ثياب معصفرة، وقيل: في ثياب الأرجوان، وقيل: على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيّه، وقيل: عليهم وعلى حيوانهم الديباج الأحمر وعلى يمينه ثلاث مئة غلام وعلى يساره ثلاث مئة جارية بيض عليهم الحليّ والديباج، وقيل: في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات. وهو أول يوم رئي فيه المعصفر، وقيل غير ذلك من الكيفيّات والله[٣] أعلم بصحة ذلك.

﴿وَيْكَأَنَّ﴾ هي كاف التشبيه الداخلة على أنّ. وكتبت وي متّصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال، وأنشد سيبويه[٤]: [من الخفيف]

وَيْ كَأنْ من يكن له نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ ومَن يفتقرْ يَعِشْ عيشَ ضُرِّ

---

(١) ق: نهاه.

(٢) ق: وثواب.

(٣) ق: الله.

(٤) الكتاب ٢: ١٥٥. والبيت منسوب فيه لزيد بن عمرو بن نفيل.

وحكى الفرّاء[١] أن امرأة قالت لزوجها: أين ابنك؟ فقال: ويكأنّه وراء البيت.

وقال الأخفش: هي ويك. وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب فلا موضع له من الأعراب، والوقف عليه ويك، ومنه قول عنترة[٢]: [من الكامل]

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

﴿وَلَا فَسَادًا﴾ جاء النفي بلا، فدلّ على أنّ كلّ واحد من العلوّ والفساد مقصود لا مجموعهما.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قيل: العمل به.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قيل: مكّة أراد ردّه إليها يوم الفتح. وقيل غير ذلك.

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ[٣]﴾ هو محمد ﷺ [٤٣٣/ب].

﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هم المشركون.

---

(١) معاني القرآن ٢: ٣١٢.

(٢) ديوانه ص ٢١٩.

(٣) ق: بمن جاء بالهدى من عنده.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟﴾ تذكير لنعمه تعالى على رسوله وأنه تعالى رحمه رحمةً لم يتعلّق بها رجاؤه.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دين ربك. وهذه المناهي كلّها ظاهرها أنها لرسول الله ﷺ، وهي في الحقيقة لأتباعه.

والهلاك يُطلق بإزاء العدم المحض، فالمعنى أن الله يعدم كل شيء سواه، وبإزاء نفي الانتفاع به إما للإماتة أو لتفريق الأجزاء، وإن كانت باقية؛ يقال: هلك الثوب، لايريدون فناء أجزائه، ولكن خروجه عن الانتفاع به.

ومعنى ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا إياه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: فصل القضاء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إلى جزائه.

سورة العنكبوت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (٢) وَلَقَدۡ
فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٣) أَمۡ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ
فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٥) وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٧) وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ
لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ (٩) وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ
نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ
ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٠) وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ (١١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ
خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٢) وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ
وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (١٣) ﴾ .

﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ الآية، هذه السورة

(١) مكية وهي تسع وستون آية.

مكية وقيل مدنية. ونزل أوائلها في مسلمين بمكة، كرهوا الجهاد حين فُرض بالمدينة. وقيل في مهجع مولى عمر قتل ببدر، فجزع[١] أبوه وامرأته عليه، وقال فيه رسول الله ﷺ[٢] «سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنّة». و«الناس» فسّرت بمن نزلت فيه الآية. و«حسب» يطلب مفعولين سدّت «أنْ» وما بعدها من معمولها مسدّ المفعولين. «أن يقولوا» بدل من «أن يتركوا» و«أن» تكون في موضع نصب بعد إسقاط الخافض وقدّروه بأن يقولوا، أو لأن يقولوا. «وهم لا يفتنون» جملة حالية.

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: فأين الكلام الدالّ على المضمون[٤] الذي يقتضيه الحسبان؟ قلت: هو في قوله «أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون» وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا. فالتّرك أول مفعولي حسب، ولقولهم آمنّا هو الخبر. وأما غير مفتونين، فتتمّة للتّرك لأنه من التّرك الذي هو بمعنى التصيير كقوله[٥]: [من الكامل]

فتــركتُــه جَــزَرَ السبــاع يَنُشْنَــه [ما بين قُلّة رأسه والمِعْصمِ]

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول: تركهم[٦] غير مفتونين لقولهم آمنّا، على تقدير: حاصل ومستقر قبل اللام. فإن قلت: «أن يقولوا» هو علّة تركهم غير مفتونين وكيف يصحّ أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما

(١) ق: فجرح.
(٢) أخرجه ابن حجر في الكافي الشاف ص١٢٧.
(٣) الكشاف ٣: ١٩٥.
(٤) ق: المضمر.
(٥) البيت لعنترة في ديوانه ص٢١٠.
(٦) ق: تركتهم.

تقول: خروجه لمخافة الشّر [وضربه للتأديب. وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت مخافة الشر] وضربته تأديباً، تعليلين. وتقول أيضاً: حسبت خروجه[1] لمخافة الشر، وظننت ضربه للتأديب، فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبراً انتهى.

هذا كلام فيه اضطراب: ذكر أولاً أن تقديره: غير مفتونين تتّمة [٤٣٤/أ] يعني أنه حال، لأنه سبك ذلك من قوله «وهم لا يفتنون» وهذه جملة حالية. ثم ذكر «أن يتركوا» هنا من الترك الذي هو التصيير. وهذا لا يصحّ لأن مفعول صيّر [الثاني] لا يستقيم أن يكون لقولهم، إذ يصير التقدير: أن يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون، وهذا كلام لا يصحّ. وأمّا ما مثّله من البيت فإنه يصحّ أن يكون: جزر السباع مفعولاً ثانياً لترك، بمعنى صيّر، بخلاف ما قدّر في الآية. وأمّا تقديره: تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا على تقدير حاصل و مستقر قبل اللام، فلا يصحّ إذا كان «تركهم» بمعنى تصييرهم، وكان «غير مفتونين» حالاً؛ إذ لا ينعقد من «تركهم» بمعنى[2] تصييرهم «ولقولهم» مبتدأ وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم إلى مفعول ثانٍ، لأن: غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثانٍ. وأما قوله: فإن قلت: [«أن يقولوا»] إلى آخره، فيحتاج إلى فضلة فهم؛ وذلك أن قوله «أن يقولوا» هو علّة تركهم، ليس كذلك. لأنه لو كان علّة له لكان به متعلّقاً كما يتعلّق بالفعل، ولكنه علّة للخبر المحذوف الذي هو مستقرّ أو كائن، والخبر غير المبتدأ. ولو كان «لقولهم» علّة للترك لكان من تمامه، فكان يحتاج إلى خبر. وأما قوله: كما تقول: خروجه لمخافة الشّر، فلمخافة: ليست علّة للخروج بل

---

(١) ق: خروجهم.

(٢) ق: معنى.

للخبر الذي هو مستقر أو كائن.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ المؤمنون أتباع الأنبياء، أصابهم من المحن ما فرق به المؤمن بالمنشار فرقتين، ومشط[١] بأمشاط الحديد، ولا يرجع عن دينه.

﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان. ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم. ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيه، مِن عَلِم المتعديّة إلى واحد فيهما ويستحيل حدوث العلم لله تعالى. فالمعنى: وليتعلقنّ علمه به موجوداً كما كان يتعلق به حين كان معدوماً. والمعنى: وليميزن الصادق منهم والكاذب.

قال ابن عطية: «أم» معادلة للألف في قوله «أَحَسِب» وكأنه عزّ وجلّ قرّر الفريقين: قرر المؤمنين على ظنّهم أنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنّهم أنهم يسبقون نقمات[٢] الله ويعجزونه انتهى.

ليست «أم» معادلة للألف في «أحسب» كما ذكر، لأنها إذ ذاك تكون متّصلة، ولها شرطان: أحدهما أن يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام، وهذا الشرط هنا موجود. والثاني أن يكون بعدها مفرد أو ما هو في تقدير المفرد. مثال المفرد: أزيد قائم أم عمرو، ومثال ما هو في تقدير المفرد: أقام زيد أم قعد. وجوابها تعيين أحد الشيئين إن كان التعادل بين شيئين، أو الأشياء إن كان التعادل بين أكثر من شيئين. وهنا بعد «أم» جملة، ولايمكن الجواب هنا بأحد الشيئين، بل «أم» هنا منقطعة بمعنى بل التي للإضطراب، بمعنى الانتقال من قصة إلى قصة، لا بمعنى الإبطال [٤٣٤/ب].

(١) ق: ويمشط.
(٢) ق: نعمات.

والاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ والإنكار، فلا يقتضي جواباً، لأنه في معنى: كيف وقع حسبان ذلك؟.

و﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة وأبا جهل وغيرهما من صناديد قريش. والآية وإن نزلت على سبب، فهي تعمّ جميع من يعمل السيئات من كافر ومسلم.

﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ بمعنى[1] ان يفوتونا.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ تقدّم الكلام عليه في البقرة[2].

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ الظاهر أنها على بابها. ومعنى «لقاء الله» الوصول إلى عاقبة الأمر من الموت والبعث والجزاء، مثّلت حاله بحال عبد قدم على مولاه من سفر بعيد، وقد اطلع مولاه على ما يعمل في غيبته عنه، فإن كان عمل خيراً، تَلَقَّاهُ بإحسان، أو شرًّا فبضدّ الإحسان. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ وما أجّله وجعله له أجلاً لآتيه لا محالة، فليبادر لما يصدق رجاءه.

والظاهر أن قوله ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ معناه: ومن جاهد نفسه بالصبر على الطاعات فثمرة جهاده وهو الثواب المعدّ له إنما هي له لا لله تعالى، والله تعالى غني عنه وعن العالمين.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ في جامع الترمذي[3] أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص: آلت أمّه أن لا تطعم ولا تشرب حتى تموت أو يكفر بمحمد.

---

(١) ق: معنى.

(٢) بل في الأنعام، انظر تفسير الآية ١٣٦.

(٣) ٨: ٣٣٣، أخرجه من حديث مصعب بن سعد يحدّث عن أبيه.

و﴿ وَوَصَّيْنَا﴾ أي: أمرناه بتعاهدهما ومراعاتهما. وانتصب «حسناً» على أنه مصدر وُصف به مصدر «وصّينا» أي: إيصاءً حُسْناً أي: ذا حُسْن، أو على سبيل المبالغة أي: هو في ذاته حسن.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن زيد: نزلت في المنافقين ولمّا ذكر تعالى ما أعدّه للمؤمنين، ذكر حال المنافقين: ناساً آمنوا بألسنتهم فإذا آذاهم الكفار جعلوا ذلك الأذى - وهو فتنة الناس[١] - صارفاً لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر.

﴿وَلْنَحْمِلْ ﴾ اللام فيه لام الأمر. وأكثر ما تدخل فيه لام الأمر على المضارع المراد به الغائب كقوله ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحج]. وقد جاء في المخاطب قليلاً؛ قرأ بعضهم «فبذلك فلتفرحوا» [يونس:٥٨]. وأما دخولها على المتكلم فهو قليل، وقد جاء في الحديث دخولها على المضارع المتكلّم: «قوموا فَلأُصَلِّ لكم»[٢]. والحمل هنا مجاز؛ شبّه القيام بما يتحصّل من عواقب الإثم بالحمل على الظهر، والخطايا بالمحمول. ولمّا كان الأمر يراد به الخبر، صحّ فيه أن يُكذب.

﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: سؤال توبيخ وتقريع.

قال الزمخشري[٣] بعد كلام: وهذا قول صناديد قريش؛ كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فإن عسى كان ذلك فنحن نتحمّل عنكم

(١) ق: للناس.
(٢) انظر صحيح مسلم ١: ٤٥٧، أخرجه من حديث أنس. ولم تدخل لام الأمر على المتكلم ثَمَّ.
(٣) لم أجد هذا النص في الكشاف في هذا الموضع.

الإثم انتهى.

قوله: فإن عسى كان، تركيب أعجمي لا عربي، لأنّ «إنْ» الشرطية لا تدخل على عسى لأنه فعل جامد، ولا تدخل[1] أدوات الشرط على الفعل الجامد. وأيضاً فإنّ عسى [٤٣٥/أ] لا يليها كان، واستعمل عسى بغير اسم ولا خبر ولم يستعملها تامّة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ
حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا
ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) ق: يدخل.

﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ الآية، ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله ﷺ لما كان يلقى من أذى الكفّار، فذكر ما لقي أول الرسل نوح من أذى قومه المدد المتطاولة، تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه. والواو في «ولقد» واو عطف، عطفت جملة على جملة. والاستثناء من الأَلْف استُدلّ به على جواز الاستثناء من العدد، وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف مذكور في النحو. واختُلف في مقدار عمره حين بُعث[1] وحين مات اختلافاً كثيراً.

قال ابن عطية: وقد يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة إقامته من لدن مولده إلى غرق قومه انتهى.

ليس عندي بمحتمل، لأن اللبث متعقّب[2] بالفاء الدالّة على التعقيب.

والضمير في «وجعلناها» يحتمل أن يعود على السفينة. وأفرد[3] «آية» وجاءت الفاصلة «للعالمين» لأن إنجاء السّفن أمر معهود، فالآية إنجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة، ولأنها بقيت أعواماً حتى مرّ عليها الناس ورأوها، فحصل العلم لهم بها، فناسب ذلك قوله «للعالمين».

وانتصب «إبراهيم» عطفاً على «نوحاً».

---

(١) ق: كان بعث.

(٢) ق: يتعلق.

(٣) ق: وإفراد.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ﴾ هذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لهم بحال أبيهم إبراهيم من رفض الأصنام والدعوى إلى عبادة الله تعالى.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ قال ابن عباس: هو نحت الأصنام وخلقها، سمّاها إفكاً توسّعاً من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة.

وقال مجاهد: هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ﴿ثُمَّ [ٱللَّهُ] يُنشِئُ﴾ هاتان جملتان مستأنفتان، إخبار من الله تعالى بالإعادة بعد الموت. وقدّم ما قبل[1] هاتين الجملتين على سبيل الدّلالة على إمكان ذلك. وإذا أمكن ذلك، وأخبر الصادق بوقوعه صار واجباً مقطوعاً بعلمه لا شكّ فيه.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: تردّون.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين ما أراد الله بكم. والظاهر أن قوله ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ من كلام الله تعالى حكاية عن إبراهيم، إلى قوله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]. وقيل: هذه الآيات اعتراض من كلام الله تعالى بين كلام إبراهيم والإخبار عن جواب قومه، أي: وإن تكذبوا محمداً.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ الآية، لمّا أمرهم بعبادة الله تعالى، وبيّن سفههم في عبادة الأوثان، وظهرت حجّته عليهم، رجعوا إلى الغلبة، فجعلوا القائم مقام جوابه فيما أمرهم به قولهم ﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾. والآمرون بذلك إمّا بعضهم لبعض، أو كبراؤهم قالوا لأتباعهم: اقتلوه فتستريحوا منه عاجلاً،

---

(١) ق: قيل.

(٢) الآيات ١٨-٢٣.

أو حرّقوه بالنّار، فإمّا أن يرجع إلى دينكم إذا أمضّته[(١)] النار، وإمّا أن يموت بها [٤٣٥/ب] إن أصرّ على قوله ودينه. وفي الكلام حذف تقديره: فقذفوه في النار، فأنجاه الله تعالى من النار. وفي ذلك إشارة إلى خلوصه من النار بعد إلقائه فيها. قال كعب: لم يحترق منه[(٢)] بالنّار إلا الحبل الذي أوثقوه به.

وجاء هنا الترديد بين قتله وإحراقه؛ فقد يكون ذلك من قائلَيْن: ناس أشاروا بالقتل وناس بالإحراق. وفي الأنبياء ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء] اقتصروا على أحد الشيئين وهو الذي فعلوه: رموه في النار ولم يقتلوه.

وقرىء: مودّةُ، بالرفع من غير تنوين. وبينكم بفتح النون على خبر «إنّ» و«ما» موصولة بمعنى الذي، أي: إن الأوثان التي اتخذتموها مودّة. وقرىء: مودّةً، منصوباً منوّناً. وبينكم، ظرف معمول «المودّة». وقرىء: مودّةَ، نصباً بغير تنوين مضافاً لقوله «بينكم».

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ الآية، لم يؤمن بإبراهيم أحد من قومه إلا لوط عليه السلام حين رأى النار لم تحرقه، وكان ابن أخيه، وسارة وكانت بنت عمّه. والضمير في «وقال» عائد على إبراهيم وهو الظاهر ليتناسق مع قوله ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾. وكان إبراهيم ابن خمس وسبعين سنة، وهو أول من هاجر في الله تعالى.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟

(١) في المطبوع: مضّته، وهو لغة.
(٢) ق: فيه.

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ... ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ
هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾
وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا
تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا
مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾
وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وانتصب «ولوطاً» بإضمار: اذكر، أو بالعطف على ﴿وَإِبْرَاهِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت]، أو بالعطف على ما عطف عليه «إبراهيم». استفهم أولاً وثانياً استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، وبيّن ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله ﴿إِنَّكُمْ[1] لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وإن كانت معيّنة أنها إتيان الذكور في أدبارهم - بقوله ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ [فقال ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ يعني في الأدبار].

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الولد بتعطيل الفروج ووطء أدبار الرجال.

قال الزمخشري[2]: «ما سبقكم بها» جملة مستأنفة مقرِّرة[3] - يعني لقبح تلك الفعلة انتهى.

ويظهر أنها جملة حالية، كأنه قال: أتأتون الفاحشة[4] مبتدعين لها غير

---

(١) ق: أئتكم.

(٢) الكشاف ٣: ٢٠٤.

(٣) ق: مقدّرة.

(٤) ق: الفاتحة.

مسبوقين بها. وفي عموم قوله «من أحد من العالمين» دليل على أنه لم يَنْزُ ذكر على ذكر قبل قوم لوط.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ أي: في مجلسكم الذي تجتمعون فيه. وهو اسم جنس إذ أنديتهم في مدائنهم كثيرة، ولا يُسمّى نادياً إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه، لم يُطلق عليه نادٍ إلا بمجاز.

و«المنكر» ما تنكره العقول والشرائع والمروءات من تضارطهم وتصافعهم وغير ذلك. وهم أول من لاط، [ونساؤهم أول] من ساحق(١).

ولمّا وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح أصرّوا على اللجاج في التكذيب، فكان جوابهم له أن قالوا: ائتنا بعذاب الله، قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به.

ثم استنصر لوط ربّه عليهم فبعث ملائكة لعذابهم ورميهم بالحاصب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ تقدم الكلام عليه(٢).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّن

---

(١) ق: ومن سحق.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٧ من هود.

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾».

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ الآية، أي: وإلى مدين أرسلنا. «وارجوا» أي: خافوا [٤٣٦/أ] جزاء اليوم الآخر من انتقام الله منكم.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ تقدم الكلام عليه(١).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ تقدم الكلام عليه(٢).

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ فالحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء، والصيحة لمدين وثمود، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح وفرعون وقومه(٣).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ والعنكبوت حيوان معروف، ووزنه فَعْلَلُوت،

---

(١) انظر تفسير الآية ٦٠ من البقرة.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٨ من الأعراف.

(٣) أصل العبارة للزمخشري، انظر الكشاف ٣: ٢٠٦.

ويؤنث ويذكّر. شبّه تعالى الكفّار في عبادتهم الأصنام وبنائهم أمورهم عليها بالعنكبوت التي تبني وتجتهد[١] وأمرها كله ضعيف متى مسّه أدنى هامة أذهبته، فكذلك[٢] أمر هؤلاء وسعيهم مضمحلّ لا قوّة له ولا معتمد.

قال الزمخشري[٣]: والغرض تشبيه ما اتّخذوه متّكلاً ومعتمداً في دينهم، وتولّوه من دون الله بما هو مَثَلٌ عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج [العنكبوت]. ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله «وإن أوهن[٤] البيوت لبيت العنكبوت» انتهى.

والذي يظهر هو تشبيه المتّخذ من دون الله وليًّا بالعَنبكوت المتّخذة بيتاً[٥]، فلا اعتماد للمتّخذ على وليّه من دون الله كما أن العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى، بل[٦] لو دخلتْ فيه خرقته. ثم بيّن حال بيتها، وأنه في غاية الوهن بحيث لا يُنتفع به، كما أن تلك الأصنام لا تنفع، فلا تحدث شيئاً البتّة.

والإشارة بقوله «وتلك» إلى الأمثال وما تقدّم من الأمثال في السّور.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: لا يعقل صحّتها وحسنها وفائدتها إلا العالمون.

---

(١) ق: يبني ويجتهد.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) الكشاف ٣: ٢٠٦.

(٤) ق: أهن.

(٥) عبارة ق: والنصّ يظهر في تشبيه المتّخذ من دون الله ولياً هو بالعنكبوت المتخذة وليًّا بيتاً.

(٦) ق: وسلني قل.

وكان جهلة قريش يقولون إن ربّ محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، وما علموا أن الأمثال تبرز[1] المعاني الخفيّة في الصّور الجليّة.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ
مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ
وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ
مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ
بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ الآية، «أهل الكتاب» اليهود والنصارى. [و«[بالتي] هي أحسن» الملاطفة[2] في الدعاء إلى الله تعالى والتّنبيه على آياته. «إلا الذين ظلموا» من لم يؤدّ جزية، ونصب الحرب، وصرّح بأن لله تعالى ولداً أو شريكاً، أو يده مغلولة. فالآية منسوخة في مهادنة من لم يحارب. «وقولوا[3] آمنا» هذا من المجادلة.

---

(١) ق: يبرز.

(٢) ق: من الملاطفة.

(٣) ق: وقوله.

وفي صحيح البخاري[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنّا بالله».

«وكذلك» أي: مثل إنزل تلك الكتب السابقة[2]. ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ [ٱلْكِتَٰبَ]﴾ هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: من أهل مكة. ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾[3] أي: بالقرآن إذ هو مذكور في كتبهم أنه ينزل على رسول الله ﷺ. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [٤٣٦/ب] مع ظهورها وزوال الشبهة عنها. ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: من بني إسرائيل وغيرهم.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل نزوله عليك. «من كتاب» أي: كتاباً، و«مِن» زائدة لأنها في متعلّق النّفي. «ولا تخطه» أي: لا تقرأ ولا تكتب بيمينك، وهي الجارحة التي يُكتب بها. وذكرها زيادة تصوير لما نُفي عنه من الكتابة.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كان يقرأ كتباً قبل نزول القرآن عليه، أو يكتب، لحصلت الريبة للمبطلين، إذ كانوا يقولون: حصّل ذلك الذي يتلوه ممّا قرأه قبلُ، وخطّه، واستحفظه. فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلُّقٌ ببعض شبهة. وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجّة فظاهرٌ فساده. و«المبطلون» أهل الكتاب.

(١) ٦: ٢٦٧٩.

(٢) ق: أي مثل ذلك الذي للكتب السابقة.

(٣) ق: يؤمنون به.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي: قريش. وبعض اليهود كانوا يُعلّمون[1] قريشاً مثل هذا الاقتراح ويقولون لهم: ألا يأتيكم بآية مثل آية موسى من العصا وغيرها.

﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ الظاهر أنه ردٌّ على الذين قالوا «لولا أنزل». أي: أوَلم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات - إن كانوا طالبين للحقّ غير متعنّتين - هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة، لا تزول ولا تضمحلّ؟.

[وقيل «أولم يكفهم» يعني اليهود]. ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ[ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يُتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك].

روي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا: يا محمد، من يشهد لك بأنك رسول الله؟ فنزلت ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[2]، أي: قد بلّغت وأنذرت، وأنكم جحدتم وكذّبتم، وهو العالم ما في السماوات والأرض، فيعلم أمري وأمركم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ قال ابن عباس: بغير الله[3].

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي

---

(١) ق: يعملون.

(٢) لم أجده.

(٣) بعده في ق كلام متصل بالآية ٥٨ التالية، نقلته هناك.

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أي: قريش في قولهم ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ[1] ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف] وهو استعجال على جهة التعجيز والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذي كان يتوعّدهم به الرسول عليه السلام. والأجل المسمّى: ما سمّاه الله تعالى وأثبتة في اللوح المحفوظ لعذابهم، وأوجبت الحكمة تأخيره.

ثم كرر فعلهم وقبحه وأخبر أن وراءهم جهنم تحيط بهم.

وانتصب «يوم يغشاهم» بمحيط.

﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ الآية، أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن قوله «يا عبادي» الآية، نزلت فيمن كان مقيماً بمكة، أُمروا بالهجرة عنها إلى المدينة. أي: جانبوا أهل الشرك واطلبوا أهل الإيمان.

ولمّا أخبر تعالى بسعة أرضه - وكان ذلك إشارة إلى الهجرة - وأمر بعبادته، فكان قد يتوهم متوهم أنه إذا خرج من أرضه التي نشأ فيها لأجل من حلّها من أهل الكفر [٤٣٧/أ] إلى دار الإسلام، لا يستقيم له فيها ما كان يستقيم له في أرضه، فربما أدّى ذلك إلى هلاكه - أخبر أن كلّ نفس لها أجل تبلغه، وتموت[2] في أي مكان حلّ، وأن رجوع الجميع إلى جزائه يوم القيامة.

---

(١) ليست الآية بهذه الألفاظ من قول كفار قريش.

(٢) ق: ويموت.

أجاز أبو البقاء[١] أن يكون «الذين» منصوباً بفعل محذوف يدلّ عليه «لنبوّئنهم».

وهذا لا يجوز لأنه لا يفسّر إلا ما يجوز له أن يعمل، ولا يجوز أن تقول زيداً لأضربنّ، فلا يجوز أن تقول: زيداً لأضربنّه، لما ذكرنا[٢].

وقرىء: لنبوّئنّهم، من المباءة[٣] وهي المرجع. والمعنى: لنجعلنّ لهم مكان مباءة أي: مرجعاً يأوون إليه.

﴿غُرَفًا﴾ أي: علالي.

وقرىء: لَنُثْوِيَنَّهم، من ثوى أي: أقام[٤]، وهو فعل لازم فدخلت عليه همزة التعدية، فصار يتعدّى إلى واحد. وقرىء مشدّداً[٥]، عدّي بالتضعيف فانتصبت «غرفاً» إما على إسقاط حرف الجر أي: في غرف، ثم اتّسع فحذف. وإما على تضمين الفعل معنى التّبوئة فتعدّى إلى اثنين، أو شبه الظرف المكاني المخصص بالمبهم فوصل إليه الفعل.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: على مفارقة أوطانهم والهجرة.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذان جماع الخير كلّه: الصبر وتفويض الأمور إلى الله تعالى.

---

(١) انظر إملاء ٢: ١٨٣.

(٢) ما تقدّم من تفسير هذه الآية ورد في ق في نهاية تفسير الآية ٥٢. وها هنا موضعه الصحيح.

(٣) ق: المياه.

(٤) ق: وأما ثوى فمعناه أقام.

(٥) أي: لَنُثَوِّيَنَّهم.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا
رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا
جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ
فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

ولما أمر رسول الله ﷺ من أسلم بمكّة بالهجرة خافوا الفقر فقالوا: أغربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم. فمثّل لهم بأكثر(١) الدّواب التي تقتات ولا تدّخر ولا تروّي(٢) في رزقها. و﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ من الحمل التي لا تنقل ولا تنظر(٣) في ادّخار. ثم قال ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ أي: على ضعفها. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: على قدرتكم على الاكتساب وعلى التحيّل في تحصيل المعيشة، ومع ذلك فرازقكم هو الله تعالى.

﴿وَمَا هَٰذِهِ﴾ الإشارة «بهذه» ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها. و﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾

(١) ق: بأكبر.
(٢) روّى في الأمر: نظر فيه وفكّر.
(٣) ق: لا ينقل ولا ينظر.

والحياة بمعنى واحد. وجعلت الدار الآخرة حيواناً[١] على المبالغة بالوصف بالحياة.

ولمّا ذكر تعالى أنهم مقرّون بالله تعالى إذا سئلوا مَن خلق العالم ومن[٢] نزّل من السماء ماءً؟ ذكر أيضاً حالة أخرى يرجعون فيها إلى الله تعالى، ويقرّون بأنه هو الفاعل لما يريد، وذلك حين ركوب البحر واضطراب أمواجه واختلاف رياحه.

﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ جواب «للمّا» أي: فاجأ التّنجية إشراكهم بالله تعالى، أي: لم[٣] يتأخر عنها ولا وقتاً.

والظاهر في «ليكفروا» أنها لام[٤] كي، وعطف عليه «وليتمتعوا». والمعنى: عادوا إلى إشراكهم ليكفروا، أي: الحامل لهم على الشرك كفرهم بما أعطاهم الله تعالى، وتلذّذهم بما مُتّعوا به من عَرَض الدّنيا، بخلاف المؤمنين، فلم يقابلوها إلا بالشكر لله تعالى على ذلك.

ثم ذكّرهم تعالى بنعمه حيث أسكنهم بلدة أمنوا فيها، لا يغزوهم[٥] أحد، ولا يستلب[٦] منهم، مع كونهم قليلي العدد قارّين في مكان غير ذي زرع. وهذه من أعظم النعم التي كفروا بها، وهي نعمة لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

---

(١) ق: حيا.
(٢) ق: وما.
(٣) ق: لمن.
(٤) ق: لم.
(٥) ق: يعروهم. وهو وجه؛ يقال: عراه: غشيه وألمّ به وأتاه طالباً.
(٦) ق: ينسلب.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ ﴾ أطلق المجاهدة ولم يقيّدها بمتعلّق، ليتناول المجاهدة في النفس. قال ابن عباس: جاهدوا أهواءهم في طاعة الله.

﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾ [٤٣٧/ب] أي: لنزيدنّهم هداية إلى سبيل الخير كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد]. و«الذين» مبتدأ خبره القسم المحذوف وجوابه وهو «لنهدينّهم».

سورة الروم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾.

﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية بلا خلاف. وسبب نزولها[2] أن كسرى بعث جيشاً إلى الروم، وأمّر عليهم رجلاً، واختُلف في اسمه، فسار إليهم بأهل فارس، فظفر وقتل وخرب وقطع زيتونهم. وكان التقاؤهم بأذرعات وبصرى، وكان قد بعث قيصر رجلاً أميراً على الروم. وفي البحر[3] ذكرت حكايه غلب الروم فارس.

قال ابن عطية: والقراءة بضم الغين أصحّ. وأجمع الناس على «سيَغْلبون» أنه بفتح الياء، يراد به الروم. وروي عن ابن عمر أنه قرأ أيضاً: سيُغلبون،

---

(١) مكية، وهي ستون آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص ٢٣١.

(٣) ٧: ١٦١.

بضم الياء. وفي هذه القراءة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات[١] انتهى.

قوله: وأجمعوا، ليس كذلك. ألا ترى أن الذين قرؤوا: غَلَبت، بفتح الغين هم الذين قرؤوا: سيُغلبون، بضم الياء وفتح اللام. فليست هذه مخصوصة بابن عمر كما ذكر.

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ تقدّم الكلام عليه في يوسف[٢]. والظاهر أن «ويومئذ» ظرف معمول «ليفرح» والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة أي: ويوم إذ يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون.

ثم ابتدأ الإخبار بفرح المؤمنين بالنصر.

﴿بِنَصۡرِ[٣] ٱللَّهِۚ﴾ أي: الروم على فارس، أو المسلمين على عدوّهم.

وانتصب «وعد الله» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهو قوله «سيغلبون» و«يفرح المؤمنون».

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الكفار[٤] من قريش وغيرهم.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ نفى عنهم العلم النافع للآخرة، وقد أثبت لهم العلم بأحوال الدنيا.

﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرًا﴾ أي: بيّناً، أي: ما أدّته إليهم حواسّهم، فكأن علومهم

---

(١) ق: الرواية.
(٢) انظر تفسير الآية ٤٢ من يوسف.
(٣) ق: وينصر.
(٤) ق: الكتاب.

إنما هي علوم البهائم.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ
وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ
ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ
تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ
شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ
يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ
يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي
ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ الظاهر أنها معلّقة، ومتعلّقها الجملة من قوله «ما خلق» إلى آخرها. و«في أنفسهم» ظرف على سبيل التأكيد، لأن الفكر لا يكون إلا في النفس كما أن الكتابة لا تكون إلا في اليد[1]. و«بالحق» في موضع الحال أي: ملتبسة بالحق مقترنة به، وبتقدير أجل مسمّى، لا بدّ لها أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب. والمراد ﴿ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ ﴾ الأجل المسمّى.

﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ هذا تقرير وتوبيخ، أي: قد ساروا ونظروا إلى ما حلّ بمن كان قبلهم من مكذّبي الرّسل.

---

(١) ق: تأكيد.

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزراعة [٤٣٨/ أ] وغير ذلك.

﴿وَعَمَرُوهَا﴾ من العمارة، أي: بقاؤهم فيها أكثر من بقاء هؤلاء، أو من العمران أي: سكنوا فيها.

وقرىء: عاقبةُ، بالرفع وهي اسم كان. و﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر، كأنه قال: عاقبة أمرهم. وخبر كان قوله «السوأى» وهي الحالة السيئة[١]. و﴿السُّوأَى﴾ أفعل تفضيل مؤنث، تذكيره الأسوأ، ويجوز أن يكون «السوأى» مصدراً منصوباً «بأساؤوا».

و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ هو الخبر أي: تكذيبهم بآيات الله. وقرىء: عاقبةَ، بالنصب على أنه خبر «كان»، واسمها يجوز أن يكون «السوأى».

ويجوز أن يكون «أن كذّبوا» أي: تكذيبُهم. فيكون «السوأى» مصدراً «لأساؤوا».

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون «أن» بمعنى أي. [ووجه] آخر وهو أن يكون «أساؤوا السوأى» بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايات، و«أن كذّبوا» عطف بيان لها، وخبر «كان» محذوف كما يحذف جواب لمّا ولو، إرادة الإبهام انتهى.

كون «أن» هنا حرف تفسير متكلّف جدّاً. وأما قوله: الخطايات، فهكذا هو في النسخة التي طالعناها؛ جَمَع جَمْع التكسير بالألف والتاء وذلك لا ينقاس إنما يُقتصر فيه على مورد السّماع. ولا يبعد أن تكون زيادة التاء في:

(١) ق: السببية.
(٢) الكشاف ٣: ٢١٦.

خطايات من الناسخ[1].

وأما قوله: و«أن كذبوا» عطف بيان لها - أي: «للسوأى» - وخبر «كان» محذوف إلى آخره، فهذا فهم أعجمي لأن الكلام مستقلّ في غاية الحسن بلا حذف فيتكلّف له محذوفاً لا يدلّ عليه دليل.

وأصحابنا لا يجيزون حذف خبر «كان» وأخواتها لا اقتصاراً [ولا اختصاراً] إلاّ إن ورد منه شيء فلا يقاس عليه.

﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا ينطقون.

﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ الروضة: الأرض ذات النبات والماء. ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسَرُّون. حَبَره: سرّه سروراً تهلّل له وجهه وظهر له أثره.

ومعنى ﴿مُحْضَرُونَ﴾ مجموعون له لا يغيب أحد منهم.

وجاء «في روضة» منكّراً، و«في العذاب» معرّفاً، والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه. وجاء ﴿يُحْبَرُونَ﴾ بالفعل المضارع لاستعماله للتجدّد، لأنهم كلّ ساعة يأتيهم ما يسرّون به من متجدّدات الملاذّ أو أنواعها المختلفة. وجاء «محضرون» باسم الفاعل[2] لاستعماله للثّبوت، فهم إذا دخلوا العذاب، يبقون فيه مُحْضَرين، فهو وصف لهم لازم.

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ
وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ

---

(١) هذا صحيح، وفي النسخة المطبوعة: أسوأ الخطايا. انظر الحاشية السابقة.

(٢) حملاً له على معنى: مقيمون.

إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ
وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ
أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ .

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى عظيم قدرته في خلق السماوات والأرض بالحق - وهي حالة لمبدأ العالم - وفي مصيرهم إلى الجنة والنار - وهي حالة الانتهاء - أمر تعالى بتنزيهه من كل سوء في هذه الأوقات. وقابل بالعشيّ الإمساء، وبالإظهار الإصباح، لأن كلاًّ منهما يعقب ما قابله؛ فالعشي يعقبه الإمساء، والإصباح يعقبه الإظهار.

ولمّا لم يتصرّف[1] من العشي فِعْل - لايقال أعشى، كما يقال [٤٣٨/ب] أمسى وأصبح وأظهر - جاء التركيب «وعشياً».

ولمّا ذكر الإبداء والإعادة[2] ناسب ذكره ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ وتقدّم

(١) ق: يصرف.

(٢) الآية ١١ المتقدمة.

الكلام عليه[١]. «وكذلك» أي: مثل ذلك الإخراج. والمعنى تساوي[٢] الإبداء والإعادة في حقّه تعالى.

ثم ذكر تعالى آياته من بدء خلق الإنسان آية[٣] آية إلى حين بعثه من القبر فقال ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ جعل خلقهم من تراب حيث كان خَلَق أباهم آدم من تراب.

و﴿تَنتَشِرُونَ﴾ تتصرفون في أغراضكم وأسفاركم. و«إذا» للمفاجأة. ولمّا كان بين الخلق وبين الانتشار رُتَب أُخر، كان العطف بثم المقتضية المهلة والتراخي.

وبدأ أولاً من الآيات بالنشأة الأولى وهي خلق الإنسان من التراب ثم كونه بشراً منتشراً وهو خَلْق حيّ من جماد. ثم أتبعه بأن خلق له من نفسه زوجاً، وجعل بينهما توادًّا وذلك خَلْق حيّ من عضو حيّ. وقال «لقوم يتفكرون» لأن ذلك لا يُدرَك إلا بالفكر في تأليف بين شيئين لم يكن بينهما تعارف.

ثم أتبعه بما هو مشاهد للعالم كلهم وهو خَلْق السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان. والاختلاف دائم بدوام الإنسان لا يفارق. وقال «للعالمين» لأنها آية مكشوفة للعالِم.

ثم أتبعه بالمنام والابتغاء وهما من الأمور المفارَقة في بعض الأوقات، بخلاف اختلاف الألسنة والألوان. وقال «لقوم يسمعون» لأنه لمّا كان من أفعال العبادة، قد يُتوهّم أنه لا يحتاج إلى مرشد، فنبّه على السّماع وجعل

---

(١) انظر تفسير الآية ٩٥ من الأنعام.

(٢) ق: يساوي.

(٣) ق: أنه.

البال من كلام المرشد[١].

ولما ذكر عرضيات الأنفس اللازمة والمفارقة، ذكر عرضيات الآفاق المفارقة من إراءة البرق وإنزال المطر، وقدّمهما على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء، كما قدّم السماوات على الأرض، وقدّم البرق على الإنزال لأنه كالمبشّر يجيء بين يدي القادم. والأعراب لا يعلمون البلاد المعشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب إلى جانب.

وقال ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأن البرق والإنزال ليس أمراً عادياً فيُتوهم[٢] أنه طبيعة؛ إذ قد يقع ذلك ببلدة دون أخرى، ووقتاً دون وقت، وقويًّا وضعيفاً. فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار، فقال: هو آية لمن عقل، وإن لم يتفكر تفكّراً تامّاً.

ثم ختم هذه الآيات بقيام السماوات والأرض وذلك من العوارض اللازمة؛ فإنّ كلاًّ من السماء والأرض لا يخرج عن مكانه، فيتعجّب من وقوف الأرض وعدم نزولها، ومن علوّ السماء وثباتها من غير عمد.

ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهي الخروج من الأرض. وذكر تعالى من [كل] باب أمرين: من الأنفس: خلقكم وخلق لكم، ومن [٤٣٩/أ] الآفاق: السماء والأرض، ومن لوازم الإنسان: اختلاف الألسنة واختلاف الألوان، ومن عوارضه: المنام والابتغاء، ومن عوارض الآفاق: البرق والمطر، ومن لوازمها[٣]: قيام السماء وقيام الأرض.

---

(١) كذا في الأصول.

(٢) ق: متوهم.

(٣) ق: لوازمهما.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الآية، «من في السماوات» عام في كونهم تحت ملكه وقهره.

﴿قَٰنِتُونَ﴾ قال ابن عباس: مطيعون، أي: في تصريفه لا يمتنع عليه شيء يريد فعله بهم من حياة وموت ومرض وصحّة، فهي طاعة الإرادة لا طاعة العبادة.

والضمير في «عليه» عائد إلى الله تعالى. وقيل: «أهون» للتفضيل وذلك بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون من البداءة للاستغناء عن الرويّة التي كانت في البداءة. هذا وإن كان الاثنان[1] عنده تعالى من اليسر[2] في حيّز واحد.

وقيل: الضمير في «عليه» عائد على «الخلق» أي: والعود أهون على الخلق، بمعنى أسرع لأن البداءة فيها تدريج من طور إلى طور إلى أن يصير[3] إنساناً. والإعادة لا تحتاج إلى هذه التّدريجات في الأطوار، إنما يدعوه الله تعالى فيخرج فكأنه قال: وهو أيسر عليه، أي: أقصر مدة وانتقالاً.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ

(١) ق: الاتيان.
(٢) ق: اليسير.
(٣) ق: تصير.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟
شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال ابن عباس: بيّن تعالى أمر الأصنام وفساد معتقد من يشركها بالله تعالى بضربه هذا المثل. ومعناه أنكم أيها الناس إذا كان لكم عبيد تملكونهم، فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ومهمّ أموركم، ولا في شيء على جهة استواء المنزلة، وليس من شأنكم أن تخافوهم[1] في أن يرثوا أموالكم، أو يقاسموكم[2] إياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض. فإذا كان هذا فيكم فكيف تقولون[3] إن من عبيده وملكه شركاء في سلطانه وألوهيّته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم؟. وجاء هذا المعنى في معرض السؤال والتقرير[4].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لكلمات الله[5].

و﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ بناء مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة.

و﴿۞ مُنِيبِينَ﴾ حال من ﴿ٱلنَّاسِ﴾. والظاهر أن ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كلّ من أشرك، فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم.

---

(١) ق: يخافوهم.
(٢) ق: يقاسمونكم.
(٣) ق: يقولون.
(٤) ق: والتقدير.
(٥) ق: لا تبديل لكلمات الله أي لخلق الله.

و﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل من «المشركين». ﴿ فَرَّقُواْ(١) دِينَهُمْ ﴾ أي: دين الإسلام، وجعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم. ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ كل فرقة(٢) تشايع إمامها الذي كان سبب ضلالها. ﴿ كُلُّ حِزْبٍ ﴾ أي: منهم فرح بمذهبه مفتون به. و«كل حزب» مبتدأ، و«فرحون» الخبر.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ
أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً
فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ
ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم ﴾ الآية، «الضّر»(٣) الشدّة من مرض أو فقر أو قحط أو غير ذلك. والرحمة: الخلاص من ذلك الضّر.

﴿ دَعَوْاْ رَبَّهُم ﴾ أفردوه(٤) بالدعاء والتضرّع لينجوا من ذلك الضّر، وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لا يكشف الضّر إلا هو تعالى، فلهم في ذلك الوقت إنابة وخضوع. [٤٣٩/ب] فإذا خلّصهم من ذلك الضّر أشرك فريق ممّن خلّص، وهذا الفريق هم عبدة الأصنام.

---

(١) ق: فارقوا.

(٢) ق: كانوا شيعاً كل فرق.

(٣) ق: الضير.

(٤) ق: أفردوا.

و«إذا فريق» جواب «إذا أذاقهم» الأولى شرطية والثانية للمفاجأة. وتقدّم نظيره[١].

وجاء هنا «فريق» لأن قوله ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ عامّ للمؤمن والكافر، فلا يُشرِك[٢] إلا الكافر. و«ضرّ» هنا مطلق.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا﴾ بمعنى بل والهمزة؛ بل: للإضراب عن الكلام السابق، والهمزة: للاستفهام عن الحجّة استفهام إنكار وتوبيخ. والسلطان: البرهان من كتاب أو نحوه.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أي: يظهر مذهبهم وينطق بشركهم. والتكلّم مجاز.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ في إصابة الرحمة فرحوا بها، وذهلوا عن شكر من أسداها إليهم، وفي إصابة البلاء قنطوا ويئسوا وذهلوا عن الصبر، ونسوا ما أنعم به عليهم قبل إصابة البلاء. و«إذا هم» جواب «وإن تصبهم» يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جواباً للشرط. ونظيره ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة].

ولا نعلم جاءت إذا الفجائية جواباً لإنْ الشرطية إلا في هذين الموضعين.

وقرىء: يَقْنِطون، مضارع قَنَط. ويَقْنَطون، مضارع قَنِط.

وحين ذكر إذاقة الرحمة، لم يذكر سببها وهو زيادة الإحسان والتّفضل.

وحين ذكر إصابة السّيئة ذكر سببها وهو العصيان، ليتحقّق عدله.

---

(١) انظر ٣: ١٢٠.

(٢) ق: تشرك.

ثم ذكر تعالى الأمر الذي من اعتبره لم ييأس[١] من روح الله [وهو] أنه تعالى هو الباسط والقابض، فينبغي ألّا يقنط وأن يتلقّى ما يرد من قبل الله تعالى بالصبر في البلاء والشكر في النعماء، وأن يقلع عن المعصية التي أصابته السيئة بسببها حتى تعود إليه رحمة ربه.

ومناسبة ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لما قبله أنه لمّا ذكر أنه تعالى هو الباسط القابض، وجعل في ذلك آية للمؤمن، أمر نبيّه عليه السلام بالإحسان لمن به فاقة واحتياج، لأن من الإيمان الشفقة على خلق الله. فخاطب من بسط له الرّزق بأداء حقّ الله تعالى من المال وصرفه إلى من يُصرف إليه في رحم أو غيره من مسكين.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ قال السدّي: نزلت في ربا ثقيف، كانوا يعملون [بالربا]، وتعمله قريش فيهم.

﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ أي: لا يزكو في المال ولا يبارك الله فيه، كقوله تعالى ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة]. وقرىء: أتيتم، بالقصر. وآتيتم، بالمد.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ التفات من الخطاب في «آتيتم» إلى الغيبة في قوله «فأولئك هم».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

---

(١) ق: يقاس.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآية، كرر تعالى خطاب الكفار في أمر أوثانهم، فذكر أفعاله التي لا يمكن أن يُدَّعى له فيها شريك، وهي الخلق والرزق والإماتة والإحياء، ثم استفهم على جهر التقرير لهم والتوبيخ، ثم نزّه نفسه تعالى عن مقالتهم.

و«الله الذي خلقكم» مبتدأ وخبر. و«مَن» مبتدأ موصولة [٤٤٠/أ] و«من شركائكم» الخبر. و«من شيء» مفعول، و«مِن» زائدة تقديره: شيئاً.

قال الزمخشري(١): هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أنداداً من الأصنام وغيرها من يفعل شيئاً قطّ من تلك الأفعال حتى يصحّ ما ذهبتم إليه؟ انتهى.

استعمل قطّ في غير موضعها، لأنها ظرف للماضي، وهنا جعلها معمولة ليفعل.

و«ذلكم» إشارة إلى ما تقدّم من الخلق والرزق والإماتة والإحياء.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ ظهوره بارتفاع البركات ونزول رزايا، وحدوث فتن، وتغلّب(٢) عدوّ كافر، وهذه الثلاثة توجد(٣) في البر والبحر.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: من المعاصي. وقرىء: لنذيقهم، بالنون

(١) الكشاف ٣: ٢٢٤.
(٢) ق: ويغلب.
(٣) ق: يوجد.

وبالياء.

و﴿سِيرُواْ﴾ تقدّم الكلام عليه[١].

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة، وفيه [تحذير] يعمّ الناس.

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ والمردّ مصدر ردّ. «يومئذ» أي: يوم إذ يأتي [ذلك] اليوم. «يصدعون»[٢] يتفرقون؛ فريق في الجنّة وفريق في السعير. يقال: تصدّع[٣] القوم إذا تفرقوا، ومنه الصّداع لأنه يفرّق شُعب الرأس.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاء كفره. وعبّر عن حالة الكافر بـ«عليه»[٤] وهي تدلّ على الثقل والمشقة، وعن حال المؤمن بقوله «فلأنفسهم» باللام التي هي كلامِ الملك. و«يمهدون» يوطّئون، وهي استعارة من الفرش.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ
وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ
يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ
يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ
أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا

---

(١) انظر تفسير الآية ١١ من الأنعام.

(٢) ق: يتصدعون.

(٣) ق: يصدع.

(٤) ق: فعليه.

تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ منصوب على الحال. ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾[1] معطوف عليه على التوهّم، كأنه قيل: ليبشّر وليذيق وتبشيرها إذاقة الرّحمة وهي نزول المطر، ويتبعه حصول الخصب والرّوح[2] الذي معه[3] الهبوب وإزالة العفونة من الهواء وتذرية[4] الحبوب وغير ذلك. و«بأمره» أي: بأمر الله تعالى. يعني أن جريانها لما كان مسنداً إليها أخبر أنه بأمره تعالى «من فضله» بما ينشىء لكم من الرّيح في التّجارات في البحر، ومن غنائم أهل الشرك.

ثم أنّس[5] رسول الله ﷺ، بأن ضرب له مثل من أرسل من الأنبياء، وتوعّد قريشاً، بأن ضرب لهم مثل من أهلك من الأمم الذين أجرموا وكذّبوا الأنبياء. ولما كان تعالى بيّن الأصلين المبدأ[6] والمعاد ببراهين، ذكر الأصل الثالث وهو النبوّة. وفي الكلام حذف تقديره: فآمن به بعض وكذّب بعض فانتقمنا من الذين أجرموا.

وفي قوله ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ تبشير للرسول عليه السلام وأمّته بالنصر والظّفر؛ إذ أخبر أن المؤمنين بأولئك الأنبياء نُصروا. وفي لفظة «حقًّا» مبالغة في

(١) ق: ولنذيقكم.
(٢) الرَّوح: نسيم الرّيح.
(٣) ق: مع.
(٤) ق: وتذرونه.
(٥) ق: أيس.
(٦) ق: المذا.

التّحتّم وتكريم للمؤمنين وإظهار لفضيلةِ سابقةِ الإيمان، حيث جعلهم مستحقّين النّصر والظفر.

والظاهر أنّ «حقّاً» خبر «كان»، و«نصر المؤمنين» الاسم [٤٤٠/ب] وأُخّر لكون[١] ما تعلّق به فاصلة، وللاهتمام بالخبر إذ هو محطّ الفائدة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ هذا متعلق بقوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم] والجملة التي بينهما اعتراض جاءت تأنيساً للرسول عليه السلام وتسلية ووعداً بالنصر ووعيداً لأهل الكفر. وفي إرسالها قدرة وحكمة؛ أما القدرة فإن الهواء اللطيف الذي يسبقه البرق يصير بحيث يقلع الشجر ويهدم البناء، وهو ليس بذاته يفعل ذلك بل بفاعل مختار. وأما الحكمة ففيما يفضي[٢] إليه نفس الهبوب من إثارة السحب وإخراج الماء منه وإنبات الزّرع ودرّ الضّرع واختصاصه بناسٍ دون ناس. وهذه حكمة بالغة معذوقة بالمشيئة[٣]. والإثارة: تحريكها وتسييرها[٤]. والبسط: نشرها في الآفاق. والكِسَف: القِطَع.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ تقدّم الكلام عليه[٥]. والضمير في «من خلاله» الظاهر أنه عائد على السحاب إذ هو المحدَّث عنه. وذكّر الضمير لأنّ السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه.

---

(١) ق: لكونه.

(٢) ق: يقضي.

(٣) أي مقرونة بها.

(٤) ق: وتيسيرها.

(٥) انظر تفسير الآية ٤٣ من النور.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أخبر تعالى عن تقلّب ابن آدم في أنه بعد الاستبشار بالمطر، بعث[1] الله ريحاً، فاصفرّ بها النّبات. لظلّوا[2] يكفرون: قلقاً منهم. والريح التي يصفرّ بها النبات حَرور أو حرْجف[3]، وهما مما يصبح به النبات هشيماً. والحرجف: الشمال إذا عصفت.

والضمير في «فرأوه»[4] عائد على ما يُفهم من سياق الكلام وهو النبات.

واللام في «ولئن» مؤذنة بقسم محذوف، وجوابه «لظلوا». وهو ممّا وُضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعاً، تقديره: لَيَظَلُّنَّ.

والضمير في «بعده» عائد على الاصفرار، أي: من بعد اصفرار النبات يجحدون نعمته.

وتقدم الكلام على قوله ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ[5]﴾ في أواخر النمل[6]. إلا أنّ هنا الربط بالفاء في قوله «فإنك».

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ

(١) ق: بعد.
(٢) ق: فظلّوا.
(٣) الحرور: الريح الحارة، والحرجف: الباردة.
(٤) ق: قراره.
(٥) ق: مبلسون.
(٦) انظر تفسير الآيتين ٨٠-٨١ في النمل.

وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم
بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا
يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الآية، لمّا ذكر من دلائل الآفاق ما ذكر، ذكر شيئاً من دلائل الأنفس، وجعل الخَلْق من ضعف] لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفولته، كقوله تعالى ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]. والقوة التي تلت الضّعف هي رعرعته[1] ونماؤه وقوّته إلى فصل الاكتهال[2]. والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم. وقرىء: ضعف، بضم الضاد وفتحها.

﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ هي جواب القسم، وهو على المعنى؛ إذ لو حكى قولهم كان يكون التركيب: ما لبثنا غير ساعة. أي: ما أقاموا تحت التّراب غير ساعة، أو ما لبثوا في الدنيا. استقلّوها لما عاينوا من أمر الآخرة. وإخبارهم بذلك هو على جهة التقوّل بغير علم، أي: على جهة النسيان والكذب.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يُصرفون [٤٤١/أ] عن قول الحق والنطق بالصدق.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث. و«العلم» يعمّ

(١) ق: عرعرته.
(٢) ق: الاكهال.

الإيمان وغيره، ولكنْ نصّ على هذا الخاصّ تشريفاً وتنبيهاً على محلّه من العلم.

وقيل «في كتاب الله» في اللوح المحفوظ.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم إذ يقع ذلك من أقسام الكفار وقول أولي العلم لهم.

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ في إزالة ما سألوه ممّا هم فيه.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا[١] ﴾ إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان[٢] بما فوق الكفاية من الإنذار.

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ ﴾ أي: مثل هذا الطبع. «يطبع الله» أي: يختم على قلوب الجهلة الذين ختم الله عليهم بالكفر في الأزل. وأسند الطبع إلى ذاته تعالى إذ هو فاعل ذلك ومقدّره.

ثم أمره تعالى بالصبر عليهم وعلى عداوتهم، وقوّاه بتحقيق الوعد، وأنه لا بدّ من إنجازه[٣] والوفاء به. ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم والتّحرك، فإنهم لا يقين لهم ولا بصيرة.

---

(١) ق: صرفنا.

(٢) ق: وإتيان.

(٣) ق: اتّخاذه.

سورة لقمان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١ ﴾.

﴿ الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ الآية، هذه السورة مكّية، قال ابن عباس: إلاّ ثلاث آيات أوّلهن ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٢). وسبب نزولها أن قريشاً سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن برّ والديه فنزلت. ومناسبتها لما قبلها أنه قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ۝٥٨ ﴾(٣) [الروم]. فأشار

---

(١) مكية وآياتها أربع وثلاثون.

(٢) الآيات ٢٧-٢٩.

(٣) ق: ولقد صرفنا.

هنا إلى ذلك بقوله «ألّم تلك آيات الكتاب الحكيم». وكان في آخر تلك ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ ﴿٥٨﴾﴾ وهنا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴿٧﴾﴾ [لقمان]. و«تلك» إشارة إلى البعيد، فاحتمل أن يكون ذلك البعد غايته وعلوّ شأنه.

و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن أو اللوح المحفوظ.

ولمّا ذكر من صفات القرآن الحكمة، وأنّه هدى ورحمة، وأنّ متّبعه فائز، ذكر حال من بدّل[1] بطلب الحكمة اللهو، وذكر مبالغته في ارتكابه حتى جعله مشترياً له وباذلاً فيه رأس عقله. وذكر علّته وأنّها الإضلال عن طريق الله تعالى. ونزلت[2] هذه الآية في النضر بن الحارث كان يتّجر إلى فارس ويشتري كتب الأعاجم، فيحدّث قريشاً بحديث رستم واسفنديار ويقول: أنا أحسن حديثاً.

و«مَن» في قوله ﴿مَن يَشْتَرِى﴾ موصولة؛ بدأ أولاً بالحمل على اللفظ فأفرد في قوله «من يشتري» و«ليضل» و«ويتخذها»، ثم جمع على المعنى في قوله «أولئك لهم»، ثم حمل على اللفظ فأفرد في قوله «وإذا تتلى» إلى آخر الضمائر. وضمّن[3] هذه الآية ذمّ هذا المشتري من وجوه: التولّي[4] عن الحكمة، ثم الاستكثار، ثم عدم [٤٤١/ب] الالتفات إلى سماعها، كأنه غافل عنها، ثم الإيغال في الإعراض بكون أذنيه كأنّ فيهما صمماً يصدّه عن السّماع.

و«كأن لم يسمعها» حال من الضمير في «مستكبراً» أي: مُشْبِهاً حال

---

(١) ق: يدلّ.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٣٢.

(٣) ق: ويضمن.

(٤) ق: التولية.

من لم يسمعها لكونه لا يجعل لها بالاً ولا يلتفت إليها. و«كأنْ» هي المخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واجب الحذف. و«كأنّ في أذنيه» حال من «لم يسمعها».

وانتصب «وعد الله» على أنه مصدر مؤكد والعامل فيه محذوف تقديره: وَعَد الله. و«حقاً» منصوب بمحذوف تقديره: أحقّ حقًّا. وكلاهما مؤكّد لما قبلهما.

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تقدّم الكلام على ذلك[1]. والزّوج الصّنف.

ومعنى ﴿ كَرِيمٍ﴾ مدحه بكرمِ[2] جوهرِه ونفاستِه وحُسْنِ منظره.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. وبّخ بذلك الكفّار وأظهر حجّته عليهم. والخَلْق بمعنى المخلوق، كقولهم: درهم ضَرْب الأمير أي: مضروبه.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ
بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ
وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ
عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾
يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى

(١) انظر تفسير الآية ٢ من الرعد.
(٢) ق: مدحته لكرم.

ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ الآية، اختُلف في لقمان هل كان حرًّا أم عبداً، أم نبيًّا أم رجلاً صالحاً، اختلافاً كثيراً مذكوراً[1] في البحر[2]. و«الحكمة» المنطق الذي يُتّعظ به ويُتنبّه ويتناقله الناس. «أن اشكر» هي المخفّفة من الثقيلة، أو مفسِّرة «لنفسه» أي: ثواب الشكر لا يحصل إلا للشاكر، وكُفْر من كَفَر لا يضرّه. و«حميد» مستحق الحمد لذاته وصفاته.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ الناصب «لإذ»: اذكر، محذوفة. واختُلف في اسم ابنه اختلافاً كثيراً.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ جملة حاليّة. قيل: كان ابنه وامرأته كافرَيْن، فما زال يعظهما حتى أسلما.

والظاهر أنّ قوله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ من كلام لقمان. وقيل: هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متّصل به في تأكيد المعنى. وفي صحيح مسلم[3] ما ظاهره أنه من كلام لقمان.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ هذه الآية اعتراض بين أثناء وصية لقمان. وفيها تشديد وتوكيد لاتّباع الولد والده وامتثال أمره في طاعة الله تعالى.

---

(١) ق: مذكور.

(٢) انظر ٧: ١٨٦.

(٣) ١: ١١٤، وأخرجه من حديث عبد الله.

والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت[١] نزلتا في سعد بن أبي وقّاص، وعليه جماعة من المفسّرين. ولمّا خصّ الأمّ بالمشقّات من الحمل والنفاس والرّضاع والتّربية، نبّه على السبب الموجب للإيصاء بها، ولذلك جاء في الحديث[٢] الأمر ببرّ الأمّ ثلاث مرّات ثم ذكر الأب فجعل له الرّبع من المبرّة[٣].

﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ قال ابن عباس: شدّة بعد شدّة وخَلقاً بعد خلق.

﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ ومعناه فِطَامُه، أي: في تمام عامين، عبّر عنه بنهايته. وأجمعوا على اعتبار العامين في مدة الرّضاع في باب الأحكام والنفقات. وأما في تحريم اللبن [٤٤٢/أ] في الرّضاع فخلاف مذكور في الفقه.

﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ﴾ تقدّم الكلام عليه في العنكبوت[٤]. وانتصب «معروفاً» على أنه صفة لمصدر محذوف أي: صحاباً أو مصاحَباً معروفاً وعشرة جميلة، وهو إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا ومواراتهما إذا ماتا.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي: رجع إلى الله وهو سبيل الرسول ﷺ لا سبيلهما.

﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: مرجعك ومرجعهما فأجازي كلاًّ منكم بعمله.

ولمّا نهى لقمان ابنه عن الشّرك نبّه على قدرة الله تعالى، وأنه لا يمكن أن

(١) الآية ٨. وانظر القرطبي ١٣: ٣٢٨، ١٤: ٦٣.
(٢) رواه البخاري ٥: ٢٢٢٧ من حديث أبي هريرة، ومسلم ٤: ١٩٧٤ من حديثه أيضاً.
(٣) ق: من المبرة وهنا. وكتب فوقها: كذا.
(٤) انظر تفسير الآية ٨ من العنكبوت، ولم يأت على ذكره.

يتأخّر عن مقدوره شيء فقال ﴿ يَبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾. والظاهر أن الضمير في «إنها» ضمير القصة، و«تك» مضارع كان، حذفت نونها، وهي تامّة، و﴿مِثۡقَالَ﴾ فاعل «بِتَكُ». وأنّث الفعل لإضافة الفاعل إلى مؤنث كما قالوا: تواضعت سور المدينة. «من خردل» في موضع الصفة «لحبّة». «فتكن» معطوف على «تك»[1] وهي تامّة، اسمها مضمر فيها أي: فتكن هي، والخبر «في صخرة».

وبدأ أوّلاً بما يتعقّله الإنسان وهي كينونة [الشيء] في صخرة، وهو ما صَلُب من الحجر وعَسُر إخراجه منها، ثم أتبعه بالعالم العلوي، وهو أغرب للسّامع، ثم أتبعه بما يكون مقرّ الأشياء للشاهد وهو الأرض. «يأت بها الله» جواب الشرط.

لمّا نهاه أوّلاً عن الشّرك، أمره بما يتوسّل به إليه من الطاعات، فبدأ بأشرفها وهو الصلاة، ثم بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن. «إن ذلك» إشارة إلى ما تقدّم ممّا نهاه عنه وأمره به.

والعزم مصدر، فاحتمل أن يكون يراد به المفعول، أي: من معزوم الأمور، واحتمل أن يراد به الفاعل أي: عازم الأمور كقوله ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ ﴿٢١﴾﴾ [محمد].

وقرىء: ولا تصاعر. ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ﴾ معناه لا تُوَلِّهم شقّ وجهك كفعل المتكبّر، وأَقْبِلْ على الناس بوجهك من غير تكبّر ولا إعجاب.

---

(١) ق: تلك.

﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تقدّم الكلام عليه في سبحان[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ تقدّم الكلام عليه في النساء[2].

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ لمّا نهاه عن الخلق الذميم، بأمره بالخلق الكريم، وهو القصد في المشي، بحيث لا يبطىء كما يفعل المتنامسون[3] والمتعاجبون؛ يتباطؤون في نقل خطواتهم: المتنامس للرّياء والمتعاجب[4] للترفّع - ولا يُسرع كما يفعل الخَرِق المتهوّر. والغضّ من الصوت: التنقيص من رفعه وجهارته. والغضّ: ردّ طموح الشيء كالصوت والنظر والزّمام. وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت وتمدح به في الجاهلية.

والظاهر أنّ قوله ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ من كلام لقمان لابنه [٤٤٢/ب] تنفيراً[5] له عن رفع الصوت. وقيل: هو من كلام الله تعالى ردّ به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت.

وقيل ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ إشارة إلى الأفعال، ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ إشارة إلى الأقوال، فنبّه على التوسّط في الأفعال وعلى الإقلال من فضول الكلام.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا

(١) انظر تفسير الآية ٣٧ من الإسراء.
(٢) انظر تفسير الآية ٣٦ من النساء.
(٣) في اللسان «نمس»: المتنامسون: المتسارّون.
(٤) ق: المتعاجب.
(٥) ق: تنفير.

قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ
كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا
ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟[1] أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ﴾ تنبيه على الصفة الدالّة على الصّانع.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ ﴾ تقدّم الكلام عليه[3]. ولمّا ذكر حال الكافر المجادل، ذكر حال المسلم، وأخبر بأن منتهى الأمور صائر إليه تعالى.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قالت اليهود: إن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وخلّفها فينا ومعنا. فقال الرسول عليه السلام: التوراة وما فيها من الأنباء قليل في علم الله تعالى. فنزلت هذه الآية[4].

ولمّا ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر.

---

(١) ق: تر.

(٢) انظر تفسير الآية ٨ من الحج.

(٣) انظر تفسير الآية ١١٢ من البقرة.

(٤) انظر أسباب النزول ص٢٣٣.

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلا كخَلْق نفس واحدة وبعثها.

و«من شجرة» تبيينٌ «لما» الموصولة. و«أقلام» خبر «لأنّ».

وقرىء: والبحرَ، بالنصب على الاشتغال، أو عطفاً على «ما»، وبالرفع على الابتداء والجملة حاليّة. «ما نفدت» جواب لو. «من بعده» أي: من بعد نفاد ما فيه.

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لا يراد به الاقتصار على هذا العدد، بل جيء به للكثرة، كقوله[1] «المؤمن يأكل في مِعىً واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» لا يراد به العدد بل ذلك إشارة إلى القلّة والكثرة.

ولما كان لفظ «سبعة» ليس موضوعاً في الأصل للتكثير وإن كان مراداً[2] به هنا التكثير [جاء] مميَّزه بلفظ القلّة وهو «أبحر» ولم يقل: بحور، وإن كان لا يراد به أيضاً إلا التكثير ليناسب[3] بين اللفظين، فكما تجوّز في «سبعة» واستعمل للتكثير، كذلك تجوّز في «أبحر» واستعمل للتكثير.

وفي الكلام جملة محذوفة يدلّ[4] عليها المعنى، تقديره: وكتب بها الكُتّاب كلمات الله ما نفدت. والمعنى: ولو أن أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، ما نفدت ونفدت الأقلام والمداد الذي في البحر وفيما يمدّه، كما قال ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

---

(١) رواه مسلم ٣: ١٦٣١ من حديث جابر وابن عمر، ومن حديث أبي موسى.
(٢) ق: كان من أدائه.
(٣) ق: لتناسب.
(٤) ق: تدلّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، [جاء] هنا «إلى أجل» ويدلّ على الانتهاء، أي: يبلغه وينتهي إليه، وفي الزمر[1] ﴿لِأَجَلٍ ﴿٥﴾﴾ ويدلّ على الاختصاص، فجعل الجريَ مختصّاً بإدراكِ أجلٍ مسمّى.

وجَرْي الشمس مختصّ بأجزاء السّنة، وجري القمر بأجزاء الشهر، فكلا المعنيين مناسب لجريهما، فلذلك عدّي بهما.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

و﴿صَبَّارٍ[٤٤٣/أ]شَكُورٍ﴾ بُنيتا مبالغة. وفعّال أبلغ لزيادة حروفه.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي: مؤمن يعرف حقّ الله تعالى في هذه النعم. وختم هنا ببنيتي مبالغة وهما «ختار» و«كفور». فالصّبار الشكور معترف بآيات الله تعالى، والختّار الكفور يجحد بها. وتوازنت هذه الكلمات لفظاً ومعنى؛ أما لفظاً فظاهر. وأما معنىً فالختّار هو الشديد الغدر، والغدر لا يكون إلا من

---

(١) الآية ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٥﴾﴾ [الزمر].

(٢) تقدم مثيل هذه الآية في الحج: ٦٢، وتجاوزها المصنّف هناك دون تفسير.

قلّة الصبر، لأن الصابر يفوّض أمره إلى الله تعالى، وأمّا الغدّار فيعهد ويغدر فلا يصبر على العهد. وأما الكفور فمقابلة معنى الشكور واضحة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ولمّا ذكر تعالى الدلائل على وحدانيّته والحشر في أول السّورة، أمر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا اليوم العظيم.

﴿ لَّا يَجْزِى ﴾ لا يقضي، ومنه قيل للمتقاضي المتجازي.

ولمّا كان الوالد أكثر شفقة على الولد، من الولد على أبيه بدأ به أوّلاً. وأتى في الإسناد إلى الولد باسم الفاعل لأنه يدلّ على الثّبوت، والثبوت يصدق بالمرة الواحدة. والجملة من «لا يجزي» صفة ليوم، والضمير محذوف أي: فيه. فإمّا أن يحذف برمّته وإما على التدريج، حذف حرف الجر فتعدى الفعل إلى الضمير وهو منصوب فحذف.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية، يروى أن الحارث بن عمارة المحاربي قال: يا رسول الله، أخبرني عن الساعة متى قيامها؟. وإني قد ألقيت حبّاتي في الأرض، وقد أبطأتْ عنّا السّماء فمتى تمطر؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت على ما في بطنها أذكر أم أنثى؟ وعلمتُ ما عملتُ أمس فما أعمل

غداً؟ وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت؟ فنزلت[١].

وفي الحديث[٢] «خمس[٣] لا يعلمهنّ إلاّ الله - وتلا هذه الآية -». و«عِلْم» مصدر أضيف إلى «الساعة»، والمعنى: عِلْم تعيين وقتها.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في إبّانه من غير تقديم ولا تأخير.

﴿مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ من ذكر أو أنثى، تامّ أم ناقص.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ برّة أو فاجرة. ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ، وربّما عزمت على أحدهما، فعملت بضدّه.

﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ربما أقامت بمكان ناويةً أن لا تفارقه[٤] إلى أن تُدفن به، ثم تُدفن بمكان لم يخطر لها ببالٍ قطّ.

وأسند العلم ﷻ تعالى والدّراية[٥] للنفس؛ لما في الدراية من معنى الخَتْل والحيلة. ولذلك وُصف الله تعالى بالعالِم ولا يوصف بالدّاري. و«بأي» متعلق «بتموت». والباء ظرفية أي: في أيّ أرض، فالجملة في موضع نصب «بتدري». ووقع الإخبار بأن الله تعالى استأثر[٦] بعلم هذه الخمس لأنها جواب لسائل سأل، وهو مستأثر بعلم أشياء لا يحصيها إلا هو تعالى.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٧٠، وقارن بالبخاري ٤: ١٧٩٣.

(٢) أخرجه أحمد من حديث بريدة الأسلمي، انظر الفتح الرّباني ١٨: ٢٣٠. وكذا أخرجه البخاري ٦: ٢٦٨٧ من حديث ابن عمر.

(٣) ق: في خمس.

(٤) ق: يفارقه.

(٥) ق: فالدراية.

(٦) ق: استأمن.

سورة السجدة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ
خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨
ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ
كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ۝١١﴾.

﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقال ابن عباس: إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة(٢). ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر تعالى فيما قبلها دلائل التوحيد من بدء الخلق وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر وهو الأصل الثاني وختم به السورة - ذكر في بدء هذه

---

(١) مكية وهي ثلاثون آية.

(٢) هي الآيات ١٨-٢٠، انظر البحر ٧: ١٩٦.

السورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة. و«الكتاب» هو القرآن. والظاهر أن تكون «تنزيل» مبتدأ، و«لاريب فيه» اعتراض، و«من رب العالمين» الخبر.

قال الزمخشري[١]: «من رب العالمين» متعلق «بتنزيل»، وفي الكلام تقديم وتأخير. ويجوز أن تتعلق بقوله «لاريب» أي: لا شكّ فيه من جهة الله تعالى. فإن وقع شكّ الكفرة فذلك لا يراعى. والريب: الشّك، وكذا هو في كل القرآن إلا قوله ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور] انتهى.

إذا كان «تنزيل» خبر مبتدأ وكانت الجملة اعتراضية بين ما افتقر إلى غيره وبينه، لم يُقل فيه إنّ فيه تقديماً وتأخيراً، بل لو تأخر لم يكن اعتراضاً. وأما كونه متعلقاً «بلا ريب» فليس بالجيد، لأن نفي الريب عنه مطلقاً هو المقصود لأن المعنى: لامدخل للريب فيه إنه تنزيل الله تعالى، لأنّ موجب نفي الريب عنه موجود وهو الإعجاز، وهو أبعد شيء من الرّيب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ تقدّم الكلام عليه[٢].

و﴿مِن رَّبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي: كائناً من عند ربك. وبه يتعلق «لتنذر» أو بمحذوف تقديره: أنزله والقوم هنا قريش والعرب. و«ما» نافية. و«من نذير» «من» زائدة و«نذير» فاعل «أتاهم». أخبر تعالى أنه لم يبعث إليهم رسولاً بخصوصيّتهم قبل محمد ﷺ لا لهم ولا لآبائهم، لكنهم كانوا متعبّدين بملة إبراهيم وإسماعيل، ومازالوا على ذلك إلى [أن] غيّر ذلك بعض رؤسائهم، وعبدوا الأصنام، وعمّ ذلك، فهم مندرجون تحت قوله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر] أي: شريعته ودينه. والنذير ليس

(١) ليس في الكشاف.
(٢) انظر تفسير الآية ٣٨ من يونس.

مخصوصاً بمن باشر، بل يكون نذيراً لمن باشره ولغير[١] من باشره، فالعرب ممّن سبق لها نذير ولم يباشرهم نذير غير محمد ﷺ.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تقدم الكلام عليه[٢].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ واحد الأمور، أي: ينفذ الله قضاءه بجميع ما يشاؤه.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يصعد خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره - أنْ لو سِيْرَ فيه السير [٤٤٤/أ] المعروف من البشر - ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام. والضمير في «مقداره» عائد على التدبير؛ أي: كان مقدار التدبير المقضيّ[٣] في يوم، ألف سنة لو دبّره البشر.

وقرىء: خَلْقه، بسكون اللام وهو بدل اشتمال من قوله «كل» التقدير: أحسن خَلْق كل شيء. وقرىء بفتح اللام فعلاً ما ضياً، فالضمير المنصوب فيه إن عاد على «كلّ» كانت الجملة صفة له في موضع نصب، وإن عاد على «شيء» كانت الجملة في موضع جرّ صفة له.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي: ذريته، نسل من الشيء: انفصل منه.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: قَوَّمَهُ. وأضاف الروح إلى ذاته دلالة على أنه خَلْق عجيب، لايعلم حقيقته إلا الله تعالى، وهو إضافة مِلْك إلى مالك وخَلْق إلى خالقٍ تعالى.

---

(١) ق: وبعين.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٤ من الأعراف.

(٣) ق: المقتضى.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ التفات، إذ هو خروج من مفرد غائب إلى جمع مخاطب. وتعديد النعم وهي شاملة لآدم كما أنّ التسوية ونفخ الرّوح شامل له ولذريّته.

و«قليلاً» نعت لمصدر محذوف. و«ما» زائدة والتقدير: تشكرون[1] شكراً قليلاً.

والظاهر أن الضمير في «وقالوا» للجمع، وقيل: القائل أبّي بن خلف، وأُسند إلى الجمع لرضاهم به. والناصب للظرف محذوف، يدلّ عليه المعنى، تقديره أنُبْعَثُ إذا ضللنا في الأرض؟ وهو استفهام استبعاد واستهزاء.

وأصلّه: مِن ضَلَّ الماء في اللبن إذا ذهب فيه.

﴿أَءِنَّا﴾ استفهام استبعاد واستهزاء أيضاً.

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ إضراب عن معنى استفهامهم كأنه قال: ليسوا مستفهمين بل هم كافرون جاحدون بلقاء الله والصيرورة إلى جزائه.

ثم أمره تعالى أن يخبرهم بجملة الحال غير مفصّلة من قبض أرواحهم، ثم عَوْدهم إلى جزاء ربهم بالبعث.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ
هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا

(١) ق: يشكرون.

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ
أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الظاهر أنه خطاب للرسول عليه السلام، وقيل: له ولأمّته؛ أي: ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب.

قال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ، وفيه وجهان: أن يراد به التّمني كأنه قيل: وليتك ترى. والتمنّي له كما كان التّرجي له في ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة] لأنه تجرّع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم، فجعل الله تمنّي أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة[2] من الحياء والخزي والغمّ ليشمت[3] بهم. وأن تكون «لو» الامتناعية[4] قد حذف جوابها وهو: لرأيت أمراً فظيعاً. ويجوز أن يخاطَب به كل أحد كما تقول: فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد به مخاطباً [٤٤٤/ب] بعينه وكأنك قلت: إن أُكرم وإن أُحسن إليه انتهى.

والتمنّي في هذا الموضع بـ«لو» بعيد، وتسمية لو الامتناعية ليس بجيد، بل العبارة الصحيحة في «لو» أنها لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة سيبويه. وقوله: قد حذف جوابها وتقديره: وليتك ترى، مما يدلّ على أنها إذا كانت

---

(١) الكشاف ٣: ٢٤٢.

(٢) ق: القطعية.

(٣) ق: لتشمت.

(٤) ق: لولا متناعنه.

للتّمني لا جواب لها. والصحيح أنها إذا أُشربت معنى التّمني يكون لها جواب كحالها إذا لم تُشْرَبْه؛ وقال الشاعر[١]:

فلو نُبش المقابرُ عن كُليبٍ ... فتخبرَ بالذّنائب أيّ زيرِ
بيومِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ[٢] عيناً ... وكيف لقاءُ مَن تحت القبورِ

وقال الزمخشري[٣]: وقد تجيء «لو» في معنى التّمني كقولك: لو تأتيني فتحدّثني، كما تقول: ليتك تأتيني. فقال ابن مالك: إن أراد به الحذف - أي: وددت تأتيني - فصحيح، وإن أراد أنها موضوعة للتّمني فغير صحيح؛ لأنها لو كانت موضوعة له لما جاز أن يجمع بينهما وبين فعل التّمني، لايقال: تمنّيت ليتك تفعل، ويجوز[٤]: تمنّيت لو تقوم. ولذلك امتنع الجمع بين لعلّ وأترجّى وبين إلا وأستثني.

﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مطرقوها من الذّل والحزن والهم والغمّ والنّدم.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: عند مجازاته، وهو مكان شدّة الخجل؛ لأن المربوب إذا أساء ووقف بين يدي ربّه كان في غاية الخجل.

﴿رَبَّنَآ﴾ على إضمار: يقولون ربنا. ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نكذّب ﴿وَسَمِعْنَا﴾ ما كنّا ننكر.

﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ أي: إلى الدنيا. ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي بالبعث.

---

(١) البيتان لمهلهل بن ربيعة في الكامل ١: ٣٦٠.

(٢) ق: فيوم الشعثين أقر.

(٣) الكلام بمعناه لا بنصّه في الكشاف ٣: ٢٤٢.

(٤) ق: ونحو وتمنيت.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ الآية، أي: اخترعنا الإيمان فيها كقوله ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣١﴾﴾ [الرعد].

﴿فَذُوقُوا﴾ مفعوله محذوف أي: العذاب. والكاف في «كما»[١] للتعليل لا للتشبيه. و«ما» مصدرية أي: لنسيانكم. والمراد بنسيانهم إهمالهم وغفلتهم وعدم الفكر في[٢] لقاء جزاء ربّهم. و«هذا» صفة «ليومكم».

ثم قال ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ على المقابلة، أي: جازيناكم جزاء نسيانكم، وذوقوا العذاب المخلّد في جهنم.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ أي: ترتفع وتتنّحى، يقال: جفا الرجل الموضع: تركه، وتجافى الجنب عن الموضع: تركه. و«المضاجع» تقدم الكلام عليه[٣]. و«يدعون»[٤] حال. و«خوفاً وطمعاً» مفعول من أجله، أو مصدران في موضع الحال.

و«ما» مفعولة «بتعلم» موصولة. وقرىء: أُخْفِيَ، فعلاً ماضياً مبنيًّا للمفعول، ومفعوله ضمير يعود على «ما». وقرىء: أُخْفِيْ، مضارع أَخْفَى. و«من قرة» تبيين لما انبهم في «ما». و«جزاء» مفعول من أجله.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي

---

(١) كذا وردت عبارة المصنف، وهو سهو منه.

(٢) ق: عن.

(٣) انظر تفسير الآية ١٥٤ من آل عمران.

(٤) ق: تدعون.

كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في علي والوليد بن عقبة [٤٤٥/أ] تلاحيا، فقال له الوليد: أنا أذلق منك لساناً وأَحَدُّ سناناً وأَرَدُّ للكتيبة. فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فنزلت[١].

وأريد هنا بالمؤمن والفاسق الجنس، ولذلك جاء جمعاً في قوله «لا يستوون».

والفاسق هنا هو الكافر، ويبيّنه أنه فسق الكفر التقسيم بعد ذلك.

ثم بيّن عدم الاستواء بمقرّ كل واحد منهما وهو أنّ المؤمن له الجنّة والفاسق له النّار.

قال الزمخشري[٢]: ويصحّ أن يراد: فجنّة[٣] مأواهم النار، أي: النّار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين، كقوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران] [انتهى.

هذا فيه بُعْد، وإنما يُذهب إليه في مثل «فبشّرهم بعذاب أليم»] إذا كان مصرّحاً به، فنقول: قام مقام التبشير العذاب، وكذلك قام مقام التحيّة ضرب

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٣٥، ولباب النقول ص١٧٠.

(٢) الكشاف ٣: ٢٤٤.

(٣) ق: بجنّة.

وجيع[١]. أمّا أن تضمر شيئاً الكلام مستغنٍ عنه، جارٍ على أحسن وجوه الفصاحة حتى يُحمل الكلام على إضمار، فليس بجيد.

و﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هو الأقرب إليهم في الدنيا من القتل والسّلب والنّهب والأسر.

و«العذاب الأكبر» عذاب[٢] يوم القيامة في النار.

قال ابن عطية: ولا خلاف أن العذاب عذاب الآخرة انتهى.

وفي كتاب التحرير: وأكثرهم على أن «العذاب الأكبر» عذاب يوم القيامة في النار، وقيل: هو القتل والسّبي والأسر. وعن جعفر بن محمد أنه خروج المهدي بالسيف.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣].

﴿مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [عامّ في كل مجرم]. و«من» متعلقة «بمنتقمون».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى
لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى
مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى

---

(١) إشارة إلى قول عمرو بن معد يكرب في شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٨١:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيّـةُ بينهـم ضـربٌ وجيـعُ

(٢) ق: عدام.

(٣) تقدم مثيل هذه الجملة في الآية ٥٧ من الكهف، وتجاوزها المصنف دون تفسير.

ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم
مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، لمّا قرر الأصول الثلاثة: الرسالة وبدء الخلق والمعاد، عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة، أي: لست بدعاً في الرسالة، بل سبقك رسل. وذكر[1] موسى عليه السلام لقرب زمانه. والظاهر أن الضمير في «لقائه» عائد على «موسى» مضافاً إليه على طريق المفعول. والفاعل محذوف ضمير الرسول، أي: من لقائك موسى، أي: في ليلة الإسراء، أي: شاهدته حقيقة وهو النبي الذي أوتي التوراة.

وقرىء: لمّا، حرف وجوب لوجوب، وجوابه متقدم عليه وهو «وجعلناه». وقرىء: لِمَا، بكسر اللام وتخفيف الميم، وهي لام العلّة وما مصدرية، تقديره: بصبرهم.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه في طه[2]، إلا أن هنا «من قبلهم» و«أفلا يسمعون»، وهناك ﴿قَبْلَهُم﴾ و﴿لِأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾. و«يسمعون» و«النّهى» من الفواصل جاء كلّ منهما مطابقاً لما قبله وما بعده من الفواصل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ أقام تعالى الحجّة على الكفرة بالأمم السالفة الذين كفروا، فأُهلكوا، ثم أقامها عليهم بإظهار قدرته [٤٤٥/ ب] وتنبيههم

---

(١) ق: وسبق.

(٢) في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه].

على البعث.

«الجُرُز» تقدّم الكلام عليه في الكهف[١]. وكلّ أرض جرز داخلة في هذه، فلا تخصيص لها بمكان معيّن. قال ابن عباس: هي أرض أَبْيَن[٢] من اليمن.

﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بالماء. وخصّ الزّرع بالذّكر وإن كان يخرج الله تعالى به أنواعاً كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتَفَع به في الطّب وغيره، تشريفاً للزرع، ولأنه أعظم ما يُقصد من النّبات. أو أوقع الزّرع موقع النبات. وقدّمت الأنعام لأنّ ما ينبت تأكله الأنعام أولاً فأولاً من قبل أن يأكل بنو آدم الحبّ؛ ألا ترى أن القصيل وهو شعير يُزرع تأكله الأنعام قبل أن يُسبل[٣]، وغير ذلك يأكله الأنعام قبل بني آدم. أو لأنه غذاء الدوابّ، والإنسان قد يتغذّى بغيره من حيوان وغيره. أو بدأ[٤] بالأدنى ثم ترقّى إلى الأشرف وهم بنو آدم.

و﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾ الحكم وهو الذي يترتب عليه قوله ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾ إلى آخره. وقيل: فتح مكّة [وهو غير سديد] لعدم مطابقته ما بعده؛ لأنّ من آمن يوم فتح مكّة ينفعه إيمانه.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب. ولمّا عرف غرضهم في سؤالهم على سبيل الهزء، قيل لهم: لا تستعجلوا ولا تستهزئوا. و«يوم» منصوب بـ «لا ينفع». وقيل: إنهم منتظرون العذاب، وهذا حكمهم وإن كانوا لا يشعرون.

---

(١) انظر تفسير الآية ٨ من الكهف.

(٢) انظر الروض المعطار ص١١، ومعجم ما استعجم: ١٠٣/١.

(٣) أسبل الزرع: خرج سنبله.

(٤) ق: بدئ.

سورة الأحزاب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ
ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ
لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ
وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ
وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ
مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ
لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الأية، هذه السورة مدنية. وسبب نزولها[2] روي أنه لمّا قدم المدينة وكان

---

(١) مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص ٢٣٦.

يحب إسلام اليهود، فبايعه ناس منهم على النفاق. وكان يُلين لهم جانبه، وكانوا يظهرون النصائح في طرق المخادعة. ولخلقه الكريم وحرصه على ائتلافهم ربما كان يسمع منهم، فنزلت تحذيراً له منهم وتنبيهاً على عداوتهم.

ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة وهو أنه حكى أنهم يستعجلون الفتح وهو الفصل[١] بينهم، وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم، فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله تعالى ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به. «إن الله كان عليماً» بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة. «حكيما» لا يضع الأشياء إلا[٢] في مواضعها بالحكمة.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ روي أنه كان في بني فهر رجل منهم يقال له أبو معمر جميل بن أسد يدّعي [٤٤٦/أ] أنّ له قلبين، ويقال له ذو القلبين. وكان يقول: أنا أذكى من محمد وأفهم. فلما بلغَتْه[٣] هزيمة بدر طاش لبّه وحدّث أبا سفيان بحديث كالمخبَّل[٤] فنزلت[٥].

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ﴾ لم يجعل تعالى الزوجة المظاهر منها أمّاً لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذلّ، والزوجة مستخدمة متصرَّف فيها بالاستفراش وغيره كالملوك، وهما حالتان متنافيتان. وقرىء: اللاّيِ واللائي واللاءِ واللاتي. وقرىء: تظاهرون، بالتاء للخطاب. وفي المجادلة[٦] بالياء

(١) ق: الفضل.
(٢) ق: إلى.
(٣) ق: بلغت.
(٤) رجل مخبَّل: فيه فساد في عقله.
(٥) انظر لباب النقول ص١٧١. وأسباب النزول ص٢٣٦.
(٦) ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۝٢﴾.

للغيبة، مضارع ظاهَرَ. وبشدّ الظاء والهاء، وبشّد الظاء وألف بعدها.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ كانوا في الجاهلية وصدراً من الإسلام إذا تبنّى الرجل ولد[1] غيره صار يرثه. وأدعياء: جمع دعيّ بمعنى مفعول، وقياسه أن يُجمع على فَعْلى كقتيل وقتلى، لكنهم شبّهوه بتقيّ فجمعوه على أفعلاء كتقيّ وأتقياء. «ذلكم» أي: دعاؤهم أبناءً مجرد قول لا حقيقة لمدلوله، إذ لا يواطىء اللفظ الاعتقاد، إذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي: ما يوافق ظاهراً وباطناً.

﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الحق وهو قوله ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾.

والضمير في «هو» عائد على المصدر المفهوم من قوله «ادعوهم» أي: دعاؤهم لآبائهم ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: أعدل. ولمّا أمر بأن يُدعى المتبنَّى لأبيه إن عُلم قالوا: زيد بن حارثة.

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ ولذلك قالوا: سالم مولى أبي حذيفة.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم إخوانكم.

﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ أي: فيما ليس صواباً وهو تبنّي من ليس ابناً له. و«ما» عطفٌ بقوله «ولكن» على «ما أخطأتم][2]. وقيل «ما» موصولة في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: فيه الجُناح. والتّعمد هنا نسبة الولد إلى الشخص بعد النّهي عن ذلك.

---

(١) ق: بولد.

(٢) أي: ولكن الجناح فيما تعمّدت قلوبكم.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كونه عليه السلام أولى بهم أي: أرأف بهم وأعطف عليهم، إذ هو يدعوهم إلى النجاة وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك. ومنه قوله عليه السلام[1] «أنا آخذ بِحُجَزِكم[2] عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحّم الفراش».

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ أي: مثل أمهاتهم في التوقير والاحترام، وفي بعض الأحكام من تحريم نكاحهن وغير ذلك ممّا جرين فيه مجرى الأجانب. وظاهر قوله «وأزواجه» كلّ من أطلق عليها أنها زوجة له عليه السلام، من طلّقها ومن لم يطلّقها، ومن دخل بها ومن لم يدخل بها. وقيل: لا يثبت هذا الحكم لمطلّقته. وقيل: من دخل بها يثبت حرمتها قطعاً. [٤٤٦/ب] وهمّ عمر رضي الله عنه برجم امرأة فارقها رسول الله ﷺ ونكحت بعده، فقالت له: ولِمَ هذا وما ضرب عليّ حجاباً ولا سُمّيت للمسلمين أمّا؟[3] فكفّ عنها.

كان أولاً بالمدينة توارث بأخوّة الإسلام وبالهجرة، ثم حكم تعالى بأن أولي الأرحام أحقّ في التّوارث من الأخ في الإسلام أو بالهجرة.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ أو في القرآن.

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: أولى من المؤمنين الذين كانوا يتوارثون بمجرّد الإيمان، ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون بالهجرة. وهذا هو الظاهر، فتكون «مِن» هنا كهي في: زيد أفضل من عمروٍ.

والظاهر عموم قوله ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم﴾ فيشمل جميع أقسامه من قريب وأجنبي من المؤمنين يحسن إليه ويصله في حياته ويوصي له إذا مات.

---

(١) أخرجه البخاري ٥: ٢٣٧٩ من حديث أبي هريرة.

(٢) الحُجَز: جمع حجزة، وهي معقد الإزار.

(٣) ق: إماما.

وهذا الاستثناء في قوله ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾ هو ممّا يُفهم من الكلام؛ أي: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في النفع بميراث وغيره. وعُدّي «بإلى» لأن المعنى: إلاّ أن توصلوا إلى أوليائكم.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما في الآيتين[١].

﴿مَسۡطُورٗا﴾ أي: مثبتاً بالأسطار. وهذه الجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام.

ولمّا كان ما سبق[٢] أحكاماً عن الله تعالى، وكان فيها أشياء ممّا كانت في الجاهلية وأشياء في الإسلام نسخت، أتبعه بقوله ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ أي: في تبليغ الشرائع والدعاء إلى الله تعالى، فلستَ بدعاً في تبليغك الرسالة عن الله تعالى.

وخصّ هؤلاء الخمسة بالذكر بعد دخولهم في جملة النّبيين قيل: وهم أولو العزم لشرفهم وفضلهم على غيرهم. وقُدّم محمد ﷺ فيهم لكونه أفضلهم وأكثرهم تابعاً. وقُدّم نوح في آية الشورى في قوله ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾[٣] الآية، لأنّ إيراده على خلاف الإيراد هنا؛ أورده على طريق وصف دين الإسلام بالأصالة فكأنه قال: شرع الدين الأصيل الذي بُعث عليه نوح في العهد القديم، وبُعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث، وبُعث عليه من توسّط بينهما من الأنبياء المشاهير.

والميثاق الثاني هو الأول، وكرّر لأجل صفته. والغلظ من صفة الأجسام،

---

(١) ق: الاثنين.

(٢) ق: شق.

(٣) الآية ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

واستعير للمعنى مبالغة في حرمته وعظمه وثقل فرط تحمّله.

﴿لِيَسْئَلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: المؤمنين التابعين الرُّسل. وفيه التفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب في «ليسأل» وفي «وأعدّ». واللام هي لام كي.

﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: عن إيمانهم واتّباعهم الرّسل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، ذكّرهم نعمته عليهم في غزوة الخندق وما اتّصل بها من أمر [٤٤٧/أ] بني قريظة. وقد استوفى ذلك أهل السِّيَر، ونذكر منها ماله تعلّق بالآيات التي نفسّرها[١]. و«إذ» معمولة «لنعمة» أي: إنعامه عليكم وقت مجيء الجنود. والجنود كانوا عشرة آلاف: قريش ومَن تابعهم من الأحابيش في أربعة آلاف، يقودهم أبو سفيان، وبنو أسد يقودهم طليحة، وغطفان يقودهم عيينة، وبنو عامر يقودهم عامر بن الطّفيل، وسليم يقودهم أبو الأعور، واليهود النضير [يقودهم] رؤساؤهم حييّ بن أخطب وابنا أبي الحقيق، وبنو قريظة سيدهم كعب بن أسد. وكان بينه وبين الرسول عليه السلام عهد فنبذه بسعي حيّي بن أخطب. قيل: فاجتمعوا خمسة عشر ألفاً وهم الأحزاب، ونزلوا بالمدينة. فحفر الخندق بإشارة سلمان، وهو من عمل الفرس، وظهرت للرسول عليه السلام به تلك

(١) ق: يفسّرها.

المعجزة العظيمة من كسر[١] الصخرة التي أعوزت الصحابة ثلاث فِرَق، ظهرت مع كل فرقة بَرْقة، أراه[٢] الله تعالى منها مدائن كسرى وما حولها، ومدائن قيصر وما حولها، ومدائن الحبشة وما حولها، وبشّر بفتح ذلك. وأقام الذّراري والنّساء بالآطام[٣]، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون في ثلاثة آلاف فنزلوا بظهر سَلْع[٤] والخندق بينهم وبين المشركين.

وكان ذلك في شوّال سنة خمس، قاله ابن إسحاق[٥]. وقال مالك: سنة أربع. قيل: بعث الله تعالى الصَّبا لنصرة نبيّه عليه السلام فأضرّت بهم؛ هدمت عليهم بيوتهم، وأطفأت نيرانهم، وقطعت حبالهم، وأكفأت قدورهم، ولم يُمْكنهم معها قرار. وبعث الله تعالى مع الصَّبا ملائكة تشدّد الرّيح وتفعل نحو فعلها.

﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق غطفان.

﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش. تحزّبوا وقالوا: نكون جملة حتى نستأصل محمداً، فنصره الله تعالى عليهم.

وزَيْغ الأبصار: مَيْلها عن مستوى نظرها فِعْل الواله الجَزِع.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ قيل: إذا انتفخت الرئة من شدّة الفزع والغضب أو الغمّ الشديد، رَبَتْ، وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس

(١) ق: كبيرة.
(٢) ق: أراده.
(٣) الآطام: الحصون، جمع أطم.
(٤) سَلْع: جبل بالمدينة.
(٥) السيرة النبوية ٣: ٢٣٠.

الحنجرة. ومن ثمّ قيل للجبان: انتفخ سَحْرُه[١].

والظنون: جمع لما اختلفت متعلّقاته، جُمع وإن كان لاينقاس عند سيبويه جَمْع المصدر إذا اختلفت متعلّقاته، وينقاس عند غيره. وقد جاء الظنون جمعاً في أشعارهم؛ أنشد أبو عمروٍ في كتاب الألحان[٢]: [من الوافر]

إذا الجـوزاءُ أردَفَـتِ الثّـريـا   ظننـتُ بـآل فـاطمـةَ الظّنـونـا

و«هنالك» ظرف مكان للبعيد هذا أصله فيُحمل عليه. أي: في ذلك [المكان] الذي وقع فيه الحصار والقتال ابتلي المؤمنون. والعامل [٤٤٧/ ب] فيه «ابتلي». وقيل: تزلزلوا، فثبتوا، وصبروا حتى نُصروا، وحُرّكوا إلى الفتنة فعُصموا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا
غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ
عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ
كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن
يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن
ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ
إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ

---

(١) انتفخ سحره: أي: ملّ وجبن.

(٢) البيت لخَزِيمة بن نهد في التهذيب واللسان «قرظ».

حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ .

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وهم المظهرون للإيمان المبطنون(١) الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فهم على حرف. والعطف دالّ على التغاير، نبّه عليهم على جهة الذّم.

لمّا ضرب رسول الله ﷺ [الصخرة] وبرقت تلك البوارق، وبشّر بفتح فارس والرّوم واليمن والحبشة، قال معتب بن قشير: يعدنا محمد أن يفتتح كنوز كسرى وقيصر ومكة، ونحن الآن لا يقدر أحدنا أن يذهب إلى الغائط! ما يعدنا إلاّ غرورا !. أي: أمراً يغرّنا به، ويوقعنا فيه بشيء لا طاقة لنا به.

وقولهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ هو على سبيل الهزء؛ إذ لو اعتقدوا أنه رسوله حقيقة ما قالوا هذه المقالة، فالمعنى: ورسوله على زعمكم وزعمهم. وفي مُعَتّب ونظرائه نزلت هذه الآية(٢).

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: في حومة القتال والممانعة.

﴿فَٱرْجِعُواْ﴾ إلى بيوتكم ومنازلكم، أمروهم بالهروب عن رسول الله ﷺ. وقيل: فارجعوا كفاراً إلى دينكم الأول وأسلموه إلى أعدائه.

---

(١) ق: المتظنون.

(٢) انظر لباب النقول ص ١٧٢، ودلائل النبوّة ٣: ٤٢٠.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ هو أوس بن قبطي، استأذن في الدخول إلى المدينة عن اتفاق من عشيرته. «يقولون» حال أي: قائلين. «إن بيوتنا عورة» أي: منكشفة للعدوّ. وقيل: خالية للسُّراق. أعور المنزل: انكشف.

وقال ابن عباس: الفريق: بنو حارثة وهم كانوا عاهدوا الله أن لا يولّوا[1] الأدبار، اعتذروا بأن بيوتهم عورة معرّضة للعدوّ ممكنة للسّراق لأنها غير محرزة[2] ولا محصّنة، فاستأذنوه ليحصنوها ويرجعوا إليه، فأكذبهم الله تعالى بأنهم لا يخافون[3] ذلك، وإنما يريدون الفرار.

وقرىء لا مُقام، بضم الميم أي: لا موضع إقامة. وبفتح الميم أي: موضع قيام وثبوت.

والضمير في ﴿دُخِلَتْ﴾ الظاهر عَوْده على البيوت لأنها أقرب مذكور، أي: ولو دخلها الأحزاب الذين يفرّون خوفاً منها وانثالت على أهاليهم وأولادهم.

﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: الردّة والرجوع إلى إظهار الكفر ومقاتلة المسلمين.

﴿لَأَتَوْهَا﴾ أي: لجؤوا إليها.

وقرىء: لأتوها، بالقصر معناه: [لجاؤوها]. وبالمدّ لأعطوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ قدر ما يكون السؤال والجواب من غير توقف.

و﴿عَـٰهَدُواْ﴾ أجري مجرى اليمين، ولذلك تُلُقّي بقوله ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾. وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى، ولو جاء

---

(١) ق: تولّو.

(٢) غير محرزة: غير محصنة.

(٣) ق: تخافون.

كما لفظوا به لكان التركيب: لا نولّي الأدبار. والذين عاهدوا[١] بنو حارثة وبنو سلمة وهما الطائفتان [٤٤٨/أ] اللّتان همّا بالفشل يوم أحد، ثم تابوا وعاهدوا أن لا يفرّوا، فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ خطاب وتوبيخ وإعلام أن الفرار لا ينجي من القدر، وأنه تنقطع أعمارهم في يسير من المدة. وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: إن فررتم من الموت أو القتل لا ينفعكم الفرار، لأنّ مجيء الأجل لا بدّ منه. و«إذاً» هنا تقدّمها حرف عطف فلا يتحتّم إعمالها بل الفصيح أن لاتنصب[٢]. و«من ذا» استفهام، ركّبت ذا مع من، وفيه معنى النفي أي: لا أحد يعصمكم من الله.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ كانوا - أي: المنافقون - يثبّطون إخوانهم من ساكني المدينة من نَصْر رسول الله ﷺ، يقولون: ما محمد وأصحابه إلا أَكَلة رأس[٣]، ولو كانوا لحماً لا لتهمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلّوهم.

وقال ابن زيد: انصرف رجل من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد شقيقه، عنده شواء ونبيذ. فقال له: أنت هاهنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف[٤]؟. فقال: هلمّ إلى[٥] [هذا] فقد أحيط بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً. فقال كذبت، والذي يحلف به لأخبرنّه بأمرك. فذهب ليخبره فوجد جبريل عليه السلام قد نزل بهذه

(١) ق: عاهد.

(٢) ق: ينصب.

(٣) أي هم قليل يشبعهم رأس واحد.

(٤) ق: والصفوف.

(٥) ق: إلي.

الآية[١].

و﴿ هَلُمَّ ﴾ تقدم الكلام عليه في آخر الأنعام[٢].

قال الزمخشري[٣]: وهلمّوا إلينا: أي: قرّبوا أنفسكم إلينا. قال: وهو صوت سمّي به فعل متعدٍّ مثل أحضِرْ وقرِّب انتهى.

الذي عليه النحويون أنّ هلّم ليس صوتاً، وإنما هو مركّب مختلف في أصل تركيبه، فقيل: هو مركب[٤] من ها التي للتنبيه والميم، وهو مذهب البصريين. وقيل: من هل وأم. والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو.

وأما قوله: سُمّي به فعل متعدٍّ ولذلك قدّر هلّم إلينا أي: قرّبوا أنفسكم إلينا - فالنحويون يقولون إنه متعدٍّ ولازم. فالمتعدّي كقوله ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام] أي: أحضروا شهداءكم، [واللازم] كقوله «هلمّ إلينا» أي أقْبِلوا إلينا.

«أشحة» جمع شحيح وهو البخيل، وهو جمع لا ينقاس. وقياسه في الصفة المضعّفة العين واللام: أفعلاء، نحو خليل وأخلاّء. فالقياس أشحّاء وهو مسموع أيضاً. والصواب أن يعمّ شحّهم بكلّ ما فيه منفعة للمؤمنين.

﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ ﴾ من العدوّ وتوقّع أن يستأصل أهل المدينة، لاذ هؤلاء المنافقون بك، ينظرون نظر الهلوع المختلط النّظر الذي يُغشى عليه من الموت.

---

(١) انظر القرطبي ١٤: ١٥٢، والطبري ٢١: ٨٩.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٠ من الأنعام.

(٣) الكشاف ٣: ٢٥٥.

(٤) مختلف في أصل تركيبه فقيل هو مركب. العبارة مكررة في ق.

و﴿تَدُورُ﴾ في موضع الحال، أي: دائرةً أعينهم. ﴿كَالَّذِى﴾ في موضع الصفة لمصدر محذوف وهو مصدر مشبّه [٤٤٨/أ] أي دوراناً كدوران عين الذي يغشى[١] عليه، فبعد الكاف محذوفان وهما: دوران وعين.

﴿سَلَقُوكُم﴾ بسطوا ألسنتهم فيكم.

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [إشارة إلى ما حصل للمؤمنين من الظفر والغنيمة.

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾] إشارة إلى المنافقين، أي: لم يكن لهم قطّ إيمان. والإحباط: عدم قبول إيمانهم فكأنها محبطة.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: هل ثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط؟. قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان [باللسان] إيمان إلى آخره، انتهى.

في كلام الزمخشري «عسى» صلة «لمن» وهو لا يجوز.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ جملة في موضع المفعول الثاني «ليحسبون» أي: هم من الجزع بحيث هزم الله الأحزاب فرحلوا[٣] وهم يحسبون أنهم لم يرحلوا.

﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرّة ثانية تمنّوا لخوفهم ممّا مُنُوا به هذه الكرّة أنهم مقيمون في البدو مع الأعراب، وهم أهل العمود يرحلون[٤] من قطر إلى

(١) ق: تغشى.
(٢) الكشاف ٣: ٢٥٥.
(٣) ق: فدخلوا وهم يحسبون أنهم لم يدخلوا.
(٤) ق: أهل العهود يدخلون.

قطر.

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ مَنْ قَدِمَ [من] المدينة عمّا جرى عليكم من قتال الأحزاب، يتعرفّون أحوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، فَرَقاً وجبناً. وغرضهم من البداوة أن يكونوا سالمين من القتال ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتالٌ لم يقاتلوا إلا قليلاً تعلّة ورياءً وسمعة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية، الظاهر في قوله «لكم» عموم الخطاب للمؤمن ولمن يظهر الإيمان. والأسوة: القدوة[1]، وقرىء بضمّ الهمزة وكسرها. و«لمن» بدل من قوله «لكم» بدل بعض من كلّ. فكما نصركم وآزركم[2] حتى قاتل بنفسه عدوّكم، يجب

(١) ق: القدرة.

(٢) ق: فكما يضركم ووازركم.

عليكم[1] أن تنصروه وتؤازروه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه ولا عن مكان هو فيه.

قال الزمخشري[2]: «لمن كان يرجو» بدل من «لكم» كقوله ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ۝٧٥﴾ [الأعراف] [انتهى].

لا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يُبْدَل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر في بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة. وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش، ويدل عليه قول الشاعر[3]: [من البسيط]

بكم قريشٍ كُفينا كلَّ معضلةٍ وأَمَّ نهجَ الهدى من كان ضِلّيلا

ولمّا بيّن تعالى حال المنافقين وقولهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ [الأحزاب] بيّن حال المؤمنين وقولهم ضدّ ما قال المنافقون.

وعن ابن عباس: قال النبي[4] ﷺ لأصحابه «إن الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً - أي: في آخر تسع ليالٍ أو عشر - فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك».

﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ قال ابن عباس: «نحبه» موته، ومشهور في اللغة أن قولهم: قضى نحبه كناية عن الموت كماقال ابن عباس.

---

(١) ق: عدوكم.

(٢) الكشاف ٣: ٢٥٦.

(٣) البيت من شواهد شذور الذهب ص٤٤٣ غير منسوب، وفي ق: بكم قريشاً.

(٤) انظر الكافي الشّاف ص١٣٣.

وقال الشاعر[١]: [من الطويل]

[٤٤٩/أ] فَوَجْدي بسلمى مثلُ وَجْدِ مرقّشٍ ... بأسماءَ إذ لا تستفيق عواذلُهْ
قضى نحبه وجداً عليها مرقّشٌ ... وعُلِّقْتُ من سلمى خبالاً[٢] أماطلُهْ

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: الأحزاب عن المدينة، والمؤمنين إلى بلادهم. «يغيظهم» أي: مغيظين فهو حال. والباء للمصاحبة. و«لم ينالوا» حال ثانية أو من الضمير [في] «بغيظهم» فتكون حالاً متداخلة.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ بإرسال الريح والجنود وهم الملائكة، فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار. و«كفى» هنا بمعنى وفي يتعدى لاثنين، وإذا كانت بمعنى حسب فالأكثر في لسان العرب أن يكون الفاعل مصحوباً بالباء الزائدة نحو كفى بالله. والقليل حذف هذه الباء كما قال الشاعر[٣]:
[من الطويل]
عميرةَ وَدِّعْ إن تجهّزت غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: أعانوا قريشاً ومن معهم من الأحزاب.

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هم يهود بني قريظة، وقيل: بنو النضير. و«من أهل الكتاب» بيان لقوله «الذين ظاهروهم».

و﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ متعلق بقوله «وأنزل». «من صياصيهم» أي: من حصونهم واحدها صَيْصِيَة وهي كل ما يُتَمنَّع به. والصّياصي أيضاً: شوك

(١) البيتان لطرفة في ديوانه ص١٢٤..
(٢) ق: خبالاً.
(٣) البيت لسحيم في ديوانه ص١٦.

الحاكة ويتّخذ من حديد[١].

وقذف الرعب سبب لإنزالهم، ولكنه قدّم المسبب[٢]، لمّا كان السرور بإنزالهم أكثر والإخبار به أهمّ قُدّم. وقال رجل[٣]: يا رسول الله، مرّ بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج. فقال: ذلك جبريل عليه السلام بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرّعب في قلوبهم.

ولما[٤] رجعت الأحزاب جاء جبريل عليه السلام وقت الظهر فقال: إن الله تعالى يأمركم بالخروج إلى بني قريظة. فنادى في الناس: لا يصلينّ أحد الظهر إلا في بني قريظة. فخرجوا إليها، فمصلٍّ في الطريق، رأى أنّ ذلك خرج مخرج التأكيد والاستعجال، ومصلٍّ بعد العشاء، وكلٌّ مصيب. فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ الأوسي لحلفٍ[٥] كان بينهم، رَجَوْا بذلك حُنُوَّه عليهم. فحكم أن يُقتل المقاتِلَةُ، وتُسبى الذّرية والعيال والأموال، وأن تكون[٦] الأرض والثمار للمهاجرين دون الأنصار. فقالت له الأنصار في ذلك فقال: أردتُ أن تكون لهم أموال كما لكم أموال. فقال له رسول الله ﷺ «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[٧]» ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة،

(١) أراد شوكة الحائك التي يسوّي بها السّداة واللّحمة.

(٢) ق: ولكنه لما قدم السبب.

(٣) دلائل النبوّة ٤: ١١.

(٤) دلائل النبوة ٤: ٦، والسيرة النبوية ٣: ٢٥٠.

(٥) ق: لخلف.

(٦) ق: يكون.

(٧) الأرقعة: السماوات، الواحدة رَقيع. وفي ق: سبع. ولكن جاء في اللسان «رقع»: =

وقدّمهم[١] فضرب أعناقهم، وهم ما بين ثمان مئة إلى تسع مئة. وقيل: كانوا ست مئة مقاتل وسبع مئة أسير.

[٤٤٩/ب] وجيء بيحيى بن أخطب النَّضيري، وهو الذي كان أدخلهم في الغدر برسول الله ﷺ. فدخل عندهم وفاءً لهم، فنزل فيمن نزل على حكم [سعد]. فلما قرب وعليه حلّتان تفاحيتان مجموعةً يداه إلى عنقه أبصر رسول الله ﷺ، فقال له: يا محمد والله ما لمتُ نفسي في عداوتك، ولكن من يَخْذل اللهُ يُخذل. ثم قال: أيها الناس إنه لا بأس أَمْرُ الله وقَدَرُه وحكمته كتبت على بني إسرائيل. ثم تقدّم فضربت[٢] عنقه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ

= جاء به على التذكير كأنه ذهب به إلى معنى السقف، وعنى سبع سماوات. وانظر أيضاً النهاية ٢: ٢٥١.

(١) ق: وقذفهم.

(٢) ق: فضرب.

ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ
وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ
وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ سبب نزولها أن أزواجه صلى الله عليه وسلم تغايرن وأردن زيادة في كسوة ونفقة فنزلت[1].

ولما نصر تعالى نبيّه عليه السلام وفرّق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختصّ بنفائس اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله، بنات كسرى وقيصر في الحُليّ والحُلل والإماء والخَوَل[2]، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق. وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهنّ بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم. فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهنّ، وأزواجه إذ ذاك تسعة: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وهؤلاء من قريش، ميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حييّ بن أخطب الخيبرية. وقال أبو القاسم الصيرفي: لمّا خُيّر رسول الله ﷺ بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة، فاختار الآخرة، وأُمر بتخيير نسائه ليظهر صدق موافقتهن - وكان تحته عشر نساء، زاد الحميرية - فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ إلا الحميرية.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٧٣.

(٢) ق: والجول. والخَوَل: الحشم، يقع على العبد والأمة.

وروي[١] أنه قال لعائشة وبدأ بها - وكانت أحبّهن إليه -: إني ذاكر لك أمراً، ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، ثم قرأ عليها القرآن. فقالت: أفي هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، لا تخبر[٢] أزواجك أني اخترتك. فقال: إنما بعثني الله مبلّغاً ولم يبعثني متعنّتاً.

والظاهر أنهن إذا اخترن الحياة وزينتها متّعهن رسول الله ﷺ وطلّقهن، وأنه ليس باختيارهنّ ذلك يقع الفراق دون أن يوقعه هو عليه السلام. ثم نادى نساء النبي ليجعلن بالهنّ مما يخاطبن به، إذ كان أمراً يُجعل البال له.

﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ كبيرة [٤٥٠/أ] من المعاصي. ولا يُتوهم أنها الزّنى لعصمة رسول الله من ذلك، ولأنه وصفها بالتّبين والزّنى ممّا يُتستّر به. وينبغي أن تحمل[٣] الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشيرته. ولمّا كان مكانهن مهبط الوحي من الأوامر والنواهي لزمهنّ بسبب ذلك وكونهنّ تحت الرسول عليه السلام أكثر مما يلزم غيرهنّ، فضوعف لهن الأجر والعذاب.

وقرىء: نُضَعِّف، مبنيًّا للفاعل، العذابَ نصباً. ويُضَعَّف، مبنيًّا للمفعول، العذابُ رفعاً. ومعنى «ضعفين» أي: مرّتين.

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾ أي: يُطع ويخضع بالعبودية لله تعالى وبالموافقة لرسوله عليه السلام. وقرىء: يقنت: بياء المذكّر، ويعمل، حَمْلاً على لفظ «من».

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ليس كل واحدة منكن كشخص واحد من

---

(١) انظر البخاري ٤: ١٧٩٦.

(٢) ق: يخبر.

(٣) ق: يحمل.

النساء، أي: من نساء عصركن، كما أنه عليه السلام ليس كأحد من الرجال، كما قال عليه السلام[1] «لست كأحدكم»، كذلكَ زوجاته اللاتي تشرّفن بقربه.

قال الزمخشري[2]: أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد، ثم وضع في النّفي مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه، والمعنى: لستنّ[3] كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي: إذا تقصّيت أمّة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكنّ في الفضل والسابقة. ومنه قوله عزّ وجلّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء] يريد: بين جماعة واحدة منهم تسويةً بين جميعهم بأنهم على الحق المبين انتهى.

أما قوله: أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح.

وأما قوله: ثم وضع، إلى قوله: وما وراءه - فليس بصحيح؛ لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد، لأن واحداً ينطلق على كل شيء اتصف بالوحدة، وأحد، المستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل. وذكر النحويون أن مادّته همزة وحاء ودال، ومادة أحد بمعنى واحد أصله واو وحا ودال، فقد اختلفا مادّة ومدلولاً.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الظاهر أنه محمول على أن معناه: إن استقبلتنّ أحداً فلا تخضعن. واتّقى بمعنى استقبل معروف في اللغة؛ قال النابغة الذبياني[4]:

[من الكامل]

---

(١) رواه مسلم ٢: ٧٧٤ من حديث ابن عمر بألفاظ أخر.

(٢) الكشاف ٣: ٢٥٩.

(٣) ق: ليس.

(٤) ق: الجعدي، وهو خطأ. والبيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٣٤.

سقط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتنـــاولَتْــه واتّقَتْنـــا بـــاليـــدِ

أي: استقبلَتْنا باليد. ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهنّ؛ إذ لم يعلّق فضيلتهنّ على التقوى، ولا على نهيهنّ عن الخضوع[1] إذ هنّ متّقيات لله تعالى في أنفسهنّ. والتعليق ظاهره يقتضي أنهنّ لسن متحلّياتٍ بالتقوى.

﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو الذي لا تنكره الشريعة ولا العقول.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرىء: وقِرْنَ، بكسر القاف. تقول: وَقَر [٤٥٠/ب] يَقِرُ إذا سكن، فهو أَمْر مثل قولك: عِدْنَ، من وَعَد. وقرىء بفتح القاف. وتقدم لنا[2] أنه يقال: قررت في المكان، على وزن فَعَلْتُ، فيكون مضارعه يَقْرَرْنَ، والأمر أصله: اْقْرَرْنَ؛ نقلت حركة الرّاء إلى القاف، وانحذفت همزة الوصل، ثم حذفت لام الكلمة وهي الرّاء كما حُذفت في: ظللت، فقيل قَرْنَ كما قيل: ظَلْنَ. أمرهنّ تعالى بملازمة بيوتهن، ونهاهنّ عن التبرّج، وأعلم تعالى أنه فِعْل الجاهلية الأولى. والتبرج، قال الليث: تبرّجت: أبدت[3] محاسنها من وجهها وجسدها، ويرى مع ذلك من عينها حُسْن نظر.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾ تقدم نظيره في قوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء][4].

و«الرجس» الإثم، واستعار الرّجس للذنوب والطّهر للتقوى؛ لأن عرض

---

(١) ق: على الخضوع بها.

(٢) لم يتقدم في مظانّه.

(٣) ق: أحدث.

(٤) وانظر تفسيرها ثمّ.

المقترف[1] للمعاصي يتدنّس بها، وأما الطاعات فالعرض معها نقيّ مَصُون كالثوب الطّاهر. وانتصب «أهلَ» على النّداء أو على المدح أو على الاختصاص، وهو قليل في المخاطب ومنه: بك اللهَ نرجو الفضل. وأكثر ما يكون في المتكلم نحو قوله[2]: [من م. الرجز]

نحـــن بنـــات طـــارق نمشـــي علـــى النمـــارق

ولمّا كان «أهل البيت» يشمله وإياهنّ غلّب المذكر على المؤنث فجاء الخطاب «عنكم» «ويطهركم».

﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ إما بمعنى احفظن وتذكّرنه، وإما اذكرنه لغيركنّ وارويْنَه حتى يُنقل.

و﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن. و«الحكمة» هي ما كان من حديثه وسنّته[3] عليه السلام. وفي قوله «لطيفاً» تليين، وفي «خبيراً» تحذيرٌ ما.

وروي أن نساءه عليه السلام قلن: يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا. وقيل: السائلة أمّ سلمة. وقيل: لمّا نزل في نسائه ما نزل قالت[4] نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء. فنزلت[5] «إن المسلمين» الآية. وهذه الأوصاف العشرة تقدّم شرحها[6]: بدأ أولاً بالانقياد الظاهر، ثم

---

(١) ق: المعترف.

(٢) البيت لهند بنت بياضة في اللسان «طرق» ومعجم ما استعجم ١: ٧٠.

(٣) ق: وسمته.

(٤) ق: قال.

(٥) انظر أسباب النزول ص٢٤٠.

(٦) في مواضع متفرقة، انظر مثلاً تفسير الآية ١٧ من آل عمران.

بالتصديق، ثم بالأوصاف التي بعدهما تندرج في الإسلام وهو الانقياد، وفي الإيمان وهو التصديق، ثم ختمها بخلّة المراقبة وهي ذكر الله كثيراً. ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلّقاً إلا في قوله «والحافظين فروجهم» «والذاكرين الله» نصّ على متعلّق الحفظ لكونه مزلّة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة[1]، وعلى متعلّق الذكر بالاسم الأعظم وهو لفظ «الله» إذ هو العَلَم المحتوي على جميع أوصافه ليذكر المسلم من يذكره[2] وهو الله تعالى وحذف من «والحافظات» «والذاكرات» المفعول لدلالة ما تقدّم والتقدير: والحافظاتها والذّاكراته.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ غلّب الذكور فجمع الإناث معهم وأدرجهم في الضمير، ولم يأت التركيب: لهم ولهنّ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا
يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ
مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ
وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ
أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ
ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية، قال الجمهور: خطب رسول الله صلى الله

(١) ق: العالية.

(٢) ق: ليتذكر المسلم من تذكره.

[٤٥١/أ] عليه وسلم لزيد زينب بنت جحش، فأبت وقالت: لستُ بناكحته. فقال: بل فانكحيه فقد رضيتُه [فأبَتْ] فنزلت[١]. وذُكر أنها وأخاها عبدالله كرها ذلك، فلمّا نزلت الآية رضيا بذلك. ومناسبة هذه الآية [لما قبلها] أنه لمّا ذكر تلك الأوصاف السّابقة، من الإسلام فما بعده، عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين إذ أشار رسول الله ﷺ بأمرٍ، ووقع منهم الإباء له فأنكر عليهم.

وقال الزمخشري[٢]: كان من حقّ الضمير أن يوحّد كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلاّ كان من شأنه كذا انتهى.

ليس كما ذكر، لأن هذا عطف بالواو، ولا يجوز إفراد الضمير إلاّ على تأويل الحذف أي: ما جاءني من رجل إلا كان من شأنه كذا. وتقول: ما زيد وعمروٌ إلا ضربا خالداً، ولا يجوز: إلاّ ضرب، إلاّ على الحذف كما قلنا.

و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ مصدر مِن تَخَيَّرَ[٣]، على غير قياس كالطِّيَرة من تطيّر.

﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ الخطاب للرسول عليه السلام.

﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام وهو أجلّ النّعم وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول عليه السلام تبنّاه.

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وهو عتقه.

وقال عليّ بن الحسين: كان قد أوحى الله تعالى إلى رسوله عليه السلام أن زيداً سيطلّقها وأنه يتزوّجها بتزويج الله إياها. فلمّا شكا زيد

(١) انظر لباب النقول ص١٧٤.

(٢) الكشاف ٣: ٢٦٢.

(٣) ق: يخير.

خلُقها[١]، وأنها لا تطيعه، وأعلمه، بأنه يريد طلاقها قال له ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ على طريق الأدب والوصيّة، وهو يعلم أنه سيطلّقها. وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُرِدْ أن يأمره بالطلاق لِمَا علم من أنه سيطلّقها. وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا العذر[٢] في شيء قد أباحه الله تعالى له بأن قال «أمسك» مع علمه أنه يطلّق. وأعلمه أن الله أحقّ بالخشية في كل حال.

وهذا المرويّ عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. وفي قوله «أمسك عليك» تعدّى الفعل الرافع لضمير المخاطب إلى ضمير الجرّ بوساطة على، ونظيره قول الشاعر[٣]: [من الوافر]

هَوِّن عليك فإنّ الأمور بكفِّ الإله[٤] مقاديرُها

وفي قوله «زَوَّجْنَاكَها» تعدّى فعل زوّج إلى مفعولين، وقد جاء الثاني[٥] بحرف الجر في قوله ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدخان].

ولمّا نفى الحرج عن المؤمنين فيما ذكر، واندرج الرسول عليه السلام

(١) ق: حلفها.

(٢) ق: التقرر.

(٣) البيت للأعور الشنّي وهو من شواهد الكتاب ١: ٦٤، ونسب في العقد ٣/ ١٤١ لابن أبي خازم. وليس في ديوانه. وفيه خرم.

(٤) ق: إله.

(٥) ق: التالي.

فيهم - إذ هو سيّد المؤمنين - نفى عنه الحرج بخصوصه، وذلك على سبيل التكريم والتشريف. [٤٥١/ب] ونفى عنه الحرج مرتين: إحداهما بالاندراج في العموم والأخرى بالخصوص.

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أي: في الزيادة على الأربع. وكانت اليهود عابوه بكثرة[1] النكاح وكثرة الأزواج، فردّ الله عليهم بقوله ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: في الأنبياء بكثرة النساء، حتى كان لسليمان عليه السلام ثلاث مئة حرّة وسبع مئة جارية، وكان لداود عليه السلام مئة امرأة وثلاث مئة سريّة.

وانتصب «سنّة» على أنه اسم موضوع موضع المصدر.

قال ابن عطية: وانتصب «سنة الله» على الإغراء كأنه قال: فعليه سنة الله انتهى.

قوله: على الإغراء، ليس بجيد، لأنّ عامل الاسم في الإغراء لا يجوز حذفه. وأيضاً فتقديره: فعليه سنة الله، بضمير الغائب، لا يجوز ذلك في الإغراء لأنه لا يُغرى غائب، وما جاء من قولهم: عليه رجلاً لَيْسَني، له تأويل وهو مع ذلك نادر.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ الأنبياء، بدليل وصفهم بَعْدُ بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهي جملة اعتراض بين الصفة والموصوف. و«الذين» مجرور صفة «للذين خلوا».

ثم نفى تعالى كون رسوله عليه السلام أبا أحدٍ من رجالهم فلا يثبت بينه وبين من تبنّاه من حرمة المصاهرة والنكاح ما يثبت بين الأب وولده.

---

(١) ق: بكثر.

وقرأ الجمهور: ولكنْ رسولَ، بتخفيف «لكنْ» ونصب «رسولَ» على إضمار: كان لدلالة «كان» المتقدمة عليه. قيل: أو على العطف على «أبا أحد».

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمروٍ بالتشديد والنصب، على أنه اسم لكنّ، والخبر محذوف تقديره: ولكنّ رسول الله وخاتم النّبيين هو، أي: محمد ﷺ. وحَذْف خبر لكنّ وأخواتها جائز إذا دلّ عليه الدليل، وممّا جاء في لكنّ قول الشاعر[1]: [من الطويل]

فلو كنت ضبيّاً عرفت قرابتي ولكنّ زنجيًّا عظيم[2] المشافر

أي: أنت لا تعرف قرابتي.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ
ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ
بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا
مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [«وملائكته»] معطوف على الضمير المرفوع المستكنّ في «يصلّي». وأغنى الفصل بالجار والمجرور عن التأكيد. وصلاة الله غير صلاة الملائكة فكيف اشتركا في العطف وهما مختلفان؟.

وإنما كان ذلك لأنهما قد اشتركا في قدر مشترك وهو إرادة وصول الخير

(١) البيت في الكتاب ٢: ١٣٦ منسوب للفرزدق، ولم أجده في ديوانه.
(٢) هامش ق: غليظ.

إليهم؛ فالله تعالى يريد برحمته إيّاهم إيصال الخير إليهم، وملائكته يريدون بالاستغفار ذلك.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ نهي له عليه السلام عن السّماع منهم في أشياء كانوا يطلبونها مما لا يحبّ، وفي أشياء ينتصحون بها وهي غشّ.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ الظاهر إضافته إلى المفعول. لمّا نهى عن طاعتهم أمر بتركه أذيّتهم وعقوبتهم. ونسخ منه ما يخصّ الكافرين بآية السيف[1].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنه ينصرك ويخذلهم. ويجوز أن يكون مضافاً للفاعل [٤٥٢/أ] أي: ودع إذايتهم إياك، أي: مجازاة الإذاية من عقاب وغيره حتى تؤمر، وهذا تأويل مجاهد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا

(١) الآية ٥ من التوبة.

مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية، معنى «نكحتم» عقدتم عليهن. وسمّي العقد نكاحاً لأنه سبب إليه كما سميت الخمر إثماً لأنها سبب له. ولفظ النكاح في كتاب الله لم يرد إلا في العقد وهو من آداب القرآن.

وقال ابن عطية: روي عن أبي برزة[1] عن ابن كثير بتخفيف الدّال[2]، من العدوان كأنه قال: فما لكم عدّة تلزمونها عدواناً وظلماً لهن. والقراءة الأولى أشهر عن ابن كثير. وتخفيف الدّال وَهْم من أبي[3] برزة انتهى.

ليس بوهم، إذ قد نقلها عن ابن كثير ابن خالويه وأبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح في شواذّ القرآن.

والظاهر في ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [أنّه] للوجوب، وقيل للنّدب، وتقدّم الكلام عليه في البقرة[4]. والسّراح الجميل هو كلمة طيّبة دون أذى ولا منع واجب. وقيل: أن لا يطالبها بما آتاها.

ولمّا بيّن تعالى بعض أحكام أنكحة المؤمنين، أتبعه بذكر طرف من نساء النبي ﷺ. والأجور: المهور لأنه أجر على الاستمتاع بالبُضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع.

وفي وصفهنّ بـ«اللاتي آتيتَ أجورهن» تنبيه على أن الله تعالى اختار لنبيّه

---

(١) ق: روى ابن أبي برزة، وانظر معجم القراءات القرآنية ٥: ١٢٩.

(٢) أراد في: تعتدّونها.

(٣) ق: من ابن أبي.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٣٦ من البقرة.

عليه السلام الأفضل والأولى، لأنّ إيتاء المهر أولى من تأخيره، لتُقصي الزوج عن عُهدة الدَّيْن وشغل ذمّته به، ولأن تأخيره يقتضي أن يستمتع بها مجاناً دون عوض تسلَّمَتْه.

والتعجيل كان سنّة السّلف لا يُعرف منهم غيره[١]؛ ألا ترى إلى قوله عليه السلام[٢] لبعض الصحابة حين شكا حالة التزوّج: «فأين درعك الحُطَمية؟».

وكذلك تخصيص ما ملكت يمينه بقوله ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ لأنها إذا كانت سبيّة مالكها [ممّا] غنّمه الله من أهل دار الحرب، كانت أحلّ وأطيب ممّا يشترى من الجلب. وفيما سُبي من دار الحرب قيل سبي طيبة، وممّن له عهد قيل فيه سبي خبيثة. وفيء الله لا يطلق إلاّ على الطّيب دون الخبيث. والظاهر أن قوله ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ مخصوص لفظ «أزواجك» بمن كانت في عصمته كعائشة وحفصة ومن تزوجها بمهر.

و﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ صفة للبنات.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ قالت أمّ هانىء بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه فعذرني، ثم نزلت هذه الآية فحرّمَتْني عليه لأني لم أهاجر معه وإنما كنت من الطلقاء.

والتخصيص «باللاتي هاجرن معك» لأنّ من هاجرن معه من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات.

---

(١) ق: غيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود ٢: ٢٤٠ من حديث ابن عباس. وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٣: ١٦١.

﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ قال ابن عباس: هي ميمونة بنت الحارث [٤٥٢/ب] وقيل غير ذلك. وتقدّم الخطاب له عليه السّلام وانتقل منه للاسم الغائب وهو ﴿لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ ولضمير الغائب في ﴿أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ ثم إلى ضمير الخطاب في قوله ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾.

قال الزمخشري[1]: والفاعل والفاعلة في باب المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعاقبة[2] والكاذبة انتهى.

ليس كما ذكر بل هما عزيزان، وتمثيله كالخارج يشير إلى قول الفرزدق[3]:

[من الطويل]

[على قسمٍ لا أشتم الدهرّ مسلماً] ولا خارجاً من فِيَّ زُورُ كَلامِ

والقاعد: إلى أحد التأويلين في قولهم: أقاعداً وقد سار الركب[4]؟، والكاذبة إلى قوله تعالى ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة].

وقد تُتَأَوَّل هذه الألفاظ على أنها ليست مصادر.

والظاهر أن قوله «خالصة لك» من صفة الواهبة لك نفسها، أي: هبة النساء أنفسهنّ مختصّ بك، لا يجوز أن تهب المرأة نفسها لغيرك. وأجمعوا أن ذلك غير جائز لغيره عليه السلام.

﴿۞ تُرۡجِي﴾ تقدّم الكلام عليه في براءة[5]. والظاهر أن الضمير في

---

(١) الكشاف ٣: ٢٦٨.

(٢) في الكشاف: والعافية.

(٣) ديوانه ٢: ٢١٢.

(٤) ق: الراكب.

(٥) انظر تفسير الآية ١٠٦ من براءة.

«منهن» عائد على أزواجه عليه السلام. والإرجاء والإيواء، قال ابن عباس: في طلاق من تشاء ممن حصل في عصمتك وإمساك من تشاء.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ أي: من طلبتها من المؤخرات وهنّ المعزولات فلا جناح عليك في ردّها وإيوائها إليك.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: التفويض إلى مشيئتك، إلى قرّة عيونهنّ ووجود رضاهنّ إذ علمن أنّ ذلك التفويض هو من عند الله تعالى فحالة كل منهن كحالة الأخرى في ذلك.

و«كلهن» تأكيد لنون «ويرضين». واتفقت الروايات على أنه عليه السلام كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئاً مما أبيح له ضبطاً لنفسه وأخذاً بالفضل، غير ما جرى لسودة[1].

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ الظاهر أنها محكمة. و«من بعد» المحذوف منه مختلف فيه؛ قال ابن عباس: من بعد التسع لأن التّسع نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن. قيل[2]: لمّا خُيّرن فاخترن الله ورسوله جازاهن الله أن حظر عليه النساء غيرهنّ وتبديلهنّ، ونسخ بذلك ما أباحه له قبلُ من التوسعة في جميع النساء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ

(١) انظر البحر ٧: ٢٤٣.

(٢) ق: قالا.

ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ
بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ
أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية، في الصحيحين[١] عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم لما تزوّج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جعلوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى[٢] ذلك قام، وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة[٣]، فجاء فدخل فإذا القوم جلوس فرجع. ثم إنهم قاموا[٤]، فانطلقتُ وجئت فأخبرته أنهم قد انطلقوا. فجاء حتى دخل وذهبت حتى أدخل، فألقي الحجاب بيني [٤٥٣/أ] وبينه وأنزل الله عليه هذه الآية.

وقرىء: غيرَ، بالنصب على الحال والعامل فيه محذوف تقديره: ادخلوا

---

(١) البخاري ٤: ١٧٩٩، ومسلم ٢: ١٠٤٦.

(٢) ق: رأوا.

(٣) ق: وقعد من ثلاثة.

(٤) ق: وإنهم قاموا وانطلقوا.

بالإذن غير ناظرين. وقرىء بالكسرصفة «لطعام» ثم أمر بالانتشار إذا طعموا.

قال الزمخشري[١]: «إلا أن يؤذن» في معنى الظرف تقديره: وقت أن يؤذن لكم. و«غير ناظرين» حال من «لا تدخلوا»[٢] وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ وقت الإذن، ولا تدخلوها إلاّ غير ناظرين إناه انتهى.

أمّا «أن يؤذن لكم» في معنى الظرف وتقديره: وقت أن يؤذن لكم وأنه أوقع الاستثناء على الوقت - فليس بصحيح. وقد نصّوا على أنّ أنْ المصدرية لا تكون في معنى الظرف، تقول[٣]: أجيئك صياح الدّيك وقدوم الحاج، ولا يجوز: أجيئك أن يصيح الدّيك، ولا: أن يقدم الحاج.

وأما أن الاستثناء وقع على الوقت والحال معاً فلا يجوز على مذهب [الجمهور]. لا يقع بعد إلاّ في الاستثناء إلا المستثنى أو المستثنى منه أو صفة المستثنى منه.

وأجاز الأخفش والكسائي ذلك في الحال، أجازا: ما ذهب القوم إلا يوم الجمعة راحلين عنّا، فيجوز ما قاله الزمخشري في الحال.

وأما قوله: «إلا أن يؤذن» فلا يتعين أن يكون ظرفاً لأنه يكون التقدير: إلا بأن يؤذن، فتكون الباء للسبب كقوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۝٥٧﴾ [الأعراف] أو للحال أي: مصحوبين بالإذن.

---

(١) الكشاف ٣: ٢٧٠.

(٢) ق: يدخلوا.

(٣) ق: لا يكون.. يقول.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ معطوف على «غير» فهو منصوب، أي: لا تدخلوها لا ناظرين ولا مستأنسين. «ذلكم» إشارة إلى السؤال من وراء الحجاب.

﴿أَطْهَرُ﴾ يريد: من الخواطر التي تخطر[1] للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال، إذ الرؤية سبب التعلّق والفتنة، ألا ترى إلى قول الشاعر[2]:

[من البسيط]

والمــرء مــا دام ذا عيــنٍ يقلّبهــا في أعين العِيْن موقوفٌ على الحظر
يســرّ مقلتَــه مــا ســاء مهجتَــه لا مرحباً بانتفاعٍ جاء بالضّرر[3]

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ وعيد لمن تقدّم التعريض[4] به في الآية ممّن أشير إليه بقوله «ذلكم أطهر» ومن أشير إليه ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟﴾ فقيل: إن تبدوا شيئاً على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم مما يقع عليه العقاب فالله يعلمه فيجازي عليه.

وروي أنه لمّا نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: أَوَنحنُ يا رسول الله أيضاً نكلّمهن من وراء حجاب؟. فنزلت[5] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ الآية، أي: لا إثم عليهن.

والظاهر من قوله ﴿وَلَا مَا[6] مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ دخول العبيد والإماء دون ما ملك غيرهنّ. وقيل: مخصوص بالإماء. وقيل: جميع العبيد ممّن في ملكهنّ

---

(١) ق: يخطر.

(٢) لم أجده.

(٣) ق: بالبصر.

(٤) ق: وعند لمن يقدم التعرض.

(٥) انظر البخاري ٤ : ١٨٠١.

(٦) ق: أو ما.

أو في ملك غيرهنّ.

وقال النخعي: [٤٥٣/ب] يباح لعبدها النظر إلى ما يواريه[١] الدّرع من ظاهر بدنها.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ أمرٌ بالتقوى وخروج من الغيبة إلى الخطاب، أي: واتّقين الله فيما أُمرتنّ به من الاحتجاب وأُنزل فيه الوحي من الاستتار. وكان في الكلام جملة حذفت تقديره: اقتصرن على هذا واتّقين الله فيه أن تتعدَّيْنَه إلى غيره.

ثم توعّد بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ [كَانَ] عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: من السّر والعلن وظاهر[٢] الحجاب، وباطنه وغير ذلك. ﴿شَهِيدًا﴾[٣] لا تتفاوت الأحوال في علمه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ روي[٤] أنه لمّا نزلت هذه الآية قال قوم من الصحابة: هذا السلام عليك يا رسول الله عرفناه، فكيف نصلّي عليك؟. قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت وباركت على إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الآية، كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرّة والأمة مكشوفتي الوجه في درع وخمار، وكان الزّناة يتعرّضون - إذا خرجن بالليل لقضاء الحوائج في النخيل والغيطان - للإماء، وربما تعرّضوا للحرّة بعلّة الأمة يقولون: حسبنا ها أمة. فأُمرن أن يخالفن بزيّهن عن زيّ الإماء،

---

(١) ق: يوازيه. ودرع المرأة: قميصها.

(٢) ق: وظاهره.

(٣) ق: شهيد.

(٤) انظر أسباب النزول ص٢٤٣.

بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويُهَبْن ولا يطمع فيهن طامع. والجلابيب: الأردية التي تستر من فوق إلى أسفل، وقيل غير ذلك.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ تأنيس للنساء في ترك الاستتار قبل أن يؤمرن بذلك.

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

ولما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله، والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين - ذكر حال المُسِرِّ الذي يُظهر الحقّ ويضمر الباطل وهو المنافق.

ولمّا كان المؤذون ثلاثة باعتبار إذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين، كان المسرّون ثلاثة: منافق ومن في قلبه مرض ومرجف. فالمنافق يؤذي سرًّا، والثاني يؤذي المؤمن باتباع نسائه[1]، والثالث يرجف بالرسول يقول: غُلب، سيُخرج من المدينة، سيؤخذ، هُزمت سراياه.

وظاهر العطف التغاير بالشخص فيكون المعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عمّا[2] يؤلّفون من أخبار السّوء ويشيعونه.

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ أي: لنسلطنّك عليهم.

---

(١) ق: لسانه.

(٢) ق: على ما.

﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ ﴾ أي: في المدينة. و«ثم لا يجاورونك» معطوف على «لنغرينّك». ولم يكن العطف بالفاء لأنه لم يقصد أنه متسبّب عن الإغراء، بل كونه جواباً للقسم أبلغ. وكان العطف «بثم» لأن الجلاء عن الوطن كان أعظم عليهم من [٤٥٤/أ] جميع ما أصيبوا به، فتراخت حالة الجلاء[1] عن حالة الإغراء.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: إلا جواراً قليلاً. وانتصب «ملعونين» على الذّم.

ومعنى ﴿ ثُقِفُوٓاْ ﴾ حُصروا وظُفر بهم.

﴿ أُخِذُواْ ﴾ أُسروا. والأخيذ: الأسير.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ مصدر مؤكد، أي: سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يُقتلوا حيثما ظُفر بهم.

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ ﴾ أي: المشركون عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء، واليهود على سبيل الامتحان إذ كانت معمًّى وقتها في التوراة، فنزلت الآية بأن يردّ فيها العلم إلى الله تعالى، إذ لم يُطْلع عليها ملكاً ولا نبيًّا.

ولمّا ذكر حالهم في الدنيا أنهم ملعونون مهانون مقتولون، بيّن حالهم في

---

(١) ق: جلب له الجلاء.

الآخرة.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ «ما» استفهام في موضع رفع بالابتداء، أي: وأيّ شيء يدريك بها؟. ومعناه النّفي أي: ما يدريك بها أحد.

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ بيّن قرب الساعة، وفي ذلك تبكيت[1] للممتحن وتهديد للمستعجل. وانتصب «قريباً» على الظرف أي: في زمان قريب، إذ استعماله ظرفاً كثير.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ يجوز أن ينتصب «يوم» بقوله «لا يجدون»، ويكون «يقولون» استئناف إخبار عنهم. أو تمّ[2] الكلام عند قوله «ولا نصيراً» وينتصب «يوم» بقوله «يقولون». والوجه أشرف ما في الإنسان، فإذا قُلّب في النار كان تقليب ما سواه أولى، أو عبّر بالوجه عن الجملة. وتمنّيهم حيث لا ينفع وتشكّيهم من كبرائهم لا يجدي.

وقرىء: سادتنا. وساداتنا، على الجمع. ولما لم يُجْدِ[3] تمنّيهم الإيمان وطاعة الله ورسوله، ولا قام لهم عذر في تشكّيهم ممّن أضلّهم، دعوا على ساداتهم بقولهم ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ ضعفاً على ضلالهم في أنفسهم وضعفاً على إضلال من أضلّوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ
ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا

(١) ق: تسكيت.
(٢) ق: ثم.
(٣) ق: يجدي.

عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ قيل: نزلت[1] في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من مقالة بعض الناس. وقيل: المراد حديث الإفك. قيل[2]: ما أوذي نبي مثلما أوذي رسول الله ﷺ في حديث القسمة فصبر وقال[3] «رحم الله أخي موسى، لقد أوذي[4] أكثر من هذا فصبر». وإذاية موسى عليه السلام قولهم فيه إنه آدر[5]، وقيل غير ذلك.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ لما أرشد المؤمنين [إلى] ما أرشد من ترك الأذى، واتّقاء الله وسداد القول، ورتّب على الطاعة ما رتّب، بيّن[6] أن ما كُلّفه الإنسان أمر عظيم فقال «إنا عرضنا الأمانة» تعظيماً لأمر التكليف. و«الأمانة» الظاهر أنها كل ما يؤمن عليه من أمرٍ ونهيٍ[7] وشأن دين ودنيا، فالشرع كله أمانة.

والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات [٤٥٤/ب] العظام وهي

---

(١) انظر القرطبي ١٤: ٢٥٠.

(٢) ق: قال.

(٣) أخرجه البخاري ٣: ١٢٤٩ من حديث عبد الله.

(٤) ق: لقد صبر.

(٥) الأُدْرة: انتفاخ الخصية.

(٦) ق: تبيّن.

(٧) ق: أمرونهن.

الأوامر والنّواهي، فتثاب إن أحسنَتْ وتعاقب إن أساءت، فأبت وأشفقت. ويكون ذلك بإدراكٍ خَلَقَه الله تعالى فيها، وهذا غير مستحيل؛ إذ قد سبّح الحصى في كفّه عليه السلام، وحنّ الجذع إليه، وكَلَّمَتْه الذراع، فيكون هذا العرض والإباء حقيقة.

قال ابن عباس: أُعطيت الجمادات فهماً وتمييزاً فخُيّرت في الحمل. وذكر الجبال مع أنها من الأرض لزيادة قوّتها وصلابتها، تعظيماً للأمر.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ وصفه بالظلم تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل لإخطائه ما يسعده.

واللام في «ليعذب» لام الصيرورة لأنه لم يحملها لأن يُعذَّب، لكنّه حملها فآل الأمر إلى أن يُعذّب من نافق وأشرك، ويتوب على من آمن.

سورة سبأ(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ
أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ
وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن
نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل: فيها غير مكّي. وسبب نزولها(2) أن

---

(1) مكية وهي أربع وخمسون آية.

(2) انظر القرطبي ١٤ : ٢٦٠.

أبا سفيان قال لكفار قريش لمّا سمعوا ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب]: محمد يتوّعدنا بالعذاب بعد أن نموت ويخوّفنا بالبعث، واللّات والعزّى لا تأتينا الساعة أبداً ولا نُبعث. فقال الله تعالى: قل يا محمد ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن][1] وباقي السورة تهديد لهم وتخويف. ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها.

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ مستغرق لجميع المحامد كلها. ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ظاهره[2] الاستغراق، ولما كانت نعم الآخرة مُخبَراً بها غير مرئيّة لنا[3] في الدنيا، ذكرها لتقاس نعمها بنعم الدنيا قياس الغائب على الشاهد، وإن اختلفتا في الفضيلة والديمومة.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من المياه. ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: من النبات. ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من المطر وغير ذلك. ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: من أعمال الخلق.

و«بلى» جواب للنفي السابق من قولهم «لا تأتينا الساعة» أي: بلى لتأتينكم. وأتبع القَسَمَ بقوله «عالم الغيب» وما بعده، ليُعلم أنّ إتيانها من الغيب الذي انفرد به تعالى. وجاء القسم بقوله «وربي» مضافاً إلى الرسول عليه السلام ليدلّ على شدة القسم، إذ لم يأت به في الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة وهو لفظ الله.

---

(١) وانظر الآية ٣ من سبأ.

(٢) ق: ظاهر.

(٣) ق: لما.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ هم قريش، قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والاستهزاء، كما يقول الرجل لمن يريد [٤٥٥/أ] أن يعجّبه: هل أدلّك على قصة غريبة نادرة.

لمّا كان البعث عندهم من المحال، جعلوا من يُخبر عن وقوعه في حيّز من يُتعجّب منه، وأتوا باسمه عليه السلام [نكرة] في قولهم ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ واسمه أشهر علم في قريش بل في الدنيا، وإخباره بالبعث أشهر خبر، لأنهم أخرجوا ذلك مخرج الاستهزاء والتحلّي[١] ببعض الأحاجي المعمولة للتّلهي والتّعمية، فلذلك نكروا اسمه.

و«إذا» الشرطية مختلف في العامل فيها وقد بيّناه في شرح التسهيل بأن الصحيح أن يعمل فيها فعل الشرط كسائر أدوات الشرط، والجملة الشرطية يحتمل أن تكون معمولة «لينبّئكم» لأنه في معنى: يقول لكم إذا مزّقتم كل ممزّق: تُبعثون، ثم أكّد ذلك بقوله ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. ويحتمل أن يكون «إنكم لفي خلق جديد» معمولاً لـ«ينبّئكم» و«ينبّئكم» معلّق. ولولا اللام في خبر إنّ لكانت مفتوحة. والجملة سدّت مسدّ المفعولين، والجملة الشرطية على هذا التقدير اعتراض. وقد منع قوم التعليق في باب اعلم والصحيح جوازه، وقال الشاعر[٢]: [من الطويل]

حَـذارِ فقـد نُبّئـتُ أَنـك للّـذي ستُجزى بما تسعى فتسعد أو تشقى

و«مُمزَّق» [مصدر] جاء على زنة اسم المفعول على القياس في اسم المصدر من كل فعل زائد على الثلاثة.

---

(١) ق: والتحكّي.

(٢) البيت من شواهد الهمع ٢: ٢٤٩ غير منسوب.

والظاهر أن قوله ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ من قولهم بعضهم لبعض، أي: أهو مُفْتَرٍ على الله كذباً فيما يَنسب إليه من أمر البعث، أم به جنون يوهمه ذلك، ويلقيه على لسانه. عادلوا بين الافتراء والجنون، لأن هذا القول عندهم إنما يصدر عن أحد هذين، لأنه إن كان يعتقد خلاف ما أنبأ به فهو مفترٍ، وإن كان لا يعتقده فهو مجنون.

وأضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى: ليس الرسول عليه السلام كما نسبتم إليه بل أنتم في عذاب النار أو في عذاب الدنيا بما تكابدونه من إبطال الشرع وهو يُحقّ، وإطفاء نور الله وهو يُتمّ.

ولما كان الكلام في البعث قال ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ فرتّب العذاب على إنكار البعث. وتقدّم الكلام[1] في وصف الضّلال بالبعد وهو من أوصاف المحال استعير للمعنى. ومعنى بُعده أنه لا ينقضي خبره المتلبّس به.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: حيثما تصرفوا، فالسماء والأرض قد أحاطتا بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما، ولا يخرجوا عن ملكوت الله فيهما.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فعلنا بقارون.

﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كما فعلنا بأصحاب الظُّلة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما، وما يدلّان عليه من قدرة الله تعالى. [٤٥٥/ب] ﴿لَآيَةً﴾ لعلامة ودلالة. ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربّه مطيع له، لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله تعالى

---

(١) انظر تفسير الآية ١٨ من إبراهيم.

على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ الآية، ومناسبة قصة داود وسليمان عليهما السلام لما قبلهما هي أن أولئك الكفار أنكروا البعث لاستحالته عندهم، فأُخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة ممّا لا يمكنهم إنكاره؛ إذ طفحت ببعضه أخبارهم و[نطقت به] شعراؤهم على ما يأتي ذكره من تأويب الجبال والطير مع داود، وإلانة الحديد وهو الجرم المستعصي، وتسخير الريح لسليمان وإسالة النحاس له كما ألان الحديد لأبيه(١)، وتسخير الجنّ فيما شاء من الأعمال الشاقّة وغير ذلك.

﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي: سبّحي معه، قاله ابن عباس.

وقرىء: والطّيرَ، بالنصب عطفاً على موضع «يا جبال». وبالرفع عطفاً على لفظ «يا جبال». وإلانة الحديد قال ابن عباس: حتى صار كالشمع.

---

(١) ق: لابنه.

وروي أن دواد عليه السلام كان يتنكر[١] فيسأل الناس عن حاله، فعرض له ملك في صورة إنسان فسأله فقال: نعم العبد لولا خُلّة فيه. فقال: وما هي؟. قال: يرتزق من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمّت فضائله. فدعا الله تعالى أن يعلّمه صنعة ويسهّلها عليه، فعلّمه صنعة الدّروع وألان له الحديد فأثرى. وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين.

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ قال ابن زيد: هو في قدر الحلقة أي: لا يعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدّرع على الدفاع، ولا كبيرة فيُنال لابسها من خلالها.

﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أبدله من الخيل الرّيح تجري بأمره.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ الظاهر أنه جعله [أي: النحاس، له] في معدنه عيناً تسيل كعيون الماء دلالة على نبوّته[٢] عليه السلام، يستعملها فيما يريد.

وعن ابن عباس: أُجريت له ثلاثة أيام بلياليهنّ وكانت بأرض اليمن. قال مجاهد: سالت من صنعاء. ولم يُذَبِ النّحاس فيما روي لأحدٍ قبله وكان لا يذوب قبل ذلك.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمر ربّه لقوله ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرنا به من طاعة سليمان.

وقرىء: يَزِغْ، مضارع زاغ. وقرىء بالضم من أزاغ، أي: ومن يُمِلْ.

و«عذاب السعير» عذاب الآخرة. قاله ابن عباس.

---

(١) ق: يينكن.

(٢) ق: بيوته.

والمحاريب، قال مجاهد: المساجد. والتماثيل: الصور. والجفان: جمع جفنة وهي معروفة[١]. والجوابي: الحياض العضام واحدها جابية لأنه يُجبى فيها الماء أي: يجتمع، قال الأعشى[٢]: [من الطويل]

نَفى الذّمَّ عن آل المحلَّق جَفْنَةٌ كجابيةِ السَّيْحِ العراقيّ تفهَقُ

والراسيات: الثابتات[٣] على الأثافي[٤] فلا تُنقل ولا تحمل لعظمها. وقُدّمت [٤٥٦/أ] المحاريب على التماثيل لأن النقوش تكون في الأبنية. وقدّم الجفان على القدور مع أن القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل، والطبخ قبل الأكل؛ لمّا بيّن الأبنية الملكية أراد بيان عظمة السماط الذي يُمَدّ في تلك الدّور، وأشار إلى الجفان، لأنها تكون فيها، والقدور لا تكون فيها ولا تحضر[٥] هناك ولهذا قال «راسيات». ولمّا بيّن حال الجفان سرى الذهن إلى عظمة ما يُطبخ فيها فذكر القدور للمناسبة. وذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب لاحتياجه إلى قتال أعدائه، وفي حقّ سليمان المحاريب والتماثيل لأنه كان ملكاً ابن ملك، قد وطّد[٦] له أبوه الملك، أي: مهّده له، فكانت حاله حالة سلم إذ لم يكن أحد يقدر على محاربته.

---

(١) الجفنة كالقصعة.

(٢) ديوانه ص٢٦١.

(٣) ق: الدائبات.

(٤) الأثافيّ: (وتخفف): الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر وتوقد بينها النار.

(٥) ق: يحضر.

(٦) ق: أطرا.

وقال عقب[١] ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: «اعملوا صالحاً»[٢]، وعقب ما يعمله الجن: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ عقب كل جملة[٣] بما يناسبها. وروي أن مصلى آل داود لم يَخْلُ قطّ من قائم يصلّي ليلاً أو نهاراً، وكانوا يتناوبونه.

وكان سليمان عليه السلام يأكل الشعير، ويطعم أهله الخشكار، والمساكين الدّرمك[٤]. وما شبع قطّ، وقيل له في ذلك فقال: إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع. و﴿ٱلشَّكُورُ﴾ صيغة مبالغة وأريد به الجنس.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: أنفذنا عليه ما قضينا عليه في الأزل من الموت، وأخرجناه إلى حيّز الوجود. والضمير في «دلهم» عائد على الجن الذين كانوا يعملون له. وكان سليمان قد أمر الجنّ ببناء صرح له، فبنوه له ودخل فيه مختلياً، ليصفو له يوم واحد من الدهر من الكدر. فدخل عليه شاب فقال له: كيف دخلت من غير استئذان؟. فقال: إنما دخلت بإذن. قال: ومن أذن لك؟. قال: ربّ هذا الصّرح. فعلم سليمان عليه السلام أنه ملك الموت، أتى لقبض روحه. فقال سليمان: سبحان الله! هذا اليوم الذي طلبتُ فيه الصفاء. فقال له: طلبتَ ما لم يُخلق. فاستوثق[٥] من الاتّكاء على العصا فقبض روحه. وبقيت الجنّ تعمل على عادتها. وكان سليمان قصد تعمية موته، لأنه كان قد بقي من تمام بناء المسجد عمل سنة، فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن. وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة،

---

(١) ق: عقب ذلك.

(٢) وفي ق: صالحات.

(٣) ق: عقب ذلك جملة.

(٤) الخشكار: الخبز الأسمر غير النقي. والدّرمك كجعفر الدقيق الأبيض.

(٥) ق: فاستؤنف.

فكانوا يقولون إنه يتحنّث أي: يعبد ربّه.

وقيل إن ملك الموت أعلمه أنه بقي من حياته ساعة، فدعا الجن فبنوا الصرح، وقام يصلي متكئاً على عصاه، فقبض روحه وهو متكىء عليها.

وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه، فلا ينظر أحد منهم إليه في صلاته إلا احترق. فمرّ واحد منهم، فلم يسمع صوته، ثم رجع فلم يسلم، فنظر فإذا هو خرّ ميتاً. وكان عمره ثلاثاً[1] وخمسين سنة [٤٥٦/ب] ملك بعد موت أبيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وكان أبوه قد أسّس بنيان المسجد موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمّه، ووصّى به إلى ابنه فأمر الشياطين بإتمامه، ومات قبل تمامه.

و﴿ دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ هي سوسة الخشب وهي الأرضة وقيل غير ذلك. والمنسأة: العصا وكانت فيما رووا من خرّوب، وذلك أنه كان يتعبّد في بيت المقدس، فتنبت له في محرابه كل سنة شجرة تخبره بمنافعها، فيأمر فتقلع، وتصرف في منافعها، وتغرس لتتناسل[2]. فلما قرب موته نبتت له شجرة، وسألها فقالت: أنا الخروب خرجت لخراب ملكك. فعرف أنه حضر أجله، فاستعدّ واتّخذ منها عصا، واستدعى بزاد سنة والجن تتوهّم أنه يتغذى بالليل.

﴿ مِنسَأَتَهُۥ﴾ على وزن مفعلة كمطرقة وهي العصا، سمّيت بذلك لأنها يُنسأ بها الأشياء أي: تؤخّر.

وقرىء: منسأته، بهمزة مفتوحة بعد السين. وبإبدالها ألفاً على غير قياس، وبإسكانها على غير قياس، والأصل فتحها لأنها لام الكلمة.

---

(١) ق: ثلاث.

(٢) ق: ويغرس ليتناسل.

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ الضمير [عائد] على سليمان عليه السلام، أي: سقط عن العصا ميتاً. وقرىء: تَبَيَّنت، مبنيًّا للفاعل. وتُبُيِّنت، ومبنيًّا للمفعول. و«أن» هي المخففة من الثقيلة ينسبك منها مصدر، أي: تبينت الجن جهلها أي: جهل الجن. والمعنى أن الجنّ لو كانت تعلم الغيب، ما خفي عليها موت سليمان عليه السلام، وقد ظهر أنه خفي عليها بدوامها في الخدمة والضّعة.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ[1] ءَايَةٌ جَنَّتَانِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان، بيّن حال الكافرين بأنعمه بقصة سبأ، موعظةً لقريش وتحذيراً وتنبيهاً لما جرى لمن كفر أنعم الله تعالى. وتقدّم الكلام في سبأ في النّمل[2]. ولمّا ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها. وراودوها على أن ترجع فأبت فقالوا: لَتَرْجِعِنَّ أو لنقتلنّك. فقالت لهم: لا عقول لكم ولا تطيعوني. فقالوا:

---

(١) ق: مساكنهم.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ وما بعدها من النّمل.

نطيعك، فرجعت إلى واديهم. وكانوا إذا أُمطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام، فأمرت به فسدّ ما بين الجبلين بمُسَنَّاةٍ[١] بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السدّ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة فيها اثنا[٢] عشر مخرجاً على عدّةِ أنهارهم. وكان الماء يخرج لهم بالسّوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ما سبق ذكره في النمل.

وقرىء: مساكنهم جمعاً ومفرداً، بفتح الكاف وكسرها.

﴿ءَايَةٌ﴾ أي: علامة دالّة على الله تعالى وعلى قدرته ووجوب شكره. وخبر «كان» «لسبأ»، و«آية»[٣] اسمها. و«في مساكنهم» متعلق بما تعلق به «لسبأ» [٤٥٧/أ] والتقدير: لقد كانت آية كائنة لسبأ في مساكنهم. «جنتان» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جنتان.

[قال ابن عطية: «جنتان»] مبتدأ، وخبره «عن يمين[٤] وشمال» انتهى.

لا يظهر ذلك، لأنه نكرة لا مسوّغ للابتداء بها إلا إن اعتقد أن ثَمَّ صفة محذوفة، أي: جنتان لهم أو عظيمتان عن يمين وشمال. وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام [مفلتاً] مما قبله.

و﴿جَنَّتَانِ﴾ جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها. وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامّها كأنها جنة واحدة.

---

(١) المسنّاة: ضفيرة تبنى للسيل لتردّ الماء.

(٢) ق: اثني عشر.

(٣) ق: وانه.

(٤) ق: وخبر في يمين.

قال ابن زيد: لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب، ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابّهم. وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المِكْتل[١]، فيمتلىء ثمراً من غير أن تتناول بيدها شيئاً.

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ قول الله لهم على ألسنة الأنبياء المبعوثين إليهم. وفيه إشارة إلى تكميل النّعمة عليهم حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض.

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ على ما أنعم به عليكم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كريمة التربة حسنة الهواء سليمة من الهوامّ والمضارّ[٢].

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ لا عقاب على التّمتع بنعمه في الدنيا ولا عذاب في الآخرة.

﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ عمّا جاء به إليهم أنبياؤهم، وكانوا ثلاثة عشر نبيًّا دعوهم إلى الله، وذكّروهم نعمه، فكذّبوهم وقالوا: ما نعرف لله نعمة. فسلّط الله عليهم الجرذ، فأراً أعمى توالد فيه، ويسمّى الخُلْد[٣]، فخرقه شيئاً بعد شيء، وأرسل سيلاً في ذلك الوادي، فحمل ذلك السّد.

فروي أنه كان من العظم وكثرة الماء بحيث ملأ ما بين الجبلين، وحمل الجنات وكثيراً من الناس ممّن لم يمكنهم الفرار. وروي أنه لما خُرق السّد، كان ذلك سبب يبس الجنّات فهلكت بهذا.

(١) المكتل: شبه الزّنبيل.
(٢) ق: والمضاف.
(٣) ق: الجلد.

وقال ابن عباس: «العَرِم» الشديد، فاحتمل أن يكون صفة للسيل، أضيف الموصوف إلى صفته والتقدير: السّيل العرم، أو صفة لموصوف محذوف أي: سيل المطر الشديد الذي كان عنه السيل، أو سيل الجرذ العرم، فالعرم صفة للجرذ. وقيل: العرم اسم الجرذ بنفسه وأضيف السيل إليه لكونه كان السبب في خراب السّد الذي حمله السّيل، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

ولمّا غرق من غرق منهم، ونجا من نجا، تفرّقوا وتمزّقوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا: تفرقوا أيادي سبأ وأيدي سبأ[1]. قيل: والأوس والخزرج منهم.

وعن ابن عباس: كان سيل ذلك الوادي يصل إلى مكّة ويُنتفع به، وكان سيل العرم في ملك ذي الاذعار بن حسان في الفترة التي بين عيسى عليه السلام ونبيّنا محمد [٤٥٧/ ب] ﷺ.

ودخلت الباء في بـ«جنتيهم» على الزّائل. وانتصب ما كان بدلاً وهو قوله «جنتين» على المعهود في لسان العرب. ويسمّى هذا المعوّض «جنّتين» على سبيل المقابلة؛ لأن ما كان فيه خمط واثل وسدر لا يسمّى جنّة، لأنها أشجار لا يكاد يُنتفع بها. وجاءت تثنية ذات على الأفصح في ردّ عينها في التّثنية فقال ﴿ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ ﴾ كما جاء ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن].

وقرىء: أُكُلِ خَمْطٍ، بالإضافة على حذف مضاف، أي: ثمر خمط.

وقرىء بالتنوين، و«خمط» بدلاً من «أكل». وقرىء بالنصب خمطاً، ونصب ما بعدها بدلاً من قوله «جنّتين».

---

(١) انظر المستقصى ٢: ٨٨.

قال أبو عبيدة: الخمط كل شجرة مرّة ذات شوك. والأثل: شجر وهو ضرب من الطّرْفاء[1]. والسّدر، قال الفراء: هو السمر، وقال الأزهري: السّدر سدران: سدر لا يُنتفع به ولا يصلح ورقة للغَسول وله ثمرة عَفِصَة[2] لا تؤكل وهو الذي يسمّى الضّال. وسدر ينبت[3] على الماء وثمره النَّبْق وورقه غَسول[4]، يشبه شجر العنّاب.

«ذلك» إشارة إلى إرسال السيل وتبديل الجنّتين. و«ما» مصدرية، والباء سببية.

﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ﴾ أي: بذلك الجزاء إلا الكفور.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الآية، جاءت هذه الجملة بعد قوله «وبَدّلنَاهُم»؛ وذلك أنه لما ذكر ما أنعم به عليهم من جنّتيهم، وذكر تبديلهما بالخمط والأثل والسدر - ذكر ما أنعم به عليهم من اتّصال قراهم، وذكر تبديلها بالمفاوز والبراري. وصف تعالى حالهم قبل مجيء السيل، وهي أنه - مع ما كان منحهم من الجنّتين والنّعمة الخاصّة بهم - كان قد أصلح لهم البلاد المتّصلة بهم، وعمرها، وجعلهم أربابها[5]، وقدّر السّير بأن قرّب بعضها من بعض.

قال ابن عطية: حتى كان المسافر من مأرب إلى الشام يبيت في قرية ويقيل في أخرى ولا يحتاج إلى حمل زاد.

---

(١) الواحدة طرَفة، وبه سُمّي طرفة بن العبد.

(٢) عفصة: فيها تقبُّض.

(٣) ق: نبتَت.

(٤) ق: الغسول.

(٥) ق: أرباباً.

و﴿ٱلْقُرَى﴾ المدن.

[﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾] قال الزمخشري[١]: [وقلنا لهم سيروا] ولاقول ثمَّ، ولكنهم لمّا مُكّنوا من السّير، وسُوّيت لهم أسبابه، فكأنهم أُمروا بذلك، وأُذن لهم فيه انتهى.

دخول الفاء في قوله: فكأنهم، لا يجوز، والصواب: كأنهم[٢] لأنه خبر لكنّهم.

وقرىء: ربَّنا، على النداء. باعِدْ، فعل من باعَدَ. وبَعِّدْ فعل أمر من بَعَّدَ. وقرىء: ربُّنا، بالرفع على الابتداء: باعَدَ، فعلاً ماضياً في موضع الخبر.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: عظاتٍ وعبراً[٣] يُتحدّث بهم ويُتمثّل.

﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: تعريفاً اتّخذه الناس مثلاً مضروباً، وقال كثيّر عزّة[٤]: [من الطويل]

أيادي سبا يا عزَّ ما كنت بعدكم فلم يَحْلُ للعينين بعدكِ منظرُ

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ﴾ أي: في قصص هؤلاء. «لآيات» أي: علامات. «لكل صبار» عن المعاصي وعلى الطاعات. «شكور» للنعم.

---

(١) الكشاف ٣: ٢٨٦.

(٢) ق: كأنه. وهي في الكشاف: كأنهم، بلا فاء.

(٣) ق: وعبر.

(٤) ديوانه ص٣٢٨.

والظاهر أن الضمير في «عليهم» عائد على ما[1] قبله من أهل سبأ. وقيل: هو لبني آدم. وقرىء: صدّق، بشدّ الدّال، وانتصب «ظنه» على أنه مفعول به «لصدّق»، والمعنى، وجد ظنّه صادقاً، أي: ظنّ شيئاً فوقع ما ظنّ.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾ أي: لإبليس. «عليهم من سلطان» أي: من تسلّط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء. وعلّل التسلّط بالعلم والمراد ما تعلّق به العلم وهي تميّز المؤمن بالآخرة من الشاكّ فيها.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قُلِ [ٱدْعُوا۟] ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، «قل» أمر لمحمد ﷺ، أي: قل للمشركين. «ادعوا الذين زعمتم» وهم معبوداتهم من الملائكة والأصنام. وهو أمر بدعاء، هو تعجيز وإقامة حجّة. وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً، أي: ادعوهم ليكشفوا عنكم ما حلّ بكم، والتجئوا

(١) ق: من.

إليهم فيما يعنّ لكم. وزعم من الأفعال التي تتعدى إلى اثنين، إذا كانت اعتقادية، والمفعول الأول هو الضمير المحذوف العائد على «الذين»، والثاني محذوف أيضاً لدلالة المعنى عليه، ونابت صفته منابه، التقدير: الذين زعمتموهم آلهةً من دونه، لا يملكون ملك أحقر الأشياء، وهو مثقال ذره. ثم نفى الشركة، ثم نفى الإعانة بقوله «من ظهير» وهو المعين.

ولما كان من العرب من يعبد الملائكة، لتشفع له، نفى أن شفاعتهم تنفع. والنفي منسحب على الشفاعة، أي: لا شفاعة لهم فتنفع.

﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ استثناء مفرّغ فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولاتنفع الشفاعة لأحد إلاّ لمن أذن الله له.

﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عطية: تظاهرت الأحاديث[1] عن رسول الله ﷺ أن قوله «حتى إذا فزّع» إنما هي في الملائكة، إذا سمعت الوحي إلىٰ جبريل عليه السلام، وبالأمر يأمر الله تعالى به، سمعت كجّر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ الآية، خطاب للكفّار وسؤال لهم عمّن يرزقهم. وأمره[2] تعالى أن يجيب عاجلاً بقوله «قل الله» إذ [قد يصدر] منهم العناد فلا يقولون[3]: الله، ولا يمكن أن يقولوا آلهتهم.

وقوله «وإنا» الضمير عائد للمؤمنين. «أو إياكم» ضمير الكفّار. «لعلى

(١) انظر مثلاً البخاري ٤: ١٨٠٤.

(٢) ق: وأمر.

(٣) ق: فقد لا يقولون.

هدى» راجع للمومنين. «أو في ضلال» راجع للكفار. وأورد ذلك[١] بـ«أو» التي تقتضي الترديد بين شيئين، وإن كان في العقل التمييز بين الشيئين. ومعلوم أن المؤمن لا يتساوى مع الكافر، ومما يشبه هذا قول الشاعر[٢]:

[من الوافر]

فـأيّـي مـا وأيّـك كـان شـرّاً ... فسيق إلى المقادة في هوان

فردّد بينه وبين مخاطبه في الشر، ومعلوم عنده أن صاحبه هو[٤٥٨/ب] الشّر.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أطلق على عمل المؤمن إجراماً باعتقاد الكافر فيه ذلك.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ أي: يحكم. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل، فيدخل المؤمنين الجنة والكفار النار.

و«الفتاح» و«العليم» صيغتا[٣] مبالغة وهذا فيه تهديد وتوبيخ.

«إلا كافة» قيل: هو حال من الضمير في «أرسلناك» والهاء للمبالغة كقولهم: علاّمة، للرجل كثير العلم. والمعنى: إلا جامعاً للناس في الإبلاغ. وقيل: فيه تقديم وتأخير والتقدير: إلا للناس كافة، ومعناها جميعاً، فيكون حالاً من الناس. ومعناها التأكيد، كأنه قيل: للناس كلهم.

قال الزمخشري[٤]: «إلا كافة للناس» أي: إلا إرساله عامة لهم محيطة

---

(١) ق: لك.

(٢) لم أجده.

(٣) ق: صفتا.

(٤) الكشاف ٣: ٢٩٠.

بهم، لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم. قال: ومن جعله حالاً من المجرور متقدّماً عليه فقد أخطأ، لأنّ تقدم[١] حال المجرور عليه في الإحالة[٢] بمنزلة تقدّم المجرور على الجار. وكم ترى ممّن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى، لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني، فلا بدّ له من ارتكاب الخطأين انتهى.

أما قوله: كافة بمعنى عامة، فالمنقول عن النحويين أنها لا تكون إلا حالاً، ولم يُتصرّف فيها بغير ذلك، فجَعْلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا. ولا يُحفظ أيضاً استعمالها صفة لموصوف محذوف.

وأما قول الزمخشري: ومن جعله حالاً إلى آخره، فذلك مختلف فيه؛ ذهب الأكثرون إلى أن ذلك لايجوز، وذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان ومن معاصرينا ابن مالك، إلى أنه يجوز[٣] وهو الصحيح. ومن أمثلة أبي عليّ: زيدٌ خيرَ ما يكون خيرٌ منك، التقدير: زيد خيرٌ منك خيرَ ما يكون. فجعل «خيرَ ما يكون» حالاً من الكاف في منك وقدّمها عليه. وقال الشاعر[٤]:

[من الطويل]

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... فمطلبها كهلاً عليه شديد

أي فمطلبها عليه كهلاً شديد. وقال آخر[٥]: [من الطويل]

تسلّيتُ طرّاً عنكمُ بعد بينِكم ... بذكراكمُ حتى كأنكمُ عندي

---

(١) ق: يقدم.

(٢) ق: الإحاطة.

(٣) ق: لا يجوز.

(٤) البيت للمعلوط السعدي في شرح ديوان الحماسة ٣: ١١٤٨.

(٥) البيت في المقاصد النحوية ٣: ١٦٠ غير منسوب.

أي تسلّيت عنكم طرّاً أي: جميعاً. وقد جاء تقديم الحال على صاحبه المجرور وعلى ما يتعلّق به، ومن ذلك قول الشاعر[١]: [من الكامل]

مشغوفةً بك قد شُغفتُ وإنما   حُمَّ[٢] الفراق فما إليك سبيلُ

وقال [آخر][٣]: [من الخفيف]

غـافـلاً تعـرض المنيّـة للمـرء   فيُـدعـى ولات حيـنَ إبـاءِ

أي: شُغفتُ بك مشغوفةً، وتعرض المنية للمرء غافلاً.

وإذا جاز تقديمها على المجرور والعامل، فتقديمها عليه دون العامل أجوز.

وقول الزمخشري: وكم ترى ممّن يرتكب هذا الخطأ إلى آخر كلامه، تشنيع، لأن قائل ذلك [٤٥٩/أ] لا يحتاج إلى أن يتأول اللام بمعنى إلى. وأرسل يتعدى باللام كقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۝٧٩﴾ [النساء] ولو تأوّل اللام بمعنى إلى لم يكن ذلك خطأ لأن اللام قد جاءت بمعنى إلى، وإلى جاءت بمعنى اللام. وأرسل، مما جاء متعدّياً بهما إلى المجرور.

والظاهر أن الميعاد اسم على وزن مفعال، استعمل بمعنى المصدر أي: قل لكم وقوع يوم ونحوه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) البيت في المقاصد النحوية ٣: ١٦٢ غير منسوب.

(٢) ق: حتم.

(٣) البيت أيضاً في المقاصد النحوية ٣: ١٦١ غير منسوب

ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم مشركوا قريش ومن جرى مجراهم. والمشهور أن ﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ التوراة والأنجيل، وما تقدّم من الكتب الإلهية.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أخبر عن حالهم في صيغة التعجب منها. و«ترى» في معنى رأيت لإعمالها في الظرف الماضي. ومفعول «ترى» محذوف أي: حالَ الظالمين إذ هم موقوفون. وجواب «لو» محذوف أي: لرأيت لهم حالة منكرة من ذلّهم وتحاورهم[1] وتجادلهم حيث لا ينفعهم شيء من ذلك.

ثم فسّر ذلك الرجوع والجدل بأن الأتباع - وهم الذين استُضعفوا - قالوا لرؤسائهم على جهة التّذنيب والتّوبيخ وردّ اللائمة عليهم ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنتم أغويتمونا وأمرتمونا بالكفر. فقال لهم رؤساؤهم ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ﴾ فأتوا بالاسم بعد أداة الاستفهام إنكاراً لأن يكونوا هم[2] الذين صدّوهم، بل صددتم من قبل أنفسكم وباختياركم، كأنهم قالوا: أنحن أجبرناكم[3] وحُلْنا بينكم وبين الذكر بعد أن صمّمتم على الدخول في الإيمان، بل أنتم منعتم أنفسكم حظّها، وآثرتم الضلال على الهدى، فكنتم

(١) وتجاورهم.
(٢) ق: لا أن يكون هم.
(٣) ق: أخبرناكم.

مجرمين كافرين باختياركم لا بقولنا وتسويلنا.

ولمّا أنكر رؤساؤهم أنهم السبب في كفرهم، وأثبتوا بقولهم «بل كنتم مجرمين» أن كفرهم هو من قبل أنفسهم، قابلوا إضراباً بإضراب، فقال الأتباع «بل مكر الليل والنهار» أي: ما كان إجرامنا من جهتنا، بل مكركم لنا دائماً ومخادعتكم لنا ليلاً ونهاراً، إذ تأمروننا ونحن أتباع لا نقدر على مخالفتكم، مطيعون لكم باستيلائكم علينا بالكفر بالله واتّخاذ الأنداد.

وأضيف المكر[1] إلى الليل والنهار، واتُّسع في الظرفين، فهما في موضع نصب على المفعول به على السّعة، أو في موضع رفع على الإسناد المجازي كما قالوا: ليل نائم. والأولى أن يرتفع «مكر» على الفاعلية، أي: بل صدّنا مكركم بالليل والنهار.

«إذ» معمول «لِمَكْر». «وأسروا» الضمير عائد للجميع وهم الظالمون الموقوفون. «وأسرُّوا» تقدّم الكلام عليه[2]. و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ هم الذين سبقت منهم المحاورة. وجَعْل الأغلال إشارة إلى كيفية العذاب، قطعوا بأنهم واقعون فيه.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ استفهام معناه النفي، ولذلك دخلت «إلا» بعد النفي.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ

(١) ق: المكرر.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٤ من يونس.

أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ الآية هذه تسلية لرسول الله صلى الله [٤٥٩/ب] عليه وسلم ممّا مُني به من قومه قريش من الكفر والافتخار بالأموال والأولاد، وأن ما ذكروا من ذلك هو عادة المترفين مع أنبيائهم، فلا يهمنّك أمرهم. «من نذير» عامّ، أي: ينذرهم بعذاب الله تعالى إن لم يوحّدوه.

و﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ جملة حالية. ونصّ على المترفين لأنهم أول المكذّبين للرسل لِمَا شُغلوا به من زخرف الدنيا، بخلاف الفقراء، فإنهم خالون من مستلذات الدنيا. و«بما» متعلّق بـ«كافرون». و«ربه» متعلق بـ«أرسلتم». و«ما» عامّة فيما جاءت به النُّذُر من طلب الإيمان بالله تعالى وإفراده[١] بالعبادة، والإخبار بأنهم رسله إليهم والبعث والجزاء على الأعمال.

والظاهر أن الضمير في «قالوا» عائد على المترفين: وقيل: عائد على قريش، ويدل عليه ما بعده من الخطاب في قوله ﴿بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ]. والظاهر[٢] أن هذا الموصول أريد به الأموال والأولاد.

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ الظاهر أنه استثناء منقطع، وهو منصوب على الاستثناء، أي: لكن من آمن وعمل صالحاً، فإيمانه وعمله يقرّبانه.

---

(١) ق: وانفراده.

(٢) ق: الظاهر.

وقال الزّجاج: «إلا من آمن» هو بدل من الكاف والميم في «تقرّبكم».

وقال النحاس: هذا غلط، لأن الكاف والميم للمخاطب، فلا يجوز البدل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتك زيداً. وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفراء انتهى.

ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز أن يبدل [من] ضمير المخاطب والمتكلم، لكن البدل في الآية لا يصحّ. ألا ترى أنه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد إلا، لو قلت: ما زيد بالذي يضرب إلا خالداً لم يصحّ. وتخيّل الزجاج أن الصلة وإن كانت من حيث المعنى منفيّة أنه يجوز البدل. وليس بجائز إلا فيما يصحّ التفريغ [له].

قال الزمخشري[١]: «إلا من» استثناء من «كُم» في «تقربكم»، والمعنى أن الأموال لا تقرّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرّب أحداً إلا من علّمهم الخير، وفقّههم في الدين، ورشّحهم للصلاح والطاعة انتهى.

اتّبع الزّجاج في ذلك، وهو لا يجوز كما ذكرنا. لا يجوز: ما زيد بالذي يخرج إلا أخوه، ولا: ما زيد بالذي يضرب إلا عَمْراً، ولا ما زيد بالذي يمر إلا ببكر. والتركيب الذي ركّبه الزمخشري من قوله: لا تقرّب أحداً إلا المؤمن، غير موافق للتركيب القرآني، ففي الذي ركّبه يجوز ما قال، وفي لفظ القرآن لا يجوز.

وأجاز الفراء[٢] أن يكون «مَن» في موضع رفع، وتقدير الكلام عنده: ما

(١) الكشاف ٣: ٢٩٢.

(٢) انظر معاني القرآن ٢: ٣٦٣.

هذا[١] المقرّب إلا من آمن انتهى.

وقوله كلام لا يتحصل منه معنى، كأنه كان نائماً حين قال ذلك!!.

وقرىء: جزاءُ، مضافاً إلى الضعف، ومعناه: يجزيهم الله الضعف، أي: يضاعف لهم الحسنات. وقرىء: جزاءٌ، منوّناً. الضِّعفُ [٤٦٠/أ] بالرفع، فالضّعف بدل.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ أي: في العلالي.

ولمّا ذكر جزاء من آمن، ذكر عقاب من كفر، ليظهر تفاوت ما بين الشيئين.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ[٢]﴾ تقدم الكلام عليه[٣].

ومعنى ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: يأتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ «من عباده» مشعراً بالمؤمنين، وكذلك الخطاب في «وما أنفقتم» فقصد هنا رزق المؤمنين. فليس مساق «قل إن ربي يبسط» مساق ما قيل للكفار، بل مساق الوعظ والتّزهيد في الدنيا، والحضّ على النّفقة في طاعة الله تعالى وإخلاف ما أنفق إما منجزاً في الدنيا وإما مؤجّلاً في الآخرة، وهو مشروط بقصد وجه الله تعالى.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى

---

(١) ق: ماهو المقرب.

(٢) ق: سعوا.

(٣) انظر تفسير الآية ٥١ من الحج.

كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن
يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ
أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعًا﴾ أي: المكذبين من تقدّم ومن تأخّر. وخطاب الملائكة تقريع للكفّار، وقد علم تعالى أن الملائكة منزّهون بُرَآءُ ممّا وجّه عليهم من السؤال، وإنما ذلك على طريق توقيف الكفار على سوء ما ارتكبوه، من عبادة غير الله تعالى، وأن من عبدوه متبرىء منهم. و«أهؤلاء» مبتدأ، وخبره «كانوا يعبدون»، و«إياكم» مفعول «يعبدون» لمّا تقدّم انفصل. وإنما قُدّم لأنه أبلغ في الخطاب، ولكون «يعبدون» فاصلة [فلو أتى بالضمير متصلاً كان التركيب: يعبدونكم، ولم يكن فاصلة]. واستُدلّ بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها إذا كان جملة.

ولما أجابوا الله تعالى، بدؤوا بتنزيهه وبراءته من كل سوء كما قال عيسى عليه السلام[2]، ثم انتسبوا إلى موالاته دون أولئك الكفرة، أي: أنت وليّنا إذ لا موالاة بيننا وبينهم.

وفي قولهم ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ إشعار أنهم ما عبدوهم[3]، وإن لم

---

(١) ق: نحشرهم.
(٢) ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].
(٣) ق: عبدوه.

يصرّح به، ولكن الإضراب ببل يدلّ عليه، وذلك لأن المعبود إذا لم يكن راضياً بعبادة عابده مريداً لها، لم يكن ذلك العابد عابداً له حقيقة، فلذلك قالوا «بل كانوا يعبدون الجن» لأن أفعالهم القبيحة هي من وسوسة الشياطين وإغوائهم ومراداتهم، فهم عابدون لهم حقيقة، إذ الشياطين راضون بتلك الأفعال.

والإشارة بقوله ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ إلى تالي الآيات المفهوم من قوله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ وهو رسول الله ﷺ. وحكى تعالى مطاعِنَهم عند تلاوة القرآن عليهم، فبدؤوا أولاً بالطعن في التّالي بأنه يقدح في معبودات آلهتكم، ثم ثانياً فيما جاء به الرسول عليه السلام من القرآن بأنه كذب مختلق من عنده، وليس من عند الله تعالى، وثالثاً بأن ما جاء به سحر واضح لما اشتمل على ما يوجب الاستمالة وتأثير النفوس له وإجابته. فطعنوا في الرسول عليه السلام وفيما جاء به وفي وصفه. ويحتمل أن يكون ذلك صدر من مجموعهم، ويحتمل أن يكون كل جملة منها قالها [٤٦٠/ب] قوم غير من قال الجملة الأخرى.

وفي قولهم ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ دليل على أنه حين جاءهم، لم يفكّروا فيه، بل بادهوه بالإنكار ونسبته إلى السحر. ولم يكتفوا بقولهم إنه سحر حتى وصفوه بأنه واضح لمن يتأمّله. وقيل: إنكار القرآن والمعجزة كان متّفقاً عليه من المشركين وأهل الكتاب، فقال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ على وجه العموم.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية، «وما آتيناهم» [أي] أهل مكة. «من كتب» من عندنا فيعلموا[1] بدراستها بطلان ما جئت به.

---

(١) ق: فيعلمون.

ومعنى «قبلك» أي: ما أرسلنا من نذير شافههم بشيء، ولا باشر[١] أهل عصرهم ولا من قَرُب من آبائهم، وقد كانت النذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وغيره. ودعوة الله قائمة لا تخلو الأرض من داعٍ إليه.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ توعُّدٌ لهم[٢] بمن تقدّمهم من الأمم وما آل إليه أمرهم، وتسلية لرسول الله ﷺ بأن عادتهم في التكذيب عادة الأمم السابقة، وسيحلّ بهم ما حلّ بأولئك.

والظاهر أن الضميرين في «بلغوا» وفي «آتيناهم» عائدان على «الذين من قبلهم» ليتناسقا مع قوله «فكذبوا» أي: ما بلغوا في شكر النعمة وجزاء المنّة معشار ما آتيناهم من النعم والإحسان إليهم. وحين كذّبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتّدمير والاستئصال، ولم يُغْنِ عنهم ما كانوا فيه من القوة.

والمعشار: مفعال من العشر. ولم يُبْنَ على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المرباع، ومعناهما العشر والرّبع، وقال قوم: المعشار عُشْر العُشْر.

﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ
مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا
سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ
رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ
إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ
قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ

(١) ق: يباشر.

(٢) ق: تعالى عدلهم.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ قال السدّي: هي لا إلا إلا الله، وقيل غير ذلك. والمعنى: إنما أعظكم بواحدة، فيها إصابتكم الحق، وخلاصكم، وهي أن تقوموا لوجه الله تعالى متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً.

قال الزمخشري[(١)]: «بواحدة» بخصلة واحدة وهو فسّرها بقوله «أن تقوموا» على أنه عطف بيان لها انتهى.

هذا لا يجوز لأنّ «بواحدة» نكرة، و«أن تقوموا» معرفة لتقديره: قيامكم لله. وعطف البيان فيه مذهبان: أحدهما أنه يشترط فيه أن يكون معرفة من معرفة، وهو مذهب البصريين، والثاني أنه يتبع ما قبله في التعريف والتنكير، وهو مذهب الكوفيين. وأمّا التّخالف فلم يذهب إليه ذاهب إنما هو وهم من قائله.

وقد ردّ النحويون على الزمخشري في قوله إن «مقام إبراهيم» عطف بيان من قوله «آيات بينات»[(٢)] وذلك لأجل التّخالف فكذلك هذا.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي: في[(٣)] أمر محمد ﷺ وما جاء به.

وإنما قال ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ لأن الجماعة يكون مع [٤٦١/أ] اجتماعها تشويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط الكلام والتعصّب للمذاهب.

---

(١) الكشاف ٣: ٢٩٤.

(٢) الآية ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

(٣) ق: أي زائد في.

وانتصب «مثنى وفرادى» على الحال. وقدّم «مثنى» لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة، فإذا انقدح الحق بين الاثنين، فكّر كلّ واحد بعد ذلك فيزيد بصيرة. وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

إذا اجتمعوا جاؤوا بِكلّ غريبةٍ فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

«ثم تتفكروا» عطف على «أن تقوموا» والفكرة هنا في حال رسول الله ﷺ، وفيما نسبوه إليه، فإن الفكرة تهدي غالباً إلى الصواب.

والوقف عند أبي حاتم عند قوله «ثم تتفكروا»، و«ما يصاحبكم من جنة» نفي مستأنف. والذي يظهر أن الفعل معلّق عن الجملة المنفيّة، فهو في موضع نصب على إسقاط في.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فيه التبرّؤ من طلب الدنيا ومن طلب الأجر على النور الذي أتى به، والتوكّل على الله والأجر [عنده]. واحتملت «ما» أن تكون موصولة مبتدأ، والعائد من الصلة محذوف تقديره: سألتكموه، و«فهو لكم» الخبر، ودخلت الفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. واحتملت أن تكون «ما» شرطية مفعولة بـ«سألتكم»، و«فهو لكم» جملة هي جواب الشرط.

والظاهر أن «بالحق» هو المفعول، فالحق هو المقذوف به.

قال الزمخشري[2]: رَفْع «علاّمُ» محمول على محل إنّ واسمها، أو على المستكنّ في «يقذف»، أو هو خبر مبتدأ محذوف انتهى.

---

(١) لم أجده.

(٢) الكشاف ٣: ٢٩٥.

أما الحمل على محلّ إنّ واسمها فهو [غير] مذهب سيبويه، فليس بصحيح عند أصحابنا على ما قررناه في كتب النحو. وأما قوله: على المستكنّ في «يقذف» فلم يبيّن وجه حمله، وكأنه يريد أنه بدل من ضمير «يقذف».

ولمّا ذكر تعالى أنه ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ بصيغة المضارع، أخبر أن الحق قد جاء، وهو القرآن والوحي، وبطل ما سواه من الأديان، فلم يَبْقَ لغير الإسلام ثبات، لا في بدءٍ ولا في عاقبة، فلا يُخاف على الإسلام ما يبطله.

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ ثَمّ محذوف تقديره: فاهتدائي، وهو مبتدأ خبره «فيما يوحي إلي ربي» أي: كائن بما يوحي. و«ما» مصدرية أي: بإيحاء ربّي. أو موصولة بمعنى الذي، و«يوحي» صلته والضمير محذوف تقديره: يوحيه.

والظاهر أن قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ أنه وقت البعث وقيام الساعة. وعبّر بـ«فزعوا» و«أُخذوا» و«قالوا» و«حيل» بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه بالخبر الصادق.

وقال ابن عباس والضحّاك: هذا في عذاب الدنيا.

ومفعول «ترى»[1] محذوف أي: ولو ترى الكفار إذ فزعوا.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: لا يفوتون الله تعالى، ولا مهرب لهم عمّا [٤٦١/ب] يريده بهم.

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: من مساكنهم.

والضمير في «به» عائد على الله تعالى. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ قال ابن

(١) ق: يرى.

عباس: الرجوع إلى الدنيا، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في الدنيا.

مثّل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بُعْد كما يتناوله الآخر من قرب. وقرىء: التناوش، بالواو، وبهمزةٍ بَدَلَها.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ الضمير في «به» عائد على ما عاد عليه «آمنّا به»، والجملة حالية.

و﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل نزول العذاب.

وقرىء: ويقذفون، مبنيًا للفاعل حكاية حال متقدّمة، قال الحسن: قولهم لا جنّة ولا نار.

«بعيد» أي: من جهة بعيدة لأنّ نسبته إلى شيء من ذلك أبعد الأشياء.

وقرأ مجاهد وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو: ويُقذفون، مبنيًّا للمفعول، معناه يُرمون بالغيب من حيث لا يعلمون، ومعناه يجازون على سوء أعمالهم.

﴿وَحِيلَ﴾ هو مبني للمفعول، وقبل البناء كان حالَ، وهو فعل لا يتعدّى، وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

وقد حال همٌّ دون ذلك شاغلٌ   مكان الشَّغافِ تبتغيه الأصابعُ

فعلى هذا يكون المُقام مقام الفاعل ضميرَ المصدر المفهوم من قوله «حيل» كأنه قيل: وحيل هو، أي: الحول. والذي يشتهون: الرجوع إلى الدنيا.

(١) البيت للنابغة في ديوانه ص٤٥.

قاله ابن عباس. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أي: بأشباههم من كفرة الأمم، أي: حيل بينهم وبين مشتهياتهم.

و﴿مِّن قَبْلُ﴾ يصحّ أن يكون متعلّقا بـ«أشياعهم» أي: من اتّصف بصفاتهم من قبل، أي: في الزّمان الأول، ويترجّح بأنّ ما يُفعل بجميعهم إنما هو في وقت واحد. ويصحّ أن يكون متعلّقاً بـ«فُعل» إذا كانت الحيلولة في الدنيا.

سورة فاطر(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية بلا خلاف. ولما ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها هلاك المشركين، وأنزلهم منازل العذاب، تعيّن على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه.

ومعنى ﴿ رُسُلًا ﴾ بالوحي وغيره من أوامره، ولا يريد جميع الملائكة، لأنهم ليسوا كلهم رسلاً، فمن الرسل جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل

(١) مكية وهي خمس وأربعون آية.

وعزرائيل، والملائكة المتعاقبون والملائكة المسدّدون حكام العدل وغيرهم، كالملك الذي أرسله الله تعالى إلى الأعمى والأبرص والأقرع.

و«أجنحة» جمع جناح.

وتقدّم الكلام على ﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ في النساء[1].

[٤٦٢/أ] ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب من خبر الملائكة أولي الأجنحة، أي: ليس هذا ببدع في قدرة الله تعالى، فإنه يزيد في خلقه ما يشاء.

«ما يفتح الله» الفتح والإرسال استعارة للإطلاق «فلا مرسل له» مكان: لا فاتح له، والمعنى: أي شيء يطلق الله من رحمته، أي: من نعمة رزق أو مطر أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. والعموم مفهوم من اسم الشرط، و«من رحمة» لبيان ذلك العام من أي صنف هو. وهو مما اجتزىء فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرّف المطابق في العموم لاسم الشرط، وتقديره: من الرحمات. و«من» في موضع الحال أي: كائناً من الرحمات، ولا يكون في موضع الصفة لأن اسم الشرط لا يوصف. والظاهر أن قوله «وما يمسك» عام في الرحمة وفي غيرها، لأنه لم يذكر له تبيين، فهو باقٍ على العموم في كل ما يمسك.

فإن كان تفسيره: من رحمة، وحذفت لدلالة الأول عليه، فيكون تذكير الضمير في «فلا مرسل له من بعده» حملاً على لفظ «ما»، وأنّث في «فلا ممسك لها» حملاً على معنى «ما» لأن معناها الرحمة. وقرىء: فلا مرسل[2]

(١) انظر تفسير الآية ٣ من النساء.

(٢) ق: ممسك.

لها، بتأنيث الضمير، وهو دليل على أن التفسير هو: من رحمة، وحذف لدلالة ما قبله عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب لقريش، وهو متجّه لكّل مؤمن وكافر. ثم استفهم على جهة التقرير ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: فلا إله إلا الخالق لا ما تعبدون أنتم من الأصنام. وقرىء: غيرِ، بالخفض نعتاً على اللفظ. وغيرُ، بالرفع نعتاً على الموضع و«مِن» زائدة، و«خالق» مبتدأ وخبره محذوف لدلالة المعنى، تقديره: لكم.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ تقدّم الكلام عليه[1].

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ شامل لجميع ما وعد من ثواب وعقاب وغير ذلك.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ تقدّم الكلام عليه في لقمان[2].

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ عداوته سبقت لأبينا آدم عليه السلام.

و﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ اللام فيها للتعليل، فدعاؤه حزبه ليشتركوا معه في النار، ولتظهر ثمرة إغوائه.

ثم اتبع حزبه بما أعدّ لهم من العذاب، وذكر بعد ذلك ما أعد لأهل الإيمان، ليظهر التّباين بين الفريقين.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ﴾ «مَن» مبتدأ موصول بمعنى الذي، وخبره محذوف تقديره: كمن لم يُزيَّن له سوء عمله.

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٢ من الحج.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٣ من لقمان.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ الحسرة همّ النفس على فوات أمر. وانتصب «حسرات» على أنه مفعول من أجله، أي: فلا تهلك نفسك للحسرات. و«عليهم» متعلق بـ«تذهب» كما تقول: هلك عليه حبّاً ومات عليه حزناً، وهو[1] بيان للتحسّر [٤٦٢/ب] عليه، ولا يتعلّق بـ«حسرات» لأنه مصدر فلا يتقدم معموله عليه.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ
وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ
أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ
فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن
قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ الآية، لمّا ذكر أشياء من الأمور السماوية وإرسال

(١) ق: أوهو.

الملائكة[١]، ذكر أشياء من الأمور الأرضية: الرياح وإرسالها - وفي هذا احتجاج على منكري البعث - ودلّهم على المثال الذي يعاينونه[٢]، وهو وإحياء الموتى سيّان.

وفي الحديث[٣] «أنه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟. فقال: هل مررت بوادي أَهْلِك محلاً ثم مررت به يهتزّ خَضِراً؟. فقالوا: نعم. فقال: كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه».

و﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك. وصعود الكلم إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المنتهي إليه؛ لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود، لأن الصعود من الأجرام يكون، وإنما ذلك كناية عن القبول ووَصْفِه بالكمال كما يقال: علا كعبه وارتفع شأنه، ومنه: ترافعوا إلى الحاكم، ورفع الأمر إليه، وليس هناك علوّ في الجهة. ومكر: لازم. و«السيئات» نعت لمصدر محذوف أي: المكرات السّيئات، أو لمضافٍ إلى المصدر أي: أصناف المكر السيئات، أو ضمَّنَ «يمكرون» معنى: يكتسبون فنصب «السيئات» مفعولاً به وإذا كانت «السيئات» نعتاً للمصدر أو لمضافٍ للمصدر، فالظاهر أنه عنى به مكرات قريش في دار الندوة، إذ تذاكروا إحدى ثلاث مكرات، وهي المذكورة في الأنفال[٤] إثباته أو قتله أو إخراجه.

«أولئك» إشارة إلى الذين مكروا تلك المكرات.

---

(١) ذكر أشياء من الأمور السماوية وإرسال الملائكة: مكررةفي ق.

(٢) ق: يعاينوه.

(٣) انظر النهاية ٤: ٣٠٤.

(٤) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

﴿يَبُورُ﴾ أي: يفسد ويهلك ويكسد دون مكر الله تعالى بهم إذ أخرجهم من مكة، وقتلهم، وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً، وحقق فيهم قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

و«مِن» في ﴿مِن مُّعَمَّرٍ﴾ زائدة. وسمّاه بما يؤول إليه، وهو الطويل العمر.

والظاهر أن الضمير في «من عمره» عائد على «معمّر» لفظاً ومعنى.

قال الزمخشري[1]: ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم «الله» صفة لاسم الإشارة، أو عطف بيان، و«ربكم» خبراً، لولا أن المعنى يأباه انتهى.

أما كونه صفة، فلا يجوز، لأن «الله» عَلَم والعلم لا يوصف به، وليس اسم جنس كرجل، فيُتَخَيَّل فيه الصفة. وأما قوله: لولا أن المعنى يأباه، فلا يأباه المعنى، لأنه يكون قد أخبر بأن المشار إليه بتلك الصفات والأفعال [المذكورة.

﴿رَبُّكُمْ﴾ مالككم ومصلحكم، وهذا معنى لائق سائغ].

والقطمير: تقدم شرحه[2]، والقطمير: هو القمع الذي في رأس الثمرة، وقال مجاهد: لفافة[3] النواة، وقيل غير ذلك.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ الخبير هنا أراد به تعالى نفسه [٤٦٣/أ] فهو الخبير الصادق الخبر، نبأ بهذا فلا شك في وقوعه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

---

(١) الكشاف ٣: ٣٠٤.

(٢) لم ترد هذه اللفظة في القرآن في غير هذه الآية.

(٣) ق: ولفافة.

أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾
وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ
أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ
وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، هذه آية موعظة وتذكير، وإن جميع الناس محتاجون إلى إحسان الله تعالى وإنعامه في جميع أحوالهم.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه(١).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ تقدم الكلام عليه(٢).

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي: نفس مثقلة [بحملها].

﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: إلى حَمْل حِمْلها.

﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ أي: لا غياث يومئذ لمن استغاث ولا إعانة، حتى أنّ نفساً قد أثقلتها الأوزار، لو دعت أن يخفَّف عنها بعض وزرها، لم تُجَبْ لذلك، وإن كان المدعوّ بعض قرابتها من أبٍ أو ولد أو أخ. فالآية قبلها في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنه لا يؤاخذ [نفساً] بغير ذنبها،

(١) انظر تفسير الآية ١٣٣ من النساء.

(٢) بل مرّ بالجملة في الأنعام ١٦٤، والإسراء ١٥ دون تفسير.

وهذه في نفي الإعانة.

والحمل ما كان على الظهر في الأجرام، فاستعير للمعاني كالذنوب ونحوها، فيجعل كل محمول متّصلاً بالظَّهر كقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۝٣١﴾ [الأنعام]، كما جعل كل اكتساب منسوباً إلى اليد. واسم «كان» ضمير يعود على المدعوّ المفهوم من قوله «وإن تَدْعُ».

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الآية، قال أبو عبد الله الرازي[1]: وترتيب هذه المنفيّ عنها الاستواء في غاية الفصاحة: ذكر الأعمى والبصير مثلاً للمؤمن والكافر، ثم البصير ولو كان حديد النّظر لا يبصر[2] إلاّ في ضوء، فذكر ما هو فيه الكافر من ظلمة الكفر، وما هو فيه المؤمن من نور الإيمان، ثم ذكر مآلهما، وهو أن المؤمن بإيمانه في ظل وراحة، والكافر بكفره في حرّ وتعب.

ثم ذكر مثلاً آخر في حق المؤمن والكافر؛ وذلك أن حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير، إذ الأعمى قد يشارك البصير في إدراكٍ ما، والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً فهو كالميت، ولذلك أعاد الفعل فقال ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ كأنه جعله مقام سؤال. وكرّر «لا» فيما كرّر لتأكيد المنافاة؛ فالظلمات تنافي النور وتضادّه[3]، والظّل والحرور كذلك، والأعمى والبصير ليس كذلك، لأن الشخص الواحد قد يكون بصيراً، ثم يعرض له العمى، فلا منافاة إلا من حيث الوصف.

---

(١) تفسير الرازي ٢٦ : ١٦ . وقد تصرف المصنّف بعبارة الرازي تصرّفاً عظيماً.

(٢) ق: ينظر.

(٣) ق: تضادده.

والمنافاة بين الظلّ والحرور دائمة[١]، لأن المراد من الظّل عدم الحرّ والبرد، فلمّا كانت [المنافاة] أتمّ أكّد بالتكرار.

وأما الأحياء والأموات من حيث إن الجسم الواحد يكون محلاً للحياة، فيصير محلاً للموت، فالمنافاة بينهما أتمّ من المنافاة[٢] بين الأعمى والبصير؛ لأنّ هذين قد يشتركان في إدراك أشياء[٣]، ولا كذلك الحيّ والميّت، فالميت يخالف الحيّ في الحقيقة لا في الوصف على ما تبيّن[٤] في الحكمة الإلهية.

وقدّم الأشرف في [٤٦٣/ب] مَثَلين وهو الظّل والحيّ، وأخّر في مثلين وهما البصير والنور، فلا يقال: لأجل السجع؛ لأن معجزة القرآن ليست في مجرّد اللفظ بل فيه وفي المعنى.

ثم لمّا ذكر المآل والمرجع قدّم ما يتعلّق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب كما جاء «سبقت رحمتي غضبي»[٥] فقدّم الظّل على الحرور.

ثم إنّ الكافر المصرّ بعد البعثة صار أضلّ من الأعمى، وشابه الأموات في عدم إدراك الحق فقال «وما يستوي الأحياء» وهم الذين آمنوا بما[٦] أنزل الله «ولا الأموات» الذين تُليت عليهم الآيات البيّنات، ولم ينتفعوا بها، وهؤلاء كانوا بعد إيمان من آمن، فأخّرهم لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين.

---

(١) في تفسير الرازي: ذاتية.

(٢) ق: من الفائدة.

(٣) ق: إدراكِ ما.

(٤) ق: بين.

(٥) أخرجه البخاري ٦: ٢٦٩٤، ومسلم ٤: ٢١٠٧ من حديث أبي هريرة.

(٦) ق: والذين آمنوا أي زائد بما.

وأفرد الأعمى والبصير لأنه قابل الجنس بالجنس؛ إذ قد يوجد في أفراد العميان ما يساوي به بعض أفراد البصراء، كأعمى عنده من الذكاء ما يساوي به البصير البليد، فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الأفراد.

وجُمعت الظلمات لأن طرق الكفر متعدّدة، وأفرد النور لأنّ التوحيد والحق واحد، والتفاوت بين كل فرد من تلك الأفراد وبين هذا الواحد، فقال: الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا النور.

وأما الأحياء والأموات فالتفاوت بينهما أكبر؛ إذ ما ميّتٌ يساوي في الإدراك حيّاً، فذكر أن الأحياء لا يساوون الأموات، سواء قابلت الجنس بالجنس، أم قابلت الفرد بالفرد انتهى.

ثم سلّى رسوله عليه السلام بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: إسماع هؤلاء منوط بمشيئتنا. وكنّى بالإسماع عن الذي تكون عنده الإجابة للإيمان.

ولمّا ذكر أنه ما يستوي الأحياء ولا الأموات قال ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: هؤلاء من عدم إصغائهم إلى سماع الحق بمنزلة من[1] قد ماتوا وأقاموا في قبورهم. فكما أنّ من مات لا يمكن أن يقبل منك قول الحق، فكذلك هؤلاء، لأنهم أموات القلوب.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ المعنى أن الدعاء إلى الله تعالى لم ينقطع عن كلّ أمّة، إما بمباشرة من أنبيائهم، وإما بنقل إلى وقت بعثة محمد ﷺ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ مسلاة للرسول عليه السلام وتقدّم الكلام عليه[2].

---

(١) ق: من هم.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٢ من الحج.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ توعّد لقريش بما جرى لمكذّبي رسلهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الآية، لمّا قرر تعالى وحدانيته بأدلّة قرّبها، وأمثال ضربها، أتبعها بأدلّة سماوية وأرضية فقال «ألم تر».

﴿جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة كدّرة ودرر، وهو الطريق الواضح المبين وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض.

وقال ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ لأن البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضّعف [٤٦٤/أ] فأبيض لا يشبه أبيض، وأحمر لا يشبه أحمر، وإن اشتركا في القدر المشترك لكنه مشكل[١].

والظاهر عطف «وغرابيب» على «حمر» عطف ذي لون على ذي لون.

والظاهر أنه لمّا ذكر الغربيب وهو الشديد السّواد لم يذكر فيه: مختلف ألوانه، لأنه من حيث جعله شديد السواد - وهو المبالغ في غاية السّواد - لم يكن له ألوان بل هذا لون واحد، بخلاف البيض والحمر فإنها تختلف.

والظاهر أنّ قوله «بيض وحمر» ليسا مجموعين في جُدّة واحدة بل المعنى: جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب.

---

(١) ق: مشكك.

ويقال: أسود حلكوك وأسود غربيب. و«سود» توكيد «لغرابيب».

«ومن الناس والدواب» عموم بعد خصوص. «والأنعام» خصوص بعد عموم. «كذلك» أي: كاختلاف الثمرات والجبال، فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله، والوقف عليه حسن.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج السبب، كأنه قال: كما جاءت القدرة في هذا كله «إنما يخشى الله من عباده العلماء» أي: المخلصون لهذه العبر الناظرون فيها انتهى.

وهذا الاحتمال لا يصحّ، لأنّ ما بعد «إنما» لا يمكن أن يتعلّق به المجرور[1] قبلها؛ ولو خرّج مخرج السبب لكان التركيب: كذلك يخشى الله من عباده، أي: كذلك الاعتبار والنظر في مخلوقات الله تعالى واختلاف ألوانها يَخشى اللهَ. ولكن التركيب جاء «بإنما» وهي تقطع هذا المجرور ممّا بعدها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن
فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ
ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ
بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن
فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

(١) ق: لأنّ ما بعد إنّ لا يمكن أن يتعلق بهذا المجرور.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾ ظاهره: يقرؤون كتاب الله، أي: يداومون تلاوته. ولما ذكر تعالى وَصْفهم بالخشية - وهي عمل القلب - ذكر أنهم يتلون كتاب الله - وهو عمل اللسان - ويقيمون الصلاة - وهو عمل الجوارح - وينفقون - وهو العمل المالي[1].

﴿يَرْجُونَ﴾ خبر «إنّ». وهذا إشارة إلى الإخلاص أي: يفعلون تلك الأفعال، يقصدون بذلك وجه الله تعالى لا للرياء والسمعة.

﴿لَّن تَبُورَ﴾ لن تكسد، ولا يتعذّر الربح فيها، بل ينفق عند الله تعالى.

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ ﴾ متعلق بـ«يرجون».

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ و«ثمّ» للمهلة في الإخبار لا في الزمان. قال ابن عباس: هم هذه الأمة أورثت أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله الله تعالىٰ.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو العاصي المسرف. والمقتصد: متّقي الكبائر. والسابق: المتّقي على الإطلاق. والظاهر أن الإشارة بـ«ذلك» إلى إيراث الكتاب واصطفاء هذه الأمة.

و﴿ جَنَّٰتُ﴾ على هذا مبتدأ، و﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الخبر.

والظاهر أن الضمير المرفوع في «يدخلونها» عائد على الأصناف الثلاثة. وقرأ عمر رضي الله عنه هذه الآية ثم قال: قال رسول الله ﷺ[2] «سابقنا سابق ومقتصدنا ناجٍ وظالمنا مغفور [٤٦٤/ب] له».

---

(١) ق: البالي.

(٢) لم أجده بلفظه، وأخرج الترمذي ٨: ٣٥٨ حديثاً في معناه عن أبي سعيد الخدري.

و«الحزن» جميع الأحزان من أحزان الدين والدنيا حتى هذا[١].

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ فيه إشارة إلى دخول الظالم لنفسه الجنة.

و﴿شَكُورٌ﴾ فيه إشارة إلى السابق، وأنه كثير الحسنات.

و«المُقَامة» هي الإقامة أي: الجنة، لأنها دار إقامة دائماً لا يُرحل عنها.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ من عطائه.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب بدن[٢].

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: تعب نفس وهو لازم عن تعب البدن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ
عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ
صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ
النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ
الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن
تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) أصل العبارة في البحر ٧: ٣١٤: وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدّار، ومعناه أنه يعمّ كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا.

(٢) ق: بدون.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ الآية، لمّا ذكر حال المؤمنين ومقرّهم ذكر حال الكافرين.

﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: لا يُجهز عليهم فيموتوا؛ لأنهم لو ماتوا، لبطلت حواسّهم، فاستراحوا. وهو في جواب النّفي، وهو على أحد معنيي النصب، فالمعنى: انتفى[1] القضاء عليهم، فانتفى مسبّبه أي: لا يقضى عليهم ولا يموتون.

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ ﴾ بنى من الصراخ: يفتعل وأبدلت من التاء[2] طاء.

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا ﴾ أي قائلين: ربّنا أخرجنا منها، أي: من النار، ورُدَّنا إلى الدنيا.

«نعمل صالحاً» قال ابن عباس: نَقُلْ: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ من الشّرك.

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾ هو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير. و«ما» مصدرية ظرفية أي: مدّة تذكُّر.

و﴿ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تقدم الكلام عليه[3].

والمقت: أشد الاحتقار والبغض والغضب. والخسار: خسار العمر.

---

(١) ق: على أحد معنيي النصب فالمعنى انتفاء.

(٢) ق: الياء.

(٣) انظر تفسير الآية ١٦٥ من الأنعام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ تقدم الكلام عليه(١). قال الزمخشري(٢): «أروني» بدل من «أرأيتم» لأنّ معنى «أرأيتم»: أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا استحقّوا به الإلهيّة والشركة، أروني أي: جزء من أجزاء الأرض استبدّوا بخلقه دون الله، أم لهم مع الله شركة في خلق السماوات، أم معهم كتاب من عند الله، ينطق بأنهم شركاؤه، فهم على حجّة وبرهان من ذلك الكتاب. أو يكون الضمير في «آتيناهم» للمشركين كقوله ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴿٣٥﴾﴾ [الروم]، ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف]. «بل إن يعد [الظالمون] بعضهم» وهم الرؤساء، «بعضاً» وهم الأتباع، «إلا غروراً» وهو قولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴿١٨﴾﴾ [يونس] انتهى.

أما قوله أنّ «أروني» بدل من «أرأيتم» فلا يصحّ، لأنه إذا أبدل ممّا دخل عليه الاستفهام، فلا بدّ من دخول الأداة على البدل. وأيضاً فإبدال الجملة من الجملة لم يُعهد في لسانهم. ثم البدل على نيّة تكرار العامل، ولا يتأتّى ذلك هنا لأنه عامل في «أرأيتم» فيستحيل(٣) دخوله على «أروني».

والذي أذهب إليه هنا أن «أرأيتم» بمعنى أخبروني، وهي تطلب مفعولين، أحدهما منصوب، والآخر مشتمل على الاستفهام كقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع؟. فالأول هنا «شركاءكم»، والثاني «ماذا خلقوا»، و«أروني» جملة اعتراضية فيها تأكيد للكلام وتسديد(٤). ويحتمل أن يكون ذلك من باب الإعمال [٤٦٥/أ] لأنه توارد على «ماذا خلقوا»: «أرأيتم» و«أروني»، لأن

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من الأنعام.
(٢) الكشاف ٣: ٣١١.
(٣) في البحر ٧: ٣١٧: فيتخيّل.
(٤) ق: وتشديد.

«أروني» قد تعلّق عن مفعولها [الثاني كما علّقت رأى التي لم تدخل عليها همزة النّقل، عن مفعولها] في قولهم: أما ترى: أي: ترى ها هنا[١]. ويكون قد أعمل الثاني على المختار عند[٢] البصريين.

ولمّا بيّن تعالى فساد أمر الأصنام، ووقف على الحجّة على بطلانها، عقب بذكر عظمته وقدرته، ليبين الشيء بضدّه، وتتأكّد حقارة الأصنام بذكر عظمة الله تعالى فقال ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾. والظاهر أنّ معناه: أن تنتقلا عن أماكنهما وتسقط السماوات عن علوّها.

وقال الزمخشري[٣]: «أمسكهما» جواب القسم في «ولئن زالتا» سدّ مسدّ الجوابين انتهى.

يعني أنه دلّ على الجواب المحذوف. وإن أُخذ كلامه على ظاهره لم يصحّ؛ لأنه لو سدّ مسدّهما، لكان له موضع من الإعراب باعتبار جواب الشرط، ولا موضع له من الإعراب باعتبار جواب القسم. والشيء الواحد لا يكون معمولاً غير معمول. و«مِن» في «من أحد» لتأكيد الاستغراق، وفي «من بعده» لابتداء الغاية أي: من بعد ترك إمساكه. و«إن» نافية في جواب القسم المحذوف.

﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ

---

(١) كذا في البحر ٧: ٣١٧. وفي ق: أما ترى يروها هنا. وفي المطبوع: أما ترى أي فرق ها هنا.

(٢) ق: وعند.

(٣) الكشاف ٣: ٣١٢.

وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا
تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الآية، الضمير في «وأقسموا» لقريش. ولمّا بيّن إنكارهم للتوحيد بيّن تكذيبهم للرسل. قيل: وكانوا يلعنون اليهود والنصارى حيث كذّبوا رسلهم وقالوا: لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم. فلمّا بُعث رسول الله ﷺ كذّبوه.

﴿لَئِن جَآءَهُمْ﴾ حكاية[1] لمعنى كلامهم لا للفظهم؛ إذ لو كان اللفظ لكان التركيب: لئن جاءنا نذير من إحدى الأمم، أي: من واحدة مهتدية من الأمم، أو من الأمة التي يقال فيها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها، كما قالوا: هو أحد الأحدين، وهي إحدى الإحَد[2]، يريدون التفضيل في الدهاء والعقل بحيث لا نظير له.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ أي: مجيئه.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ بعداً من الحق وهرباً منه. وإسناد الزيادة إليه مجاز، لأنه هو السبب في[3] أن زادوا أنفسهم نفوراً.

---

(١) ق: وحكاية.

(٢) إحدى الإحَد: الأمر المنكر الكبير، وانظر شاهده في اللسان «أحد».

(٣) ق: وفي.

والظاهر أن ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ مفعول من أجله، أي: سبب النفور هو الاستكبار. ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ﴾ معطوف على «استكباراً» فهو مفعول من أجله أيضاً. أي: الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار.

والمكر السيّىء هو الخداع الذي يرمونه بالرسول عليه السلام والكيد له.

و«استكباراً» بدل من «نفوراً». و«مكر السيّىء» من إضافة الموصوف إلى صفته ولذلك[1] جاء على الأصل: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾.

وقرأ حمزة: السيّىءْ، بإسكان الهمزة، أجرى الوصل مجرى الوقف.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ﴾ أي: ليفوته ويسبقه. «من شيء» أي: شيء، و«من» لاستغراق الأشياء.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ فبعلمه[2] يعلم جميع الأشياء فلا يغيب عن علمه شيء، وبقدرته لا يتعذّر عليه شيء.

ثم ذكر تعالى حلمه [٤٦٥/ب] عن عباده في تعجيل العقوبة فقال ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: من الشرك وتكذيب الرّسل، وهو المعنى في الآية التي في النّحل وهو قوله «بظلمهم»[3]. وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في النّحل. وهناك «عليها» وهنا «على ظهرها»، والضمير عائد على الأرض. إلا أن هناك يُدلّ عليه بسياق[4] الكلام، وهنا يمكن أن

(١) ق: وكذلك.

(٢) ق: فيعلمه.

(٣) الآية ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ ﴿٦١﴾﴾ [النحل]. وانظر تفسيرها ثَمَّ.

(٤) ق: لسياق.

يعود على ملفوظ به وهو قوله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر].

ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظّهر كالدّابة الحاملة للأثقال، ولأنه أيضاً هو الظاهر بخلاف باطنها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ توعّد للمكذّبين، أي: فيجازيهم بأعمالهم.

سورة يس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ١٢﴾.

﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الآية، هذه السورةُ مكية. وقُرىء: تنزيل، بالنصب على المصدر، وبالرفع، خبر مبتدأ محذوف أي: هو تنزيل.

﴿لِتُنْذِرَ﴾ متعلق بـ«تنزيل».

والظاهر أنَّ قوله «أغلالاً» هو حقيقة لا استعارة. لمّا أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون أخبرَ عن شيءٍ من أحوالهم في الآخرةِ إذا دخلوا النارَ. والظاهر عَوْد الضمير في «فهي» إلى الأغلال، لأنها هي المذكورة والمحدَّثُ عنها؛

(١) مكية وآياتها ثلاث وثمانون.

أي: هي عريضة تبلغ بحرفها الأذقان. والذقنُ مجتمعُ اللَّحيين فيضطر المغلولُ إلى رفعِ وجههِ إلى السماء وذلك هو الإقماحُ. وقال الفراء: المُقْمَحُ[1]: الذي يغضُّ بصرهِ بعد رفعِ رأسه. وقال الزَّجاج: يقال: أقمح البعيرُ رأسَهُ عن ريٍّ، وقَمَح هو. وقال أبو عبيد: قَمَح قموحاً: رفع رأسه عن الحوضِ ولم يشرب، والجمع قماح، ومنه قول بشر[2] يصف سفينة أخذهم المَيْدُ فيها: [من الوافر]

ونحن على جوانبها قعود[3] نغضُّ الطَّرْف كالإبل القماحِ

﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا﴾ مبالغة في عدم إيصالِ الخيرِ إليهم. والسدّ: تقدَّمَ شرحه[4]. وقرىء بضم السين وفتحها فيهما.

﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أغشينا أبصارهم وجعلنا عليها غشاوة.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ تقدم الكلام عليه[5].

ولما ذكر تعالى أمرَ الرسالةِ وهي أحد الأصول الثلاثة التي يصير بها المكلَّفُ مؤمناً، ذكر الحشرَ وهو أحد الأصول الثلاثة - والثالث هو التوحيد - فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: بعد إماتتهم.

﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ كناية عن المجازاة أي: ونُحصي[6]، فعبَّر عن

(١) ق: القمح. وانظر معاني القرآن ٢: ٣٧٣.
(٢) ديوانه ص ٤٨.
(٣) ق: قموح.
(٤) انظر شرح الآية ٩٤ من الكهف.
(٥) انظر تفسير الآية ٦ من البقرة.
(٦) ق: ونخضر.

إحاطةِ علمه بأعمالهم بالكتابةِ التي يُضبط بها الأشياء.

﴿وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾ أي: خطاهم إلى المساجدِ، والسِّير الحسنة[١] والسيئة، وما قَدَّموا من النِّيات الصالحة.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب على الاشتغال. والإمامُ المبين: اللوحُ المحفوظ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ
لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ الْقَرْيَةِ﴾ الآية، تقدم الكلام «اضرب» مع المَثَل في البقرة[٢]. و«القرية» [٤٦٦/أ] أنطاكية بلا خلافٍ، أي: قصة أصحاب القرية.
﴿إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم ثلاثة جمعهم في المجيء وإنِ[٣] اختلفوا في زمانِ المجيء.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ الظاهر من «أرسلنا» أنهم الأنبياء أرسلهم الله تعالى، ويدلُّ عليه قولُ المرسَلِ إليهم ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾. وهذه المحاورةُ لا تكونُ إلا مع مَنْ أرسله اللهُ تعالى، وهو قول ابن عباس وكعب. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾

(١) ق: والسير في زايد الحسنة.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٦ من البقرة.

(٣) ق: فإن.

أي: دَعَوَاهُمْ إلى الله تعالى، وأَخبرا[1] بأنهما رسولا الله فكذَّبوهما.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قَوَّينا وشددنا. ويقال: تَعَزَّزَ لحمُ الناقة إذا صَلُب، ويقال للأرض الصلبة العزاز.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءَمْنا بكم. قال مقاتل: احتبسَ عليهم المطرُ[2]. وقيل: أسرع فيهم الجذامُ عند تكذيبهم الرسل.

﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي: بالحجارة. و﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو الحريق.

﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: حظّكم وما صار[3] لكم من خير أو شرّ. «معكم» أي: من أفعالكم، أي: ليس هو من أجلنا بل بكفركم. «أإن ذكرتم» ثَمّ محذوفٌ تقديرهُ: تَطَيَّرتم.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ [رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ اسمه حبيب، قاله ابن عباس. وقيل: وهو ابن إسرائيلي، وكان قَصَّاراً، وقيل غير ذلك. و«من أقصى المدينة»]

(١) ق: وأخبروا.

(٢) الأطر.

(٣) ق: صا لكم.

أي: من أبعدِ مواضعها. وقيل: كان مجذوماً، عبدَ الأصنامَ سبعينَ سنة، يدعوهم لكشفِ ضُرِّه، فلما دعاه الرسلُ إلى عبادةِ الله تعالى قال: هل من آيةٍ؟ قالوا: نعم ندعو رَبَّنَا القادر يُفَرِّج عنكَ ما بكَ. فقال: إن هذا لعجب! لي سبعون سنة أدعو هذه الآلهة فلم تستطع، يفرجه رَبُّكم في غَداةٍ واحدة؟. قالوا: نعم، رَبُّنَا على ما يشاءُ قدير وهذه لا تنفعُ شيئاً ولا تضرُّ. فآمن ودَعَوْا رَبَّهم، فكشفَ اللهُ ما به كأنْ لم يكن به بأسٌ[1]. فأقبل على التكسُّبِ فإذا أمسى تصدَّق بكسبهِ؛ نصف لعياله ونصف يطعمه. فلما هَمَّ قومه بقتلِ الرُّسل جاءهم فقال ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾. وحبيب هذا مِمَّنْ آمنَ برسولِ الله ﷺ وبينهما[2] ستُّ مئة سنة كما آمن[3] به تُبَّع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن بنبيٍّ غيره أحدٌ إلا بعد ظهوره.

ومعنى ﴿يَسۡعَىٰ﴾ يمشي على قدميه.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الظاهر أنّه لا يقول ذلك إلا بعد تقدُّمِ إيمانهِ[4] كما سبق في قصته. وقيل: جاء يسعى، وسمع قولَهم، وفهمه، فلما فهمه، رُوي أنه تعقَّب أمرهم وسَبَرَهُ بأنْ قال لهم: أتطلبون أجراً على دعوتكم هذه؟ قالوا: لا. فدعا عند ذلك قومَهُ إلى اتِّباعهم والإيمانِ بهم، واحتجَّ عليهم بقوله ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ أي: وهم على هدى من الله تعالى. أمرهم أولاً باتِّباعِ المرسلين، أي: هم رسلُ الله إليكم فاتَّبعوهم، ثم أمرهم ثانياً بجملةٍ جامعة في الترغيب في كونهم لا ينقصُ

---

(١) ق: ناس.

(٢) ق: بينهما.

(٣) ق: أمره.

(٤) ق: المابة.

منهم من حطام الدنيا شيءٌ، وفي كونهم يهتدون بهداهم فيشتملون على خيرِ الدنيا والآخرة.

وقد [٤٦٦/ب] أجاز بعض النحويين في «مَن» أنْ تكونَ بدلاً من «المرسلين» ظهر فيه العامل كما ظهر إذا كان حرف جر كقوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ ۝٣٣﴾ [الزخرف]. والجمهور لا يعربون ما صُرِّحَ فيه بالعاملِ الرافعِ والناصب بدلاً، بل يجعلون ذلك مخصوصاً بحرف الجر. وإذا ذكر الرافع والناصب سمّوا ذلك بالتّتبيع لا بالبدل.

[ووضع قوله] ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ موضع: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، ولذلك قال «وإليه ترجعون» ولولا أنه قصد ذلك لقال: وإليه أرجع.

ثم أتبع الكلام كذلك مخاطباً لنفسه فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ قاصرةً عن كُلِّ شيءٍ لا تشفعُ ولا تضرُّ ولا تنفعُ. فإنْ أرادكم الله بضرٍّ، وشفعتْ لكم، لم تنفعْ شفاعتُهم[1] ولم يقدروا على إنقاذكم.

فبدأ أولاً بانتفاء الجاه في كونِ شفاعتهم لا تنفع، ثم ثانياً بانتفاء القُدرةِ، فعبَّر بانتفاء الإنقاذِ عنه إذ هو نتيجته، ثم صَرَّحَ بإيمانه، وصدع بالحقّ، فقال مخاطباً لقومه «إني آمنت بربكم» أي: الذي كفرتم به. ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي وأطيعون.

والظاهر أنَّ الخطاب هو لقومه، والأمر على جهة المبالغة والتّنبيه.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ ظاهره أنه أمرٌ حقيقي بدخوله وقت البعث.

﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن

(١) ق: شفاعتكم.

كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ
إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ
أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا
يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ
أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم
مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن
تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ
فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

﴿ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الآية، أخبر تعالى بإهلاكِ قوم حبيب بصيحةٍ واحدة، صاح بهم جبريل عليه السلام. وأخبر تعالى أنه ما أنزل عليهم لإهلاكهم جنداً من السماء كالحجارة والرّيح وغير ذلك.

وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ يدلُّ على ابتداء الغاية؛ أي: لم يرسلْ إليهم رسولاً ولا عاتبهم بعد قتله، بل عَاجَلهم بالهلاك. والظاهر أن «ما» في قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ نافية. فالمعنى قريب[1] من معنى الجملة قبلها؛ أي: وما كان يصحُّ في حكمنا أن ننزل في إهلاكهم جنداً من السماء.

﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ كان ناقصة، واسمها مضمر؛ أي: إنْ كانت الأخذةُ أو

---

(١) ق: باقية فالمعنى قرب.

العقوبةُ إلا صيحةً واحدة.

﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي: فاجأهم الخمودُ إثرَ الصيحة لم يتأخر. وكنَّى بالخمودِ عن سكونهم بعد حياتهم كنارٍ خمدتْ بعد تَوَقُّدٍ. ونداء الحسرة على معنى: هذا وقت حضوركِ وظهوركِ. هذا تقدير نداء مثل: [هذا عند] سيبويه، وهو منادى منكور.

قال ابن عطية: و«كم» هنا خبرية، و«أنهم» بدل منها. والرؤيةُ رؤية البصر انتهى.

هذا لا يصحُّ؛ لأنها إذا كانت خبريّة فهي في موضع نصب بـ«أهلكنا» ولا يسوغ فيها إلا ذلك. وإذا كان كذلك امتنع أن يكون «أنهم» بدلاً منها، لأن البدل على نيّة تكرار العامل. ولو سلّطت «أهلكنا» على «أنهم» لم يصحّ؛ ألا ترى أنك لو قلتَ: أهلكنا انتفاء رجوعهم، أو أهلكنا كونهم لا يرجعون، لم يكن كلاماً؟. لكن ابن عطية توهّم أن [«يروا» مفعوله «كم» فتوهّم أنَّ] قوله: أنهم لا يرجعون، بدل لأنه يسوغُ(١) أنْ يتسلَّطَ عليه [٤٦٧/ أ] فتقول: ألم يروا أنهم لا يرجعون. وهذا وأمثالُه دليلٌ على ضعفِه في علم العربية!!.

وقرىء: لمّا بالتشديد والتخفيف. فمن شَدَّدَ جعلها بمعنى إلاّ و«إنْ» نافية، أي: ما كلٌّ - أي: كلّهم - إلاّ جميع لدينا محضرون، أي: محشورون. ولا تستعمل لمّا بمعنى إلاّ، إلاّ في الأماكنِ المسموعةِ عن العرب، فلا تقع في الاستثناء؛ لا تقول: قام القوم لمّا زيداً، بمعنى إلا زيداً، لأنَّ هذا التركيبَ لم يُسمع من العرب.

---

(١) ق: لا يسوغ.

ومَن خفف «لما» جعل «إن» المخففة من الثقيلة و«كلٌّ» مبتدأ و«ما» زائدة. واللام في «لما» هي الفارقة بين «إن» المخففة من الشديدة وبين «إن» النافية. و«جميع» خبر عن «كلّ»، هذا على مذهب البصريين.

وأما الكوفيون «فإنْ» عندهم نافية، واللام[1] بمعنى إلا، و«ما» زائدة.

والضمير في «لهم» عائدٌ على كفار قريش ومَنْ يجري مجراهم في إنكارِ الحشر.

و«أحييناها» استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية، وكذلك ﴿نَسْلَخُ ﴿٣٧﴾﴾ [يس].

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن تُوصفَ الأرضُ والليل بالفعل، لأنه[3] أُريد بهما الجنسان مطلقَيْن لا أرض وليل بأعيانهما، فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال، ونحوه[4]: [من الكامل]

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسبُّني [فمضيتُ ثُمّتَ قلتُ لا يعنيني]

انتهى.

هذا هَدْمٌ لما استقر عند أئمة النحويين [من] أنَّ النكرة لا تنعت إلا بالنكرة، والمعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة، ولا دليلَ لمن ذهب إلى ذلك، وأما «يسبّني» فحال، أي: سابًّا. وقد تبع الزمخشريَّ ابنَ مالك على ذلك في

(١) ق: باقية في الكلام.

(٢) الكشاف ٣: ٣٢١.

(٣) ق: لا به.

(٤) من شواهد الكتاب ٣: ٢٤، لرجل من بني سلول.

«التسهيل» من تأليفه.

والضمير في ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾ عائدٌ على الماء لدلالة العيون عليه، أو على حذف مضاف أي: من ماء العيون.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ إن كانت «ما» موصولة فتكون معطوفة على «ثمره»؛ تقديره: ومن الذي، والضمير في «عملت»[(١)] محذوفٌ يعود على «ما» تقديره: عملته. وإن كانت «ما» نافية فالضمير يعود على الثمر.

«الأزواج» الأنواع من جميعِ الأشياء مما تُنبتُ الأرض. وكل صنف زوج مختلف لوناً وطعماً وشكلاً.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وأنواعاً ممّا لا يعلمون أَعَلِمُوا بوجودِه أولم[(٢)] يعلموا.

ولمّا ذكر تعالى الاستدلال بأحوال الأرض وهي المكان الكلّي، ذكر الاستدلالَ بالليلِ والنهار وهو الزَّمانُ الكلّي. وبينهما مناسبة لأنَّ المكان لا تستغني عنه الجواهر، والزمان لا تستغني[(٣)] عنه الأعراض.

و﴿نَسْلَخُ﴾ معناه: نكشط ونقشر، وهو استعارةٌ لإزالةِ الضوء وكشفه عن مكان الليل.

و﴿مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

ومستقرُّ الشمس بين يدي العرش، تسجدُ فيه كل ليلة بعد غروبها، كما

---

(١) على قراءتها بغير ضمير، انظر البحر ٧: ٣٣٥.

(٢) ق: ولم.

(٣) ق: يستغني، في الموضعين.

جاء في حديث أبي [ذرّ][(١)]: يقال لها: اطلعي من حيث طلعْتِ. فإذا كان يوم طلوعها من مغربها يقال[(٢)] لها: اطلعي من حيث غَربْتِ فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

[٤٦٧/ب] وقرىء: والقمر، بالرفع على الابتداء، أو بالنصب على الاشتغال. و﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ على حذف مضاف أي: قَدَّرنا سيرَهُ. و﴿مَنَازِلَ﴾ ظرف أي: في منازل.

وهذه المنازل معروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمرُ كُلَّ ليلةٍ في واحد منها لا يتخطّاهُ، ولا يتقاصرُ عنه على تقدير مستوٍ لا يتفاوت، يسير[(٣)] فيها من ليلة المستهلِّ إلى الثامنةِ والعشرين، ثم يستترُ ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر.

وهذه المنازلُ هي مواقع النجوم التي نَسبت إليها العربُ الأنواءَ المستمطرة وهي الشَّرَطان، البُطَيْن، الثُّريا، الدَّبَران، الهَقْعَة، الهَنْعة[(٤)]، الذراع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجَبْهة، الدبرة[(٥)]، الصَّرْفة، العَوّاء، السِّماك، الغَفْر[(٦)]، الزباني[(٧)]، الإكليل، القلب، الشَّوْلة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بُلَع، سعد السعود، سعد الأخبية، فَرْغ الدّلو المُقَدَّم، فرغ الدّلو المؤخر، بطن الحوت،

(١) أخرجه مسلم ١ : ١٣٨، وانظر البخاري ٤ : ١٦٩٧.
(٢) ق: فقال، في الموضعين.
(٣) ق: يستر.
(٤) ق: الهيعة.
(٥) في القرطبي ١٥ : ٢٩: الخراتان.
(٦) ق: العو.
(٧) في القرطبي ١٥ : ٢٩: الزُّبانَيان.

ويقال له الرّشاء. فإذا كان في آخرِ منازله دَقَّ واستَقْوَسَ واصفرَّ فَشُبِّه بالعرجون القديم.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ «ينبغي» هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه، أي: لم يجعلْ لها قُدرةً على ذلك. وهذا الإدراك المنفي هو أنَّ الله تعالى جعلَ لكلٍّ واحدٍ من الليل والنهار آيتيهما[1] قسماً من الزمان، وضرب له حَدًّا معلوماً، ودَبَّر أمرهما على التعاقب. قال ابن عباس: إذا طلعتِ الشمسُ، لم يكن للقمرِ ضوءٌ، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء.

«كل في فلك» تقدّم شرحه في الأنبياء[2].

والظاهر من الذرية أنه يُرادُ به الأبناء ومَنْ نشأ منهم[3]. والضمير في «لهم» وفي «ذرّيتهم»[4] عائد على شيء واحد، فالمعنى أنه تعالى حمل ذريّات هؤلاء وهم آباؤهم الأقدمون في سفينة نوحٍ عليه السلام، قاله ابن عباس.

و«المشحون» المملوء.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ يعني الإبل والخيل والبغال والحمير. والمماثلة في أنه مركوب مبلِّغٌ للأوطان[5] فقط.

والظاهر أن قوله ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: [لا مُغيثَ لهؤلاء الذين شاء اللهُ

(١) ق: وانيتهما. وفي هامش ق: لعلها: وانيهما.
(٢) انظر تفسير الأية ٣٣ من الأنبياء.
(٣) ق: ومن يسامتهم.
(٤) ق: ذرياتهم.
(٥) ق: للأوطاء.

إغراقهم.

قال الزمخشري[١]: «فلا صريخ لهم» أي:] فلا إغاثة، انتهى.

كأنه جعله مصدراً من أفعل، ويحتاج إلى نقلٍ أنّ صريخاً يكون مصدراً بمعنى إصراخ.

﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ أي: ينجون من الموت بالغرق. نفى أوّلاً الصَّريخَ وهو خاص، ثم نفى ثانياً إنقاذهم بصريخٍ أو غيره.

وانتصب «رحمة» على الاستثناء المفرّغ للمفعول من أجله، أي: لرحمة منا. والظاهر أن «رحمة» «ومتاعاً إلى حين[٢]» يكون للذين يُنْقَذون، فلا يفيد الدَّوامَ بل ينقذه [الله] رحمةً له ويمتّعه إلى حينٍ ثم يُميتُه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ
آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا
يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

---

(١) الكشاف ٣: ٣٢٤.

(٢) ق: عين.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ الآية، [٤٦٨/أ] الضمير في «لهم» لقريش.

و﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: من عذاب الأمم قبلكم. ﴿ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ عذاب الآخرة.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: دأبُهم الإعراضُ عن كلِّ آيةٍ تأتيهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ لمّا أسلم حواشي الكفّار من أقربائهم ومواليهم من المستضعفين، قطعوا عنهم ما كانوا يُواسُونهم به، وكان ذلك بمكّة أولاً قبل نزولِ آياتِ القتال، فندبهم المؤمنون إلى صِلَةِ قراباتهم فقالوا ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾. وجواب «لو» قوله «أطعمه». وورود الموجب بغير لام فصيح، ومنه ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف]، ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة]، والأكثر مجيئه باللام.

والتصريح بالوصفين من الكفر والإيمان دليلٌ على أنَّ المقولَ لهم هُمُ الكافرون، والقائلون لهم هم المؤمنون، وأنَّ كل وصفٍ حامل صاحبه على ما صدر منه إذ(١): [من الطويل]

[فحسبكـمُ هـذا التفـاوتُ بيننـا و]كُـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فيـه يَـرْشَـحُ

ولمّا كانت هذه الصيحة لا بدَّ من وقوعها جُعلوا كأنهم منتظروها. وهذه هي النفخةُ الأولى تأخذهم، فيهلكون وهم يتخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم في أماكنهم من غير إمهالٍ لتوصية ولا رجوعٍ إلى أهل.

وقرىء: يخِصِّمون، بكسر الخاء وشدِّ الصّاد. وقرىء: يِخِصِّمون، إتباعاً لحركة الخاء، ويَخَصِّمون، بفتح الخاء وكسر الصاد. وفي هذه القراءات(٢)

(١) الشعر لحيص بيص في الوفيات ٢: ٣٦٥.

(٢) ق: القراءة.

هو مضارع خَصّم، وكان أصله اختصم. وقرىء بإسكان الخاء وتخفيف الصاد وهو مضارع خَصَم.

﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: إلى جزاء ربّهم. ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ الظاهر أن هذا ابتداء كلام، فقيل: من الله تعالى على سبيل التوبيخ والتوقيف على إنكارهم، لمّا رأوا البعثَ الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك. والاستفهام «بمَن» سؤال عن الذي بعثهم.

وتضمّن[1] قولهُ تعالى ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ ذِكْرَ الباعث، أي: الرحمن الذي وعدكموه. و«ما» يجوز أن تكون مصدرية على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق، وبمعنى الذي؛ أي: هذا الذي وعده الرحمنُ والذي صَدَّقَهُ المرسلون.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ
رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾
وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ
تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ
أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ
مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ

(١) ق: ويضمن.

فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية، لما ذكر تعالى أهوالَ يوم القيامة أعقب ذلك بحالِ السعداء والأشقياء.

والظاهر أن الشغل هو النعيم الذي شَغَلهم عن كُلِّ ما يخطرُ بالبال.

«هم» مبتدأ، «وأزواجهم» معطوف عليه، و«في ظلال» الخبر.

ويجوز أن يكون «هم» تأكيداً[1] للضمير المستكنّ في «فاكهون»، و«أزواجهم» معطوف عليه، و«في ظلال» في موضع[2] الحال.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: على الأسرّة. ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ صفة لـ«فاكهون»، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ متعلّق به. و«الأرائك» جمع أريكة وهي الأسرّة.

و﴿يَدَّعُونَ﴾ مضارع ادَّعى وهو افتعل من دعا. ومعناه: ولهم ما يتمنون.

قال أبو عبيدة: العرب تقول: اِدَّعِ عليَّ ما شئتَ، بمعنى: تَمَنَّ[3] عليَّ.

﴿سَلَٰمٌ﴾ [٤٦٨/ب] قال ابن عباس: الملائكة تدخل عليهم بالتحيةِ من ربِّ العالمين.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، لأن المحشر جمع البرَّ والفاجر، فأُمر المجرمون أنْ يكونوا على حدة من المؤمنين.

---

(١) ق: تأكيد.

(٢) ق: الخبر في موضع.

(٣) ق: تمنّى.

والظاهر أن ثَمَّ قولاً محذوفاً؛ لمّا ذكر ما يقال للمؤمنين في قوله «سلام» قيل: ويقال للمجرمين «امتازوا».

ولمّا امتثلوا ما أُمروا به قال لهم على جهةِ التوبيخِ والتقريع ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾، وقَفَهم على عهدِه إليهم ومخالفتهم إياه.

وقرىء: جِبِلاً، بكسرتين وتخفيف اللام. وقرىء: جِبِلاًّ، بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرىء: جُبْلاً، بضم الجيم وإسكان الباء. وقرىء: جِبَلاً، بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. والجبلّ: الأمةُ العظيمة، وقال الضّحاكُ: أقلُّه عشرة آلاف. خاطَب تعالى[1] الكفار بما فعل معهم الشيطان تقريعاً لهم.

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ في الحديث[2]: «يقول العبد يوم القيامة: إني لا أُجيزُ[3] عليَّ إلا شاهداً من نفسي. فيُختَمُ على فيه ويقال لأركانه: انطقي. فتنطقُ بأعماله. ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْداً [لكنّ وسحقاً فعنكنّ كنت أناضل».

وقال ابن عباس: أراد أعين البصائر. والمعنى: ولو نشاء لختمنا] عليهم بالكفرِ فلا يهتدي منهم أحدٌ أبداً. والطمسُ: إذهابُ الشيء وأثره جملةً حتى كأنه لم يوجد. فإنْ أُريدَ[4] بالأعين الحقيقة فالظاهر أنه يطمس بمعنى يمسح حقيقة. وقرأ عيسى: فاستَبِقوا، على الأمر، وهو على إضمارِ القول أي:

---

(١) ق: يقال.

(٢) روى نحواً منه ابن جرير ٢٣ : ١٧ عن الشعبي، وانظر التاج الجامع ٥ :٣٧٢.

(٣) ق: أخبر.

(٤) ق: ارتد.

فيقال لهم: استَبِقوا الصراطَ، وهو أمرٌ على سبيل التعجيز، إذْ لا يمكنهم الاستباقُ مع طمسِ الأعين.

﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ أي: كيف يبصر مَنْ طُمسَ على عينه.

ولمّا ذكر تعالى الطمسَ والمسخَ على تقدير المشيئة، ذكر تعالى دليلاً على باهرِ قُدرته في تنكيس المعمّرين، وأنَّ ذلك لا يفعله إلا هو تعالى. وتنكيسه: قَلْبُه وجَعْله على عكسِ ما خَلَقه الله أولاً، وهو أنه خلقه على ضعفٍ في جسد وخلوٌّ من عقلٍ وعلم، ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أنْ يبلُغَ أشدَّهُ. فإذا انتهى نكسه في الخلق، فيتناقص في حالِ شيخوختِه إلى الحالِ الأولى وهي النشأة.

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾ الضمير في «علّمناه» للرسول عليه السلام، كانوا يقولون فيه: شاعر. وكان عليه السلام لا يقولُ الشعر، وإذا أنشد بيتاً أحرزَ المعنى دون الوزن.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أي: ولا يمكن له ولا يصح ولا يناسب، لأنه صلى الله عليه وسلم في طريق جدٌّ محض، والشعرُ أكثرُه في طريقِ هزلٍ وتحسينٍ(١) [٤٦٩/أ] [لما ليس حَسَناً، وتقبيحٍ لما ليس قبيحاً ومغالاةٍ مُفْرِطة].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ٧٥ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

(١) في هامش ق: هكذا في الأصل بياض. وأكملته من البحر ٧: ٣٤٥.

﴿يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ الآية، لمّا كانت الأشياء المصنوعة لا يباشرها البشرُ إلا باليد، عَبَّر لهم بما يقرب من أفهامهم بقوله ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ[1] أَيْدِينَآ﴾ أي: مما تولَّينا عمله ولا يمكن لغيرنا أن يعمله، فبقدرتنا وإرادتنا برزت هذه الأشياءُ، لم يشركنا فيها أحد. والباري تعالى مُنَزَّهٌ عن اليدِ التي هي الجارحة وعن كلِّ ما اقتضى التشبيه بالمحدثات.

ثم عنّفهم واستجهلهم في اتخاذهم آلهةً لطلب الاستغفار.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة نَصْر مُتَّخِذيهم وهذا هو الظاهر. لمَّا اتَّخذوهم آلهةً للاستنصارِ بهم رَدَّ تعالى عليهم بأنهم ليست لهم قُدرةٌ على نصرهم. والظاهر أن الضمير في «وهم» عائد على ما هو الظاهر في «لا يستطيعون»؛ أي: والآلهةُ للكفَّار جُنْدٌ مُحْضَرون في الآخرةِ عند الحساب، على جهةِ التوبيخ والنقمة. وسَمَّاهم جُنْداً إذ هم مُعَدُّون للنِّقمة من عابديهم[2]، وللتوبيخ.

ثم آنسَ تعالى نبيَّه عليه السلام بقوله ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي: لا يهمّنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم. وتوعّد الكفار بقوله ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم على ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ

(١) ق: عملته.

(٢) ق: عايد لهم.

أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا
فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن
يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قَبَّحَ تعالى إنكارَ الكفرةِ البعثَ حيث قرر[1] أنَّ عنصره الذي خلقه منه هو نطفةٌ من ماءٍ مَهينٍ خارج من مخرجِ النّجاسة أفضى به مهانة[2] أصله إلى أنْ تطور أطواراً، وصار ذا تمييزٍ ينكرُ قدرةَ الله تعالى ويقول: مَنْ يحيي الميت بعد ما رَمَّ؟ مع علمه أنه مُنشَأٌ من موات. وقائل ذلك العاصي بن وائل، وقيل غير ذلك. وقد كان لأبيّ مع الرسول عليه السلام مراجعات ومقامات؛ جاء بالعظم الرميم بمكّة، فَفَتَّتَهُ في وجههِ الكريم وقال: مَنْ يُحْيِي هذا يا محمد؟ قال: اللهُ يحييه ويُميتُكَ ويحييك ويدخلك جهنم، ثم نزلت الآية[3]. وأبيٌّ هذا قتله رسولُ الله ﷺ بيده الكريمة يوم أُحُدٍ بالحَربة فخرجت من عنقه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ ذكر ما هو أغرب من خلق الإنسان من نطفة وهو إبرازُ الشيء من ضدّه وذلك أبدع شيء وهو انقداح النار من الشجر الأخضر. ألا ترى أنَّ الماء يطفىء النار، ومع ذلك خرجت مِمَّا هو مشتملٌ على الماء. والأعرابُ تُوري النارَ من الشجرِ الأخضرِ وأكثرها

---

(١) ق: قرن.

(٢) ق: على مهانة.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٤٦.

من المَرْخ والعَفار[1]. وفي أمثالهم[2]: في كُلِّ شجرٍ نارٌ، واستمجد المرخ والعفار. يقطع الرجل منهما غصنين مثل السّواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء، فيُسحق المرخ - وهو ذكر - على العفار - وهو أنثى - فتنقدح النارُ بإذن الله تعالى. وعن ابن عباس: ليس شجرٌ إلا وفيه نارٌ إلا العنّاب.

ثم ذكر ما هو أبدع وأغرب من خَلْقِ الإنسان [٤٦٩/ب] من نطفة، ومن إعادةِ الموتى، وهو إنشاءُ هذه المخلوقات العظيمة الغريبة من صِرْفِ العدم إلى الوجود فقال ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾.

قال الزمخشري[3]: «مثلهم» يحتمل معنيين: أنْ يخلق مثلهم في الصِّغر والقماءةِ بالإضافة[4] إلى السماواتِ والأرض، أو أنْ يعيدهم، لأنَّ المعاد مثل المبتدأ، وليس به انتهى.

الذي يقوله: إن المعاد هو عين المبتدأ. ولو كان مثله، لم يُسَمّ ذلك إعادة بل يكون إنشاء مستأنفاً.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ تقدم الكلامُ عليه[5].

﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيهٌ عامٌّ له تعالى عن جميع النقائص. والمعنى أنه متصرِّفٌ فيه على ما أرادَ وقَضَى. والملكوت: مُلْك كل شيء.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: وإلى جزائه ترجعون.

---

(١) المَرْخ: شجر سريع الوَرْي، والعَفار: شجر يُتخذ منه الزناد.

(٢) انظر المستقصى ٢: ١٨٣.

(٣) الكشاف ٣: ٣٣٢.

(٤) ق: فالإضافة.

(٥) انظر تفسير الآية ١١٧ من البقرة.

سورة الصافات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾.

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾ الآية، هذه السورةُ مكية. ومناسبةُ أولها لآخرِ ياسين أنه تعالى لَمَّا ذكر المَعَادَ وقدرته على إحياءِ الموتى، وأنه هو مُنْشِئُهم، وإذا تعلَّقتْ إرادتهُ بشيءٍ كان. ذكرَ تعالى هنا وحدانيته؛ إذْ لا يتم ما تعلَّقتْ به الإرادةُ وجوداً وعدماً إلا بكونِ المريدِ واحداً. وأقسم تعالى بأشياء من مخلوقاته «والصافات» قال ابن مسعود: هم الملائكة تصف في السماء في العبادةِ والذِّكْرِ صفوفاً.

و﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ ﴾ قال مجاهد: الملائكة تزجُر السحابَ وغيرها من مخلوقات الله تعالى.

و﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ﴾ القارئات. قال مجاهد: الملائكة تتلو ذِكْرَهُ.

---

(١) مكية وهي مئة واثنتان وثمانون آية.

وذكر المشارقَ لأنها مطالع الأنوار، والأبصارُ [بها] أَكْلَفُ. وذِكْرُها يُغني عن ذكرِ المغاربِ، إذْ ذلك مفهوم من المشارق. والمشارق ثلاث مئة وستون مشرقاً وكذلك المغارب، تشرقُ الشمس كُلَّ يومٍ في مشرق منها وتغرب في مغرب، ولا تطلعُ ولا تغربُ في واحد يومين.

وقرأ الجمهور: بزينةِ الكواكب، بالإضافة، فاحتمل المصدر مضافاً للفاعل، أي: بأنْ زانتِ السماءَ الكواكبُ، ومضافاً للمفعول أي: بأن زيَّنَ اللهُ الكواكبَ. وقرىء بزينةٍ، منوّناً، [الكواكب، بالخفض بدلاً من «زينة». وقرىء: بزينةٍ، منوناً]، الكواكبَ، بالنصب فاحتمل أن يكون «بزينةٍ» مصدراً، والكواكب مفعول به. واحتمل أن تكون «الكواكب» بدلاً من السماء، أي: زَيَّنَّا كواكبَ السماء.

﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر منصوب بإضمار فعل تقديره: وحفظناها حِفْظاً. «مارد» اسم فاعل. وفي النساء ﴿مَّرِيدًا﴿١١٧﴾﴾ للمبالغة وموافقة الفواصل هناك.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ[٤٧٠/ أ] إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ كلام منقطع مبتدأ، اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع، وأنهم لا يقدرون أنْ يَتَسَمَّعُوا أو يسمعوا وهم مقذوفون بالشُّهبِ مُبْعَدُونَ عن ذلك إلا من أُمْهِلَ حتّى[1] خطفَ الخطفةَ، واسترقَ استراقةً، فعندها تُعاجِلُه الملائكةُ بالشهاب الثاقب.

وقرىء: لا يَسْمعون، مضارع سمع وتعدَّى بإلى، ضُمِّنَ معنى: لا ينتهون بالسمعِ إلى الملأ. وقرىء: يَسَّمَّعون، مضارع تسمَّع، أرادوا إدغام التاء في السين، وسَكَّنُوا التاء، وأبدلوها سيناً كما أبدلوها في الناس فقالوا: النات،

---

(١) ق: حين.

فاجتلبوا همزة الوصل، لأنه لا يمكن الإدغام إلا بسكون التاء، فصار اسَّمَّع، وصار[١] المضارع: يسّمّع بإدغام التاء في السين.

﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ يُرجمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾ أي: من كل جهة يصعدون إلى السماء منها. المرجومُ بها هي التي يراها الناسُ، تنقضُّ[٢] وليست بالكواكبِ الجاريةِ في السماء، لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمةُ تُرى حركتها لقُرْبها مِنّا[٣]. و﴿دُحُورٗاۖ﴾ مصدر في موضع الحال أي: مطرودين[٤].

والواصب: الدائم. والثاقب: هو النافذُ بضوئه وشعاعه المنير.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ بَلۡ
عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ
هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾
قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ
ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم
مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا
كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ

---

(١) ق: فصار.

(٢) ق: ينقص.

(٣) ق: منها.

(٤) ق: مطرودون.

بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا
لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ
ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ الآية، الاستفتاء نوع من السؤال. والهمزة في «أهم» وإنْ خرجت إلى معنى التقرير فهي في الأصل لمعنى الاستفهام، أي: فاستخبرهم، والضمير لمشركي مكة. وقيل: نزلت في أبي الأشَدِّ بن كلدة، وكني بذلك لشدَّةِ بطشِه وقوته. وعادل في هذا الاستفهام التقريري في الأشدّية بينهم وبين ما خلق من غيرهم من الأمم من الجن والملائكة والأفلاك والأرضين.

﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ اللازب اللازم[1] ما جاوره واللاصق به.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ خطاب للرسول عليه السلام. وقرىء: عجبتَ. وعجبتُ، والظاهر أن ضمير المتكلم هو لله تعالى، والعجب لا يجوز على الله تعالى.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ روي[2] أن رُكانة؛ رجلٌ من المشركين من أهلِ مكة لَقيه رسولُ الله ﷺ في جبلٍ خالٍ، يرعى غنماً له، وكان من أقوى الناس، فقال له: يا ركانة، أرأيت إنْ صرعتُكَ أتؤمنُ بي؟ قال: نعم. فصرعه ثلاثاً، ثم عرض عليه آياتٍ من دعاء شجرة وإقبالها فلم يؤمن. وجاء[3] إلى أهل مكة فقال: يا بني هاشم: ساخروا بصاحبكم أهلَ الأرضِ فنزلت فيه وفي نظرائه

---

(١) ق: اللام.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦ : ٢٥٠، وما بعدها، وسنن أبي داود ٤ : ٥٥.

(٣) ق: وجاؤوا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ .

قال الزمخشري[1]: «أو آباؤنا» معطوف على محل إنّ واسمها، أو على الضمير في «لمبعوثون». والذي جوّزَ العطفَ عليه الفصل بهمزة الاستفهام، والمعنى: أيُبعث أيضاً آباؤنا؟ على زيادةِ الاستبعادِ، يعنون أنهم أقدم فبَعْثُهم أبعدُ [٤٧٠/ب] وأبطلُ انتهى.

أما قوله: معطوف على محل إنَّ واسمها، فمذهب سيبويه خلافه، لأنَّ قولك: إنَّ زيداً قائم وعمرو، فعمرو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف. وأما قوله: أو على الضمير في «لمبعوثون» إلى آخره، فلا يجوز عطفه على الضمير لأن همزة الاستفهام لا تدخل إلا على الجملِ لا على المفرد، لأنه إذا عطف على المفرد كان الفعل عاملاً في المفرد بوساطة حرفِ العطفِ، وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها. فقوله «أو آباؤنا» مبتدأ خبره محذوف تقديره: مبعوثون، ويدلُّ عليه ما قبله. فإذا قلت: أقام زيد أو عمرو؟ فعمرو مبتدأ محذوف الخبر واستفهامهم تَضمَّنَ إنكاراً واستبعاداً، فأمر الله تعالى نبيّه عليه السلام أن يجيبهم بنعم.

﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: صاغرون. وهي جملة حالية العامل فيها محذوف تقديره: نعم تبعثون. وزادهم في الجواب أن بعثهم وهم ملتبسون بالصَّغارِ والذلّ.

و«هي» كناية عن البعثة فإنما بعثتهم[2] زجرة أي: صيحة، وهي النفخةُ الثانية، لمّا كانت بعثتهم ناشئةً عن الزجرة، جُعلت إياها مجازاً.

---

(١) الكشاف ٣: ٣٣٧.

(٢) ق: يبغثهم.

﴿فَإِذَاهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ما يُفعل بهم، وما يُؤمرون به.

والظاهر أن قوله ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا﴾ من كلام بعض الكفَّار لبعضٍ إلى آخر الجملتين. أقرُّوا بأنه يوم الجزاء، وأنه يوم الفصل، وخاطب به بعضهم بعضاً.

و«يوم الدين» يوم الجزاء والمعاوضة. و«يوم الفصل» يوم الفرق بين فرق الهدى وفرق الضّلال.

﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ توبيخٌ لهم وتقريع.

﴿۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الآية، «احشروا»: خطابٌ من الله للملائكة، أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض، أي: اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات، قاله ابن عباس.

﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ أي: عَرِّفُوهم وقودوهم إلى طريقِ النار حتى يسلكوها. و«الجحيم» طبقة من طبقات جهنم.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ وقوف توبيخٍ لهم.

﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ قال الجمهور: عن أعمالهم. وفي الحديث[1]: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن خمس: شَبابهِ فيما أبلاهُ، وعمرهِ فيما أفناه، وعن مالهِ كيف كسبه وكيف أنفقه وعن ما عمل فيما عَلِمَ».

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ جواب أبي جهل حين قال في بدر ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر].

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن مسعود. انظر صحيح الجامع الصغير ٦ : ١٤٨، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٦٦٦.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجزٍ، فكلُّ واحدٍ مستسلم غير منتصر.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ هم جنٌّ وإنس. وتساؤلهم على معنى التقريعِ والندمِ والسخط.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قالت الإنسُ للجنِّ، أو ضَعَفةُ الإنسِ الكفرة لكبرائهم وقادتهم.

و﴿ٱلْيَمِينِ﴾ الجارحة وليست مرادة هنا، فقيل: استُعيرتْ لجهةِ الخيرِ أو للشدةِ والقوة.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ [٤٧١/أ] رَبِّنَآ﴾ أي: لَزِمَنا قولُ رَبِّنا أي: وعيده لنا بالعذاب. والظاهر أنَّ قوله ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ إخبارٌ منهم أنهم ذائقو العذاب جميعهم: الرؤساء والأتباع.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ دعوناكم إلى الغيِّ وكانت فيكم قابليّة له فغويتم. ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ فأردنا أَنْ تشاركونا في الغيِّ.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذْ يتساءلون ويتراجعون في القول. وهذا إخبارٌ منه تعالى أنهم كما اشتركوا في الغيِّ اشتركوا فيما تَرَتَّبَ عليه من العذاب.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بكل مجرم، فيترتب على إجرامه عذابه.

ثم أخبرَ عنهم بأكبرِ إجرامهم، وهو الشركُ بالله تعالى واستكبارهم عن توحيدهِ وإفرادهِ بالألوهية.

ثم ذكر عنهم ما قدحوا به في الرسولِ عليه السلام وهو نسبته إلى الشعر

وغير ذلك.

ثم أضرب تعالى عن كلامهم وأخبر بأنه عليه السلام جاء بالحق وهو الثابت الذي لا يلحقه اضمحلالٌ فليس ما جاء به شعراً، بل هو الحق الذي لا شَكَّ فيه. ثم أخبر أنه صَدَّقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ من المرسلين؛ إذْ هو عليه السلام وهم على طريقة واحدة في دعوى الأمم إلى التوحيد وترك عبادة غيره.

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ
لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ
إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾
إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا
فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ الآية، «إلا عباد الله». استثناء منقطع. لمَّا ذكر شيئاً من أحوالِ الكفّار وعذابهم ذكر شيئاً من أحوال المؤمنين ونعيمهم. و﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ صفة مدح.

ووصف «رزق» بـ«معلوم» أي: عندهم. «فواكه» بدل من «رزق» وهو ما يُتلذَّذُ به، ولا يُتقوَّتُ لحفظِ الصحة[١]. ذكر أولاً الرزق وهو ما تتلذَّذُ به الأجسامُ، وثانياً الإكرام وهو ما تتلذذُ به النفوسُ، ثم ذكر المحلَّ الذي هم

---

(١) لا ستغنائهم عن حفظ الصحة بالأقوات، انظر البحر ٧: ٣٥٩.

فيه وهو جنات النعيم، ثم أشرفَ المحلِّ وهو السُّرر[١]. ثم لذةَ التآنسِ بأنَّ بعضَهم يقابلُ بعضاً وهو أتَمُّ السرورِ وآنسه، ثم المشروب، وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم بل يُطافُ عليهم بالكؤوس، ثم وصف ما يُطاف عليهم به من الطِّيبِ وانتفاء المفاسد، ثم ذكر تمامَ اللذةِ الجسمانية، وختم بها كما بدأ باللذةِ الجسمانية من الرزق وهي أبلغ الملاذِّ[٢] وهي التآنس بالنساء.

والتقابل[٣] [أن] لا ينظر بعضهمُ إلى قَفَا بعضٍ. وفي الحديث[٤] أنه في أحيان تُرفع عنهم الستورُ[٥]، فينظر بعضُهم إلى بعض. والكأس: ما كان من الزجاج فيه خمرٌ أو نحوه من الأنبذة، ولا يُسَمى كأساً إلا وفيه خمر. وقد يُسّمى الخمر كأساً تسميةً للشيءِ بمحلِّه، وقال الشاعر[٦]: [من المتقارب]

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

وقال ابن عباس: كُلُّ كأسٍ في القرآن فهو خمر.

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب معين، أو من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض كما يجري الماء. [٤٧١/ب] و«معين» اسم فاعل من مَعُنَ بضم العين كشريف من شَرُف.

﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس أو للخمر. وقال الحسن: خمرُ الجنَّةِ أشدُّ بياضاً

(١) ق: السّرور.
(٢) ق: الماذ.
(٣) ق: التقابل.
(٤) انظر الطبري ٢٣: ٣٤.
(٥) ق: ستور.
(٦) البيت للأعشى في ديوانه ص ٢٠٩.

من اللبن.

﴿لَذَّةٍ﴾ صفة بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على حذف، أي: ذات لذة، أو على تأنيث لذٍّ بمعنى لذيذ.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو صداع في الرأس.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يقال: نَزَفت الشاربَ الخمرُ وأَنْزَفَ هو أي: ذهبَ عقلُه من السكر، فهو نزيفٌ ومنزوف. وقرىء: يُنزَفون، بفتح الزاي مِن نَزَفَتْه الخمر. وبكسر الزاي وضمِّ الياء، مضارع أنزف.

وقال سيدي ووالدي: قرأتُ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله في قصيدة علقمة بن عبدة قوله[1]: [من البسيط]

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالُبها ... ولا يخالطها في الرأس[2] تدويمُ

فقال هذه صفة خمر الجنة لا خمر الدنيا.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرن الطَّرْفَ على أزواجهنَّ، لا يمتدُّ طرفهنَّ إلى أجنبي، كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة]. وقال الشاعر[3]: [من الطويل]

من القاصراتِ الطَّرفِ لو دبَّ مُحْولٌ ... من الذَّرِّ فوق الإتب منها لأَثَّرا[4]

والمحول: النملة التي مضى عليها من السنين[5] حولٌ. والأتب:

(١) البيت في المفضليات ص ٤٠٢ لعلقمة بن عبدة.

(٢) ق: يؤذيك طالبها.. في الناس.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٦٨.

(٤) ق: لا ترى.

(٥) ق: السنة.

القميص، والعِين: جمع عيناء وهي الواسعة العَين في جمال.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شَبَّهَهُنَّ ببيضِ النعام المكنون في عشِّه وهو الأدحية، ولونها بياض به صفرة حسنة، وبها يُشَبَّه النساءُ فيقال فيهن: بيضات الخدور، ومنه قول امرىء القيس[1]: [من الطويل]

وبيضةِ خدرٍ لا يُرام خِباؤها تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ
كبِكر مُقاناةِ البياض بصُفرةٍ غذاها نميرُ الماء غيرَ المحلَّلِ

وتساؤُلهم في الجنةِ تَساؤلُ راحةٍ وتنعُّمٍ، يتذاكرون نعيمَهم وحالَ الدنيا والإيمان وثمرته.

و«فأقبل» معطوفٌ على «يطاف عليهم» والمعنى: يشربون فيتحدثون على الشراب كعادة الشَّرب في الدنيا. قال الشاعر[2]: [من الوافر]

وما بقَيتْ من اللذاتِ إلا أحاديث الكِرامِ على المدام

وجيء به ماضياً لصدقِ الإخبارِ به، فكأنه قد وقع.

ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكى، يتذكر بذلك نعمه عليهم حيث هَداهُ إلى الإيمانِ واعتقاد وقوعِ البعثِ والثواب والعقاب، وهو مثالٌ للتحفُّظِ من قُرناءِ السُّوء والبعد منهم. قال ابن عباس: هذا القائل وقرينه من البشر.

قال فرات بن ثعلبة البهراني: كانا شريكين بثمانية آلافِ درهم، يعبدُ الله أحدهما ويقصّر من التجارة والنظر، والآخر كافرٌ مقبل على ماله، فانفصل

---

(١) ديوانه ص ١٣، ١٦.
(٢) البيت، في شرح شواهد الكشاف ص٥٣٨ غير منسوب.

من شريكه لتقصيره. فكلَّما اشترى داراً أو جاريةً [٤٧٢/أ] أو بستاناً، عرضه على المؤمن، وفخرَ به عليه، فيتصدقُ المؤمنُ بنحوِ من ذلك ليشتري به في الجنة. فكان من أمرهما في الآخرة ما قَصَّهُ الله تعالى.

﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ قال ابن عباس: لمجازَوْن مُحاسَبون.

والضمير في «قل هل أنتم» عائد على «قائل» في[1] قوله «قال قائل». والخطاب في «هل أنتم» لرفقائه في الجنة الذين كان هو وإياهم يتساءلون، وهذا هو الظاهر. لمّا كان قرينه ينكر البعثَ علم أنه في النار ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾. و«سواء الجحيم» وسطها.

و﴿تَٱللَّهِ﴾ قَسَمٌ فيه التعجُّبُ من سلامته منه.

﴿لَتُرْدِينِ﴾ أي: لتهلكني بإغوائك.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ وهي توفيقه للإيمان والبعد من قرين السوء. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للعذاب كما أُحْضِرْتَهُ أنت.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ الظاهر أنه من كلامِ القائلِ يُسمع قرينه على جهةِ التوبيخِ له، أي: لسنا أهل الجنّة بميِّتين لكنَّ الموتةَ الأولى كانتْ لنا في الدنيا؛ بخلافِ أهلِ النار، فإنهم في كُلِّ ساعةٍ يتمنّون الموتَ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كحال أهل النار، بل نحن منعمون دائماً. ويكون في خطابه بذلك مُنَكِّلاً به مُقَرِّعاً له محزِناً، بما أنعم الله عليه من دخول الجنة.

---

(١) ق: وفي.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الأمر الذي نحن فيه من النعيم والنجاة من النار[1].

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا
شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ
مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ
لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ
ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الآية، لمّا انقضَتْ قصةُ المؤمن وقرينه - وكان ذلك على سبيلِ الاستطرادِ من شيءٍ إلى شيء - عاد إلى ذِكْرِ الجنة والرزق الذي أَعَدَّ اللهُ فيها لأهلها، فقال «أذلك خير نزلاً»، وعادلَ بين ذلك الرزق وبين شجرة الزَّقوم؛ ولاستواء الرزق المعلوم يحصل به اللذة والسرور، وشجرة الزقوم يحصل بها الألم والغم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾ أي: الشجرة. قال قتادة: أبو جهل ونظراؤه - لما نزلت - قال للكفار[2]: محمدٌ يُخبرُ عن النارِ أنها تُنبتُ الأشجارَ وهي تأكلها وتُذهبها، ففتنوا بذلك أنفسهم. وقال أبو جهل: إنما الزَّقُوم التَّمر بالزبد ونحنُ نتزقَّمه!.

واستعير الطَّلع - وهو للنخلة - لما تحمل هذه الشجرة. وشبّه طلعها بثمر شجرةٍ معروفةٍ يقال لثمرها رؤوس الشياطين، وهي بناحيةِ اليمن يقال لها الأَسْتَن، وذكرها النابغة في قوله[3]: **[من البسيط]**

(١) بعده في ق: يعمل العاملون.

(٢) ق: الكفار.

(٣) ديوانه ص١١١، مع اختلاف.

تحيد من أَسْتَنٍ سودٍ أسافلُه   مَشْيَ الإماء الغوادي تحمل الحُزَما

وهو شجر مُرٌّ مُنْكَرُ الصورةِ، سَمَّت العربُ ثمره بذلك تشبيهاً[1] برؤوس الشياطين، ثم صار أصلاً يُشَبَّهُ [به]. والضمير في «منها» عائد على الشجرة.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: لإلى النار.

ثم ذكر تعالى حالهم في تقليد آبائهم. والضمير لقريش أي: وجدوا آباءهم ضالِّين فاتَّبعوهم على ضلالتهم.

ثم أخبر بضلالِ أكثرِ مَنْ تقدَّمَ من الأمم.

[٤٧٢/ب] وفي قوله ﴿فَٱنظُرْ﴾ ما يقتضي إهلاكَهم وسوءَ عاقبتهم.

واستثنى المخلصين من عباده وهم الأقلّ المقابل لقوله ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. والمعنى: إلا عبادَ الله فإنهم نجوا.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

ولمّا ذكر ضلالَ الأولين ذكر أولهم شهرة وهم قوم نوح. ونداؤه عليه السلام تضمَّنَ أشياء منها الدُّعاء على قومه، وسؤاله النَّجاة، وطلب النّصرة.

واللام في قوله ﴿فَلَنِعْمَ﴾ جواب القسم كقوله[2]: [من الطويل]

---

(١) ق: نسبتها.

(٢) البيت لزهير في ديوانه ص١٤.

يميناً لنعم السَّيدان وجُدتُما [على كلّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ]

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: فَلَنِعْمَ المُجيبونَ نحنُ.

و«الكرب العظيم» الغرق وركوب الماء وهوله.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: في الباقين غابر الدهر. ومفعول «تركنا» محذوف تقديره: ثناءً حسناً جميلاً إلى آخر الدهر، قاله ابن عباس.

و﴿سَلَامٌ﴾ رفع بالابتداء مستأنف. سلَّم اللهُ تعالى عليه لتقتدي بذلك البشرُ، فلا يذكره أحدٌ من العالمين بسوء. وقيل: جملة في موضع نصب بـ«تركنا» وهذا هو المتروك عليه، فكأنه قال: وتركنا على نوحٍ تسليماً يُسَلَّمُ به عليه إلى يومِ القيامة.

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية، الظاهر[1] عود الضمير في ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ على نوحٍ عليه السلام، أي: ممن شايعه في أصول الدين والتوحيد، وإن اختلفت شرائعهما أو اتفق أكثرهما.

(١) ق: والظاهر.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: بم[٢] تعلَّقَ الظرفُ؟ قلت: بما في الشيعة من معنى المشايعة، يعني وإنَّ مِمَّنْ شايَعَهُ على دِينه وتقواه حين جاء ربه بقلبٍ سليم لإبراهيم، أو بمحذوف وهو اذكر انتهى.

أما التخريج الأول فلا يجوز، لأنَّ فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو قوله: لإبراهيم، لأنه أجنبي من «شيعته» ومن «إذ». وزاد المنع إذ قدَّره: ممّن شايعه حين جاء ربه لإبراهيم، لأنه قدّر: ممن شايعه، فجعل العامل صلة الموصول[٣] وفصل بينه وبين «إذ» بأجنبي وهو قوله: ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وأيضاً فلام التوكيد تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها، لو قلت: إنَّ ضارباً لقادمٌ علينا زيداً، لم يَجُز. وأما تقدير اذْكُرْ فهو المعهودُ عند المعربين.

وأجازوا في نصب ﴿أَئِفْكًا﴾ وجوهاً: أحدها أن يكون مفعولاً بـ«تريدون» و«آلهةً» بدلاً منه، وهو استفهام تقرير. ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه، وذكره الزمخشري قال[٤]: فُسِّر الإفك بقوله ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ﴾ على أنها إفكٌ في أنفسها.

والثاني أن يكون مفعولاً من أجله، أي: أتريدون آلهةً من دون الله إفكاً، و«آلهـة» مفعول به، وقدَّمه عنايةً به، وقدَّمَ المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أنْ يُكافحهم بأنهم على إفكٍ وباطلٍ في شِرْكِهم، وبدأ بهذا

(١) الكشاف ٣: ٣٤٤.

(٢) ق: ثم.

(٣) ق: علّة لموصول.

(٤) الكشاف ٣: ٣٤٤.

الوجه الزمخشري[١].

والثالث أن يكون حالاً أي: أتريدون آلهةً [٤٧٣/أ] من دون الله آفكين، قاله الزمخشري[٢]. وجَعْل المصدر حالاً لا يَطَّردُ إلا مع أمّا نحو: أمّا عِلْماً فعالم[٣].

﴿ فَمَا ظَنُّكُم ﴾ استفهامُ توبيخٍ وتحذيرٍ وتوعُّد، أي: أيّ شيء ظنكم بمن هو مستحق لأن تعبدوه إذ هو رَبُّ العالمين حتى تركتم عبادتَهُ وعدلتم به الأصنام؟.

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ الظاهر أنه أراد عِلْمَ الكواكب وما يُعزى إليها من التأثيراتِ التي جعلها الله تعالى لها. والظاهر أنَّ نظره كان فيها أي: في عِلْمها، قيل: وكانوا يعانون ذلك، فأتاهم من الجهة التي يعانونها، يوهمهم[٤] بأنه استدلَّ بأماراتٍ في علم النجوم أنه سقيمٌ، قيل: وهو الطاعون. قيل: وكان أغلب الأسقام عليهم إذْ ذاكَ، وخافوا العدوى، فهربوا منه إلى عيدهم[٥]، ولذلك قال ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ أي: أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة، وعَرضَ الأكلَ عليها.

واستفهاماً عن النطق هو على سبيلِ الهزء [لأنها] منحطَّةٌ عن رُتبةِ عابديها، إذْ هم يأكلون وينطقون. وروي أنهم كانوا يضعون عندها طعاماً، ويعتقدون

(١) الكشاف ٣: ٣٤٤.
(٢) الكشاف ٣: ٣٤٤.
(٣) انظر الكتاب ١: ٣٨٤.
(٤) ق: ويوهمهم.
(٥) ق: عندهم.

أنها تصيبُ منه شيئاً[1]، وهو يأكله خَدَمتها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: أقبل عليهم مستخفياً ضارباً باليمين.

وقرىء: يَزِفُّون، من زَفَّ أي: أسرع. وقرىء: يُزِفُّون، بضم الياء. وبين قوله «فراغ عليهم» وبين قوله «فأقبلوا إليه» جملٌ محذوفة مذكورةٌ في الأنبياء[2].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ﴾ استفهام توبيخ وإنكار عليهم كيف هم يعبدون صورةً صوَّروها بأيديهم، وشَكَّلوها على ما يريدون من الأشكال.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الظاهر أن «ما» موصولة بمعنى الذي، معطوفة على الضمير في «خلقكم» أي: أنشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الأصنام. والعملُ هنا التصويرُ والتشكيل كما تقول: عمل الصائغ الخلخال. وقيل: [ما] مصدرية، أي: خلقكم وعملكم.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ أي: في موضع إيقاد النار.

﴿فَأَرَادُوا[3] بِهِ كَيْدًا﴾ فأبطل الله مكرهم، وجعلهم الأذلِّينَ الأسفلين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي

---

(١) ق: شميماً.

(٢) انظر الآيات ٥٩-٦١ من الأنبياء.

(٣) ق: وأرادوا.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ الآية، لمّا سلَّمه اللهُ تعالى منهم ومن النارِ التي ألقَوْه فيها، عزمَ على مفارقتهم. وعبَّر بالذَّهاب عن هجرتهِ إلى أرضِ الشام، فهاجر من أرض بابلَ من مملكة نمرود إلى أرض الشام.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ يوفقني إلى ما فيه صلاحي.

﴿هَبْ لِى﴾ أي: ولداً يكونُ في عداد الصالحين. ولفظ الهبة غلب في الولد.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ بينَ هذه الجملة والتي قبلَها محذوفٌ تقديره: فولدَ له وشَبَّ. «فلما بلغ» أي: بلغ أنْ يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. وكان إذْ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة «قال يا بني» نداء شفقة وترحُّم.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ أي: بأمر من الله تعالى، ويدلُّ عليه [٤٧٣/ب] ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ورؤيا الأنبياءِ عليهم السلام وحيٌ كاليقظة. وذكر(١) له الرؤيا تجسيراً على احتمالِ تلك البليَّةِ العظيمةِ، وشاوره بقوله ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ وإنْ كان حتماً من الله تعالى، ليعلم ما عنده من تلقِّي هذا الامتحانِ العظيم ويصبِّرُه إنْ جزع. قيل: حين بشَّرتهُ الملائكةُ بغلام حليم قال: هو إذاً ذبيحُ الله.

---

(١) ق: وذكره.

فلما بلغ معه السَّعيَ[1] قيل له: أَوفِ بنذرك. وقيل: رأى ليلةَ الترويةِ قائلاً يقول له: إنَّ الله يأمرك بذبحِ ابنكَ هذا. فلما أصبح روَّى في ذلك من الصباح إلى الرَّواح أَمِنَ الله هذا الحُلُم؟ فمن ثَمّ سُمِّيَ يوم التروية. فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله، فمن ثَمّ سُمِّي يوم عرفة. ثم رأى مثله في الليلةِ الثالثةِ فَهَمَّ بنحرِه فمن ثَمّ سُمِّي يوم النحر.

و«انظر» معلقة. و«ماذا» استفهام. فإن كانت «ذا» موصولة بمعنى الذي فـ«ما» مبتدأ والفعل بعد ذا صلة. وإنْ [كانت] «ماذا» مركبة ففي موضع نصب بالفعل بعدها، والجملةُ واسمُ الاستفهام الذي هو معمولٌ للفعلِ بعده في موضعِ نصبٍ لـ«انظر».

ولما كان خطاب الأبِ «يا بنيَّ» على سبيل التَّرحُّمِ، قال هو «يا أبت» على سبيل التعظيم والتوقير. «افعل ما تؤمر» أي: ما تؤمره، حذفه وهو منصوب، وأصله: ما تؤمر به فحذف الحرف واتصل الضميرُ منصوباً، فجاز حذفُه لوجودِ شرائطِ الحذف فيه.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ كلام مَنْ أُوتيَ الحلم والصبرَ والامتثال لأمرِ الله تعالى والرضى بما أَمر.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: لأمرِ الله، انقادا له وخَضَعا. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ يقال: تلَّ الرجلُ الرجلَ إذا صرعه على شقِّه، وقيل: وضعه بقوة. أوقعه على أحد جنبيه في الأرض مباشراً[2] الأمر بصبر وذلك عند الصخرة التي بمنى. وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منى. وعن الضحَّاك: في المنحر

---

(١) ق: فلما بلغ معه السّبع معه.
(٢) ق: في الأرض تواضعاً مباشراً.

الذي يُنْحَرُ فيه اليوم. وجواب «لمّا» محذوفٌ[١] مقدَّر بعد «وتله للجبين» أي: أجزلنا أجرهما.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال الجمهور: كبش أبيض أَقْرن أَعْيَن[٢]. ووصف بالعِظَم لأنه مُتَقَبَّلٌ يقيناً. وقال عمرو بن عبيد: لأنه جرت [به] السُّنَّةُ، وصار دِيْناً باقياً إلى آخر الدهر. والذِّبح: بمعنى المذبوح كالطِّحْن بمعنى المطحون. قال ابن عباس وابن جبير: عظمه كونه من كباشِ الجنَّة، رعى فيها أربعينَ خريفاً. وفي قوله «وفديناه» دليلٌ على أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لم يذبح ابنه إذ قد فُدي.

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة، وأنَّ الغلامَ الحليم المبشَّر به إبراهيم [هو إسماعيل وأنه هو الذبيح لا إسحاق. واستُدلّ بظاهر هذه الآية وبقوله] عليه السلام «أنا ابن الذبيحين»[٣] وقول الأعرابي له[٤]: يا ابن الذبيحين - فتبسّم عليه السلام - يعني إسماعيل وأباه عبد الله. وكان عبد المطلب نذرَ ذبحَ أحدِ ولده، فخرج السهم [٤٧٤/ أ] على عبدالله، فمنعه أخواله، وقالوا: افْدِ ولدك بمئةٍ من الإبل، ففُدي بها. قيل: وكان قرنا الكبش منوطَيْن في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترقَ البيتُ. قال الشعبي: رأيتهما معلّقَيْن في الكعبة.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ

---

(١) ق: محذوفة.

(٢) كبش أقرن: طويل القرنين، وأعين: واسع العينين.

(٣) لا أصل به بهذا اللفظ، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ١: ٣٣٦.

(٤) قيل فيه: إسناده واهٍ. وقيل: غريبٌ جدًّا. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ١:٣٣٧.

ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾
وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الآية، «الكرب العظيم» تعبّد القبط لهم، ثم خوفهم من جيش فرعون، ثم البحر بعد ذلك.

والضمير في «ونصرناهم» عائد على موسى وهارون وقومهما. و«هم» يجوز أن يكون فصلاً وتوكيداً وبدلاً.

و«الكتاب المستبين» التوراة. و«الصراط المستقيم» هو الإسلامُ وشرع الله تعالى. «وآتيناهما» الضمير عائد على موسى وهارون. و«الكتاب» وإن كان نازلاً على موسى عليه السلام وحده، فهارون كان مقتدياً[1] به، إذْ كان قومهما قد عبدوا العجلَ، فجمع مع موسى عليه السلام في الضمير لأجل الاقتداء به.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي: أتعبدون بعلاً. وثَمّ محذوف تقديره: إلهاً، وهو عَلَمٌ لصنمٍ لهم. قيل: وكان من ذهبٍ، طولُه عشرون ذراعاً، وله أربعةُ أوجه،

---

(١) ق: مقترناً.

فتِنُوا به، وعَظَّموه حتى أخدموه أربعَ مئة سادنٍ. فكان الشيطان يدخلُ في جوف بعل، ويتكلم بشريعةِ الضلالةِ، والسّدنة يحفظونها، ويعلِّمونها الناس. وهم أهلُ بعلبك من بلا الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك.

وقرىء: اللهُ رَبُّكم، بالرفع ورفع ما بعده، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو الله. وبالنصب، ونصب ما بعده، وهو بدل من قوله «أحسن الخالقين»، أو عطف بيان.

وقرىء: آل ياسين، مفصولة اللام، فتكون ياسين وإلياس اسمين[1] لهذا النبي. وقرىء: إلياسين، بهمزة مكسورة أي: إلياسين جَمَع المنسوبين إلى إلياس معه كما قالوا في جمع أشعري: الأشعرين بحذف ياء النسب.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٣ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝١٣٤ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۝١٣٥ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝١٣٦ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨ ﴾.

﴿مُّصْبِحِينَ﴾ حال أي: داخلين في الصباح. والخطاب في «وإنكم» لقريش، وكانت متاجرهم إلى الشام على مدائنِ قومِ لوط.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتبرون بما جرى على مَنْ كذَّب الرّسل.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ

(١) ق: اسمان.

حِينٍ ﴿١٤٨﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، [هو] يونس بن متّى من بني إسرائيل. وروي أنه نبّيء[1] وهو ابن ثمان وعشرين سنة، بعثه الله إلى قومه، فدعاهم مرةً، فخالفوه، فوعدهم بالعذابِ، فأعلمه[2] الله بيومه، فحدَّده يونس لهم؛ ثم إنَّ قومه لمَّا رأوا مخايلَ العذابِ قبل أن يباشرهم، تابوا وآمنوا فتابَ اللهُ عليهم، وصرفَ العذابَ عنهم. قيل: ولحقت يونس غضبة فأبق إلى ركوبِ السفينةِ فراراً من قومه. وعبَّر عن الهربِ بالإباق، إذ هو عبد الله تعالى خرج فارًّا من قومه.

وروي أنه لمّا بعدت السفينةُ في البحر ويونس فيها ركدت فقال أهلها: إنَّ فيها لمن يحبس اللهُ السفينةَ بسببه فلنقترع. فأخذوا لكلٍّ سهماً على أنَّ مَنْ طفا سهمه فهو الذي يُرمى [به]، ومَنْ غرق سهمه فليس إياه. فطفا سهم [٤٧٤/ب] يونس، ففعلوا ذلك مرات تقع القرعةُ فيها عليه. فأزمعوا على أنْ يطرحوه في الماء، فجاء إلى ركن منها ليقع منه، فإذا بدابّة من دوابِّ البحرِ ترقبُه وترصد له، فانتقل إلى الركنِ الآخر فوجدها، حتى استدار بالمركب كلها وهي لا تفارقُه، فعلم أن ذلك من عند الله تعالى. فترامى إليها فالتقمَتْه.

وفي[3] قصة يونس عليه السلام هنا جُملٌ محذوفة مُقدَّرةٌ قبل ذكر فراره

---

(١) ق: نبي.

(٢) ق: فأعلمهم.

(٣) ق: ففي.

إلى الفلكِ كما في الأنبياء[١]. ومجموع القصص تبيّن ما حذف في كل قصة منها.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ من المغلوبين، وحقيقته: من المزلقين عن مقام الظفر في الاستهام[٢].

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أتى[٣] بما يُلامُ عليه، واللوم: العتب.

﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله بالتسبيح والتّقديس.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: في بطن الحوت. روي أنه كان يرفع لحمَ الحوتِ بيديه يقول: لأبنينَّ لك مسجداً حيث لم يَبْنِهِ أحدٌ قبلي. وروي أنَّ الحوتَ مشى به البحارَ كُلَّها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل. وروي أنَّ الحوتَ سافر مع السفينة رافعاً رأسه يتنفّس ويونس يُسَبِّحُ، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البرِّ فلفظه سالماً لم يتغيَّرْ منه شيءٌ فأسلموا.

والظاهر أن قوله «للبث في بطنه» يريد: حيًّا إلى يوم البعث.

﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ المكان الخالي. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه عاد بدنُه كبدنِ الصبيِّ حين يولد.

اليقطين: القرع خاصة. قيل: وهي التي كانت[٤] أنبتها الله تعالى عليه، وتجمع خصالاً: بَردُ الظِّلِّ و[نعومةُ] الملمسِ وعظم الورقِ، وأنَّ الذباب لا يقربها. وماء ورقه إذا رُشَّ به مكان لم يقْربه ذباب أصلاً.

---

(١) انظر الآية ٨٧ من الأنبياء.
(٢) ق: الاستفهام.
(٣) ق: أي.
(٤) ق: وهي كانت التي.

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ قال الجمهور: رسالته هذه هي الأولى التي أبق[1] بعدها، ذكرها آخر القصص تنبيهاً على رسالته، ويدلُّ عليه «فآمنوا فمتعناهم». وتمتيع تلك الأمّة هو الذي أغضب يونس عليه السلام حتى أبق. «أو» للإبهام على المخاطب لا للشّك.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ (١٤٩) أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ
شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ
عَلَى ٱلۡبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ (١٥٦) فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ (١٥٨) سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ (١٦١) مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ
ٱلۡجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُواْ
لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ
ٱلۡغَٰلِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ (١٧٤) وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ
بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ (١٧٨) وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ (١٧٩) سُبۡحَٰنَ
رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ (١٨١) وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٨٢)﴾.

والضمير في «فاستفتهم» لقريش كما في قوله أول السورة ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ (١١)﴾ [الصافات]. والاستفتاءُ هنا سؤالٌ على جهةِ التوبيخِ والتقريع على قولهم البهتانَ على الله، حيث جعلوا للهِ الإناثَ في قولهم: الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهنَّ ووأدهم إياهن واستنكافهم من ذكرهن. وارتكبوا ثلاثةَ أنواع من الكفر: التجسيم لأنَّ الولادة مختصَّةٌ بالأجسام، وتفضيل أنفسهم حيث جعلوا

(١) ق: أنف.

أرفعَ الجنسين لهم وغيره لله، واستهانتهم بمن هو مكرَّمٌ عند الله تعالى حيث أنَّثوهم وهم الملائكة.

بدأ أولاً بتوبيخهم على تفضيل أنفسهم بقوله ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾. وعدل عن قوله: ألربّكم، لما في ترك الإضافة إليهم من تخسيسهم[1]، وشرف نبيه عليه السلام بالإضافة إليه. وثنّى بأنَّ نسبةَ الأنوثةِ إلى الملائكة [٤٧٥/أ] تقتضي المشاهدةَ، فأنكر عليهم بقوله ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ أي: خلقناهم وهم لا يشهدون شيئاً من حالهم. ثم أخبر عنهم ثالثاً بأعظم الكفر، وهو ادِّعاؤُهم بأنه تعالى قد ولد، فبلغ إفكهم إلى نسبة الولد إليه تعالى. ولما كان هذا أفحش قال «وإنهم لكاذبون». واحتمل أن تخصّ هذه الجملة بقولهم «ولد الله» ويكون تأكيداً لقوله «من إفكهم».

وقرىء: أصطفى، بهمزة الاستفهام على طريقة الإنكار والاستبعاد، وسقطت همزة الوصل، ولا تُمدّ.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ تقريرٌ وتوبيخٌ واستفهام عن البرهان والحجة.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: حجة نزلت عليكم من السماء وخبرٌ بأن الملائكة بنات الله.

﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الآية، «الجِنّة» الظاهر أنهم الشياطين.

وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة منها أنه تعالى صاهرَ سروات الجنِّ، فولد منهم الملائكة، وهم فرقة من بني مدلج، وشافَه بذلك بعضُ الكفار أبا

---

(١) ق: تحسينهم.

بكر الصدّيق.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: الشياطين إنها مُحْضَرة أمر الله من ثوابٍ وعقاب.

ثم نزّه الله تعالى نفسه عن الوصف الذي لا يليق به.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع؛ قالوا: إمّا مِن «يصفون» أي: إلا عبادَ الله، فإنهم يَصِفُونَهُ بصفاتِه العُلا، وإمّا مِن «لمحضَرون» أي: إلا عباد الله، فإنهم ناجون من العذاب، وتكون جملة التنزيه اعتراضاً. وعلى كلا القولين فالاستثناء منقطع.

والظاهر أن الواو في «وما تعبدون» للعطف، عطفت «وما تعبدون» على الضمير في «فإنكم». وأن الضمير في «عليه» عائد على «ما» والمعنى: قُلْ لهم يا محمد إنكم وما تعبدونَ من الأصنامِ ما أنتم وهم - وغلَّب الخطابَ كما تقول: أنتَ وزيدٌ تخرجان - «عليه» أي: على عبادة[1] معبودكم. «بفاتنين» أي: بحاملين بالفتنة على عبادته إلا من قدّر الله تعالى في سابق علمه أنه من أهل النار.

وقرىء: صال، بغير واو. فمن أثبت الواو فهو جمع سلامة، سقطت النون للإضافة، حمل أولاً على لفظ «مَن» فأفرد، ثم ثانياً على معناها فجمع.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هو من قولِ الملائكة.

قال الزمخشري[2]: وما منا أحد إلّا له مقام معلوم، حذف الموصوف

(١) ق: عبادته.

(٢) الكشاف ٣: ٣٥٦.

وأقام الصفة مقامه كقوله(١): [من الوافر]

أنـا ابـنُ جـلا وطـلَّاع الثنـايـا [متى أضعِ العمامةَ تَعرفُوني]

[جادت] بكفَّيْ كان من أرمى البشر(٢)

انتهى.

وليس هذا من حذفِ الموصوفِ وإقامةِ الصفةِ مقامَهُ؛ لأن «أحداً» المحذوف مبتدأ، و«إلا له مقام معلوم» خبره، ولأنه لا ينعقدُ كلامٌ من قوله: وما مِنَّا أحدٌ، فقوله «إلا له مقام معلوم» هو محطُّ الفائدة. وإن تخيّل أن «إلا له مقام» في موضع الصفة، فقد نصُّوا على أنَّ إلاَّ لا [٤٧٥/ب] تكون صفةً إذا حُذِفَ موصوفها، وأنها فارقت غيراً إذا كانت [صفة] في ذلك، لتمكُّن غير في الوصف وقلّةِ تمكُّنِ إلاَّ فيه. وجعل نظير ذلك قوله(٣): أنا ابن جلا، أي: أنا ابن رجلٍ جلا، وبكفَّيْ كان، أي: بكفَّي رجلٍ كان. وهذا عند النحويين من أقبحِ الضرائرِ حيث حذف الموصوف، وأقام الجملة مقامه، ولم يتقدمه مِن.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ أي: أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ أي: المنزّهون الله تعالى عمّا نسبت إليه الكفرة.

والضمير في «ليقولون» لكفار قريش.

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا﴾ أي: كِتاباً من كُتبِ الأولين الذين نزلَ عليهم التوراةُ

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي، وهو في اللسان «جلا».

(٢) الرجز في الخصائص ٢: ٣٦٧، والمقتضب ٢: ١٣٩، غير منسوب.

(٣) ق: ونظر ذلك بقوله. وكتب في الهامش: وجعل.

والإنجيل، لأخلصنا العبادةَ لله تعالى، ولم نكذب كما كذبوا.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بما جاءهم[١] من الذكر الذي كانوا يتمنَّونه، وهو أشرفُ الأذكار لإعجازه من بين الكتب.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كفرهم وما يحلُّ بهم من الانتقام. وأكَّدوا قولَهم بإن المخففة وباللام لكونهم كانوا جادِّين في ذلك، ثم ظهر منهم التكذيبُ والنفور البليغ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى مدة يسيرة، وهي مدة الكفِّ عن القتال[٢].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي: انظر إلى عاقبةِ أمرهم. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ[٣]﴾ ما يحلُّ بهم من العذابِ والأسرِ والقتل. وأَمْرُه بإبصارهم إشارة إلى الحالة المنتظرة الكائنة لا محالة، وأنها قريبة كأنها بين ناظريه بحيث هو يبصرها. وفي ذلك تسليةٌ وتنفيسٌ عنه عليه السلام.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ استفهام توبيخ.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ هو، أي: العذاب. مَثَّلَ العذابَ النازلَ بهم [بعدما أُنذروه فأنكروه، بجيشٍ أنذر بهجومه قومَه بعضُ نُصَّاحهم][٤].

---

(١) ق: أي فجاءهم.

(٢) ق: القتالة.

(٣) ق: يبصرونها وما.

(٤) هذا من كلام الزمخشري. وانظر بقية العبارة في الكشاف ٣: ٣٥٧، وقارن بالبحر ٧: ٣٨٠.

﴿فَسَآءَ صَبَاحُ﴾ المخصوص بالذم محذوف تقديره: فساءَ صباحُ المنذرين صباحهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتولِّي تأنيساً له عليه السلام وتأكيداً لوقوع الميعاد. ولم يقيِّد أمره بالإبصارِ كما قيَّده في الأول، إمّا لاكتفائِه به في الأول، فحذفه اختصاراً، وإما لِمَا في تركِ التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الإبصارُ من صنوفِ المسرَّاتِ، والإبصار منهم من صنوف المساءات.

وختم تعالى هذه السورةَ بتنزيهِهِ عَمَّا يَصِفُه به المشركون. وأضاف الربَّ إلى نبيه عليه السلام تشريفاً له بإضافته وخطابه، ثم إلى العزّة وهي العزّة المخلوقة الكائنة للأنبياء والمؤمنين.

فهرس المجلد الرابع